

الصحافة الإسرائيلية

عماية الصهيونية في مصر

د. سهام نصار

الزهراء للإعلام العربي


بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر –القاهرة –تلغرافياً : زاهراتيف –تليفون ٦٠١٩٨٨ –٢٦١١١٠٦ –تلكس ٩٤٠٢١ رائف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللّٰهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ ــ ١٩٩١ هـ

الجمع التصويري والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربي

مقدمة الناشر

« إنني لا أخشى أن يعرف العرب خطتي ، فإنهم لايقرءون » هكذا عبر وزير الدفاع الإسرائيلي السابق موشي ديان عن نظرته للعرب خلال حرب الأيام الستة عام 1967 .

فإن اليهود يخططون لاكتساب مواقع جديدة ، كل يوم ، وبعد أن التهموا فلسطين والجولان وجنوب لبنان نراهم يدعمون موقفهم بشتى الأساليب وكل الطرق ؛ من أسلحة جديدة ، إلى هجرة تضم صفوة علماء يهود الاتحاد السوفيتي (سابقا) ، إلى عودة العلاقات الدبلوماسية مع غالبية دول العالم ، وإلغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية من الأمم المتحدة .

ويرى المسلمون والعرب كل هذه الجهود الإسرائيلية ولا يكون رد فعلهم إلا مزيدا من الشقاق والتفتت ، وكأنهم لا يتعلمون من التاريخ ودروسه ، يتفتت الاتحاد السوفيتي فتسارع إسرائيل إلى اتخاذ مواطئ أقدام في الجمهوريات الإسلامية والمسلمون يتفرجون ! تدعم إسرائيل تسليحها وتطلق أقمارها الصناعية فيستخذم العراق غاز الخردل ضد الأكراد ، تعلن إسرائيل أن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل فيعلن العراق أن تحريرها يمر عبر الكويت ويلتهم الكويت ويدمر مقدرات شعب كامل ويخصم دولة من رصيد الإسلام والمسلمين ، والفاعل ؟ حاكم أحمق مجنون !

وتتوالى الدروس : درس الأندلس ، درس فلسطين ، ولا يبدو في الأفق بصيص نور يعلن أننا قد تعلمنا الدرس ، وأن الكارثة لن تتكرر .

ولابد أن يدرك المسلمون أن الوقت ليس في صالحهم وهم مطالبون بتوحيد أنفسهم وإخلاص النية وتوجيه المقدرات نحو العدو، وأخذ الحيطة ، وإلا فإنهم سيتحولون إلى أمة هشة قد نخر فيها السوس .

وفي هذا الكتاب تعرض المؤلفة مرحلة هامة من مراحل النشاط الصهيوني في مصر ، ومنه نعرف أن اليهود يبذلون الجهد والمال في استغلال كل الفرص التي تواتيهم في غفلة من المسلمين لتحقيق أهدافهم وقيام الدولة الصهيونية .

وهو دعوة لاستخلاص الدرس وإلا فمصير الأندلس ماثل للأذهان وقابل للتكرار .

﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾

الناشر

الباب الأول

اليهــود والصحافــة

الفصل الأول
الطائفة الإسرائيلية في مصر

المبحث الأول

الوضع الاجتماعي

ترجع علاقة اليهود بمصر إلى عهود موغلة في القدم ، حينما هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر عام 1650 ق . م ، بسبب القحط الشديد الذي أصاب أرض فلسطين .

وعلى الرغم من خروج موسى مع الإسرائيليين من مصر عام 1300 ق . م ، فإن هذه العلاقات عادت من جديد ، بعد قيام دولتهم في فلسطين ، وقد ثبت تاريخيا وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد[1] ، وقد استمر وجود هذه الطائفة منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا .

كان تعداد أبناء هذه الطائفة يتردد دائما بين الزيادة والنقصان تبعا للمتغيرات الدولية خلال عصور التاريخ المختلفة ، ولكن من الثابت تاريخيا أن الطائفة الإسرائيلية في مصر عاشت أزهى عصورها خلال العصر الحديث ، وبالتحديد منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام 1798 ، وحتى قيام دولة إسرائيل عام 1948 ، إذ يذكر لنا حاييم كوهين Hayym Cohen في كتابه « يهود الشرق الأوسط » : « أن مستقبلا مشرقا بدأ لصالح اليهود ، عندما استولى بونابرت على البلاد عام 1798 ، فقد أصدر بونابرت ـ بعد احتلاله مصر بوقت قصير ـ مرسوما يعترف لجميع السكان ـ بما فيهم اليهود ـ بحقوق متساوية ، وبذلك كانت الطائفة اليهودية في مصر من بين الطوائف اليهودية في الشرق التي تمتعت بهذا الحق »[2] .

وعلى الرغم من أن كوهين يذكر أن هذا الوضع لم يستمر طويلا لجلاء الفرنسيين عن مصر عام 1801 ، إلا أن الثابت تاريخيا أن الوجود اليهودي فى البلاد سرعان ما شهد اندفاعة قوية نحو الأمام ، عندما تولى محمد علي حكم مصر عام 1805 .

فلقد كان لمحاولات محمد علي الرامية إلي تنمية الاقتصاد المصري وبناء مصر الحديثة خلال فترة حكمه التي امتدت إلى ما يزيد على أربعين عاما الفضل الأول في تشجيع العمال والخبراء الأجانب علي المجيء إلى مصر بأعداد كبيرة ، وكان جانب كبير منهم من اليهود[3] ، كذلك شجع التسامح الديني . الذي استشهد به محمد علي – اليهود المضطهدين فى أوربا على الهجرة إلى مصر ، ولذلك فإنه حينما قامت « ثورة الورة » فى اليونان عام 1820 ، لم يجد الكثيرون من اليهود ملجأهم إلا فى مصر[4] .

ونظرا لعدم وجود إحصاءات رسمية لتعداد السكان فى مصر قبل عام 1897 ، اختلفت التقديرات حول عدد اليهود خلال تلك الفترة ، ففي حين قدر البعض عددهم بنحو 1,775 نسمة عند تبوؤ محمد علي السلطة[5] ، نجد موريس فرحون يذكر أن عددهم بلغ سبعة الآف نسمة فى تلك الفترة ، بينما قدر كادالفين Cadalvéne فى كتابه عن مصر عددهم بنحو 3500 نسمة ، من إجمالي عدد السكان البالغ 2,213,000 نسمة .[6] .

وفي عهد سعيد وإسماعيل فتحت أبواب البلاد علي مصاريعها أمام الأجانب ، أملا في أن يسهموا في نقل الحضارة الغربية إلي مصر ، وفي السير بالبلاد في طريق التقدم ، ثم جاء البريطاني فزادت البلاد انفتاحا أمام الأجانب ، ووجد اليهود في ظل هذه التطورات مناخا مواتيا ، فازداد عددهم حتي بلغ 25,200 نسمة عام 1897 ، وكان عدد اليهود المحتليين منهم 12,693 نسمة ، أما عدد اليهود الأجانب فكان 12,507 نسمة[7] ، ومعني هذا أن الزيادة في عدد السكان اليهود لم تكن نتيجة طبيعية للتكاثر بين أبناء الطائفة بطريق التناسل ، وإنما كانت ناتجة عن وفود أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود إلي مصر .

استمر عدد أفراد الطائفة اليهودية في التزايد ، فقد بلغ عددهم في إحصاء عام 1907 نحو 38,635 نسمة[8] ، ثم ارتفع الرقم مرة أخرى عام 1917 ، حيث وصل إلى 59,581 نسمة[9] ، ويرجع السبب في تلك الزيادة الكبيرة إلى هجرة اليهود من فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى إلى مصر حيث وجدوا الأمن والأمان وكرم الضيافة .

وفي حين يشير إحصاء عام 1917 إلى تفوق عدد اليهود الأجانب على عدد اليهود المحليين الذين بلغ عددهم 14,417 نسمة فقط ، فإن يوسف قطاوي باشا[*] فند هذا التقدير وقال : إن عدد اليهود المحليين وفقا لما جاء في صفحة 539 من الإحصاء نفسه بلغ 24,980 نسمة ، كما أشار إلى أن إحصائيات الحاخامخانة (دار الشرع) تذكر أن عدد الرعايا المحليين خمسون ألف نسمة[10] ، ومعنى هذا أنه كان باستطاعة اليهود الأجانب الحصول على الجنسية المصرية بسهولة .

وعلى الرغم من عودة المهاجرين اليهود إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب فإن عدد اليهود في مصر واصل الارتفاع ، فبلغ 63,550 نسمة في إحصاء عام 1927 ، وكان عدد اليهود المحليين – وفقا لهذا الإحصاء – 21,994نسمة[11]فقط ، أي نحو ثلث أبناء الطائفة تقريبا ، أما الباقي فكانوا من الحاصلين على جنسيات أجنبية أو بلا جنسية على الإطلاق .

وفي الواقع كان احتفاظ اليهود بجنسياتهم الأجنبية ، وحصول بعض أبناء الطائفة ذوي الأصول المصرية على جنسيات أجنبية ، يرجع إلى رغبتهم في التمتع بفوائد نظام الامتيازات الأجنبية ، وليس لأنهم واجهوا عقبات في سبيل الحصول على الجنسية المصرية ، والدليل على ذلك أنه مع تغير الأوضاع السياسية في مصر منذ تصريح

(*)كان يوسف قطاوي حاصلا على جنسية أجنبية ، ولكنه تخلى عنها وحصل على الجنسية المصرية بعد تعيينه عضوا في الجمعية التشريعية عام 1913 .

28 فبراير سنة 1922 ، واتباع سياسة التمصير ، ثم إلغاء الامتيازات الأجنبية في مؤتمر مونترو عام 1937 ، وصدور قانون الشركات عام 1947 بلغ عدد اليهود الحاصلين على الجنسية المصرية في إحصاء عام 1947 نحو 50,831 نسمة ، من مجموع اليهود البالغ 65,639 نسمة[12] ، أي بنسبة 77 ٪ وهو ما يثبت أن اليهود كانوا قادرين على الحصول على الجنسية التي يرغبونها بما في ذلك الجنسية المصرية ، وهو ما يفند أيضا ادعاءات حايم كوهين بأن اليهود كانوا الضحايا الرئيسيين لقانون الشركات ؛ لأن عدد الحاصلين منهم على الجنسية المصرية على حد قوله كان - 15 ٪ فقط ، كما يدحض ماجاء في كتاب على إبراهيم عبده وخيرية قاسمية من أن عدد اليهود الحاصلين على الجنسية المصرية في إحصاء عام 1947 سبعة آلاف يهودي أي ما يعادل 7 ٪ فقط .

ولقد كفل النظام المِلِّي الذي أنشئ في العهد العثماني - بما فيه من حقوق والتزامات للطوائف الدينية - لليهود المحافظة على حياتهم الخاصة ، ومركزهم الاجتماعي كطائفة مستقلة ، فقد جعل هذا النظام بكل طائفة مجلسها المِلِّي المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية : كالزواج والطلاق والإرث وفق التقاليد الدينية لكل طائفة[13] ، بالإضافة إلى مؤسساتها الدينية والاجتماعية .

وفي مصر كانت الطائفة اليهودية تتكون من عناصر مختلفة ، لا يربط بينها إلا وحدة العقيدة واتفاق التقاليد والأماني - كما يقول موريس مزجون[14] .

وبصفة عامة كان اليهود ينقسمون إلى طائفتين رئيسيتين : طائفة اليهود القرائين[*] ، وطائفة اليهود الربانيين أو الحاخاميين[**] .

(*) اليهود القراءون هم الذين يؤمنون بالتوراة فقط دون التلمود ، وقد ظهرت طائفة القرائين في العراق عام 761 م ، ثم انتشروا منها في العالم .

(**) اليهود الربانيون هم الذين يعتقدون بأن الله لم ينزل على موسى التوراة وحدها ، وانما أنزل عليه المشنا (المثنى) أيضا ولكن أمره ألا يكتبه وأن يبلغه إلى من بعده شفاهة . ولأن الربانيين يعتقدون أن =

وعلى الرغم من أن « مجلة الشبان القرائين » تذكر أن طائفة القرائين في مصر كانت أكبر طائفة قرائية في العالم[15] ، فإنها كانت أقل من طائفة الربانيين في العدد والمكانة ، إذ بلغ تعداد القرائين 4,507 نسمة وفقا لإحصاء عام 1927 بينما كان عدد الربانيين 59,043 نسمة ، هذا فضلا عن أن طائفة اليهود الربانيين كانت تتمتع باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة لها الحق في تمثيل جميع اليهود في البلاد والتحدث باسمهم .

وكان الربانيون ينقسمون بدورهم طائفتين : طائفة في مدينة القاهرة ، وأخرى في مدينة الإسكندرية ، وكان لكل طائفة من هذه الطوائف حاخامها ومجلسها الملي المنتخب ، ولكن طائفتي القاهرة والإسكندرية الربانيتين انصهرتا في طائفة واحدة برياسة الحاخام الأكبر واعترفت بهما الحكومة طائفة واحدة[16] .

واليهود الربانيون ينتمون إلى طائفة اليهود السفارديم الذين يعودون بأصلهم إلى أسبانيا ودول حوض البحر المتوسط .

وداخل طائفة الربانيين تشكلت في عام 1865 طائفة جديدة من اليهود الإشكنازيم(***) الذين هاجروا إلى البلاد[17] إما فرارا من الاضطهاد الذي تعرضوا له في أوربا ، أو بحثا عن لقمة العيش وإلى جانب طائفتي القاهرة والإسكندرية اللتين كانتا تضمان غالبية اليهود في مصر ، كانت هناك بعض الأسر اليهودية التي عاشت في بعض المدن المصرية الكبرى ، كبور سعيد ، والإسماعيلية ، والسويس ، وطنطا ، والمنصورة ، والمحلة الكبرى ، والمنيا وغيرها .

وإذا ما حاولنا التعرف إلى البناء الاجتماعي للطائفة اليهودية في مصر فسنجد أنها كانت تنقسم ثلاث طبقات رئيسية :[18]

= المشنا سماوية كالتوراة ، فإنهم يتقيدون بالتفسير الذي وصفه لها اليهود في التلمود .

(***) ينتسب الإشكنازيم إلى إشكناز أحد أحفاد نوح ، وقد أطلق هذا الاسم على يهود شرقي أوربا ، ثم اتسعت التسمية لتشمل كل يهود الغرب بما فيهم يهود أمريكا .

الطبقة الأولى وتضم عددا من الأسر اليهودية الغنية المعروفة بثرواتها ومراكزها في المجتمع وعلاقاتها الشخصية بأهل البلاد من إقطاعيين وذوي نفوذ وسياسيين ومن هؤلاء أسر قطاوي ، ومنشة ، وموصيري ، وسوارس ، ورولو ، وهراري ، وشيكوريل ، وغيرها ، وكانت معظم هذه الأسر تنتسب إلى العنصر المحلي .

وتحت هذه الطبقة تأتي الطبقة الثانية حيث نجد عددا لابأس به من رجال الأعمال الأثرياء العاملين في تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة ، وتجارة التصدير والاستيراد ، وأصحاب المهن التخصصية .

وكانت لهاتين الطبقتين حياتهما الاجتماعية الثقافية المنفصلة عن أهل البلاد الأصليين ، وكان معظمهم يتحدثون الفرنسية ويسكنون الأحياء الراقية مثل الزمالك وجاردن سيتي وقصر النيل .

وفي الطرف الأسفل من البناء الاجتماعي نجد اليهود باعة جائلين أو حرفيين صغارا ، وهؤلاء كانوا في حالة من الجهل ، وأكثرهم يعود بأصله إلى اليهود الذين قدموا مصر من فلسطين قبل الميلاد ، وكانت أغلبيتهم تسكن حارة اليهود وأحياء السكاكيني والظاهر والعباسية ويتحدثون العربية ، وأدى اختلاطهم بجيرانهم المصريين إلى أن تمثلوا عاداتهم وأعطوا أبناءهم أسماء عربية[19] .

وكانت الطائفة اليهودية في مصر من أوائل الطوائف اليهودية في الشرق الأوسط التي تلقت تعليما حديثا ، فقد كانت المدارس الفرنسية العلمانية ، والمدارس الدينية المسيحية ، ومدارس الإرساليات أول من فتحت أبوابها لليهود من أبناء الطبقة الراقية .

وفي عام 1896 دخل « الأليانس الإسرائيلي الدولي »[*] ميدان التعليم في مصر ،

(*) الأليانس كلمة فرنسية تعني التحالف ، « والأليانس الإسرائيلي الدولي » تنظيم يهودي أسس في باريس سنة 1860 بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني ، وإغاثة اليهود في الأزمات .

ولكن فترة خدمة الأليانس للتعليم اليهودي في مصر كانت أقصر منها في دول الشرق الأخرى ، نظرا لعدم إقبال اليهود على مدارسه[20] .

بيد أنه من الملاحظ أن الطائفة اليهودية سعت إلى إنشاء مدارس خاصة بها في محاولة لمنع أفراد الطائفة من إرسال أبنائهم إلى مدارس المسيحيين أو المدارس الحكومية ؛ حتى يتسنى لها تنشئتهم تنشئة يهودية خالصة .

فخلال النصف الأول من القرن العشرين تزايد عدد مدارس الطائفة اليهودية وتنوعت ، فقد أقيمت إلى جانب المدارس الأولية ، المدارس الحرفية والصناعية لتعليم فقراء الطائفة بعض الحرف والأشغال اليدوية لتكون عونا لهم في كسب عيشهم[21] ، كما أنشأت الطائفة مدرسة ثانوية خاصة بها في القاهرة وأخرى في الإسكندرية[22] حتى يظل أبناء الطائفة تحت إشرافها أطول فترة ممكنة .

وفي مجال الخدمات الاجتماعية كانت للطائفة جمعياتها الخيرية الخاصة التي هيمن عليها كبار الرأسماليين اليهود والتي كانت تقدم المعونة والرعاية للفقراء ، كما كان لها أنديتها الثقافية والرياضية والترفيهية الخاصة ، كما كان لها معابدها ومحافلها التي انتشرت في جميع المناطق التي كانت توجد بها أكثرية يهودية ،حتى لقد بلغ عدد المعابد التي أقيمت في القاهرة نحو 29 معبدا ، وفي الإسكندرية بلغ العدد عشرين معبدا .

وهكذا فإننا نجد أنه على الرغم من أن السلطات المصرية لم تمارس أي نوع من التمييز ضد اليهود ، فإن نمط الحياة الذي فرضه اليهود على أنفسهم ـ كطائفة مستقلة لها مؤسساتها الدينية والدنيوية الخاصة ـ قد أسهم في عزلهم عن المجتمع المصري ، وحال دون اندماجهم فيه .



المبحث الثاني :(*)

النشاط الاقتصادي

حرصت الدعاية الصهيونية خلال فترة الدراسة وما تلاها على إبراز فضل اليهود على مصر ـ وخصوصا في المجال الاقتصادي ـ مستهدفة من وراء ذلك الإيحاء بأن اليهود هم أساس كل نهضة زراعية وصناعية وتجارية وعمرانية شهدتها البلاد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين .

ونحن إذا ماتتبعنا النشاط الاقتصادي لليهود خلال هذه الفترة فسنجد أن النهضة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عهد محمد على لم يكن لليهود أي فضل فيها ، فكما ذكرنا آنفا ، لم تسمح سياسة « الاحتكار والتوجيه » التي مارسها محمد علي - والتي جعلت منه الزارع الوحيد ، والصانع الوحيد ، والتاجر الوحيد في مصر ـ لأحد غيره بتوجيه الاقتصاد المصري ، ولكن ما إن تولى الخديو سعيد الحكم حتى أخذ المغامرون الأوربيون يلتفون حوله ، وحتى أخذت أكثر المشروعات غرابة ، وأشد الخطط سخفا تنهال عليه[1] ، وكان ذلك إيذانا ببدء ظهور اليهود على مسرح النشاط المالي والاقتصادي في البلاد .

اتجه اليهود المتمصرون واليهود الأجانب الذين تدفقوا على البلاد خلال تلك الفترة إلى النشاط المالي والنشاط التجاري بوجه خاص ، وقد انحصر النشاط المالي لليهود في إدارة أموال وخزائن الأسرة الحاكمة ، وفي تزويدها بالقروض ، وقد برز يعقوب قطاوي خلال تلك الفترة كأمين لخزانة الخديو سعيد وكأحد الصيرفيين المحليين الكبار[2] ، فقد تولى إدارة الضربخانة(**) المصرية بكل فروعها ، ثم التزم المخابز ،

(*) تجدر الإشارة إلى أن الباحثة استفادت في هذا المبحث من الدراسة الرائدة التي نشرها أنس مصطفى كامل في الأهرام الاقتصادي عام 1981 تحت عنوان « الرأسمالية اليهودية في مصر » .

(**) مصلحة سك النقود .

وتعهد بتقديم لوازم الحكومة منها ، والتزم حلقات الأسماك ، والكمارك المصرية باشتراكه وغيره ، وظل ملتزما لها مدة حكم الخديو سعيد ، ثم عين شيخا للصيارفة رسميا ، فكانت تعهد إليه ضمان كل صيارفة الحكومة بالمال وغيره .

في تلك الأثناء ظهر في سوق المال بمدينة الإسكندرية صيرفيان يهوديان ألمانيان ، هما هيرمان وهنري أوبنهايم - الأول عم الثاني - نشآ في فرانكفورت ، وكانت لهما علاقات مصرفية قوية بكل من روسيا وإنجلترا ، وكان آل أوبنهايم معروفين في فرانكفورت بأنهم مرابون من ذوي السمعة السيئة ، كما كان لشركة « أوبنهايم - شابير وشركاه » Oppenhiem Chabert and Cie التي أسساها في مدينة الإسكندرية سمعة سيئة بسبب بعض عملياتها المصرفية والمالية[3] ، فقد تولى السادة أوبنهايم إدارة ثروة الأمير إلهامي ابن الخديو عباس وممتلكاته ، ومات الأمير عام 1861 بعد أن بعثر ثروته ، وغرق في الديون ، وقد أشيع في ذلك الوقت أن أبناء أوبنهايم ساهموا في ذلك بقسط كبير [4] ، ومع ذلك فحينما بيعت أملاكه للوفاء بديونه ، طالب « أوبنهايم - شابير وشركاه » بتعويض على أساس أن إدارة الأموال سحبت من أيديهم ، وحصلوا بالفعل على 93,000 جنيه إنجليزي - رغم فساد إدارتهم لأمواله - وقد دفع هذا المبلغ الخديو سعيد الذي تحمل مسئولية ديون قريبه المتوفى - بكرمه المعهود[5] .

على أن الباحث في النشاط المالي لليهود خلال تلك الفترة سرعان ما يكتشف أنه كان لهم دور كبير في أزمة الديون المصرية ، التي أدت إلى بيع أسهم قناة السويس وإلى الاحتلال البريطاني عام 1881 ، فعلى الرغم من أن إيرادات الحكومة في عهد الخديو سعيد كانت كافية تماما لمواجهة كل النفقات المشروعة للقيام بأية إصلاحات داخلية ، « فإن إسرافه الشديد ، والسهولة التي كان يسمح بها لمجموعة من الطفيليين أن تنهبه وتورطه في المشروعات التي كانت تتجاوز إمكاناته بكثير ، كل هذا جعله يلجأ إلى عقد القروض من التجار والبنوك التجارية في مصر التي فضلت إقراضه على التمويل التجاري الذي كان الغرض الأساسي من وجودها وذلك لأنها كانت تحصل من الخديو على فائدة قدرها51 ٪ ، ثم ارتفعت إلى 18 ٪ سنويا ، في حين كان التمويل التجاري يجلب لها فائدة بين 6 - 7 ٪ فقط »[6] .

وقد قام آل أوبنهايم بدور كبير في تمهيد السبيل أمام الخديو سعيد والخديو إسماعيل لعقد القروض الخارجية من البنوك الأوربية التي كان يسيطر عليها اليهود أيضا ، ففي عام 1862 استطاع هيرمان وهنري أوبنهايم – من خلال شركة « أوبنهايم شابير وشركاه » بالإسكندرية ، وشركة « أوبنهايم ألبيتي وشركاه » Oppenhiem Alberti et Cie بالقسطنطينية – حمل الباب العالي على الموافقة على مشروع قرض للخديو سعيد بمبلغ أربعين مليون فرنك (زيدت فيما بعد إلى ستين مليون فرنك ، بضمان إيرادات الدلتا ، بفائدة اسمية 8 ٪ ، وفائدة فعلية 11 ٪ ؛ وذلك لسداد الدين السائر(*) الذي بلغ نحو سبعة ملايين من الجنيهات[7] .

ولأن بيت أوبنهايم لم يكن لديه المال اللازم لتمويل هذا القرض ، تم الإصدار من لندن عن طريق بنك فرولنج أندجوشن Fruling and Goshen ، وكان المبلغ الفعلي الذي دخل الخزانة المصرية بعد استقطاع الخصومات والعملة 53,500,000 فرنك فقط .

ويذكر لنا جون مارلو في كتابه : « تاريخ النهب الاستعماري لمصر » أن « الممولين اليهود الجشعين من الفرنسيين والإنجليز والالمان شجعوا الوالي (إسماعيل) بطريقتهم المعهودة على الإسراف والتبذير لتمكين أنفسهم من ممتلكاته » ويقول دافيد لاندز : « إنه بالنسبة لكل رجال الأعمال في مصر كانت خزانة إسماعيل مجرد حافظة تنهب .. فلم تكن المسألة عندهم مسألة كم ، وإنما مسألة كيف : كيف يشجعون الوالي على الإنفاق .. كيف يجبرونه على الاقتراض من جماعات معينة .. كيف يقرضونه مبالغ بأكثر الطرق إغراء ، وكيف يضعونه في القيد أيضًا[8] .

والمتتبع تاريخ الديون المصرية التي عقدها سعيد وإسماعيل سيرى بوضوح الدور الذي لعبه آل أوبنهايم في تكوين الدين المصري العام .

لقد بلغت القيمة الاسمية لثمانية من القروض الأجنبية التسعة التي عقدتها الحكومة المصرية في عهدي سعيد وإسماعيل حتى عام 1873 نحو 68,497,000جنيها مصريا ،

(*) يقصد بالدين السائر دين الحكومة لبعض الأفراد أو الشركات الذين قاموا بأعمال لها مقابل مبلغ معلوم من المال ، ولم تتمكن الحكومة من تسديده ، ويتميز هذا الدين بأنه قصير الأجل كبير الفوائد .

كان ما دخل الخزانة المصرية منها بالفعل 46,760,000 جنيها مصريا فقط ، ومعنى هذا أن ثلث الدين المصري لم يدخل إلى الخزانة المصرية ، وإنما ذهب إلى جيوب السماسرة والممولين اليهود ، يتضح ذلك لنا إذا علمنا أن بيت أوبنهايم الذي لم يكن قادرا في بادئ الأمر على تقديم قروض إلى سعيد أو إسماعيل ، استطاع في عام 1862 تأسيس بنك جديد في مدينة الإسكندرية وقد قدم هذا البنك قرضين للخديو إسماعيل أحدهما في عام 1868 وقيمته الاسمية 11,890,000 جنيها مصريا ، والآخر عام 1873 بمبلغ 32,000,000 جنيها مصريا ، وكان ما تسلمته الحكومة من القرض الأول 7,193,000 جنيها ومن القرض الثاني 19,973,000[9] وكان كل واحد من هذين القرضين أكبر في قيمته من أي قرض عقده إسماعيل مع البيوت المالية الأخرى ، بل إن القرض الثاني كان أكبرها جميعا ، ولذلك دعاه الماليون « القرض الكبير ، في حين يقول عبدالرحمن الرافعي إنه حقيق بأن يسمى « القرض المشئوم » ؛ لأنه ليس في تاريخ القروض في العالم قاطبة قرض عقد بمثل هذه الشروط الجائرة ، بل بمثل هذه السرقة العلنية »[10] .

ولم تكن الرأسمالية اليهودية المنحصرة خلال هذه الفترة بمعزل عن تلك التطورات ، بينما قام اليهود الأجانب بتمويل القروض الخارجية لخديوي مصر ، قام اليهود المتمصرون بتمويل ديونهم الداخلية والسائرة ، والتي أدى تضخمها بسبب ارتفاع الفوائد التي حصلوا عليها إلى اللجوء إلى عقد القروض الخارجية .

وتشير دراسة تاريخ تلك الفترة إلى أن بعض اليهود كانوا يقومون بتأسيس شركات مالية خصيصا لإقراض الخديو ، بعد أن ثبت أن عملية إقراضه كانت من أكثر العمليات المربحة ، فعلي سبيل المثال نجد فيلكس سوارس يؤسس في عام 1876 شركة في القاهرة على شكل بنك سماسرة ، أطلق عليها اسم « الشركة الأهلية » ، وقد انحلت هذه الشركة بعد عام واحد من تأسيسها عند تصفية دين الحكومة بأرباح طائلة لجميع المساهمين[11] .

وقد اتسع نطاق معاملات إسماعيل وبنك قطاوي بعد أن ساءت علاقته بدرفيو وأوبنهايم وغيرهم من أصحاب البنوك الأجنبية الخاصة ، كذلك برز خلال تلك الفترة بنك يعقوب منشة وبنك سوارس ، وبنك عاداه ، وبنك موسى وإيليا ليفي منشة

وشركائهم ، حيث نجد عدة إدارات لإسماعيل تتضمن إقرار تصرفات وزارتي الداخلية والمالية من مدفوعات لتلك البنوك[12] .

وبعد إنشاء صندوق الدين وخلع إسماعيل ونضوب معين الأرباح نتيجة لتوقف عقد القروض والعمليات التجارية المحلية ، قامت البنوك الأوربية التي أُسست في مصر بتصفية أعمالها ، ورحل أصحابها بحثا عن ميدان جديد للاستثمار[13] ، تاركين لليهودية المحلية المجال للدخول في طور جديد .

سيطر على النشاط المالي لليهود خلال تلك المرحلة أفراد من أسر منشة وقطاوي وموصيري ورولو وسوارس ؛ ونظرا لأن هذه الأسر ارتبطت فيما بينها بعلاقات مصاهرة ، فإنها لم تدخل في منافسة ، وإنما كونت فيما بينها ما يشبه الكارتل أو الاحتكار – لما كانت تمارسه من نشاط[14] .

ولأن عامل الربح كان هو الذي يحرك هذه الجماعات ؛ لذلك اتجهت الأسر اليهودية المتحضرة إلى الاستثمار الزراعي والعقاري بالذات ، وذلك لاستقرار قواعد الملكية الزراعية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم لأن هذا النوع من الاستثمار كان سهلا ومضمونا ومربحا في الوقت نفسه ، وأخيرا لأن هذا الاتجاه كان يتفق تمام الاتفاق مع سياسة الاحتلال البريطاني ، الذي عمل منذ عام 1882 على أن تتخصص مصر في الزراعة – ولا سيما زراعة القطن حتى تتمكن من تزويد بريطانيا بحاجتها من القطن الخام ، وتظل في الوقت نفسه سوقا رائجة للمصنوعات الإنجليزية[15] .

من هذا المنطلق شهد عام 1880 إنشاء ثلاثة من أقدم البنوك اليهودية في مصر التي اتجهت جميعا نحو الاستثمار الزراعي والعقاري ، وهي « بنك موصيري » ، و « بنك سوارس » ، « والبنك العقاري المصري » وقد أنشئت هذه البنوك كمؤسسات أجنبية حتى تتمكن من الاستفادة من الامتيازات الأجنبية خلال ممارسة نشاطها ، ومن تحويل أموالها إلى الخارج .

على أن أكبر البنوك التي أنشأها اليهود وسيطروا عليها ، كان « البنك الأهلي المصري » الذي أسسه جماعة من الماليين اليهود المتمصرين من من بيت سوارس ، وبيت سلفاجو بالإسكندرية ، بمشاركة رجل المال الإنجليزي السير أرنست كاسل عام 1898 ، ليكون متخصصا في إصدار البنكنوت دون غيره من البنوك ، وقد تم إنشاء هذا البنك تلبية لرغبة اللورد كرومر ، حتى تتمكن بريطانيا من خلاله من السيطرة على مالية مصر ، وجعلها تابعة للاقتصاد البريطاني ، وقد أتاح هذا البنك لبريطانيا بالفعل التحكم في النظام النقدي في مصر وبالتالي أتاح لها التحكم في النشاط الاقتصادي الداخلي والخارجي للبلاد ، كما جعل العملة المصرية عرضة للتأثر بما يطرأ على عملة بريطانيا من التغيرات النقدية سواء بالارتفاع أو بالانخفاض[16] .

وقد أدى النشاط المصرفي لهذه البنوك خلال تلك الفترة إلى حدوث الأزمة المالية الحادة في مصر عام 1907 نتيجة قيام هذه البنوك بتمويل المضاربات في الأراضي الزراعية وأراضي البناء ، وقد أسفرت هذه الأزمة عن نزع ملكية كثير من المزارعين المصريين ، وقد تمكن « البنك العقاري المصري » وحده خلال الفترة من 1911 - 1917 من نزع ملكية 15700 فدان وفاء لديون قدرها 1,100,000 جنيه مصري ، مما اضطر الحكومة إلى التدخل بإصدار القانون رقم 31 لسنة 1912 ، الذي يقضي بعدم جواز الحجز على الملاك الذين يحوزون خمسة أفدنة حماية لصغار الملاك من الفلاحين من نشاط المرابين الأجانب واليهود[17] .

وإلى جانب النشاط المصرفي الذي كان يكفل لليهود امتلاك الأراضي عن طريق نزع الملكية وفاء للديون ، استثمر رجال المال اليهود التراكم المالي الذي حققته هذه البنوك في شراء الأراضي الزراعية ومنها ممتلكات الخديو إسماعيل ، فقد اشترى فيلكس سوارس تفتيش الشيخ فضل من الدائرة السنية عام 1892 ، واشتري تفتيش البدرشين من مصلحة الدومين العام ، كما أسس شركة الدائرة السنية عام 1898 ، التي اشترت أراضي الدائرة السنية كلها[18] ومساحتها نحو 300 ألف فدان من أجود الأراضي في مصر — بالإضافة إلى تسعة معامل كبيرة لعصير القصب وصناعة

السكر كانت تتبعها ، وقد اشترى سوارس هذه الأرض مقابل ستة ملايين وأربعمائة ألف جنيه مصري ، هي قيمة الدين الذي كان على الدائرة في ذلك الحين ، ويرى عبدالرحمن الرافعي أن هذه الصفقة كانت خاسرة لما فيها من الغبن الفاحش على الحكومة المصرية والربح الهائل للماليين اليهود[19]

من ناحية أخرى اتجه الرأسماليون اليهود نحو تأسيس شركات لاستصلاح الأراضي وزراعتها أو بيعها ، وكان من أبرز هذه الشركات « شركة البحيرة المساهمة » التي أسست عام 1881 ، « وشركة وادي كوم امبو » التي أسست عام 1904 ، بموجب العقد المبرم مع أرنست كاسل وإخوان سوارس عام 1903 ، وقد قاموا بشراء ثلاثين ألف فدان من الحكومة المصرية بموجب هذا العقد في سهل كوم امبو ، ثم انضم إليهم فيما بعد فيلكس ، ورفائيل سوارس ، وروبير رولو[20] ، ويوسف قطاوي فأولاده .

وكما سيطر اليهود على تأسيس هذه الشركة سيطروا على إدارتها وتشغيلها ولذلك ظلت محتفظة تلك الشركة بدار الوثائق القومية بالعديد من الشكاوى التي تدعي بأن شركة وادي كوم امبو هي دولة داخل الدولة ، وأنها شركة صهيونية[21] .

وإذا ما حاولنا أن نتعرف إلى الدور الذي قام به اليهود في مجال الصناعة قبل الحرب العالمية الأولى ، فلن نجد شيئا ذا بال ، فعلى الرغم مما يدعيه بعض الكتاب اليهود من فضلهم على الاقتصاد المصري(*) ، نجد أن هذه المرحلة اقتصرت على وجود بعض الصناعات التجهيزية والتحويلية البسيطة مثل صناعة حلج القطن وكبسه وتنظيفه ، بالإضافة إلى بعض معامل تكرير السكر التي أقامها اليهود في كوم امبو والحوامدية على أنقاض صناعة السكر ، التي أقيمت في عهد الخديو إسماعيل .

وإذا كانت سياسة الإنجليز قامت على قتل كل محاولة لإنشاء صناعة في مصر قبل عام 1910 ، فإن اليهود ساهموا بطريق مباشر أو غير مباشر في تنفيذ هذه السياسة ،

(*) صدر في باريس عام 1984 كتاب بعنوان Juifs D'Egypte عاد من جديد إلى ترديد هذه النغمة .

من خلال سيطرتهم على تجارة الاستيراد والتصدير ، قد شكلت البضائع الأجنبية المستوردة منافسا خطيرا للحرف والصناعات المصرية التي كانت قائمة ، وذلك لانخفاض التعريفة الجمركية ، وقد اعترف اللورد كرومر بنتيجة هذه السياسة في تقريره عام 1898 ، حيث كتب يقول : « من يقارن الحالة الحالية بالحالة التي كانت منذ خمس عشرة سنة يرى فرقا ضخما ، فالشوارع التي كانت مكتظة بدكاكين أرباب الصناعات والحرف من غزالين ، وخياطين ، وصباغين ، وخياميين ، وصانعي أحذية وصائغين فقد أصبحت الآن مزدحمة بما قام على أنقاض هذه المحال من القهاوي والحوانيت المملوءة بالبضائع الأوربية[22] .

ومما يؤكد ذلك أنه في الوقت الذي اتجهت فيه الرأسمالية المصرية إلى الاستثمار العقاري والزراعي ، اتجه 84 ٪ من رؤوس الأموال الأجنبية حتى العقد الأول من القرن العشرين إلى ميدان الاستثمار المالي والزراعي والعقاري ، في حين حظيت التجارة بنحو 10 ٪ والصناعة بنحو 6 ٪ فقط[23] .

ومع قيام الحرب العالمية الأولى وانقطاع الواردات من الخارج ظهرت الحاجة إلى إنشاء صناعات محلية ، ولذلك تشكلت لجنة التجارة والصناعة عام 1916 ، التي تولى رئاستها إسماعيل صدقي وكان من بين أعضائها يوسف قطاوي باشا ؛ لاقتراح الخطط الكفيلة بتنمية الصناعة والتجارة في مصر ، وقد رافق قطاوي باشا محمد طلعت حرب في رحلة إلى ألمانيا بتكليف من تلك اللجنة لدراسة الأساليب التي اتخذتها التجارة الألمانية والنمسوية لتثبيت أقدامها في الأسواق المصرية .

ومع اتجاه البلاد نحو التصنيع اقتحمت الرأسمالية اليهودية ميدان الصناعة فأنشئوا عددا من الصناعات الاستهلاكية الخفيفة كصناعة الزيت والصابون في الإسكندرية ، وميت غمر ، ورشيد ، كما أقاموا بعض الصناعات التعدينية والغذائية والكيماوية ، وصناعة الأثاث التي كان من أبرزها مصانع بونتريمولي بالإضافة إلى مصنع نسيج القاهرة ، وشركة الحديد والأسمنت المسلح (سيجورات) وغيرها ..[24] .

وعلى الرغم من اتجاه الرأسمالية اليهودية نحو التصنيع في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فإن ميادين المال والاستثمار الزراعي والعقاري ظلت تحظى باهتمام

الرأسماليين اليهود ، وقد استطاع اليهود بخبرتهم في مجال البنوك والصيرفة التسلل داخل جميع البنوك التي أنشئت في مصر خلال تلك الفترة سواء بالإدارة أو برأس المال ، حتى أن بنك مصر الذي أُسس عام 1920 برءوس أموال مصرية خالصة للتخلص من سيطرة رأس المال الأجنبي على الاقتصاد المصري ، لم يسلم من مشاركتهم ، فقد شارك اثنان من اليهود المتمصرين ، هما :يوسف أصلان قطاوي ، وجوزيف شيكوريل أحد أصحاب محلات شيكوريل في القاهرة ، ورئيس المنظمة الصهيونية بمصر في رأسماله عند التأسيس[25] ، وقد ظهر نفوذ اليهود داخل البنك فيما بعد حينما فكر طلعت حرب في إنشاء فرع له في فلسطين ، ولكنه تراجع أمام تهديد اليهود بسحب أموالهم من البنك[26] .

وإلى جانب النشاط المالي والصناعي سيطر اليهود منذ فترة مبكرة على التجارة الداخلية والخارجية في مصر ، وقد عملت في هذا الميدان البرجوازية اليهودية الناشئة ، ويتضح مدى سيطرة اليهود على ميدان التجارة إذا علمنا أنهم كانوا يسيطرون على اتحاد منتجي الإسكندرية العام المعروف باسم شركة المحاصيل العمومية بالإسكندرية ، الذي أنشأ بورصة ميناء البصل ، كما أنهم تولوا رياسة الشركة المالية للبورصة الخديوية بالقاهرة (بورصة التثمين)[27] .

ولأن أغلبية العاملين في البورصة كانوا من اليهود ، كانت البورصة تغلق أبوابها في الأعياد اليهودية ، كما كانت البنوك تخفض نشاطها إلى الحد الأدنى :

وفي ميدان التجارة الداخلية سيطر اليهود على تجارة الذهب والمنسوجات التي كانت من أهم أدوات الاقتصاد المصري ، كما كان منهم تجار للجملة وتجار للتجزئة ، وكان منهم كبار تجار البقالة والدخان والسكر وغيرها .

ولاشك في أن سيطرة اليهود على قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة كانت تتطلب أن يواكبها تسهيلات في ميدان النقل ، ولذلك فإنه ما إن اتخذ الخديو إسماعيل زمام المبادرة بإنشاء بعض الخطوط الحديدية والطرق البرية ، حتى اتجه جانب من رأس المال اليهودي إلى الاستثمار في ميدان النقل .

وكانت أسرة سوارس من أوائل الأسر اليهودية التي اقتحمت هذا المرفق ، فقد أوجدت خدمة النقل بالسيارات في مدينة القاهرة ، كما أنشأ فيلكس سوارس سكة حديد حلوان عام 1888 ، وقام بمد بعض الخطوط الحديدية من دمنهور إلى الرحمانية ، ومن شبين الكومْ إلى منوف ، ومن الفيوم إلى سنورس ، وأسس فيلكس سوارس أيضا شركة السكة الحديد الاقتصادية بالشرقية سنة 1896 ، ومد السكة الحديد من قنا إلى أسوان لتسهيل نقل السكر والقصب والأقطان من الوجه القبلي إلى الدلتا .

وأبدت أسرة موصيري أيضا اهتماما بمرفق النقل فأنشات شركة سكك حديد الفيوم الزراعية عام 1898 ، وسكة حديد الإسكندرية والرمل عام 1883 ، وحصل إدوارد هراري على امتياز إنشاء شركة ترام الإسكندرية التي كانت شركة مساهمة بلجيكية عام 1896 ، كما شارك الرأسماليون في إدارة وتوجيه عدد من شركات النقل بالسيارات وشركة بواخر البوستة الخديوية وغيرها .

وحينما برزت الرأسمالية المصرية في الميدان الاقتصادي ، سعت الرأسمالية اليهودية إلى الهيمنة عليها ، فأشركت بعض الباشاوات من المسئولين المصريين في مشروعاتها ، أو في مجالس إداراتها بهدف الاستفادة من نفوذ ذوي المراكز الكبيرة في تيسير أعمالها ، ونستطيع أن نذكر في هذا المجال إسماعيل صدقي الذي كان عضوا في مجالس إدارات الشركة الإنجليزية البلجيكية ، وشركة الغزل الأهلية ، وشركة الملح والصودا ، وشركة وادي كوم امبو ، والشركة العقارية ، وشركة الأشغال والمباني ، والشركة الإنجليزية المصرية ، وشركة سكك حديد الفيوم وغيرها من الشركات التي كانت مملوكة لليهود .

وقد تمكنت شركة وادي كوم امبو من شراء ما تبقى من أراضي كوم امبو جملة ومساحته 29727 فدانا بأسعار اسمية هي عشرون قرشا للفدان الواحد عام 1931 في عهد وزارة إسماعيل صدقي (1930 - 1933)[28] .

ومن بين المسئولين ورجال الاقتصاد المصريين الذين ضمهم اليهود إلى مجالس إدارة شركاتهم نجد عدلي يكن في البنك العقاري المصري خلال عامي 1922 و 1923 ، وأحمد زيور باشا في بنك الأراضي المصرية ، ومحمد طلعت حرب في الشركة العقارية ، كما نجد على ماهر باشا ، ود . حافظ عفيفي ، وحسين سري باشا مع رينيه قطاوي ورالف هراري في مجلس إدارة البنك العقاري المصري ، ونجد في شركة الاتحاد العقاري حسن مظلوم باشا وتوفيق دوس مع أصلان قطاوي ، وإميل عدس ، وشارل شالوم ، وغيرهم[29] .

ومما لاشك فيه أن العلاقات التي نشأت بين الرأسماليين اليهود وكبار الملاك من السياسيين المصريين داخل الشركات والمؤسسات اليهودية لم يكن لها تأثيرها ليس على النشاط الاقتصادي لليهود فحسب ، بل على النشاط السياسي كما سنرى فيما بعد .

مما سبق يتضح لنا أن الطائفة اليهودية في مصر استطاعت من خلال بعض أفرادها النشيطين ، أن تسيطر على قطاعات هامة من الاقتصاد المصري خلال نحو قرن من الزمان ، ولأن باعثهم الأول على هذا النشاط كان تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح ، لذلك فقد كان للنشاط الاقتصادي لليهود دور وراء أزمة الديون الخارجية ، التي أدت إلى وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني ، ووراء عمليات نهب الاقتصاد المصري وتدميره .

وإذا كان النشاط الاقتصادي للهيود في مصر قد أضر بالبلاد سياسيا واقتصاديا ، فمما لاشك فيه أنه قد أفاد الحركة الصهيونية في فلسطين التي تطلعت خلال سعيها الدائب لإنشاء الدولة اليهودية إلى الاستفادة من أموال اليهود المصريين وخبرتهم الاقتصادية ، وإلى فتح أسواق للصناعة الصهيونية في البلدان العربية ، ومنها مصر التي كانت تعد من أكبر الأسواق العربية في ذلك الوقت ، بالإضافة إلى الحصول على المواد الخام .

وقد شهدت الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن خطوات عملية لتحقيق هذا الهدف ، فقد جاءت إلى مصر عام 1935 بعثة تجارية من فلسطين للتوقيع على اتفاق

قبلت بمقتضاه الحكومة المصرية تخفيض التعريفة الجمركية على الفاكهة الفلسطينية والصابون النابلسى ، وفي عام 1930 تألفت شركة مصرية فلسطينية من تجار مصريين وفلسطينيين ، بقصد تنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين ، وزيادة التبادل التجاري بينهما ، وقد امتد التبادل التجاري بين مصر وفلسطين ؛ ليشمل تبادل الأنباء عن حالة السوق ، وتبادل المساعدة في الحصول على المواد الخام والصناع والأخصائيين وتنظيم المعارض الدائمة للإنتاج الصناعي بين البلدين(*) .

ولم يقف تعزيز التعاون الاقتصادي عند حد تنشيط التبادل التجاري بين البلدين ، بل تجاوزه إلى درجة المساهمة في إنشاء المصانع في القطاع الذي كان يسيطر عليه اليهود في فلسطين ، إذ تكشف صحيفة « الشمس » عن أن بعض المهندسين المصريين من غير موظفي الحكومة تقدموا عام 1940 باقتراح يقضي بإنشاء مصنع للمواد الكيماوية في منطقة تل أبيب ، وطلبوا من الحكومة أن تخابر فلسطين في هذا الشأن[30] .

وإذا ما تابعنا الاتفاقيات التجارية المعقودة بين مصر وفلسطين خلال تلك المرحلة فسنجد أن مصر حصلت بمقتضاها على بعض المنتجات الصناعية من المصانع الفلسطينية ، في حين قامت بتصدير القمح والأرز والسكر وغيرها من المواد الغذائية والمواد الخام إلى هناك .

وقد يرى البعض أنه ليس هناك ما يعيب في تنشيط التبادل التجاري بين مصر وفلسطين على أساس أن فلسطين كانت لاتزال دولة عربية ، ولكننا لانعتقد أن مثل هذا القول يعبر عن وعي بأهمية البعد الاقتصادى بالنسبة لاستراتيجية العمل

(*) من أبرز المعارض الفلسطينية التي أقيم خلال تلك الفترة المعرض الذي أقيمة في القاهرة 1941 في عهد وزارة حسين سري الثانية ، فقد أحاطته الحكومة المصرية برعايتها ، وقام كل من الملك فاروق والأمير محمد علي بزيارته ، وقد صرح دي بتيل مدير المعرض لصحيفة « هابوكر » الصهيونية ، بأن هذا المعرض عاد بجزيل الفائدة على الصناعة الفلسطينية ، وجلب إليها طلبات من التجار تبلغ مليون جنيه (نقلا عن صحفية الشمس في 1941/9/12) .

الصهيوني ، والذي كان ينطوي على الوطن القومي اليهودي الأسس الاقتصادية اللازمة لإقامة البناء السياسي عليها فيما بعد .

إن القوى السياسية الحاكمة في مصر والبلاد العربية الأخرى لم تدرك أنها بدعمها للصناعة الصهيونية الناشئة ، كانت تسهم في التعجيل بإقامة الأسس الاقتصادية للوطن القومي ، ولهذا فإنه في الوقت الذي كان الفلسطينيون يحاربون فيه المخطط الصهيوني من خلال الإضراب العام الذي نظموه عام 1936 – خصوصا أن اليهود كانوا يعتمدون على الزراعة الفلسطينية في مجال الإنتاج الغذائي – نجد أن الخضر والفاكهة وغيرها من السلع التي قام بتصديرها إلى فلسطين تجار من مصر وسوريا تفسد الإضراب ، وتلحق بالفلسطينيين أفدح الأضرار – على حد قول الباحث الإسرائيلي بوراث[31] .

وفضلا عن ذلك فقد ألحق التبادل التجاري بين مصر وفلسطين أضرارا بالصناعة المصرية ، إذ إن الصناعة الصهيونية الناشئة في فلسطين ، انقلبت بعد فترة وجيزة إلى خطر يتهدد الصناعة المصرية ، نظرا لأن واردات الصهيونيين من الآلات والوقود وغيرها كانت معفاة من الرسوم الجمركية ، وكانت البضائع المصنعة في فلسطين تدخل مصر بأسعار غاية في الرخص مما جعل منها منافسا خطيرا للصناعة المصرية[32] .

وعلى الرغم من أنه تم توقيع اتفاق في عام 1941 بين اتحاد أصحاب المصانع في فلسطين ، والاتحاد المصري ينص على تجنب كل ما من شأنه قيام منافسة بين البلدين في مجال الإنتاج الصناعي ، وعلى أن تكون الصناعة في أحد القطرين متممة للصناعة في القطر الآخر ، لم تلبث صحيفة « الشمس » أن تحدثت عن اتخاذ التدابير لإنشاء مصنع للسكر في فلسطين على الرغم من أن مصر كانت معروفة بزراعتها للقصب وصناعة السكر .

وثمة دليل آخر على قيام صناعات مماثلة للصناعات المصرية في فلسطين ألا وهو افتتاح مصانع شركة « شمن » لصناعة الزيت والصابون في حيفا عام 1922 ،

في الوقت الذي كانت توجد فيه مصانع هذه الشركة لإنتاج الزيوت في مدينة الإسكندرية .

وحينما برزت الرأسمالية المصرية في الميدان الاقتصادي ، سعت الرأسمالية اليهودية إلى الهيمنة عليها ، فأشركت بعض الباشوات من المسئولين المصريين في مشروعاتها ، أو في مجالس إداراتها ، بهدف الاستفادة من نفوذ ذوي المراكز الكبيرة من الباشوات وغيرهم في تيسير أعمالهم ومصالحهم في وزارات الحكومة ، ونستطيع أن نذكر في هذا المجال إسماعيل صدقي الذي كان عضوا في مجلس إدارة الشركة الإنجليزية البلجيكية ، وشركة الغزل الأهلية وشركة الملح والصودا ، وشركة وادي كوم امبو ، والشركة العقارية ، وشركة الأشغال والمباني ، والشركة الإنجليزية المصرية ، وشركة سكك حديد الفيوم وغيرها .

ويكشف أحد التقارير المرسلة إلى اللواء محمد نجيب بعد ثورة يوليو 1952 كيف استغلت بعض الشركات اليهودية وظيفة كبار رجال الدولة ، إذ يذكر التقرير أن إسماعيل صدقي قام في عهد رئاسته للوزارة ببيع أراضٍ لشركة وادي كوم امبو جملة بأسعار اسمية وهي عشرون قرشا للفدان الواحد ، وأن هذه الشركة تمكنت من استغلال صدقي بأن عينته مديرا لها في الفترة من 1930 - 1933[33] ، وهي الفترة نفسها التي شغل فيها منصب رئيس الوزراء ووزير المالية[34] .

ولعل ما يؤكد لنا صحة ما جاء في هذا التقرير أن هذه الشركة كانت قد بدأت أعمالها عام 1904 على مساحة 30 ألف فدان – كما أشرنا آنفا – ولكنها اشترت في الأول من يناير عام 1931 – أي في عهد وزارة إسماعيل صدقي – ماتبقى من أراضي كوم امبو ، ومساحته 39727 فدانا ، وبذلك بلغت جملة أراضي الشركة في سنة 1932 ما قدره 70 ألف فدان[35] .

ومن بين المسئولين ورجال الاقتصاد المصريين الذين ضمهم اليهود إلى شركاتهم نجد عدلي يكن في البنك العقاري المصري خلال عامي 1922 و 1923 ، ونجد أحمد زيور باشا في بنك الأراضي المصرية ، ومحمد طلعت حرب في الشركة العقارية ، كما

نجد علي ماهر باشا ، ود . حافظ عفيفي ، وحسين سري باشا مع رينيه قطاوي ورالف هراري في عضوية مجلس إدارة « البنك العقاري المصري » ، وتجد في شركة الاتحاد العقاري حسن مظلوم باشا رئيسا لمجلس الإدارة ، وتوفيق دوس نائبا للرئيس ، وأصلان قطاوي وإميل عدس ، وشارل شالوم ، وغيرهم ، أعضاء في مجلس الإدارة (36) .

ومما لاشك فيه أن هذه العلاقات التي نشأت بين الرأسماليين اليهود والمسئولين المصريين داخل الشركات والمؤسسات اليهودية ، كان لها تأثيرها ليس على النشاط الاقتصادي فحسب ، بل على النشاط السياسي أيضا كما سنرى فيما بعد .

مما سبق يتضح لنا أن الطائفة اليهودية في مصر استطاعت من خلال بعض أفرادها النشيطين ، أن تسيطر على قطاعات المال والتجارة والصناعة والزراعة والمرافق والخدمات في مصر خلال نحو قرن من الزمان ، ولأن باعثها الأول على هذا النشاط كان تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح لذلك فقد كان للنشاط الاقتصادي لليهود في مصر دور وراء أزمة الديون الخارجية التي أدت إلى وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني عام 1882 ، ووراء عمليات نهب الاقتصاد المصري وتدميره .

وإذا كان النشاط الاقتصادي لليهود في مصر قد أضر بالبلاد سياسيا واقتصاديا ، فمما لاشك فيه أنه قد أفاد الحركة الصهيونية في فلسطين خلال سعيها الدائب لإنشاء الدولة اليهودية ، فنظرا لأن إقامة الدولة اليهودية في فلسطين كان يعتمد اعتمادا كبيرا على تحقيق الاستقلال الاقتصادي للوجود اليهودي هناك سعت الحركة الصهيونية إلى فتح أسواق لتصريف المنتجات التي تخرجها المصانع اليهودية ، وإلى تزويدها بالمواد الخام من البلدان المجاورة ، ومن هنا كان اتجاهها نحو تنشيط التبادل التجاري بين فلسطين والدول العربية ومن بينها مصر التي كانت تعتبر من أكبر الأسواق العربية في ذلك الوقت .

وقد شهدت الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن خطوات عملية لتحقيق هذا الهدف ، فقد جاءت إلى مصر عام 1935 بعثة تجارية من فلسطين للتوقيع على اتفاق ، قبلت بمقتضاه الحكومة المصرية تخفيض التعريفة الجمركية على الفاكهة

الفلسطينية والصابون النابلسى[37] ، وفي عام 1940 تألفت شركة مصرية فلسطينية من تجار مصريين وفلسطينيين بقصد تنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين ، وبقصد زيادة التبادل التجاري بين البلدين بحيث يتسنى لمصر زيادة صادراتها إلى فلسطين ، وتستطيع فلسطين تصدير المصنوعات الحديثة إلى مصر[38] .

وقد امتد التبادل التجاري بين مصر وفلسطين ؛ ليشمل تبادل الأنباء عن حالة السوق في البلدين ، وتبادل المساعدة في الحصول على المواد الخام والعمال والصناع والإخصائيين ، وتنظيم المعارض الدائمة للإنتاج الصناعي في البلدين ولعل من أبرز المعارض التي أقيمت في مصر خلال تلك الفترة لترويج المصنوعات الفلسطينية ذلك المعرض الذي أقيم في القاهرة 1941 في عهد وزارة حسين سري الثانية ، فقد أحاطته الحكومة المصرية برعايتها ، وقام كل من الملك فاروق والأمير محمد على بزيارته ، وأبديا إعجابهما بمعروضاته التي تعد دليلا على تقدم الصناعة الفلسطينية ــ من وجهة نظرهما ــ وقد صرح المستر دي بيتل مدير المعرض لصحيفة « هابوكر » الصهيونية أن هذا المعرض عاد بجزيل الفائدة على الصناعة الفلسطينية ، وجلب إليها طلبات من التجار تبلغ مليون جنيه[39] .

ولم يقف تعزيز التعاون الاقتصادي بين مصر وفلسطين عند حد تنشيط التبادل التجاري بين البلدين ، بل إنه وصل إلى درجة المساهمة في إنشاء المصانع في القطاع الذي يسيطر عليه اليهود في فلسطين ، إذ تكشف صحيفة « الشمس » عن أن بعض كبار المهندسين المصريين من غير موظفي الحكومة تقدموا إلى الحكومة عام 1940 باقتراح يقضي بإنشاء مصنع للمواد الكيماوية في منطقة تل أبيب ، وطلبوا من الوزارة أن تخابر فلسطين في هذا الشأن .

ونحن إذا ما تابعنا الاتفاقيات التجارية المعقودة بين مصر وفلسطين خلال تلك المرحلةفسنجد أن مصر حصلت بمقتضاها على بعض المنتجات الصناعية من المصانع الفلسطينية التي أقيمت حديثا ، في حين قامت بتصدير القمح والأرز والسكر والبصل وغيرها من المواد الخام إلى هناك .

وقد يرى البعض أنه ليس هناك مايعيب في تنشيط التبادل التجاري بين مصر وفلسطين ، على أساس أن فلسطين كانت لاتزال دولة عربية ، ولكننا نعتقد أن مثل هذا القول لا يعبر عن وعي بخطورة البعد الاقتصادي في الصراع العربي الصهيوني خلال تلك المرحلة بالذات ، فبينما كانت القوى الصهيونية على وعي بأهمية البعد الاقتصادي بالنسبة لاستراتيجية العمل الصهيوني والتي تتلخص في منح الوطن القومي الأسس الاقتصادية ليقوم عليها البناء السياسي فيما بعد ، لم تدرك القوى السياسية الحاكمة في مصر والبلاد العربية الأخرى أنها بدعمها للصناعة الصهيونية الناشئة ، كانت تسهم في التعجيل بإقامة الأسس الاقتصادية للوطن القومى اليهودي ، ولهذا فإنه في الوقت الذي كان يحارب فيه الفلسطينيون المخطط الصهيوني من خلال الإضراب العام الذي نظموه عام 1936 ــ وخصوصا أن اليهود كانوا يعتمدون على الزراعة الفلسطينية حتى ذلك الوقت في مجال الإنتاج الغذائي ــ كما يقول الباحث الإسرائيلي بوراث ــ نجد أن الخضر والفاكهة وغيرها من السلع التي قام بتصديرها إلى فلسطين تجار من مصر وسوريا تفسد الإضراب وتلحق بالفلسطينيين ــ على حد قوله ــ أفدح الأضرار(40) .

وفضلا عن ذلك فقد ألحق التبادل التجاري بين مصر وفلسطين أضرارا بالصناعة المصرية ، إذ إن الصناعة الصهيونية الناشئة في فلسطين انقلبت بعد فترة وجيزة إلى خطر يتهدد الصناعة المصرية ، فقد حفلت تقارير اتحادات الصناعة المصرية بإشارات إلى مخاطر قيام الصناعة الصهيونية في فلسطين ، وقد أرجعت التقارير هذه المخاطر إلى أن الصناعات التي أقامها الصهيونيون في فلسطين لها مثيل في مصر ، ونظرا لأن واردات الصهيونيين من الآلات والوقود وغيرها من الآلات المستوردة للمشروعات الصناعية معفاة من الرسوم الجمركية ، سوف تدخل البضائع المصنعة في فلسطين مصر بأسعار غاية في الرخص وهذا سيجعل منها منافسا خطيرا للمصنوعات المصرية(41) .

وعلى الرغم من أنه تم توقيع اتفاق في عام 1941 بين اتحاد أصحاب المصانع في فلسطين والاتحاد الصناعي في مصر ينص على تجنب كل ما من شأنه قيام منافسة

بين البلدين في مجال الإنتاج الصناعي ، وعلى أن تكون الصناعة في أحد القطرين متممة للصناعة في القطر الآخر ، لم تلبث صحيفة « الشمس » التي أعلنت نبأ هذا الاتفاق أن تحدثت عن اتخاذ التدابير لإنشاء مصنع للسكر في فلسطين على الرغم من أن مصر كانت معروفة بزراعتها للقصب وصناعة السكر .

وثمة شاهد آخر على قيام صناعات مماثلة للصناعات المصرية في فلسطين ألا وهو افتتاح مصانع شركة « شمن » لصناعة الزيت والصابون في حيفا عام 1922 ، في الوقت الذي كانت توجد فيه مصانع عديدة للزيوت والصابون بمصر . ومما يسترعي الانتباه أن هذه الشركة أقامت مصانعها لإنتاج الزيت في مدينة الإسكندرية – حيث توجد بذور القطن – في حين أقامت مصانعها لإنتاج الصابون في فلسطين .

هكذا يتضح لنا أن الحركة الصهيونية أضرت بمصالح مصر الاقتصادية أثناء سيعها إلى تحقيق الاستقلال الاقتصادي للكيان المزمع إنشاؤه في فلسطين ، وأنها استفادت إلى حد كبير من إمكانات مصر ، وإمكانات الطائفة اليهودية بها ، كما يتضح لنا أنه كانت هناك عدة عوامل أخرى غير غيبة الوعي المصري أو العربي بخطورة المخطط الصهيوني في فلسطين ، ولعل من أهم هذه العوامل التي ساعدت على نجاح الصهيونيين سيطرة اليهود على الاقتصاد المصري وخصوصا قطاع التجارة ، وارتباط مصالح الرأسمالية اليهودية بمصالح كبار السياسيين وكبار الملاك المصريين ، ثم خضوع مصر لسيطرة الاحتلال البريطاني الذي كان يملي عليها في بعض الأحيان توقيع الاتفاقيات وتصدير الحاصلات الزراعية إلى فلسطين ، وأخيرا نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولجوء مصر إلى الحصول على حاجاتها من المنتجات الصناعية من فلسطين .



المبحث الثالث

النشاط الصهيوني في مصر

أولا : أهمية مصر بالنسبة للحركة الصهيونية

1 – مصر نقطة للانطلاق نحو فلسطين :

حظيت مصر – منذ وقت مبكر – بأهمية خاصة بالنسبة للحركة الصهيونية ، خصوصا فيما يتعلق بإنجاز هدفها الرامي إلى إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين ، فقبل ظهور الصهيونية كحركة سياسية في أواخر القرن الماضي أدرك بعض اليهود الذين أبدوا اهتماما بالمسائل اليهودية الدور الذي يمكن أن تلعبه مصر في حل مشكلاتهم ، فحينما حظي موسى مونتفيوري Moses Montefiore زعيم الطائفة اليهودية في إنجلترا ، وأدولف كريمو Adolph Cremieux أحد دعاة اليهود الفرنسيين ، ونائب رئيس المجمع الديني اليهودي في فرنسا ، بمقابلة محمد علي باشا والي مصر في عام 1840 بخصوص قضية دمشق(*) كان من نتائج هذه المقابلة أن خرج كريميو باستنتاج مؤداه أن مصر وبلاد الشام سيكون لهما دور جوهري بالنسبة لمستقبل اليهود في الشرق ، ولذلك فقد جاء في نداء وجهه إلى يهود الغرب بعد رحلته إلى مصر : « الشرق هو مهبط الوحي ، ومهد الدين الذي يربطنا بروابط وثيقة العرى ، متينة الأوامر ... ولم نتردد في الجزم بأنه – عما قريب – ستضطرم نار العقيدة والإيمان في مصر

(*) في عام 1839 اختفى قس كاثوليكي في دمشق يدعى الأب توما ، وقد اتهم اليهود بقتل هذا القس ، لاستخدام دمائه في صنع فطير الفصح ، وترتب على ذلك إلقاء ، القبض على زعماء الطائفة اليهودية هناك ، ولكن أمكن الإفراج عنهم نتيجة لتدخل مونتفيوري وكريميو وبعض قناصل الدول الأجنبية لدى محمد علي ، ثم أصدر السلطان العثماني بعد أن آلت سوريا للحكم التركي – فرمانا يقضي بحماية أرواح اليهود ومصالحهم في ربوع الشام وفلسطين ، ويسقط عنهم تهمة الدم هذه ، نتيجة لتدخل مشابه ، وقد كان لقضية دمشق أثر كبير في إيقاظ الوعي السياسي عند بعض اليهود ، وفي تعميق إحساسهم بحاجتهم إلى الاتصال والتعاون .

والإسكندرية وتمتد إلى سوريا وأورشليم ، فيتململ الشرق في هجعته الطويلة ، ويستيقظ من سباته العميق[1] .

ومن ناحية أخرى كشف تيودور هرتزل عن أهمية مصر وطائفتها اليهودية بالنسبة لمشروعه – خلال حوار دار بينه وبين د . ألبرت موصيري أحد أقطاب الحركة الصهيونية في مصر – بقوله : « .. ونظرا لأنك من بلد متاخم لفلسطين ، فإنك ويهود مصر وسوريا ، ويهود الشرق بصفة عامة ، تستطيعون أن تسهلوا مهمتنا بأن تعملوا كوسطاء بيننا وبين أهل البلاد .. إنكم بذلك تخدمون القضية القومية[2] ..

وإذا كان هرتزل قد تطلع إلى أن يقوم يهود مصر بدور الوساطة بين الحركة الصهيونية وعرب فلسطين ، فإنه مع مرور الوقت ازدادت أهمية مصر ، وكان الصهيونيون في بلاد الفراعنة سباقين إلى إدراك طبيعة الأدوار التي ينبغي أن تدعى مصر إلى القيام بها ، لا أن يقتصر دورها على مجرد الوساطة التي تطلع إليها هرتزل ، ولذلك نجد مجلة « لارفيو سيونسيت La Revue Sioiste لسان حال المنظمة الصهيونية بمصر تبدي تبرمها واستياءها ، لأن الزعماء الصهيونيين – بعد هرتزل – لم يأخذوا بعين الاعتبار الأهمية التي تمثلها مصر بالنسبة لحركتهم ، فهي ترى أنه كان « لمصر وفلسطين مصير واحد عبر القرون ، وأن هذه بديهة تاريخية ينبغي أن تدعوهم إلى التكهن بالدور الذي ستدعى مصر إلى القيام به في حركة من شأنها إحداث تغيير أو تجديد في فلسطين »[3] .

وسرعان ما كان حاييم ويزمان عند حسن ظن الصحيفة به ، فقد أدرك هذه الحقيقة التي ربما لم يكن يضعها في حسبانه ، بعد أول زيارة له لمصر عام 1918 حينما جاء على رأس البعثة الصهيونية إلى فلسطين ، فقد كتب إلى زوجته يقول : « ومن سوء الحظ أن مصر مازال عليها دور تلعبه في قضيتنا ، هذا أمر لامفر منه ، فالصلة بين البلدين (مصر وفلسطين) وثيقة جدا ، وقد أدت الحرب (العالمية الأولى) إلى شدة تقاربهما[4] .

ولقد كان اهتمام الحركة الصهيونية بمصر – كما كشفت عنه الصحافة اليهودية – نابعا من الاعتبارات التالية[5] .

1 – إن الرأي العام المصري يتمتع بوزن كبير بين شعوب الشرق ، ولذلك يجب بذل الجهود الممكنة لكسبه إلى جانب قضية الصهيونية .

2 – إن مصر أصحبت مركز للحياة الإسلامية ، وهذا سيمكن الصهيونيين من أن يكونوا على علم تام بعادات المسلمين وأفكارهم ، وبذلك سيستطيعون تجنب مصادمات واحتكاكات غير مجدية بجيرانهم في فلسطين ومعظمهم من المسلمين .

3 – « يوجد بمصر طائفة يهودية قوية ، ستكون على علم تام بظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين ، وسيمكن أعضاء هذه الطائفة أن يقدموا للصهيونيين عونا قيما خلال المرحلة الأولى من إقامة الدولة ، خصوصا أنه يوجد من بينهم أشخاص لعبوا دورا بارزا في إحياء مصر اقتصاديا ، وتعاونهم سيسمح لنا بتجنب خطوات خاطئة كثيرة على طريق التنمية الاقتصادية في فلسطين ، بالإضافة إلى أنهم سيقومون باستثمار أموال كثيرة في أرض إسرائيل ؛ نظرا لأنهم يديرون كل المؤسسات المالية في مصر تقريبا » .

4 – « يوجد بمصر موظفون إنجليز كثيرون يقومون بأعمال عامة ذات طابع دولي ، ولذلك فإن التعاون بيننا وبينهم سيكون قيما ، وإذا عرفوا ما نريده جيدا فإن تقدمنا سيكون أسرع ، ولن نكون في حاجة إلى الإلحاح كثيرا من أجل علاقات وثيقة بين مصر وفلسطين ؛ لأن هذه العلاقات لن تكف عن التزايد في المستقبل ، خصوصا أن بريطانيا التي تحتل مصر هي الدولة المنتدبة على فلسطين ، وإذا أقر الرأي العام البريطاني في مصر مهمتنا ، فإنها ستصبح أيسر وأكثر قبولا » .

5 – إن المشكلات العربية والأرمنية(*) التي ستواجه الحركة الصهيونية لن يمكن دراستها بسهولة في مكان آخر غير مصر ، حيث توجد شخصيات تمثل الرأي العام العربي والمصري والأرمني ، ففي مصر يمكن دراسة أهدافهم وأمانيهم بعناية تامة ، والاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع زعمائهم .

6 – إن مصر بلد حر لايعرف كلمة « معاداة السامية » ، ولذلك فإن مصر يمكن أن تكون على رأس « حركة السلام » التي ستسمح لـ « وايزمان » بأن يرى جهوده وقد تكللت بالنجاح .

(*) كان يوجد بفلسطين جالية أرمنية كبيرة العدد ، وكانت الاستراتيجية الصهيونية الرامية إلى تفريغ فلسطين من سكانها غير اليهود تقضي بوضعهم في الاعتبار .

7 – إن مصر المهيأة جيدا بالنسبة لنا لن تكون عونا حاليا ومحليا فقط ، ولكنها ستمثل سندا ممتازا في المستقبل .

من هذا المنطلق يممت الصهيونية العالمية وجهها شطر مصر ، بل إن مصر وطائفتها اليهودية أصبحتا هدفين واضحين في الاستراتيجية الصهيونية ، وجاءت الحرب العالمية الأولى لتؤكد أهمية مصر بالنسبة للحركة الصهيونية ، فإلى جانب أن مصر كانت الملجأ لآلاف اليهود الذين هاجروا من فلسطين بسبب الإجراءات التي اتخذها النظام التركي ضدهم لقيامهم بالتجسس لصالح الحلفاء ، وإلى جانب أنها كانت محطة الانتظار للمهاجرين اليهود من أوربا إلى فلسطين ، كانت مصر البوابة الجنوبية لدخول فلسطين بعد أن تعذر دخولها عن طريق البحر ، ولذلك حينما جاء حاييم وايزمان لأول مرة إلى فلسطين عام 1918 ، كان حريصا على دخولها عن طريق مصر ، كما حرص – في الوقت نفسه – على لقاء الطائفة اليهودية بها ليضع أمامها ملخصا للأفكار التي تساعد عمل اللجنة ، وللبرنامج الذي تقترح تنفيذه لدى وصولها إلى فلسطين ، وما ذلك إلا لأنه آمن بأهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به الطائفة اليهودية في مصر ، ويتضح ذلك من الخطاب الذي ألقاه خلال اجتماعه وأعضاء الطائفة اليهودية في القاهرة ، حيث قال : « وبالنسبة لكم يامن على بوابات فلسطين فإننا نتطلع إلى معونتكم المادية والمعنوية .. إننا نمد أيدينا إليكم ونطلب تعاونكم .. إننا نريد لأولادكم – حينما يقرءون التاريخ اليهودي ، ويصلون إلى الفصل الذي نعيشه اليوم – أن يكون باستطاعتهم القول : لقد فعل آباؤنا الشيء الصحيح .. » إن الطائفة اليهودية المصرية قدمت الكثير للاجئي فلسطين ، ونحن نقدر لها ذلك ، ولكن يجب أن تقوم بما هو أكثر ، وأن تبذل مجهودات أكبر[6] .

منذ ذلك الوقت أصبحت مصر تمثل الوصول والرحيل بالنسبة لـ « وايزمان » وغيره من الزعماء الصهاينة المتوجهين إلى فلسطين ، فقد كان وايزمان حريصا على زيارة القاهرة والإسكندرية في كل رحلة له إلى فلسطين ، ولذلك كان يصل إلى الإسكندرية عن طريق البحر ، ثم يستقل القطار إلى القاهرة ، ومنها إلى فلسطين بالطريق البري ، وكان خط سيره هذا يسمح له بأن يكون على اتصال وثيق ومستمر بقادة النشاط الصهيوني وكبار رجال الطائفة في مصر ، وبالشخصيات العربية

والأجنبية التي تقيم فيها .

لقد أصبح طريق المواصلات البري بين مصر وفلسطين شريان الحياة بالنسبة للمشروعات الصهيونية في فلسطين منذ قيام الحرب العالمية الأولى - وحتى قيام إسرائيل ، فعلى هذا الطريق كان يتم تهريب الأموال والمهاجرين إلى فلسطين ، وعلى هذا الطريق دخل « الفيلق اليهودي » فلسطين عام 1918 ليشارك القوات البريطانية في تخليصها من الترك ، ومن خلال هذا الطريق أيضا أمكن تحقيق نوع من التبادل التجاري بين مصر وفلسطين فيما بعد ، مما أسهم في إنعاش الصناعة الصهيونية الناشئة هناك ، ومن خلال هذا الطريق « تكون خط جديد من الاتصال اليهودي المصري - كما يقول أبا أبيان وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق - وذلك بواسطة القادة الصهيونيين الذين كانوا يأتون من القدس ليتشاوروا والقيادة البريطانية العليا والمسئولين في السفارة البريطانية ، أو السياسيين المصريين ، كما اعتاد الصهيونيون البارزون أمثال وايزمان التوقيع في سجل الزيارات الملكي[7] .

من أجل هذا كانت الحركة الصهيونية هنا في مصر حريصة على هذا الخط وعلى استمراره ، ولذلك حينما اتخذت إدارة قناة السويس قرارا عام 1920 بهدم كوبري القنطرة والسكة الحديد وتعطيل المرور على خط رفح ، انبرى ليون كاسترو نائب رئيس المنظمة الصهيونية في مصر للاعتراض بشدة على هذا القرار ، ووصفه بأنه لا يهدف إلا إلى عزل مصر عن فلسطين ، في حين أن لدى البلدين اهتماما مشتركا بالحفاظ على العلاقات الوثيقة بينهما على الأقل من الناحية الاقتصادية[8] .

2 - مصر مركز للتوسع الصهيوني :

وإذا كانت الحركة الصهيونية قد تطلعت إلى استخدام مصر كمركز للانقضاض على فلسطين ، فإنها - في الوقت نفسه - سعت إلى حل المسألة اليهودية على أرضها بإنشاء المستوطنات لإيواء المهاجرين اليهود من أوربا ، ثم جعل هذه المستوطنات كنواة لمشروعات التوسع الصهيوني في المنطقة خصوصا أن مصر - كما حددها هرتزل - كانت تدخل في إطار إسرائيل الكبري التي تمتد من الفرات إلى النيل[9] .

وقد شهدت مصر أولى المحاولات لحل المسألة اليهودية على أرضها في نوفمبر عام 1890 حينما وفد على البلاد ثري يهودي ألماني يدعى بول فريدمان Paul Friedman لشراء أرض في مدين بشبه جزيرة سيناء على الشاطيء الشرقي لخليج العقبة ، لتكون نواة لمستوطنة يهودية يقيم بها اليهود المهاجرون من روسيا ، وقد استطاع بول فريدمان الحصول على موافقة الحكومة المصرية(*) والسلطات البريطانية في البلاد ، مستندا من ناحية إلى صدور قانون من السلطان العثماني عام 1867 ، يبيح للأجانب حق امتلاك الأراضي في جميع أنحاء الدولة العثمانية فيما عدا الحجاز ، ومستندا من ناحية أخرى إلى معاناة بريطانيا من المسألة اليهودية نتيجة هجرة اليهود الروس إليها ، وخصوصا إلى شرقي لندن .

وبالفعل جاء فريدمان إلى مدين مصحوبا بالمستوطنين والمعدات والأسلحة والذخائر ، حيث قام بتأجير بعض المنازل ومساحة من الأرض أقام عليها المعسكرات ولكن لم يلبث أن قُضي على المشروع ، نتيجة لتدخل القوات التركية حيث وجد فريدمان نفسه مضطرا لمغادرة مدين بالقوة على ظهر سفينته البخارية .

ويذكر كرومر Cromer أن السبب في رفض تركيا إقامة هذه المستوطنة في مدين يرجع إلى خشية السلطان العثماني أن يعتقد اليهود أن المسيح المنتظر ، الذي كانوا ينتظرونه دائما لفتح القدس . قد ظهر في شخصية فريدمان ، وأنه على الرغم من تأكيد أن فريدمان ليست لديه مثل هذه الادعاءات ، فإن شكوك السلطان العثماني لم يكن من السهل تهدئتها[10] .

ويتضح من العريضة التي قدمها فريدمان إلى المحكمة المختلطة في القاهرة في 9 مايو 1892 ، أنه كان هناك حرص شديد على إنشاء هذه المستوطنة على أرض

(*) كان ذلك في أواخر عهد نظارة مصطفي رياض باشا (9يونيه 1988-12 مايو 1891) ، وفي أثناء نظارة مصطفي فهمي باشا الأولي (14مايو 1891-17 يناير1892) ، وقد كان الأخير أول رؤساء النظار المتعاطفين مع الإنجليز – كما يقول ملنر – كما أنه كان يجيد تنفيذ الأوامر مشروعه ثم على موافقة الحكومة المصرية من خلال وساطة تيجران باشا ناظر الخارجية المصري في نظارة مصطفي فهمي .

مصرية ، حتى لا يخضع المستوطنون اليهود لأحكام السلطات التركية ، وأنه لم تتم الموافقة على أن يلحق به المستوطنون اليهود إلا بعد حصوله على مثل هذا الضمان مع ضمان تقديم الحكومة المصرية كل التسهيلات التي تيسر لهم إقامتهم في مدين ، ولكن أشيع في ذلك الوقت أن مصر تخلت عن مدين لتركيا ، ولذلك تلقى فريدمان خطابات من القنصلية الألمانية ومن تيجران باشا ناظر الخارجية المصري والسردار ، يطلبون إليه العودة والتخلي عن مهمته في مدين باعتبار أنها تثير كثيرا من المشاكل .

أما ثاني هذه المحاولات فهي تلك التي قام بها تيودور هرتزل عام 1903 حينما جاء إلى مصر في أعقاب بعثة أوفدها إلى البلاد لدراسة إمكانات إقامة مستعمرة صهيونية في العريش ، ويبدو أن آمال هرتزل في إنشاء دولة يهودية قد تواضعت إلى الحد الذي جعله يقبل إنشاء تلك المستوطنة بسبب الصعوبات التي واجهها في سبيل إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن المطلع على تقرير هذه البعثة سيدرك على الفور أنها لم تكن تقتصر على العريش فقط ، وإنما كانت تضع في اعتبارها ابتلاع معظم سيناء (11) .

كانت المحاولات التي بذلت حتى ذلك الوقت لحل المسألة اليهودية عن طريق الاستيطان اليهودي في مصر ، قد تمت على أيدي اليهود الأجانب ، إلا أننا نجد معلومات عن محاولة ثالثة قام بها إخوان سوارس بعد فشل مشروع هرتزل بسبعة شهور حينما أقدموا - بالاشتراك واليسر أرنسيت كاسل على شراء 30 ألف فدان من سهل كوم امبو عام 1903 وأسسوا شركة وادي كوم امبو لتتولى استصلاحها وزراعتها .

وقد كتبت صحيفة « الأهرام » في 19ديسمبير 1903 تحت عنوان « المستعمرة الإسرائيلية في القطر المصري » أنها علمت من بعض الثقاة الخبيرين أن سهل كوم أمبو سيكون بعد إصلاحه مستعمرة صهيونية ، إذ يؤتى لزراعته وإصلاحه بالفلاحين الإسرائيليين المعسرين كما فعل روتشيلد في فلسطين ، وأن أصحاب الأرض قد انتدبوا بعض الإسرائيليين للشروع في الأعمال الأولية » . وكذا ألغوا مستعمرة صهيونية في أرض مصرية ، وأغنوا الصهونيين عن السفر إلى شرقي أوغندا ومجاهل أفريقيا كما أرادت إنجليرا .

ويذكر كامل زهيري في كتابه « النيل في خطر »: أن ابن عاداه ـ أحد الشخصيات الهامة في تاريخ النشاط الصهيوني بمصر – تولى إدارة هذا المشروع ، ثم تولاه بعده طلعت حرب ، إلا أنه حدث تغيير في اتجاه المشروع ، فعلى حين ظلت الملكية للأجانب ، اتجهت هجرة جموع من اليهود المعسرين عام 1907 – على حد قول « الأهرام » في الموجة الثانية لهجرة اليهود إلى فلسطين ، وإلى داجانيا على الشاطيء الغربي لبحيرة طبرية ، و لم يعرف شيء بعد ذلك عن المشروع ؛ لأن الرقابة على الصحف الوطنية اشتدت عام 1909 بإعادة قانون المطبوعات الصادر عام 1881 .



ثانيا : تطور النشاط الصهيوني في مصر

رأينا أن الحركة الصهيونية العالمية علقت أهمية كبيرة على مصر بالنسبة لتحقيق بعض أهدافها الجوهرية ، ولذلك كان من الطبيعي أن تشهد البلاد بدايات النشاط الصهيوني على أرضها منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا في ٢٣ أغسطس عام 1897 ، الذي كان بمثابة حجر الأساس الذي قام عليه صرح الدولة اليهودية فيما بعد . فقد تبنى هذا المؤتمر برنامجا هدفه « إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام » .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الصهيونية ـ وفقا لما نص عليه برنامج بازل ـ كانت تعني نقل اليهود إلى فلسطين لإقامة الوطن المنشود ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أيضا أن مصر لم تعرف معاداة السامية ، ولم تمارس أي نوع من الاضطهاد أو التمييز ضد اليهود ، بل إننا ربما لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن اليهود في مصر كانوا يتمتعون بوضع متميز بالمقارنة بباقي طوائف الشعب المصري ، سواء من ناحية علاقتهم بالحكام ، أو من ناحية الحرية التي كانوا يتمتعون بها في ممارسة شعائرهم الدينية وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، فلا شك إن السؤال الذي قد يطرح نفسه هنا : ما موقف الطائفة اليهودية من الفكرة الصهيونية ، ومن النشاط الصهيوني في البلاد ؟ وللإجابة عن هذا السؤال كان علينا أن نتتبع النشاط الصهيوني في مصر على النحو التالي :

جمعية بركوخبا الصهيونية :

عرفت الطائفة اليهودية بمصر الصهيونية على أيدي اليهود الإشكنازيم ، وبالذات على

يدى جوزيف ماركو باروخ Joseph Marco Barukh[*] الذي جاء إلى مصر عام 1896 ، حيث أسس أول منظمة صهيونية في البلاد في مدينة القاهرة عام 1897 تحت اسم « جمعية بركوخبا الصهيونية » ، وأسند رياستها إلى جاك هارملين Jacques Harmalin وعين جوزيف ليبوفتش Joseph Leibovich سكرتيرا لها ، وقد كتب الاثنان إلى تيودور هرتزل في 8 أبريل من العام نفسه يبلغانه نبأ تأسيس هذه الجمعية ، ويطلبان نسخة فرنسية من كتابه « الدولة اليهودية » .

وقد استطاع باروخ أن ينشئ فروعا لهذه الجمعية في الإسكندرية وبور سعيد ، ولكن جمعية القاهرة كانت أكثرها نشاطا ، وإكثرها نجاحا [12] .

وقد انهمكت « جمعية بركوخبا » في ممارسة كثير من الأنشطة . كان من أهمها جمع اكتتابات للمساهمة في البنك الاستعماري اليهودي Jewish Colonial Bank وقد سعى باروخ – خلال إقامته في مصر – إلى التنسيق بين البنوك والجماعات المالية اليهودية لإنشاء فرع لهذا البنك في مصر ، ويقال : إنه شارك في هذا البنك أفراد من عائلات موصيري ومنشة وسوارس وطوبي[13] .

من ناحية أخرى نشطت جمعية بركوخبا إلى الدعاية للقضية الصهيونية ، وكانت الدعاية هي وظيفتها الأساسية ، ولذلك سعت إلى جعل مصر مركزا لتوزيع مواد الدعاية الصهيونية على يهود الشرق من الجزائر حتى الشرق الأقصى .

وجدت الأفكار الصهيونية التي جاء بها باروخ الاستجابة الأولى من اليهود الإشكنازيم الذين كانوا مؤهلين لتقبلها أكثر من غيرهم ، إما لأنهم جاءوا فارين من الاضطهاد في بلادهم ، أو لأنهم جاءوا من بلاد ازدهرت فيها الأفكار الصهيونية .

أما فيما يتعلق باليهود السفارديم فلم يكن من السهل أن يستجيبوا للأفكار

(*) جوزيف ماركو باروخ يهودي إشكنازي ولد في القسطنطينية عام 1872 ودرس الفلسفة في جامعات باريس وبرن . وبدأ نشاطه الصهيوني في الجزائر ، ثم في النمسا ، وأخيرا في بلغاريا حيث أصدر صحيفة ناطقة بالفرنسية تدعى « الكرمل » وقدمات منتحرا في عام 1899 .

الصهيونية حال إعلانها ، فهم - بحكم إقامتهم الطويلة في مصر ، والتي لم يتعرضوا خلالها لأي نوع من الاضطهاد ، وبحكم الامتيازات الكثيرة التي تمتعوا بها - لم يكونوا على استعداد للسير في ركاب الصهيونية ، خوفا من فقدان المكاسب التي حققوها ،أو من تفجر موجة من معاداة السامية ضدهم ، وهذا علاوة على أن اليهود الإشكنازيم لم يشجعوا السفارديم على الانضمام إليهم ، فبغض النظر عن اختلاف الأصول ، كان الإشكنازيم يشعرون بأن السفارديم تنقصهم خبرة المعاناة التي مروا بها ، ولهذا وجدوا أنه ليس من السهل اجتذابهم إلى الحل الصهيوني للمسألة اليهودية .

ويعترف جاك هارملين رئيس « جمعية بركوخبا الصهيونية » بالقاهرة ، ويعقوب ليبوفيتش سكرتيرها بأنهما أسسا هذه الجمعية بقوة الصبر والمثابرة وأنه بعد أن انضم إليها أعضاء كثيرون غادروها ، وكان معظم هؤلاء الذين انفضوا عنها من اليهود المصريين . في حين ظل بها اليهود الإيطاليون والأسبان واليهود القادمون من أوربا الشرقية[14] .

وتذكر « جمعية أحباء صهيون » بمصر - في تقرير إلى المكتب الصهيوني في كولونيا في 21 ديسمبر 1910 بعنوان « Egyptian jews and Zionism » - أن مستر (قطاوي) رئيس[*] الطائفة اليهودية - وهو يهودي سفارادي - استقبل بسخرية فكرة إقامة دولة يهودية وفقا للمبدأ الذي شرحه الدكتور هرتزل شخصيا » .

وأشار التقرير أيضا إلى أنه إذا كانت مصر قد فعلت شيئا في الميدان الصهيوني فإنما يرجع الفضل فيه إلى ذلك الجزء الصغير من اليهود الإشكنازيم - الذين هاجروا إلى البلاد منذ 30 عاما » .

وأكدت جمعية بركوخبا أن الاكتتاب للبنك الاستعماري اليهودي Jewish Colonial Bank

---

(*) من المرجح أن يكون قطاوي هذا هو موسى قطاوي بك الذي تولى رياسة الطائفة اليهودية بعد وفاة والده يعقوب قطاوي عام 1883 ، وظل يرأسها حتى وفاته عام 1924 ، ويبدو أنه التقى بهرتزل خلال زيارته لمصر عام 1903 ، ولكن موسى قطاوي تحول إلى الصهيونية فيما بعد .

جاء معظمه من اليهود الإشكنازيم الذين يشكلون أيضا الجانب الأكبر من دافعي الشيكل .

المنظمة الصهيونية بمصر :

وعلى الرغم من ذلك فإن الرفض السفارديمي للصهيونية لم يصمد طويلا أمام الدعاية الصهيونية التي نشطت في البلاد خلال العقدين الأول والثاني من القرن العشرين نتيجة لوفود سيل هائل من المهاجرين اليهود الروس الذين غادروا روسيا بسبب حوادث - كيشينيف(*) والحرب اليابانية الروسية إذ أسهم القادمون الجدد في نشر الأفكار الصهيونية بين اليهود المصريين من خلال العديد من الجمعيات الصهيونية التي أنشئوها ثم جاء نشوب الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليه من انسلاخ مصر عن الدولة العثمانية ، وإعلان الحماية البريطانية عليها ، ومجيء البريطانيين إلى مصر بحاكم يبدي عطفا شديدا على اليهود هو السلطان حسين كامل ، وتدفق المهاجرين اليهود من فلسطين وسوريا على البلاد - كل ذلك أدى إلى إعطاء العمل الصهيوني دفعة قوية هنا[15] ، ولذلك رأينا كبار الرأسماليين من اليهود المتمصرين - أمثال جاك موصيري - يتزعمون قيادة العمل الصهيوني في مصر ، فقد تولى جاك موصيري ، رياسة « المنظمة الصهيونية بمصر » التي أسسها ليون كاسترو(**) عام

(*) كيشينيف مدينة روسية كانت توجد بها طائفة يهودية كبيرة وفي عام 1903قامت بها مظاهرة ضد اليهود قتل فيها 47 شخصا وجرح 92 شخصا ويقال : إن البوليس القيصري لم يتدخل لحماية اليهود .

(**) ليون كاسترو محام يهودي وأحد الكوادر الصهيونية التي برزت في مصر قبل إنشاء إسرائيل ، ولد في أزمير بتركيا عام 1883 ، وتلقى تعليمه بها ثم سافر إلى فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق عام 1911 . لم يعرف على وجه التحديد متى جاء إلى مصر ، ولكن يرجح أن يكون قد جاء إليها خلال الحرب العالمية الأولى . أسس « المنظمة الصهيونية بمصر » عام 1917 ، حيث شغل منصب نائب الرئيس فيها ، ثم تولى رياستها عام 1925 . أصدر صحيفة « لاليبرتيه » عام 1921 للدفاع عن الوفد في أوساط الأجانب وفي عام 1933 أسس « رابطة مقاومة العداء للسامية » ، وفي عام 1935 تم تقييد اسمه في السجل الذهبي للصندوق القومي اليهودي تكريما له . ظهر في « اتحاد أنصار السلام » ككادر يساري عام 1937 ، وتولى رياسة الاتحاد الصهيوني عام 1943 ، ورياسة المنظمة الصهيونية بالقاهرة عام 1944 ، كما تولى رياسة محفل « بني بريث » الصهيوني مرتين : مرة في عام 1916 ، وأخرى في عام 1944 ، وبعد قيام إسرائيل أسس المنظمة الصهيونية للسلام عام 1951 ، التي سعت إلى إعادة الرأسماليين اليهود الذين هاجروا من مصر بعد حرب فلسطين ، وإلى تحقيق السلام بين مصر وإسرائيل . نقلا عن annuaire des Juif d'Egypte et du Proche Orient) .

1917 كفرع للمنظمة الصهيونية العالمية ، وأصدر لها مجلة « لارفيو سيونيست » La Revue Sioniste – أي المجلة الصهيونية – لتكون ناطقا بلسانها ، وكذلك ساهم جاك موصيري – بتوجيه من حاييم وايزمان – في ممارسة الضغوط على بريطانيا للتعجيل بإصدار تصريح بلفور ، فقد تلقى برقية من وايزمان في أكتوبر عام 1917 ، يحثه فيها على ضرورة أن يظهروا للحكومة البريطانية وحدة كل هؤلاء الذين يتطلعون نحو فلسطين ، وأنه من الأهمية البالغة عقد اجتماع بارع للصهيونيين ، لاتخاذ القرار التالي : « ... إن هذا الاجتماع الجماهيري لليهود في مصر ، الذي يوافق بالإجماع على إعادة تأسيس فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي لديه ثقة تامة في أن حكومة جلالته ستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهدف .

ومن ناحية أخرى فإن إدجار سوارس – أحد كبار رجال الطائفة اليهودية في الإسكندرية – وجه اللوم إلى الحكومة البريطانية خلال حديثه إلى أحد المسئولين البريطانيين في مصر يوم 11 فبراير 1916 ، لأنها أضاعت فرصة ذهبية في الحرب حين أخطأت بعدم استمالة العنصر اليهودي ، وخاصة في أمريكا . وأكد أن الأماني الصهيونية فيما يتعلق بفلسطين لو لاقت عطفا من الحكومة البريطانية ، فسيمكنها بجرة قلم أن تكسب الدعم الفعال للعنصر اليهودي في جميع أنحاء العالم[16] .

وجاء وعد بلفور في 2 نوفمبر عام 1917 ، فأنهى بتقنينه المطامع الصهيونية في فلسطين تردد الرأسمالية اليهودية في مصر ، فلم تعد الأسر اليهودية العريقة التي عاشت في مصر فترات طويلة تتحرج من إبداء تعاطفها بل تأييدها للهدف الصهيوني ، وقد عبرت صحيفة « لارفيو سيونيست » عن ذلك بقولها :

« من بين الآثار التي ترتبت على صدور وعد بلفور انضمام عدد كبير من اليهود إلى الحركة الصهيونية ، لقد كانت الحركة الصهيونية في مصر بحاجة إلى هذا التصريح ، كي تتمكن من استقبال الأنصار الجدد ، فحتى صدور هذا التصريح كانت الصهيونية بالنسبة للمتشككين مجرد مشروع ليس إلا ، ولكن منذ 2 نوفمبر 1917 أصبح المشروع حقيقة جديرة بالتشجيع ..

لقد أحدث وعد بلفوُر لدى صدوره في عام 1917 موجة من الفرح الغامر بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، ففي أعقاب صدور التصريح أقامت المنظمة الصهيونية حفلا بمدينة الإسكندرية حضره أحمد زيور باشا محافظ الإسكندرية وكبار رجال الطائفة ، واختتمه جاك موصيري بخطاب أعلن فيه : أن « الصهيونية - تلك الفكرة الخيالية - قد أصبحت حقيقة واقعة » ، وناشد يهود مصر أن يستيقظوا من خمولهم ، وأن يعطوا المسائل اليهودية اهتمامهم ، كما أقامت جمعية « زئير زيون » حفلا آخر تحت رعاية اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر يوم 11 نوفمبر حضره جمهور غفير تراوح عدده بين 7000 و8000 شخص ، وحضره هذه المرة أيضا أحمد زيور باشا ، ووفود تمثل 20 منظمة مختلفة من مصر وفلسطين وحاخام الإسكندرية .

وقد رسم المتحدثون في هذا الاجتماع صورة طيبة للحياة التي تنتظر اليهود في فلسطين ، وفي الختام أنشد الحاضرون النشيد الوطني اليهودي « هاتكفا » ، وقرروا إرسال برقيتين إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ، وحاييم وايزمان عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية .

وقد جاء في البرقية التي أرسلها جاك موصيري إلى وايزمان :[18] « إن هذا الاجتماع الحاشد ليهود الإسكندرية وافق بالإجماع على إعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود ، وأضاف أنه يتوقع أن تصبح فلسطين دولة يهودية تماما تكون العبرية لغتها الرسمية ... وأعرب عن أمل الصهيونية في ألا يتزايد عدد السكان العرب في فلسطين .

وقال موصيري : إنه يستطيع أن يحكم بعد هذه الاجتماعات أن الصهيونية غرست جذورها في تربة مناسبة ، وفي أمة من أقرب جيران صهيون (يقصد مصر) .

وهكذا كان وعد بلفور نقطة تحول خطيرة في تاريخ الحركة الصهيونية في مصر ، إذ تذكر « لارفيو سيونيست » أن الشهور الستة الأخيرة من عام 1917 « شهدت نهضة صهيونية كبيرة ، فقد أصبحت الحركة التي كان يحوطها الصمت ، والتي لم

تكن تضم سوى عدد قليل من الأنصار ، تحظى بتأييد الجماهير ، كما أن دعوتها وصلت إلى آفاق بعيدة ، واستشهدت الصحيفة على صدق ما تقول بالاجتماعين الحاشدين اللذين عقدا في مدينة الإسكندرية احتفالا وابتهاجا بصدور التصريح .

وعلى الرغم من التقدم الصهيوني الذي تم إحرازه في مصر ، فقد لاحظ وايزمان عندما جاء إلى مصر عام 1918 أن بعض كبار رجال الطائفة يتسمون باللامبالاة ، وأن تلك الحفاوة التي استقبلوا بها اللجنة الصهونية هي مجرد « تمثيل في تمثيل » .

وفي الواقع فإن قطاعا من اليهودية المصرية ظل متحفظا حتى ذلك الوقت في إبداء تعاطفه أو تأييده العلني للحركة الصهيونية ، ولكن إذا كانت المنظمة الصهيونية قد تمكنت من اجتذاب بعض الرأسماليين اليهود إلى صفوفها في أعقاب صدور تصريح بلفور أمثال جاك موصيري وجوزيف شيكوريل فإنها لم تلبث أن تلقت دفعة جديدة بعد صدور قرارات سان ريمو(*) عام 1920 ، التي أقرت صك الانتداب على فلسطين ؛ ولهذا تعزز موقف المنظمة الصهيونية في مصر وتمكنت من اجتذاب أنصار جدد ، وتميزت هذه المرحلة باجتذاب بعض قادة الطائفة وأعيانها ، ممن ظلوا بعيدين عنها خلال الفترة الماضية .

ففي القاهرة على سبيل المثال نجد موسى قطاوي رئيس الطائفة ، والذي سخر من الفكرة الصهيونية كما أسرنا آنفا يسمح لبن آفي ، عضو لجنة العمل الصهيوني ، الذي كان يقوم بجمع التبرعات في مصر ، بالتحدث إلى الموظفين في الشركات التي يملكها عن الصهيونية ، وعن مغزى قرار سان ريمو ، بل إن قطاوي نفسه قام بشرح النتائج المترتبة على هذا القرار في معبد الإسماعيلية الكبير بشارع المغربي بالقاهرة (عدلي باشا حاليا) .

(*) انعقد مؤتمر سان ريمو بإيطاليا 1920 ؛ لتحديد مصير الإمبراطوارية العثمانية المتداعية ، وقد اعترف هذا المؤتمر بمطالب الصهيونيين ، حيث قرر المجلس الأعلى للحلفاء في 25 أبريل 1920 ، وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ وعد بلفور .

وعلى الرغم من أن قطاوي لم ينضم رسميا إلى المنظمة الصهيونية في مصر ، فلقد بدأ في حضور اجتماعاتها ، فقد شارك في جلسة يوم 19 مايو 1921 التي ناقشت فيها المنظمة أحداث يافا التي وقعت بين العرب واليهود في ذلك الوقت ، ومسألة المهاجرين اليهود الموجودين في الإسكندرية في طريقهم إلى فلسطين ، والتقرير الموسمي للصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت ليسرائيل) .

ومع تنفيذ قرارات سان ريمو بإسناد الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا الدولة التي تحتل مصر أيضا ، قدمت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مصر مشروعا جديدا لتنظيم العمل الصهيوني وإرساء دعائمه . كما نجحت في إيفاد واحد من كبار أعيان اليهود هو البارون فيلكس منشه Félix de Menasce ممثلا عنها إلى المؤتمر الصهيوني العالمي الثاني عشر ، الذي انعقد في مدينة كارلسباد عام 1921[19] كما أسمعت صوتها داخل اجتماعات لجنة العمل الكبرى بالمنظمة الصهيونية العالمية من خلال جوزيف شيكوريل ، وليون كاسترو اللذين كانا يشاركان في تلك الاجتماعات .

على أن الحركة الصهيونية في خلال ذلك لم تخل من المتاعب ، فقد كان جوزيف شيكوريل هو الدينامو المحرك لها منذ توليه رياسة المنظمة الصهيونية عام 1918 ، ولكن في أواخر عام 1920 شب حريق في محلات شيكوريل بالقاهرة ، أتى عليها في بضع ساعات ، مما اضطر جوزيف شيكوريل إلى أن يطلب إجازة من المنظمة مدة عام يتفرغ خلاله لإعادة تنظيم أعماله ، الأمر الذي عطل نشاط الحركة بعض الوقت ؛ لأنها لم توفق في اختيار خليفة له .

وقد عاد النشاط إلى المنظمة حين سارع شيكوريل بالعودة إليها بسبب الوصول المرتقب للزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف إلى القاهرة ، ولذلك أُعلن تشكيل اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية على النحو التالي :

جوزيف شيكوريل : الرئيس .
ليون كاسترو : النائب الأول للرئيس .
سامي جولدشتين : النائب الثاني للرئيس .

بنيامين ليفشتز Lifschitz : أمين الصندوق .
جـاك بلـو Blau : السكرتير .
الأعضاء : موريس مولبرج Muhliberg ، د . بيلبول Pilpoul
د . جيتلمان yittelman ، ميشيـل . بيرمــان ،
ليون كانوكا ، دانييل سابورتا ، ألبرت حاييم ،
إسحق بناريو .

على أن المنظمة لم تلبث أن تعرضت لبعض الانشقاقات وخروج بعض أعضائها البارزين ، ففي 2 يوليو 1922 نشرت « لارفيو سيونيست نبأ استقالة ليون كاسترو من المنظمة الصهيونية ، ففقدت المنظمة بخروجه مؤسسها الأول .

و لم يلبث أن تلا ذلك خروج عضو بارز آخر هو سامي جولد شتين الذي نشرت « لارفيو سيونيست » أيضا نبأ مغادرته القاهرة في عدد 15 يوليو 1922 للإقامة في أوربا .

و لم يكد يمضي وقت قصير حتى لحق بهما جوزيف شيكوريل رئيس المنظمة خلال السنوات الخمس الماضية للإقامة في باريس مدة ثلاث سنوات .

وخلال الفترة منذ صدور تصريح بلفور وحتى رحيل جوزيف شيكوريل من مصر ، حققت الحركة الصهيونية بعض الإنجازات الهامة ، فقد أمكن توحيد المنظمات الصهيونية في مصر فيما يسمى « الاتحاد الصهيوني بمصر Sioniste d'Egypte Féderation كما تم إنشاء جمعية « بروبالستينا » Pro-Palestina التي قامت بتقديم المعونة إلى المهاجرين اليهود الذين يصلون إلى الإسكندرية في طريقهم إلى فلسطين ، « ومكتب الهجرة » الذي قام بتيسير الهجرة اليهودية إلى فلسطين من مصر ، وسوف نتناول فيما يلي هذا النشاط بشيء من التفصيل :

صندوق غوث اليهود في فلسطين :

تأسس هذا الصندوق عام 1917 بمبادرة من يهود الإسكندرية لدعم صمود من تبقوا في فلسطين في مواجهة المجاعة التي تفشت في بلاد الشام ، وقد تمكنت اللجنة التي أُسست لجمع الأموال لهذا الصندوق فور تشكيلها من تحصيل مبلغ1789 جنيها و 875مليما من القائمة الأولى فقط التي ساهم فيها أعضاء مجلس

الطائفة بالنصيب الأكبر[20] .

وقد قامت حرم البارون فيلكس منشه بتنظيم حملة لجمع التبرعات لهذا الصندوق في القاهرة نجحت نجاحا كبيرا ، إذ تجاوزت جملة التبرعات التي جمعتها مبلغ 2300 جنيه مصري ، ومما يسترعي الانتباه أنه وردت بعض الأسماء العربية في قوائم المتبرعين مثل حسين محمد حسين ، وخليل باشا خياط اللذين تبرع كل منهما بمبلغ خمسة جنيهات مصرية .

وقد اتخذت اللجنة الخاصة بصندوق غوث اليهود في فلسطين من مجلة « لارفيو سيونيست » لسانا لحالها ، وأنهت إلى علم قرائها أنه يمكنهم الحصول على جميع المعلومات فيما يتعلق بأعمال مساعدة اليهود في فلسطين من تلك اللجنة ص . ب 988 القاهرة ، وأن الدفع يمكن أن يتم مباشرة لحساب جاك موصيري ، أو لحساب فلسطين بالبنك الأهلي المصري ، وكانت هذه اللجنة تحظى باعتراف السلطات المصرية ، كما كانت تعمل بالاتفاق بينها وبين اللجنة المركزية لغوث اليهود البولنديين والفلسطينيين في لندن ، والمكتب الصهيوني في كوبنهاجن .

كانت هذه التبرعات يجري تهريبها إلى اليهود في فلسطين عن طريق سيناء ، ولكن فور دخول القوات البريطانية القدس عام 1918 ، سافر أعضاء اللجنة إلى فلسطين للتعرف على احتياجات اليهود هناك ، وقامت بإبلاغ مكتبها في القاهرة بالمعلومات الأولية عن احتياجات القدس ، وتل أبيب ، وبعض المستوطنات اليهودية ، حيث تم توريد الأدوية والمؤن والقمح والشعير للاستهلاك الغذائي و«كتقاو » للزراعة بالإضافة إلى الأرز والبقول و١٧٠ حصانا ، كما طلبت اللجنة 1500 جنيه استرليني علي الأقل في الأسبوع .

وقد أشارت « لارفيو سيونيست » أن اللجنة أرسلت بالفعل أرزا من مصر وأنها تقوم بإرسال منتجات أخرى ، علاوة على أنها وضعت تحت تصرف مكتب يافا مبلغ ألفي جنيه مصري من أجل المساعادت العاجلة ..

لجنة برو بالستينا :

على الرغم من أن صحيفة « الشمس » تذكر أن البارون فيلكس منشه قام بتأليف هذه اللجنة قبل الحرب العالمية الأولى ؛ لتقديم المعونة إلى المهاجرين اليهود الذين يصلون إلى الإسكندرية في طريقهم إلى فلسطين ، فإن جميع الدلائل تشير إلى أن هذه اللجنة أُسست بإيعاز من حاييم وايزمان حينما جاء إلى فلسطين عام 1918 ، إذ شرع البارون فيلكس منشه بعد عودته من الاحتفال بوضع حجر أساس الجامعة العبرية في القدس في تأليف هذه اللجنة التي تولى هو رياستها ، في حين تولى جوزيف دي بتشونوبك منصب نائب الرئيس[21] .

وإذا كانت مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبيت » تذكر أن هدف هذه اللجنة هو التنمية الروحية في فلسطين ، فإنه يبدو أنه كانت لها أهداف أخرى من بينها حشد جميع الجهود اليهودية في الإسكندرية ؛ لتقديم الدعم المادي للمشروعات الصهيونية في فلسطين ، وتسهيل الهجرة اليهودية إليها ، وقد بدأت اللجنة نشاطها بجمع المتطوعين الذين يرغبون في العمل بكل ما يتعلق بفلسطين ، ووجهت نداء إلى الجمهور اليهودي السكندري كانت حصيلته 10019 جنيها .

وحتى تضمن اللجنة مساهمة جميع المؤسسات والهيئات اليهودية في الثغر في أنشطتها المختلفة ، دعت اللجنة ممثلي هذه الجمعيات والمؤسسات إلى الانضمام إليها .

ولدى عودة البعثة الصهيونية بزعامة حاييم وايزمان من فلسطين عقدت لجنة « برو بالستينا » اجتماعا شارك فيه أعضاء البعثة الصهيونية ، حيث قدم وايزمان تقريرا مفصلا بكل ما تم إنجازه في فلسطين منذ قدوم اللجنة وتحدث عن المهمة الضخمة التي ينبغي إنجازها ، فطالب لجنة « برو بالستينا » بأن تقدم إلى جانب المساعدة الروحية مساعدة مالية كبيرة في شكل قرض أو هبة « لصندوق الإعداد » Prepartion Fund لمواجهة الاحتياجات العاجلة للمنظمات « الصهيونية » ، وأعرب عن ثقته بأن اللجنة ستبذل قصارى جهدها لإنجاز المهمة الملقاة على عاتقها ، وأن إخوانه المصريين المفعمين دائما بأفضل المشاعر تجاه ما يتعلق بفلسطين سيقدمون مرة أخرى الدليل الواضح على تضامنهم السخي ، واهتمامهم

بقضية الوطن القومي .

وحينما وجهت المنظمة الصهيونية العالمية نداءها عام 1918 من أجل إنشاء « صندوق الجؤلاه » قامت اللجنة بالاتفاق بينها وبين الطائفة اليهودية والجمعيات اليهودية والمنظمات الصهيونية المختلفة بتشكيل لجنة خاصة ، ضمت البارون فيلكس منشه ، وجوزيف دي بتشوتو ، وفيلكس طوبي ، ويعقوب وايزمان وغيرهم ، حيث طرحت اكتتابا لصالح هذا الصندوق في مدينة الإسكندرية ، ولكن بسبب الأزمة المالية لم تتمكن في ذلك العام إلا من جمع 1305 جنيهات مصرية .

لجنة إعادة ترحيل اللاجئين اليهود :

مع انتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط الحكم التركي في فلسطين ، بدأت الطائفة اليهودية في مصر في ترحيل اللاجئين اليهود إلى فلسطين ، ولذلك تشكلت في مدينة الإسكندرية لجنة لإعادة ترحيل هؤلاء اللاجئين ، ولكن لم تقف جهود اللجنة عند هذه المهمة التي أنشئت من أجلها ، وإنما اهتمت في المقام الأول بالتعرف إلى الموقف في فلسطين والاحتياجات المباشرة التي تعانيها البلاد ، حتى يمكنها تحديد الإجراءات الواجب اتخاذها ، وتحديد الوقت المناسب لرحيل المهاجرين .[22] .

وفي لندن تشكلت لجنة لإعادة توطين اليهود في فلسطين وتنظيم الهجرة اليهودية بصفة عامة وتوفير كل الوسائل الممكنة لتحقيق رفاهية المستوطنات ، وقد طالبت مجلة « رفيو إسرائيليت » لجنة لندن بالتعاون مع لجنة الإسكندرية التي قامت بالفعل بكل الأعمال التحضيرية من حيث التعرف على الموقف والاحتياجات العاجلة .

وبفضل الجهود التي بذلتها هذه اللجنة تم ترحيل اللاجئين بانتظام حيث بدءوا يغادرون في مجموعات تترواح بين 15 و 20 شخصا ، ثم ارتفع الرقم فيما بعد إلى 40 و 50 شخصا ، وكان محفل إلياهو ضابي ولجنة مساعدة اللاجئين يقومان بتقديم المساعدات الضرورية الناقصة ، كما ساهم حاييم وايزمان لدى مروره على الإسكندرية عام 1918 بالحصول على ترخيص بنقل 250 لاجئا إلى فلسطين .

واصلت اللجنة عملها إلى أن غادر آخر فوج ، وكان يضم 200 لاجئ في 25 مايو 1919 .

مكتب الهجرة :

بعد انتهاء الحرب الأولى ودخول القوات البريطانية إلى فلسطين ، استأنف المهاجرون اليهود تدفقهم عليها ، وكان كثيرا من هؤلاء المهاجرين لا يحملون تصاريح دخول إلى فلسطين ، أو بالأحرى جوازات سفر ، ولذلك فإنهم كانوا يمرون على مصر لتسوية هذه لأمور .

كانت جمعية « برو بالستينا » وجمعية « زئير زيون » التي كانت فرع المنظمة الصهيونية بالإسكندرية تقوليان استقبال هؤلاء المهاجرين وتقديم الرعاية لهم خلال توقفهم في مصر ، ولكن مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » تذكر أنه في عام 1919 وصل إلى الإسكندرية فوج يضم 41 يهوديا بولنديا ، وآخر يضم 106 من اليهود المهاجرين ، وأمام هذا التدفق المستمر ، أنشأت المنظمة الصهيونية بالمدينة مكتبا للهجرة ليقوم بتقديم كل التسهيلات لهؤلاء المهاجرين .

وتشير المجلة إلى أنه إذا كان هذا المكتب قد بدأ في ممارسة أعماله بصورة رسمية في 18 أبريل عام 1920 ، فإن ممارسته الفعلية للمهام التي أنشئ من أجلها بدأت في فبراير عام 1919 .

وترجع قصة إنشاء هذا المكتب إلى 30 يناير عام 1919 ، حينما تلقت المنظمة الصهيونية خطابا من جارفيس Garvice بك قائد البوليس جاء فيه : « علمنا أن 80 يهوديا بولنديا موجودين في روما حاليا في طريقهم إلى فلسطين وهم يطلبون المجيء إلى الإسكندرية بناء على مبادرة من المنظمة الصهيونية العالمية في لندن ، فهل تتفضلون بإبلاغنا عن مدى إمكان تكفل منظمتكم بهم إذا سمح لهم بالمجيء إلى هنا ، علما بأن « الاتحاد الصهيوني » في روما يتكفل بهم[23] .

ونظرا لأن جمعية « زئير زيون لم تكن لديها الوسائل الضرورية لرعايتهم ، قررت الاتصال بلجنة « برو بالستينا » ، وعلى الفور توجه البارون فيلكس منشه وجوزيف دي بيشوتوبك ودافيد ايدلوفيتش إلى قائد البوليس وقدموا له الضمان المطلوب .

وبعد مرور خمسة عشر يوما وصلت المجموعة الأولى من الحالوصيم(*) وكانت تتكون من 60 شخصا ، وتم نقلهم عبر خط سكة حديد القنطرة – اللد إلى فلسطين ، وبعد أسبوعين آخرين وصلت مجموعة أخرى مكونة من 41 شخصا ، وبعد أن أمضوا فترة تكلفت 150 جنيها غاروا بالطريق نفسه .

كان الاسم الرسمي لمكتب الهجرة هو « مكتب الاستعلامات » Jnformation office ، إذ يذكر تقرير لهذا المكتب عن نشاطه خلال عامه الأول ، أنه حينما اجتمعت لجنة الهجرة إلى فلسطين التي عينتها جمعية « زئير زيون » لاختيار الاسم الذي يناسب المكتب الجديد ، فضل الأعضاء اختيار هذا الاسم – مكتب الاستعلامات – على أسماء أخرى رنانة مثل مكتب الهجرة أو مكتب الاستقبال واتخذوا له شعارا يقول : « كلام قليل وعمل كثير » Peu Parler ,Beaucoup . Faine

وخلال الفترة من 18 أبريل إلى 31 ديسمبر 1920 مر 3154 مهاجرا إلى فلسطين عن طريق « مكتب الهجرة » ، وخلال الأشهر الثلاثة الأولى من عمله كانت غالبية المهاجرين تصل ومعها جوازات سفر تحمل تأشيرات إلى سوريا ؛ لأنه كان من الصعب جدا الحصول على تأشيرات إنجليزية إلى تريستا Trieste أو أي مكان آخر ، ولهذا لجأ المكتب في الحال إلى القنصلية البريطانية في الإسكندرية لجعل هذه الجوازات قانونية ، وقام أعضاء من جمعية زئير زيون مثل فيلكس طوبي رئيس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية بإجراء مقابلات متعددة مع القنصل العام لهذا الغرض ، وتذكر « لارفيو سيونيست » أن هؤلاء الأعضاء وجدوا استقبالا حسنا من العاملين في القنصلية البريطانية الذين ساعدوهم على إنجاز مهمتهم .

ونتيجة للاتفاق الذي تم بين الحكومة البريطانية والمنظمة الصهيونية ، اعترفت القنصلية البريطانية بمكتب الاستعلامات كممثل رسمي للمنظمة الصهيونية ، مع حقه في التوصية من أجل الحصول على التأشيرة الإنجليزية ،

(*) كلمة عبرية تعني الرواد ، تستخدم في الحركة الصهيونية وإسرائيل لوصف الأفراد الذين كرسوا أنفسهم لهدف بناء فلسطين من خلال العمل الجسماني وخصوصا في الزراعة .

أو جوازات سفر لليهود الذين يرغبون في دخول فلسطين للإقامة هناك .

وكان يكفي أن تقول توصية « مكتب الهجرة » ببساطة Visée لكي تعطي القنصلية البريطانية العامة في الإسكندرية تأشيرتها « صالح لدخول فلسطين » Bon Pour entrer en Palestine .

ولم يقتصر عمل مكتب الهجرة على مجرد التوصية بمنح المهاجرين اليهود تأشيرات دخول فلسطين ، وإنما كان يقوم إلى جانب ذلك برعاية المهاجرين الذين كانوا يصلون إلى البلاد خلال فترة إقامتهم بها ، فقبل وصول كل سفينة تحمل مهاجرين من تريستا كان يتم إخطار المكتب ببرقية حيث يتم إيفاد مندوب Drognan عن المكتب يصعد إلى السفينة لاستقبال المهاجرين وإعطائهم كل المعلومات الضرورية ، وإذا كانت السفينة ستواصل سيرها إلى يافا ، فإن عمل المكتب كان ينحصر في تزويد المهاجرين بغذاء يكفيهم مدة ثلاثة أيام يقضونها في الإسكندرية بالإضافة إلى أيام السفر إلى يافا ، أما في الحالات التي تتطلب نقل الركاب إلى سفينة أخرى فان عمل المكتب يكون أكثر تعقيدا وتكلفة ، حيث كان يجب إنزال المهاجرين بأمتعتهم ودفع الترانزيت وأحيانا الأرضية ، وحينما توجد سفينة متجهة إلى يافا فإنه يعاد ترحيلهم دون أدنى تأخير ، أما إذا لم تكن هناك سفن متجهة إلى فلسطين ، فيتم إنزالهم في بعض فنادق المدينة انتظارا لوصول سفينة أخرى أو نقلهم بالسكة الحديد ، وكانت هذه التنقلات تكلف المكتب الكثير .

وكان المهاجرون الذين لا يملكون أموالا يوقعون سندات بالمبالغ التي يتم تقديمها مع وعد بالسداد ، وقد دفع البعض بالفعل ديونهم التي كانت تعود لاستخدامها من جديد للهدف نفسه .

ونظرا لأن عددا كبيرا من المهاجرين الذين كانوا يتجهون إلى فلسطين بالقطارات يمرون بالقاهرة ، أدركت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية أهمية إقامة لجنة بالعاصمة المصرية ، لتقديم شتى التسهيلات .

وقد قام مكتب الهجرة بالقاهرة خلال الفترة من 31 يناير 1921 حتى نهاية إبريل 1922 بإيفاد 107 من المهاجرين والمهاجرات إلى فلسطين ، وهؤلاء لم يحصلوا على نفقات السفر فقط ، وإنما تم إطعامهم وإيواؤهم وكسوتهم خلال إقامتهم في القاهرة .

وعلى الرغم من هذا النشاط وهذه الإنجازات ، وعلى الرغم من أن « لارفيو سيونيست » تذكر أن عناصر صهيونية جديدة لها مكانتها في المجتمع ، ليس من الناحية المالية فحسب ، بل من ناحية السمعة الشخصية تولت مسئولية العمل الصهيوني ، فإن تطورات الأحداث أثبتت فيما بعد أن عام 1923 كان بداية الانتكاسة الحقيقية التي مني بها العمل الصهيوني الرسمي في مصر ، ففي مايو 1924 فشلت المنظمة الصهيونية بالقاهرة في انتخاب لجنة مركزية جديدة بسبب خروج كثير من أعضائها مما أدى إلى تشكيل لجنة مؤقتة من خمسة أعضاء هم : مسيونيومان رئيسا ، ولوسيان شوتو نائبا للرئيس ، ومارك أوبنهايم مندوبا للصندوق القومي اليهودي ، ومريام للشيكاليم والخزانة ، وسانوا سكرتيرا ، وقد عهد إليهم بمباشرة النشاط الصهيوني إلى أن تسمح الظروف بانتخاب لجنة جديدة .

وعلى الرغم من انصراف الجماهير اليهودية عن الحركة الصهيونية فإن اللجنة المؤقتة التي تشكلت في عام 1924 استطاعت تحقيق بعض الإنجازات ، فقد تمكنت من إنشاء « بيت هاعام » الذي ضم سكرتارية المنظمة الصهيونية ، ومكتب الصندوق القومي اليهودي بالقاهرة ، وكشافة الكابي والجوقة اليهودية ليكون موطنا للحياة اليهودية في العاصمة ، كما كانت اللجنة المؤقتة وراء قرار الحكومة بإيفاد أحمد لطفي السيد مندوبا رسميا عنها لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام 1925 . وخلال تلك الفترة أيضا أمكن تحقيق مشاركة المرأة اليهودية في النشاط الصهيوني بإنشاء « الاتحاد النسائي الصهيوني بالقاهرة » الذي تحول في عام 1926 إلى فرع من « المنظمة الصهيونية الدولية للمرأة » Women International Zionist Organization التي يرمز لها باسم منظمة « الويزو » Wizo .

وفي عام 1925 وقع حادثان كان من المتوقع أن يعطيا العمل الصهيوني في مصر دفعة قوية ، فأما الحادث الأول فهو انتخاب البارون جاك إيلي منشة رئيسا للمنظمة الصهيونية بالإسكندرية .

وأما الحادث الثاني فكان عودة ليون كاسترو وسامي جولدشتين إلى حظيرة العمل

الصهيوني عام 1925 ، حيث تم انتخاب ليون كاسترو رئيسا للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بالقاهرة ، في حين انتخب سامي جولدشتين نائبا له .

ولكن على الرغم من عودة هذين القطبين الصهيونيين فإن ذلك لم يكن كافيا لوقف التدهور الذي أصاب المنظمة الصهيونية نتيجة لانصراف الجماهير اليهودية عنها . إذ يبدو أن الحماس الذي اشتعل في أعقاب صدور تصريح بلفور ، وفي أعقاب إعلان قرارات سان ريمو قد فتر في نفوس الكثيرين منهم ، إذ لم يحضر الاجتماع العام الذي عقدته المنظمة الصهيونية في القاهرة في يناير 1927 إلا 16 عضوا فقط من بين 79 عضوا ، ورغم المحاولات التي بذلت فلم يمكن انتخاب اللجنة المركزية في ذلك العام ، ولهذا فإنه عندما اجتمعت المنظمة قررت تشكيل لجنة من ثلاثة أعضاء لإدارة الشئون الصهيونية إلى أن يتيسر ضم مئات من الصهيونيين لانتخاب لجنة محددة .

وبعد أن ظلت القاهرة بدون منظمة صهيونية مدة عامين على حد قول صحيفة « إسرائيل » تمكن القائمون على الحركة الصهيونية في مصر من تشكيل لجنة مركزية برياسة رالف هراري(*) في يناير عام 1928 .

واصلت المنظمة الصهيونية عملها ، ولكن لوحظ خروج ليون كاسترو منها مرة أخرى ، ولكنه برز عام 1933 ليساهم في الجهود التي بذلتها الطائفة اليهودية في مصر لمساعدة اليهود الألمان ، والتصدي لما أطلقوا عليه معاداة السامية التي تفشت في ألمانيا وبعض دول أوربا بعد وصول هتلر إلى الحكم .

رابطة مقاومة العداء للسامية :

في شهر مايو عام 1933 دعا يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة إلى اجتماع عقد في

(*) يبدو أن رالف هراري هو الذي تولى قيادة العمل الصهيوني خلال السنوات التالية ، إذ تشير صحيفة « الشمس » إلى حضوره الاحتفال الذي أقيم عام 1935 بمناسبة افتتاح « النادي الصهيوني » لداره الجديدة بوصفه رئيس « الجمعية الصهيونية » ثم تولى رياستها بعد خروجه منها في العام نفسه يعقوب فايسمان مدير شركة بلبترول .

داره لتأليف لجنة يهودية مصرية لمساعدة اليهود الألمان ، وقد تشكلت هذه اللجنة بالفعل في ذلك الاجتماع الذي حضره كبار رجال الطائفة ووجهاؤها وعلى رأسهم الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي الذي تولى رياسة اللجنة بالاشتراك مع يوسف قطاوي باشا[20] .

وإذا كان كبار رجال الطائفة قد تصدوا علانية لمساعدة اليهود الألمان على اعتبار أن هذا العمل يدخل في إطار الأعمال الخيرية أو الإنسانية ، فإن الخطر النازي لم يلبث أن دفعهم إلي التحالف وقادة الحركة الصهيونية في مصر لمواجهة هذا الخطر ، فحينما تأسست « الرابطة العالمية لمكافحة معاداة السامية » ، واتخذت من باريس مقرا لها ، تبنى « محفل بني بريت » الصهيوني الدعوة لإنشاء فرع لها في القاهرة ، فدعا إلى اجتماع كبير في قاعة « الجوت دي ليه » جمعية نقطة اللبن حضره يوسف قطاوي باشا ، وتحدث فيه ليون كاسترو فطالب بتأليف فرع للرابطة ليتولى الدفاع عن حقوق اليهود على أن يضم ممثلين من جميع الهيئات اليهودية في مصر ، وبالفعل تأسست في هذا الاجتماع « رابطة مقاومة العداء للسامية » التي تولى رياستها ليون كاسترو .

وقد حظيت « رابطة مكافحة العداء للسامية » بتأييد الصحافة الصهيونية في مصر فأعلنت كل من صحيفتي « الشمس » « ولورور » نفسها لسان حال لتلك الرابطة ، كما أن صحيفة « الشمس » حرصت على متابعة جهود الرابطة في مجال مقاطعة الألمان ، وحثت على مضاعفتها حينما لاحظت فتورا فيها خلال عام 1936 .

وإذا كانت الحركة الصهيونية في مصر لم تخل من المتاعب خلال السنوات السابقة كما رأينا فإن عام 1933 كان بداية انطلاقة حقيقية للعمل الصهيوني في مصر ، فقد أدى وصول هتلر إلى الحكم في ألمانيا إلى تكاتف أبناء الطائفة على اختلاف مشاربهم في مواجهة الخطر النازي ، ولأن الحركة الصهيونية في مصر تصدت لمحاربة هذا الخطر ، أمكنها أن تحظى بدعم قطاع كبير من اليهودية المصرية وتأييده .

وبينما كانت الحركة الصهيونية في مصر تتقدم نحو الأمام ، كان الوعي المصري

بأهداف الحركة الصهيونية وبانتمائه العربي آخذا في النمو والازدياد أيضا ، وقد عبر هذا الوعي عن نفسه في عدة مظاهر منها تلك المسيرات والمظاهرات التي نظمها طلبة الأزهر عام 1938 احتجاجا على قرار تقسيم فلسطين .. وغيرها .

وأمام نمو تيار القومية العربية في مصر بدأت الصحافة الصهيونية وخصوصا الناطقة بالعربية الامتناع عن نشر أخبار النشاط الصهيوني ، كما تم تغيير اسم « المنظمة الصهيونية » إلى « الجمعية القومية » كنوع من الخداع والتمويه .

الجمعية القومية :

كان من بين الكوادر الصهيونية التي برزت داخل « الجمعية القومية » في تلك الفترة فيتا سونسينو المحامي الذي تولى رياسة « الجمعية القومية » خلال عامي 1942 و1943 ، وقد قامت « الجمعية القومية » بتنظيم المحاضرات ودروس في تعليم اللغة العبرية بشارع « أبو السباع » (جواد حسني حاليا) في قلب القاهرة ، كما كانت الجمعية القومية بالقاهرة ، والجمعية القومية بالإسكندرية تعقدان اجتماعا مشتركا مرة كل شهر[21] وذلك ضمن الجهود المبذولة لتنظيم العمل الصهيوني وتنسيقه .

وعلى الرغم من ابتعاد ليون كاسترو عن النشاط الصهيوني الرسمي خلال تلك الفترة ، واقتصاره على إلقاء المحاضرات ، وعقد الاجتماعات الحاشدة فإن الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى Annuaire des Juifs d'Egypte et du Prorh orient يذكر ليون كاسترو على رأس « الاتحاد الصهيوني » في مصر عام 1943 ، كما أننا نجده على رأس « الجمعية القومية » عام 1944 ، حيث يقيم حفل استقبال في المقر الجديد للجمعية ، لوفد الوكالة اليهودية المتجه إلى لندن في أثناء مروره على القاهرة . وفي عام 1945 أيضا يوجه رينيه قطاوي رسالة تحذيرية إلى كاسترو بوصفه رئيسا للجنة المركزية للاتحاد الصهيوني بمصر بسبب الاجتماعات ذات الصبغة السياسية التي كان ينظمها على نطاق واسع .

ولعل من أبرز الإنجازات التي حققتها الحركة الصهيونية في مضر خلال الأربعينيات نجاحها في التغلغل داخل مجلس الطائفة الذي ظلت تسعى للسيطرة عليه

منذ فترة طويلة ، ففي عام 1944 فاز فيتاسونسينو المحامي الرئيس السابق للجمعية القومية بعضوية مجلس الطائفة وكان سونسينو قد طالب من قبل بإدخال تعديلات على مجلس الطائفة ، لأنه بنظامه القائم حينذاك لايحقق الأماني التي تعتلج في نفس كل إسرائيلي – على حد قوله – وكان من جملة التعديلات التي اقترحها زيادة عدد الأعضاء إلى 24 عضوا بدلا من 18 عضوا ، وجعل المسنين فيه أعضاء فخريين على أن يكون رأيهم استشاريا ، حتى تكون الكلمة لجيل الشباب الذين تمكنت من عقولهم الأفكار الصهيونية .

وفي الوقت الذي تعاظم فيه نفوذ الصهيونيين داخل مصر منذ منتصف الثلاثينيات ، كانت الحركة الصهيونية في فلسطين تكثف نشاطها داخل البلاد بصورة ملحوظة أيضا . فمع حلول عام 1936 بدأ موسى شرتوك (موشي شاريت) رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية بالقدس ، القيام بزيارات منتظمة إلى القاهرة ، تزايدت بصورة مكثفة خلال عامي 1943 و 1944 ، بسبب قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبسبب المفاوضات التي دارت في ذلك الوقت لإنشاء الجامعة العربية التي كانت تمثل تهديدا للمصالح الصهيونية في فلسطين .

وعلى الرغم من أن الصحف الصهيونية في مصر لم تكشف عن النشاط الذي كان يقوم به شرتوك خلال هذه الزيارات ، واقتصارها على نشر أنباء وصوله ورحيله فقط ، إلا أنه يستشف من بعض مانشر أن الهدف من هذه الزيارات كان يتعلق بإجراء مقابلات مع كبار رجال الطائفة اليهودية وكبار المسئولين في مصر ؛ لتحقيق فكرة التقارب بين العرب واليهود ، والقضاء على المعارضة العربية للمشروعات الصهيونية في فلسطين[22] .

من ناحية أخرى فإنه بحلول عام 1944 قرر رؤساء المخابرات في الهاجاناه توسيع نطاق عمل شبكتهم في مصر ، فمع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية كان عليهم أن يستأنفوا نشاطهم من أجل إعلان فلسطين كدولة يهودية مستقلة ، ولذلك سعوا إلى وضع أيديهم على شيء من احتياطي الأسلحة الكبير المكدس في مصر من جانب

الحلفاء ، وإلى جمع المعلومات لمعرفة مايخططه الإنجليز بالنسبة للمنطقة ، وكانت القاهرة – بوصفها مقر القيادة العامة البريطانية في الشرق الأوسط – أنسب مكان لممارسة هذا النشاط .

وبالإضافة إلى ما سبق كان من الضروري استطلاع رأي القادة العرب بالنسبة لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، ومعرفة رد فعلهم في حالة إعلان قيام تلك الدولة ، وكان الرجل الذي تم اختياره لتنظيم تلك العملية وإدارتها هو ليفي إبراهامي ، وهو يهودي فلسطيني المولد ، جاء إلى مصر كضابط يهودي في ربيع عام 1944 ، حيث قام بتأجير فيللا خارج مدينة الإسكندرية ، استخدمها كمنتجع صحي لجنود الحلفاء ، ولكنها كانت – في واقع الأمر – قاعدة لعمليات التجسس والتهريب .

وإلى جانب عمليات التجسس والتهريب هذه نشط جهاز مخابرات الهاجاناه أيضا إلى تهجير الشبان اليهود المصريين إلى فلسطين ، فقد أسست روث كليجر فرعا « لعلياه بيت » ، وهو الجهاز الذي أنشاته المخابرات الصهيونية لتهريب المهاجرين اليهود إلى فلسطين من وراء ظهر السلطات البريطانية ، وكان هذا الفرع يستخدم السفن والسيارات في أعمال التهريب .

ولتسهيل أعمال الهجرة تأسست في مصر وكالة للرحلات تدعى : Grunberg Travel Agency ، كان هدفها الوحيد استخراج تأشيرات الدخول والخروج وتصريحات البوليس ، وإعفاءات الدخل[23] .

وإلى جانب فرع « علياه بيت » تأسست شبكة أخرى لتهريب المهاجرين اليهود أطلق عليها اسم : Operation Goshen .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تركز النشاط الصهيوني في مصر حول جمع التبرعات من أثرياء الطائفة ، بدعوى مساعدة اليهود اللاجئين من ضحايا الحرب ، وشراء الأراضي المصرية في منطقة الحدود مع فلسطين ، وقد واصل اليهود نشاطهم الصهيوني في مصر حتى تم تحقيق هدفهم بإعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948 ، فبدأ هذا النشاط في الدخول في طور جديد ليس هنا مجال متابعته .

المبحث الرابع
اليهود والسياسة المصرية

رأينا فيما سبق أن الطائفة اليهودية لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية في مصر ، ورأينا كيف تطور هذا الدور إلى حد السيطرة على قنوات الاقتصاد المصري جميعها .

وإذا ماحاولنا التعرف إلى الدور الذي أداه اليهود في الحياة السياسية المصرية فسنكتشف أن اليهود لم يتدخلوا في الأمور السياسية كطائفة ، وإنما كان لهم ـ كأفراد ـ دور لايقل خطورة عن دورهم الاقتصادي ، ويرجع ذلك إلى حرص اليهود على عدم الظهور على المسرح السياسي كطائفة ، فمن المعروف أن مصر حفلت منذ عام 1882 بقوى سياسية عديدة ومتناقضة ، كان من أبرزها الأسرة العلوية الحاكمة ، وسلطات الاحتلال البريطاني ، والحركة الوطنية المصرية بأحزابها المتنوعة ، بالإضافة إلى النفوذ الفرنسي الذي كان يتنافس وبريطانيا في السيطرة على مصر ، ولذلك كان انضمام الطائفة اليهودية بصفة رسمية أو علنية إلى أي من هذه القوى المتصارعة يكسبها كراهية القوى الأخرى وعداءها ، ومن هنا كان حرص الطائفة اليهودية على عدم التورط في المسائل السياسية المصرية ، والتزامها خط الحياد الواضح من جميع القوى السياسية .

من ناحية أخرى كان عدد كبير من أفراد الطائفة ـ كما رأينا ـ حاصلا على جنسيات أجنبية ، أو بلا جنسية ، وهو مالم يكن يسمح لهم بالقيام بدور فعال في السياسة المصرية ، وفضلا عن ذلك ، كانت المصالح الاقتصادية لهذه الطائفة تقتضي منها عدم توريط نفسها في المشاكل السياسية .

لكل هذه الاعتبارات كان من الأفضل بالنسبة للطائفة اليهودية أن تمارس دورها

في الحياة السياسية من خلال بعض أفرادها ، حتى تستطيع التبرؤ من نشاطهم متى أحست بالخطر ، ومتى وجدت أن هذا النشاط يؤدي إلى الإساءة إلى علاقتها بأي من القوى السياسية في مصر .

اليهود والقوى السياسية المصرية :

كانت أسرة محمد على ، وسلطات الاحتلال البريطاني ، وحزب الوفد ، من أبرز القوى السياسية التي ظهرت على مسرح السياسة في مصر خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

ومن يطلع على تاريخ الطائفة اليهودية في مصر سيجد أن بعض أفرادها لعبوا مع حكام مصر دور يهود البلاط ، وهو الدور الذي قام به اليهود في أوربا ممن كانوا يقومون بعمليات إقراض الحكام ، ويعملون كوكلاء للبلاط ، ويلتزمون بجمع الضرائب ، وقد استطاعوا من خلال هذا الدور أن يوطدوا علاقتهم بخديوي مصر وملوكها ، ولقد كانت عائلة قطاوي من بين الأسر اليهودية التي احتفظت بعلاقات وثيقة بحكام مصر ، منذ عهد سعيد وإسماعيل ، وحتى عهد فؤاد وفاروق .

ففي عهد إسماعيل ساهم بنك يعقوب قطاوي – كما أشرنا من قبل – في تمويل قروض الخديو حينما امتنعت البنوك الأجنبية عن إقراضه ، وقد نتج عن ذلك أن توطدت علاقة إسماعيل بيعقوب قطاوي ، فنراه يرعى حفل ختان الطفل جوستاف موسى قطاوي حفيد يعقوب قطاوي ، ويذهب بنفسه في موكب باهر يتبعه رجال المعية السنية وضباط الحرس لحضور هذا الحفل[1] .

كذلك شهد عهد إسماعيل توسعا في استخدام اليهود في جميع أجهزة الدولة ، ولاسيما أقلام الحسابات والترجمة .

وقد بلغت علاقة اليهود بحكام مصر أوجها في عهد الملك فؤاد ، حيث يقول توفيق سليمان أبو هيف – وهو الاسم المستعار لموريس فرجون –: إن العاهل المصري أحاط نفسه خلال فترة حكمه بحاشية من الرجال ، كان من بينهم عدد كبير من الشخصيات اليهودية التي تمتعت بثقته وتقديره ، وأنه كان من بين أصدقاء

الملك المخلصين أفراد من أسر رولو وقطاوي وجور وسوارس ، وكان هؤلاء على علم بكل ما يدور في القصر الملكي .

ولم تقتصر الحلقة التي ضربها اليهود حول القصر على الملك فؤاد فحسب ، وإنما امتدت لتشمل الشخصيات النسائية بداخله ، فقد « كانت حرم يوسف قطاوي باشا – وهي من أسرة سوارس – رئيسة التشريفات لدى جلالة الملكة نازلي » ، ثم لدي الملكة فريدة زوجة الملك فاروق فيما بعد .

ولعل في الأمر الذي أصدره الملك فؤاد بتعيين يوسف قطاوي باشا وزيرا للمالية في وزارة أحمد زيور الأولى عام 1924 ، ثم استمراره في العمل كوزير للمواصلات في وزارة زيور الثانية عام 1925 ليكون بذلك أول وآخر يهودي يدخل الوزارة في تاريخ مصر – منذ يوسف عليه السلام – ثم الأمر الذي أصدره الملك فؤاد أيضا بتعيينه عضوا في مجلس الشيوخ عام 1927 يعبران عن مدى عمق العلاقة التي نشأت بين القصر وكبار رجال الطائفة اليهودية في مصر ، والتي جعلت الملك فؤاد يسند إلى بعض اليهود مهام تتطلب الثقة ، من ذلك أنه أصدر أمرا ملكيا رقم 80 لسنة 1924 بتوكيل يوسف قطاوي في كل ماتقتضيه الحال من شئون وزارة المالية ، من بيع مايرخص ببيعه من الأطيان والأملاك والأراضي التي هي ملك الحكومة ، وفي تملك الأطيان ، وشراء كل ما يستلزم نيابة عنه من الشئون المالية العمومية ، كما أنه سمح لرينيه قطاوي – نجل يوسف قطاوي باشا – بمراجعة مكتبته والاطلاع على مستنداته الخاصة ، وكان من نتيجة ذلك – كما تذكر صحيفة « الشمس » – أن ألف رينيه قطاوي كتابا ضخما في أربعة مجلدات عن حكم محمد على بحسب الوثائق الروسية(*) .

(*) عثرت الباحثة على نسخة عربية من كتاب « محمد على وأوربا » تأليف رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي ، نقله عن اللغة الفرنسية د . ألفريد يلوز ، وقدم له سير فرانسوا شارل سفير فرنسا وعضو المجمع العلمي الفرنسي . وبالكتاب إشارة إلى كتاب نشره رينيه قطاوي في روما وباريس عام 1950 باللغة الفرنسية في أربعة أجزاء بعنوان Les Avchives Russes Le Régne de Mohamed Aly D'aprés أي حكم محمد على كما جاء في المحفوظات الروسية .

من ناحية أخرى كان الملك فؤاد هو الذي أمر بتعيين الحاخام حايم ناحوم أفندي عضوا بمجمع اللغة العربية عام 1933 كما عهد إليه بتجميع القوانين الصادرة من الباب العالي التي كانت تتعلق بالمسائل المصرية ، وكما يذكر موريس فرجون كان الملك فؤاد يكلفه بمهام تتطلب الثقة الملكية[2] .

وحينما خلف الملك فاروق والده على عرش مصر أعربت الطائفة اليهودية عن ولائها له ، كما قدمت له هدية ثمينة بمناسبة زواجه تعبيرا عن تعلق اليهود بعرشه المفدى .

باختصار كانت علاقة اليهود بخديوي مصر وملوكها على أحسن ماتكون العلاقة وقد كانت ذات الخديو أو الملك بالنسبة لهم مصونة لاتمس مهما حدث .

اليهود والاحتلال البريطاني :

أما فيما يتعلق بالاحتلال البريطاني – السلطة الحاكمة الفعلية في البلاد منذ عام 1882 – فقد أوضحنا من قبل كيف أن الرأسمالية اليهودية تحالفت هي والاحتلال البريطاني ، ووضعت نفسها في خدمته ، ويسرت له سبل السيطرة على الاقتصاد المصري وتوجيهه ، وقد وجد اليهود من الحكومة البريطانية كل تقدير على الخدمات التي أدوها لها ، ولذلك أنعمت على بعضهم بالرتب والألقاب ، فعلى سبيل المثال منحت الحكومة البريطانية روبير رولو مدير البنك الأهلي المصري لقب « سير » تقديرا لخدماته[3] وفضلا عن ذلك فقد أيدت بريطانيا مشروعات الاستيطان اليهودي في سيناء .

وعلى الرغم من أن بعض اليهود أعلن عداءه للاحتلال البريطاني ، أمثال يعقوب ابن صنوع وداود حزان ، فإن ذلك لم يؤد إلى تكدير صفو العلاقات البريطانية اليهودية ؛ وذلك لأن اليهود لم يشتركوا في النضال الوطني ضد بريطانيا كطائفة وكعنصر من عناصر الأمة المصرية ، ولذلك عدت مشاركة بعض اليهود في النضال الوطني المصري من قبيل الحوادث الفردية .

اليهود والوفد والبرلمان :

إذا ما حاولنا أن نبحث عن علاقة اليهود بحزب الوفد فسنجد أن اليهود الصهيونيين كانوا من أشد قطاعات اليهودية المصرية حرصا على الانضمام إلى حزب الوفد والعمل في صفوفه ، في حين ابتعدت عنه الرأسمالية اليهودية التي تحالفت والقصر والإنجليز ، ولهذا نجد أن يوسف قطاوي باشا الذي كان من أبرز الشخصيات اليهودية على المسرح السياسي في مصر ، ينضم إلى الوفد الرسمي المصري برياسة عدلي يكن ، الذي سافر إلى لندن عام 1921 لمفاوضة اللورد كيرزن في مسألة استقلال مصر ، بوصفه خبيرا ماليا ، وهو الوفد الذي قاطعه سعد زغلول ، وأعلن سحب الثقة به ، لأن رئيسه ليس إلا موظفا من موظفي الحكومة البريطانية يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامي[4] ، كذلك لم ينضم يوسف قطاوي إلى حزب الوفد ، وإنما انضم إلى حزب الأحرار الدستوريين الذي تشكل عام 1922 من الأعضاء الوفديين ، الذين خرجوا من الوفد بعد إعلان سعد زغلول معارضته لسفر الوفد الرسمي برئاسة عدلي يكن وقد رفع حزب الأحرار الدستوريين لواء المعارضة ضد حزب الوفد وضد سعد زغلول شخصيا ، ثم إن يوسف قطاوي حينما خرج – على الرغم من فوزه – ضمن من خرجوا من حزب الأحرار الدستوريين[5] وعلى رأسهم عدلي يكن ، بعد أن مني الحزب بهزيمة منكرة أمام حزب الوفد في أول انتخابات برلمانية في مصر عام 1924 ، لم ينضم إلى حزب الوفد وإنما آثر أن يظل مستقلا .

وقد يثير نجاح يوسف قطاوي باشا في أول انتخابات حرة ، نزيهة دهشة القارئ ، وقد يظن البعض أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة ، خصوصا أنه كان مرشحا عن حزب ليست له شعبية مثل شعبية الوفد ، كما أنه كان ضمن ذلك العدد الضئيل من المرشحين الذين فازوا عن حزب الأحرار الدستوريين في تلك الانتخابات . ولكن لن تلبث دهشتنا أن تزول حينما نعلم أن قطاوي باشا كان مرشحا عن دائرة كوم امبو التي سيطرت عليها شركة وداي كوم امبو اليهودية ، والتي كان يوسف قطاوي رئيسا لمجلس إدارتها .

وكانت تلك الشركة ذات نفوذ قوي فقد كانت تتحكم في مصائر مواطني تلك الدائرة الذين شعروا في وجودها بأنهم كأسرى الحرب ، ووصفوها بأنها دولة داخل الدولة .

ولعل فوز يوسف قطاوي في تلك الدائرة - التي ظلت الدائرة الوحيدة في مصر ، التي يفوز فيها المرشحون من اليهود - يمثل نموذجا مصغرًا لتأثير السيطرة الاقتصادية اليهودية على القرار السياسي في مصر .

وحينما استقالت وزارة سعد زغلول في نوفمبر 1924 على أثر حادث اغتيال السردار ، اشترك قطاوي في وزارتي زيور الأولى والثانية ، وقد انتقلت هذه الوزارة بعد تعيينها من معسكر الوفد إلى المعسكر الذي يحارب الوفد ، وتحولت من المعركة ضد الإنجليز إلى خوض المعركة ضد الوفد[6] .

وحينما أنشأ الملك فؤاد حزب الاتحاد ليخوض به المعركة ضد الوفد انضم إليه يوسف قطاوي باشا ، ولم تكن مواقف قطاوي هذه ناجمة عن اتجاه عدائي لديه ضد الوفد ، وإنما كانت إرضاء لجلالة الجالس على العرش .

على أية حال فإن دراستنا للصحافة اليهودية تكشف عن أن اليهود الصهيونيين كانوا أول من أبدى حماسا للوفد واندرج في صفوفه ، وكان من أوائل هؤلاء ليون كاسترو صاحب جريدة « لاليبرتيه » الذي ظل يعمل مع الوفد من سبتمبر 1921 حتى يناير 1925 حينما باع صحيفته لحزب الاتحاد ، وسوف نؤجل حديثنا عن علاقة كاسترو بالوفد إلى الجزء المخصص من هذا البحث لدراسة صحيفة « لاليبرتيه » .

وإذا كان اليهود الصهيونيون أبدوا اهتماما واضحا بحزب الوفد في أوائل العشرينيات ، فإنهم عادوا في أواخرها إلى اظهار الاهتمام نفسه مرة أخرى ، فحينما أقيلت وزارة النحاس عام 1928 ، بسبب انهيار الائتلاف الوزاري بخروج حزب الأحرار الدستوريين ، وتم تكليف محمد محمود باشا بتشكيل الوزارة الجديدة ، كان أول عمل للوزارة هو تأجيل البرلمان لمدة شهر ، وهنا تذكر صحيفة «الشمس » أن عددا من اليهود قاموا بتأليف « اتحاد اليهود الأحرار » ، ونشروا نداء في نوفمبر 1929 في جريدة « لوريفيي » Le Réviel لسان حال حزب الوفد ، يحث أبناء الطائفة على أن يهبوا فيمدوا أيدي المعونة لإخوانهم المصريين ويشاركوهم في محنتهم .

وفي عام 1935 عاودت الصحافة الصهيونية في مصر اهتمامها بالوفد وبالبرلمان في

إبان الأزمة الدستورية الناجمة عن رفض بريطانيا العمل بدستور 1923 ، وبينما كانت الوفود تتوالى على بيت الأمة خلال تلك الأزمة ، راع جريدة « الشمس » وأفراد الحركة الصهيونية في مصر أن الكلمات التي ألقاها مصطفى النحاس باشا أمام تلك الوفود تكررت فيها الإشارة إلى عناصر الشعب المصري على أنهم المسلمون والأقباط فقط ، ولذلك التمست من الرئيس الجليل أن يتكرم بذكر العنصر اليهودي ضمن كلامه عن العناصر المصرية[7] .

ونظرا لأن تشكيل الجبهة الوطنية جاء نتيجة لضغط الطلبة المصريين على الأحزاب ، رأت الحركة الصهيونية أن تنتهز هذه الفرصة لظهور الشبيبة اليهودية على الساحة السياسية في مصر ، فقام وفد من جمعية « الشبان اليهود المصريين يضم ثلاثين شخصا على رأسهم د . ألفريد يلوز رئيس الجمعية ود . هلال فارحي وألبير مصلياح وسعد يعقوب مالكي صاحب « الشمس » ، وهم من أعضاء مجلس إدارتها ، وفيتا سونسنيو المحامي ، وغيرهم بمقابلة مصطفى النحاس وأعضاء الوفد في بيت الأمة لتقديم التهنئة بمناسبة تكوين الجبهة الوطنية ، وقد وقف ألفريد يلوز بين يدي النحاس وألقي كلمة قال فيها : أنهم – باعتبارهم أصغر العناصر المصرية لايسعهم إلا انتهاز الفرصة لإعلان أنه ليس في مصر أقلية أو أكثرية بل الكل سواء في الوطنية ، وطالب بمحو كلمتي أكثرية وأقلية من قاموس القومية ، كما تحدث عن اشتراك اليهود وسائر عناصر الأمة في السراء والضراء منذ قديم الأزمنة ، واختتم كلمته بالهتاف بحياة مصر واستقلالها وحياة الرئيس الجليل .

وقد رد النحاس على هذه الكلمة وعلى هذه البادرة بقوله : « نحن مسروررون من هذا المظهر الوطني الرائع الذي لايعرف طائفية ، فجميع المصريين بحمد الله كتلة واحدة في سبيل مطالبهم »[8] .

وإذا ما حاولنا التعرف إلى الدوافع الكامنة وراء هذا التحرك من جانب اليهود فسرعان ما سنكتشف أن الرغبة في دخول الانتخابات البرلمانية الوشيكة ببعض المرشحين اليهود هي التي كانت تحركهم ، ولاشك في أن تأييدهم الوفد بهذه الصورة

كان يستهدف الحصول على ترشيح حزب الأغلبية بعضهم أو أحدهم حتى يضمنوا الفوز ، ويتضح لنا ذلك مما نشرته صحيفة « الشمس » تعليقا على زيارة وفد جمعية الشبان اليهود المصريين لدولة النحاس باشا فقد تحدثت عن أن اليهود ظلوا حتي ذلك الوقت مهملين ومقصرين في واجبهم مكتفين بالاشتراك في الالتزامات الوطنية العامة دون أن يتجاوزوها إلى مباشرة الحقوق السياسية فلم يفكر واحد منهم في ترشيح نفسه لعضوية البرلمان ليتكلم بصوتنا ويعبر عن أمانينا » .

ولقد أثار موضوع اشتراك اليهود في الانتخابات البرلمانية عام 1936 جدلا داخل الطائفة ، فبينما طالب مجلس الطائفة بأن يكون الترشيح للانتخابات بعد موافقته ، عارضت العناصر الصهيونية تدخل المجلس أو دار الشرع في تلك المسألة .

من ناحية أخرى نشب خلاف داخل الطائفة اليهودية حول أشخاص المرشحين فبينما أيد فريق ترشيح فيتا سونسينو المحامي لتلك الانتخابات ، عارض فريق آخر ـ ضم بعض أعضاء مجلس الطائفة وبعض الأعضاء الصهيونيين ـ ترشيح ألفريد يلوز ، ومع ذلك أصر الأخير على الاستمرار في ترشيح نفسه في دائرة الموسكي على مبادئ الوفد[9] .

على أن حزب الوفد لم يلبث أن حسم الخلاف الذي نشب داخل الطائفة اليهودية حول ترشيح ألفريد يلوز نفسه في الانتخابات البرلمانية بأن رشح على حسين باشا في دائرة الموسكي ، وهكذا انهارت آمال اليهود تماما في الوصول إلى البرلمان خصوصا أن فيتا سونسينو المحامي الذي رشح نفسه ومضى في الحملة الانتخابية لم يلبث أن خرج منها هو الآخر مع أول هزيمة صادفته ، وهنا بدأ اليهود في اتباع خطة جديدة ، تضمن لهم التعبير عن وجهة نظرهم داخل البرلمان ، وقد حدد موريس فرجون معالم هذه الخطة في العثور على أصدقاء من غير اليهود ، يمكن الاعتماد عليهم عندما يحتاجون إلى عرض وجهة نظرهم في أية مناقشة .

وفي الواقع فإن الصداقة وحدها لم تكن هي الشيء الوحيد الذي عول عليه اليهود في الحصول على أعضاء مؤيدين لهم في البرلمان ، إذ دعا موريس فرجون إلى أن يسعى

اليهود في كل الدوائر التي يكون لهم فيها بعض النفوذ أو التأثير إلى ترشيح مرشحين ذوي اتجاهات مفضلة لدى اليهود وأوضح أنه في الموسكي وعابدين ومصر الجديدة وغمرة ، وفي أي مكان يوجد فيه تكتل يهودي متفوق تكون لدى اليهود الفرصة في التأثير على النتائج النهائية للانتخابات[10] ، ومعنى هذا أن يقوم اليهود بشراء المرشحين في الدوائر التي يوجد فيها أغلبية يهودية يكون لأصواتها تأثير حاسم على نتائج الانتخابات .

وكان ما حدث في دائرة الأزبكية يقدم أبلغ دليل على محاولة اليهود استخدام نفوذهم وتأثيرهم في بعض الدوائر لشراء المرشحين ، أو للحصول منهم على بعض التعهدات ، فقد رشح الوفد كامل بك صدقي المحامي المعروف ، ونائب نقيب المحامين بالقاهرة في دائرة الأزبكية ، ولكن الدكتور رمزي جرجس وهو وفدي أيضا رفض أن يمتثل لإرادة الوفد ، فأعلن ترشيح نفسه في الدائرة نفسها ، فكان أن اتخذ الوفد قرارا بفصله ، ومع ذلك مضى في حملته الانتخابية لحمل أهالي الدائرة على انتخابه بدلا من مرشح الوفد .

ويبدو أنه دارت مفاوضات بين الدكتور رمزي جرجس بأنه وبعض أفراد الدائرة من اليهود بخصوص تأييدهم له ضد مرشح الوفد ، فقد وعد رمزي جرجس بأنه سيكون مدافعا متحمسا عن مصالح الطائفة في البرلمان ، في حالة فوزه في الانتخابات ، وفي الوقت نفسه ظهرت منشورات موقعة من هيئة يهودية ، تدعو نفسها « رابطة الشبيبة اليهودية » ، فيها دعوة صريحة ليهود الدائرة أن يؤيدوا الدكتور رمزي جرجس ، وألا ينتخبوا كامل بك صدقي لأن له مواقف غير مستحبة من اليهود ، وقد استخدم الدكتور جرجس هذا المنشور كواحد من وسائله الدعائية .

ونظرا لأن هذا المنشور كان يعرض للخطر تلك الجسور التي يسعى اليهود إلى إقامتها مع الوفد ، لذلك انبرت صحيفة « الشمس » إلى مهاجمة رمزي جرجس متهمة إياه بالسعي إلى استخدام اسم اليهود في الدعاية الانتخابية على الرغم من أنهم لم يحاولوا الظهور بمظهر طائفي أو ديني ، كما أصدرت « جمعية الشبان اليهود المصريين » بيانا ادعت فيه أن بيان رابطة الشبيبة اليهودية مدسوس على اليهود ، وأن هذه الرابطة

المزعومة ليس لها وجود إلا في عالم الخيال ، خصوصا أنه لا يوجد بين اليهود المصريين من يجرؤ على مخالفة إجماع الأمة[11] .

من ناحية أخرى أصدرت الطائفة اليهودية نداء موقعا من الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي ويوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة الإسرائيلية بمصر ، كررت فيه ماسبق أن قررته من اتخاذها موقف الحياد التام إزاء المسائل السياسية عامة والانتخابات خاصة ، وأعلنت أنه لا علم لها بوجود الهيئة التي أصدرت ذلك المنشور ، وأعلنت استنكارها اياه ، كما حذرت أبناء الطائفة مثل هذه الدعايات الملفقة التي من شأنها إيجاد نفور بين عناصر الأمة المختلفة .

ولاشك في أن اليهود حاولوا الحصول على تعهدات من بعض المرشحين ، إذ يعرب موريس فرجون عن أسفه في المقال الذي نشره بمجلة « كاديما » تحت عنوان « اليهود في البرلمان » لأن كامل بك صدقي رفض أن يعطيهم أي تصريح على الرغم من أن رمزي جرجس قدم لهم تعهده الذي أشرنا اليه آنفا ، ومع ذلك فلم يكن بمقدور اليهود معارضة حزب الأغلبية ، ومن هذا المنطلق أقام « نادي الاتحاد » للإسرائيليين القرائين بالعباسية حفلة رائعة لتأييد كامل صدقي مرشح الوفد ، دعا فيها الخطباء اليهود أبناء الدائرة إلى انتخاب مرشح الوفد[12] . ولدى فوز كامل صدقي في الانتخابات أرسل ألفريديلوز إليه برقية تهنئة كما أرسل برقية أخرى إلى النحاس باشا يهنئه بالفوز بالتزكية .

على أية حال فإنه إذا كان اليهود قد فشلوا في إدخال بعضهم إلى البرلمان عن طريق الانتخابات فقد دخله يوسف قطاوي باشا عن طريق التعيين فقد عينته الوزارة الوفدية عضوا في مجلس الشيوخ وقد صادف هذا التعيين ارتياحا لدى الدوائر الصهيونية التي رأت فيه خير من يمثل الطائفة في المواقف الرسمية[13] وقد ظل قطاوي عضوا في مجلس الشيوخ إلى أن استقال منه عام 1938 بسبب تدهور حالته الصحية .

ومن يتابع الانتخابات البرلمانية التي دارت في مصر على مدى السنوات التالية ،

فسيجد أن اليهود حرصوا على تأييد مرشحي الوفد في الجمالية التي كانوا يشكلون أغلبية كبيرة من سكانها .

ومع عودة الوفد إلى الحكم في 4 فبراير 1942 أشارت صحيفة « الشمس » إلى قيام الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي بزيارة كل من مصطفى النحاس رئيس الوزراء ومكرم عبيد وزير المالية . وإلى قيام الأخير بتناول طعام الغداء على مائدة رينيه قطاوي .

وعلى الرغم من أنه لم يُكشف النقاب عن الهدف من تلك الزيارة والاتصالات أو مادار فيها ، فإنه يمكننا أن نلمس بعض نتائجها في البيان الذي أذاعته سكرتارية الوفد المصري من أنها تركت دائرة كوم امبو لحضرة صاحب العزة رينيه قطاوي في الانتخابات المقبلة .

وتذكر « الشمس » أن هذا النبأ قوبل بكثير من الغبطة والفرح لدى سكان الدائرة ، واستدلوا به على ثقة الوفد في رينيه قطاوي(14) .

وإذا ما بحثنا في أسباب ذلك الاهتمام الشديد من جانب اليهود الصهيونيين بحزب الوفد ، فإننا سنجد أن هذا الحزب برز في أعقاب الحرب العالمية الأولى كقوة سياسية كبرى تحظى بتأييد الغالبية العظمى من أفراد الشعب المصري ، ويقود النضال ضد الاستعمار البريطاني ، وتعمل لها باقي القوى السياسية الأخرى في مصر ــ من أحزاب أقلية وقصر واحتلال ــ ألف حساب .

ولأن حزب الوفد كان هو حزب الأغلبية كانت كل التوقعات تشير إلى أن هذا الحزب سيتولى ــ إن آجلا أو عاجلا ــ مقاليد الحكم في البلاد ، ولذلك كان انضمام اليهود إلى الحزب وتأييده يحقق لهم أكثر من فائدة .

فمن ناحية كان تأييد الوفد الذي يقود الحركة الوطنية كفيلا بأن يخلع على اليهود المنضمين إليه ثوب الوطنية وكفيلا بإظهار الحركة الصهيونية التي يعملون في صفوفها ــ في الوقت نفسه ــ كحركة وطنية بدليل قبول الوفد انضمامهم إلى صفوفه .

ومن ناحية أخرى كان الوفد ــ بمفاهيمه الليبرالية التي ترفض أن يكون للعقيدة الدينية أي تأثير على قرارته السياسية ، بالإضافة إلى حرصه الشديد على تحقيق الوحدة

الوطنية ، واتخاذه أسلوب الكفاح السلمي لبلوغ أهدافه - أفضل حصن يمكن اليهود أن يحتموا به ، خصوصا في مواجهة بعض القوى السياسية كجماعة الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة التي اتخذت الكفاح المسلح أسلوبا للكفاح ضد الصهيونية في فلسطين ، واعتبرت المعركة الدائرة بين الفلسطينيين والصهيونيين في فلسطين معركة بين اليهودية والإسلام ، وخصوصا بعد أن وقعت بعض الاعتداءات على المتاجر اليهودية التي كانت تدعم الحركة الصهيونية ، وذلك خلال المظاهرات التي كان ينظمها الإخوان المسلمون وحزب مصر الفتاة في ذكرى وعد بلفور تضامنا مع عرب فلسطين ، أو تعبيرا عن رفضهم قرار التقسيم الذي صدر عام 1947[15] .

ومن ناحية ثالثة كان حزب الوفد قد بدأ في إدراك انتمائه العربي ، وأبدى اهتماما ملحوظا بقضية فلسطين منذ منتصف العشرينيات ، فقد تبرع سعد زغلول بمبلغ مائة جنيه لمنكوبي الزلازل في فلسطين عام 1927 كما اشترك حزب الوفد في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام 1931 في أعقاب ثورة البراق التي نشبت هناك عام 1929 ، وفي المؤتمر العربي الذي انعقد في أثناء وجود الوفود العربية في فلسطين لحضور المؤتمر الإسلامي .

وإذا كان بعض اليهود الصهيونيين أمثال ليون كاسترو قد نجحوا في التغلغل في صفوف الوفد ، فإن الوفد كانت معاملته لهم من منطلق ليبرالي لا يميز بين الناس على أساس الدين أو العقيدة ، ومن منطلق أنهم يشكلون إحدى طوائف الشعب المصري التي لها الحق في التمتع بجميع حقوق المواطنة ، وفضلا عن ذلك فإن الوفد لم يكن قد أدرك بعد خطورة أبعاد المخطط الصهيوني .

وعلى أية حال فإن انضمام هؤلاء اليهود إلى حزب الوفد لم يؤثر أدنى تأثير على موقف حزب الأغلبية من قضية عرب فلسطين العادلة ، فحينما اندلعت ثورة فلسطين في أبريل عام 1936 – في الوقت الذي كانت تدور فيه المفاوضات المصرية البريطانية في لندن لحل القضية المصرية - عقد النحاس باشا مع المستر إيدن جلسة خاصة ناقشا فيها المسألة الفلسطينية ، وبين له النحاس أن فكرة التقسيم التي ظهرت في

ذلك الوقت لأول مرة لايمكن أن تكون حلا مرضيا تم ترك للصحافة المصرية الحرية في نشر الأنباء عن الوطنيين الفلسطينيين ، والإشادة بدعوتهم وحركتهم ، وإظهار عطف المصريين البالغ على محنة فلسطين .

وحينما اقترحت لجنة التحقيق الملكية البريطانية تقسيم فلسطين ، أعرب النحاس للسفير البريطاني في القاهرة السير مايلز لامبسون يوم 24 يوليه 1937 أنه « لايستطيع أن يحس بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر ، إذ ما الذي يمنع اليهود من أن يدعوا لهم حقا في سيناء فيما بعد[16] الأمر الذي يدلنا علي أن الوفد كان قد بدأ في إدراك أبعاد الخطر الصهيوني على مصر وفلسطين ، كما أن واصف بطرس غالي وزير الخارجية في حكومة الوفد رفض في اجتماع عصبة الأمم المتحدة لنظر المسألة الفلسطينية عام 1937 ، اقتراح التقسيم الذي قدمته « لجنة بيل » الملكية البريطانية .



المبحث الخامس
اليهود والشيوعيـــة

لعب اليهود الأجانب الذين وفدوا على مصر في أواخر القرن الماضي دورا أساسيا في إدخال الأفكار الشيوعية إلى البلاد ، وفي الترويج لها في أوساط الوطنيين المصريين ، ولقد كان جوزيف روزنتال مؤسس أول حزب اشتراكي في مصر ، ورائد الشيوعية في البلاد ، واحدا من هؤلاء اليهود الأجانب .

وعلى الرغم من الإطاحة بروزنتال من قيادة العمل الشيوعي عام 1924 ، فقد عاد اليهود إلى السيطرة على قنوات العمل الاشتراكي في مصر في أواخر العشرينيات وحتى أواخر الأربعينيات ، وقد تميزت هذه الفترة بتزايد عدد اليهود الذين انضموا إلى الحركة الشيوعية ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل ، منها أن المهاجرين اليهود الذين تدفقوا على البلاد جاءوا من بلاد انتشرت فيها الأفكار الشيوعية ، ومنها أن معرفتهم باللغات الأجنبية مكنتهم من الاطلاع على المؤلفات الماركسية ، التي لم تكن قد ترجمت بعد إلى العربية ، وفضلا عن ذلك فإن الامتيازات الأجنبية كانت تحمي النشاط السياسي للأجانب حتى ولو لم يكن مرضيا عنه من السلطات المحلية [1] .

ولاشك في أن ظهور قوى سياسية جديدة في مصر وأوربا ، كان لها أثرها الكبير في انضمام اليهود إلى الحركة الشيوعية ، وفي سعيهم إلى الترويج لمبادئها وأفكارها .

ففي مصر أُسس حزب « مصر الفتاة » « وجماعة » الإخوان المسلمين ' خلال الثلاثينيات ، ولقد كانت هاتان الحركتان من أوائل التنظيمات السياسية التي استشعرت خطورة قيام دولة صهيونية عنصرية على حدود مصر الشرقية وبدأت في التصدي للنشاط الصهيوني .

وفي أوربا ظهرت بعض الأنظمة العنصرية التي أعلنت عداءها لليهود بسبب الأضرارالتي ألحقوها باقتصادها ومن أبرزها الحزب النازي في ألمانيا بزعامة هتلر ، والحزب الفاشي في إيطاليا بزعامة موسوليني .

في ظل هذه الظروف والمتغيرات التي لم تكن في صالح اليهود بلا أدنى شك ، كان التيار الأممي هو الدرع الواقي لليهود في مواجهة التيار الإسلامي ، وتيار القومية العربية ، والمد الفاشي والنازي خصوصا بعد أن بدأت جحافل النازي تدق أبواب مصر ، ولذلك رأينا اليهود ينضمون إلى المنظمات الشيوعية المختلفة ويعملون على جذب العناصر المصرية إليها ، للحيلولة دون تأثرها بالأفكار العنصرية والدينية المعادية لليهود .

وفيما يتعلق بموقف اليسار المصري من الصهيونية وقضية فلسطين يقول رفعت السعيد : إن الحزب الذي حورب دوما بتهمة أن لليهود نفوذا كبيرا وسط صفوفه .. كان أول الأحزاب المصرية التي أدركت خطر الصهيونية وأعلنت عليها حربا لاهوادة فيها . وفي الوقت الذي كانت فيه صحف الأحزاب البرجوازية المصرية تنشر المقالات عن النشاط الخيري للحركة الصهيونية ، وعن أعمالها المجيدة لتعمير فلسطين ، كانت جريدة « الحساب » تتصدى – وربما على انفراد – لكشف الصهيونية وإدانة مطامعها في فلسطين وفضحها كحليف للاستعمار[2] .

والواقع أننا نرى أن هذا القول ينطوي على كثير من المبالغات ، فلم يكن اليسار المصري هو أول من أدرك خطر الصهيونية ولا أول من حاربها وكشف مطامعها في فلسطين ، فالمتتبع لتاريخ الحركة الاشتراكية في مصر يجد أن برنامج أول حزب شيوعي مصري عام 1921 جاء خلوا من أي إشارة لفلسطين ، وربما يرجع ذلك إلى أن فكرة القومية العربية لم تكن معروفة في مصر حتي ذلك الوقت ، كما أن الفكرة الأممية التي هي جوهر الشيوعية تعلو على غيرها من الأفكار القومية بالنسبة لليسار ، هذا علاوة على أن اليسار المصري ، شأنه شأن معظم القوى السياسية في مصر ، في ذلك الوقت ، لم يكن على وعي بخطورة الحركة الصهيونية ولا بحقيقة

نواياها ، ولا حتى بحقيقة النشاط الصهيوني في مصر وخطورته على الرغم من أن اليهود في صفوف اليسار المصري كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم - بحكم انتمائهم الطائفي - لتتبع النشاط الصهيوني في الأوساط اليهودية بمصر ، ولكن حتى هؤلاء أبدوا عدم وعي بهذا النشاط وخطورته ، يتضح لنا ذلك من أقوال ألبير أربيه وشحاتة هارون في محاضر النقاش التي أجراها معهما رفعت السعيد وعبد القادر ياسين ، إذ يقول ألبير أربيه : إن النشاط الصهيوني في مصر قبل عام 1945 كان غير ذي بال[2] ، في حين يقول شحاتة هارون : إن تأييد الكتلة الرئيسية من يهود مصر للصهيونية اقتصر على مجرد العواطف[3] وسوف ترى خلال هذا البحث مدى مجافاة هذه الأقوال للحقيقة .

من ناحية أخرى يعترف شحاتة هارون بأن القوى التقدمية (اليسار) والأحزاب المصرية لم تنتبه لخطر الصهيونية ، وأنه لم يتصد لمقاومة الصهيونية في بداية الأمر سوى « الإخوان المسلمون » ، الذين فعلوا ذلك من منطلقات عنصرية وشوفينية[4] - على حد قوله - وفي هذا ما يدحض الادعاء بأن اليسار كان أول من تصدى للصهيونية في مصر .

وإذا كان اليسار المصري يأخذ على من أسماهم « بالرجعية المصرية الحاكمة »[5] تعاطفهم مع الصهيونية وحمايتهم لها ، فإن اليسار المصري نفسه انزلق من حيث لا يدري إلى التحالف والصهيونية في مواجهة الخطر النازي والفاشي الذي لاحت بوادره مع وصول هتلر إلى الحكم في ألمانيا عام 1933 ، ولعل في تشكيل « رابطة مقاومة العداء للسامية » التي أسست في مصر في العام نفسه خير دليل على ذلك ، فقد استطاع ليون كاسترو رئيس الرابطة - والذي كانت تلقبه الصحافة الصهيونية في مصر آنذاك « بالزعيم الصهيوني الجليل » - بأن يضم إلى الرابطة بعض اليساريين .

ويعترف جاكو دي كومب رئيس « اتحاد أنصار السلام » أن ليون كاسترو كان معاديا للنازية ، وأنه اتخذ من هذه الزاوية مواقف يسارية وتعاون مع اليسار ، لكنه كان صهيونيا أيضا ، ومثل هذه التركيبة كانت موجودة بكثرة في هذه الأيام حيث

انـدفع كثير من اليهـود إلى النضال ضـد الفاشية متعاونين مع كل أعـداء الفاشيـة بمـن فيهم الشيوعيون[6] .

ويذكر عبد القادر ياسين في كتابه « القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري » أنه تبلور داخل « رابطة مقاومة العداء للسامية » بمصر تياران : التيار الأول ويضم كبار أثرياء الطائفة الذين كانوا يمولون الرابطة بدافع الخوف من دخول الأفكار المعادية للسامية إلى مصر ، وكانوا ينظرون إلى الأفكار الشيوعية كدرع واق لهم ، أما التيار الثاني فكان ماركسيا وضم معظم قواعد فروع المنظمة من الشباب وعلى رأسهم عزرا هراري وإيلي ميزان وغيرهما[7] .

كذلك يذكر أحمد صادق سعد ـ أحد الكوادر اليسارية في مصر ـ أن « كبار اليهود في مصر كانوا يخشون انتشار الحركة المعادية للسامية ، ولذلك رأوا مساندة بعض الماركسيين باعتبار أن الحركة الديمقراطية أحسن درع ضد العنصرية ، غير أن أغلب هؤلاء الكبار ، كانوا يعملون في الوقت نفسه على محاولة استغلال النشاط الماركسي بين اليهود كفرس يجري مع الصهيونية » .

ويقول أحمد صادق سعد أيضا : إن زملاءه في « جماعة أنصار السلام » وقفوا ضد هذه المحاولات لاعتبارهم الحركة الصهيونية حركة معادية للشعوب العربية ، ولكن هذا لم يكن موقف بعض الماركسيين الآخرين ، ومنهم إيلي ميزان الذي كان بارزا في ذلك الوقت في إحدى الجماعات الطلابية ، فأغمض عينيه عن النشاط الصهيوني الذي كان يجري داخل هذه الجماعة وماحولها[8] .

من ناحية أخرى فإن عبد المغني سعيد أحد الكوادر اليسارية المصرية التي عاصرت تلك الفترة يذكر أن اليهود الصهيونيين سيطروا على الاتجاه الاشتراكي الجديد الذي لم ينضج بعد ، وأداروا أغلب الجمعيات السائرة في هذا الاتجاه ، فكان من نتيجة ذلك أن « دار الأبحاث العلمية » التي كانت الواجهة العلنية لمنظمة « إيسكرا » والتي كانت تصدر مجلة « الجماهير » نظمت ندوات ومحاضرات عن مشكلة فلسطين دافعت عن وجهة نظر اليهود بطريقة سافرة ، حتى قيل : إنه لايجوز

عدلا غلق أبواب الهجرة في وجه اليهود ، وأن هذه الهجرة في صالح الشعب العربي[9] ... الخ .

على أن علاقة التحالف التي بدأت بين اليساريين والصهيونيين منذ عام 1933 لم تلبث أن انهارت ، فمع اندحار الألمان والإيطاليين في الحرب العالمية الثانية قلب الرأسماليون اليهود والصهيونيون لليسار ظهر المجن ، وبدءوا في التصدي لمحاولات اليسار السيطرة على نادي المكابي بالظاهر ، ونجحوا عام 1947 في طرد اليساريين منه نهائيا[10] .

وكان خروج الشيوعيين اليهود من مكابي الظاهر إيذانا ببدء الصراع بينهم وبين خصومهم الصهيونيين ، ففي أبريل 1947 أسس خمسة من اليهود الشيوعيين « الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية » ، وقد تولى عزرا هراري - الذي انضم إلى « رابطة مقاومة العداء للسامية » التي ضمت عناصر صهيونية ورأسمالية - منصب سكرتير الرابطة الإسرائيلية ، وقد أصدرت هذه الرابطة بيانا مطولا طبعته في كتيب ، وتم توزيعه على نطاق واسع في أوساط اليهود ، وخصوصا في التجمعات التي يسيطر عليها الصهيونيون .

وقد حددت الرابطة أهدافها في هذا البيان في الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي وصفتها بأنها تتعارض ومصالح اليهود والعرب ، وفي الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية ، والعمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين ، وحل مشاكل اليهود المشردين[11] .

وأصدرت الرابطة بعد ذلك منشورا بعنوان « نداء إلى يهود مصر » هاجمت فيه الصهيونية ووصفتها بأنها عدو اليهود وهتفت بسقوطها ، وبحياة أخوة العرب واليهود[12] .

أما عن السبب الذي أنشئت من أجله هذه الرابطة فيقول عزرا هراري سكرتيرها إن الدعاية الصهيونية المسممة نشطت في مصر أخيرا نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات

بين العرب واليهود ، ولذلك حدد أهداف الرابطة في مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين جميع الإسرائيليين في مصر .

ونعتقد أن السبب الحقيقي والمباشر لإنشاء هذه الرابطة ليس هو ازدياد نشاط الدعاية الصهيونية في مصر – كما يقول عزرا هراري – وإنما نعتقد أنها أُسست كرد فعل انتقامي موجه ضد الصهيونيين الذين تصدوا لليساريين بعنف في نادي المكابي وطردهم منه ، ومما يدعم هذا القول أن النشاط الصهيوني كان قائما في مصر منذ فترة طويلة – كما رأينا – بل إن الدعاية الصهيونية بلغت أشدها في عام 1945 إلى درجة أزعجت رينيه قطاوي رئيس الطائفة اليهودية ، ومع ذلك لم يتحرك الشيوعيون اليهود لمواجهتها إلا في عام 1947 قبل عام واحد من إعلان قيام إسرائيل وبعد أن آتى النشاط الصهيوني في البلاد ثماره بعد نحو خمسين عاما من النشاط .

وعلى الرغم من أن هذه الرابطة كانت أول تنظيم يهودي يعمل ضد الصهيونية في مصر ، فإن نشاطها لم يكن له أدنى تأثير يذكر ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنها حصرت نشاطها في صفوف اليسار اليهودي فقط ، كما أنها لم تعمر طويلا ، ففور إخطارها وزارة الشئون الاجتماعية بتأسيسها ، ردت الأخيرة بعدم الموافقة لأسباب تتعلق بالأمن ، وهكذا انحلت الرابطة ، وكان كل النشاط الذي قامت به ينحصر في البيان والمنشور اللذين أصدرتهما[13] .

أما فيما يتعلق بموقف اليسار المصري من قضية فلسطين فيلخصه رفعت السعيد في كلمتين : كفاح من أجل الجلاء والديمقراطية[14] .

إن اليسار المصري – ملتزما بأيديولوجيته – اعتبر الاستعمار البريطاني هو العدو الذي ينبغي محاربته حتى يتم تحرير فلسطين وتسليمها دولة مستقلة ديمقراطية للعرب واليهود كي يعيشوا فيها ، أما بالنسبة للهجرة الصهيونية ، فقد اعتبرها قضية ثانوية فرعية ، ونظر إلى القوات البريطانية في فلسطين على أنها هي التي تجعل من الهجرة اليهودية غزوا أجنبيا .. وغزوا سياسيا ، واعتبرها أس البلاء فيما يحدث في فلسطين من شقاق بين العرب واليهود .

وحينما صدر قرار تقسيم فلسطين عام 1947 عارضته طليعة من العمال والفلاحين ، وأيدت الدخول في الحرب ضد إقامة الدولة الصهيونية ، ولكن « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » أيدت قرار التقسيم ، وعارضت بشدة دخول مصر حرب فلسطين عام 1948 ، وكانت الحركة في موقفها هذا – كما يقول خالد محيي الدين – متأثرة بموقف الاتحاد السوفييتي الذي وافق على قرار التقسيم[15] . وقد بررت الحركة تحولها عن فكرة الدولة الموحدة المستقلة بأن التقسيم هو أفضل الحلول المطروحة بسبب استحالة التفاهم بين العرب واليهود ، ووعدت بالكفاح من أجل التقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية وتوحيدهما في دولة واحدة[16] .

ولأن الهدف الأساسي لليسار المصري كان إخراج بريطانيا من فلسطين ، لذلك وجد في التقسيم الحل العملي الذي يحقق إلغاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات الاستعمارية عن الأراضي المقدسة ، ولكن غاب عنه أن الصهيونية كانت تسعى إلى ابتلاع فلسطين كلها ، فلم ينتبه بما فيه الكفاية لخطر الصهيونية ومطامعها المستقبلة .

لقد نسي اليسار المصري ، وهو يؤيد إقامة دولة يهودية ، أن اليهود الذين سيعيشون عليها هم في معظمهم من المهاجرين الذين جاءوا إلى فلسطين تنفيذا لفكرة عنصرية استعمارية تدعمها الرأسمالية اليهودية العالمية ، والاستعمار الغربي الحديث ، وكلاهما يفترض أنه من أعداء الشيوعيين .

وربما يرجع موقف اليسار المصري هذا إلى أن الحركة اليسارية في مصر وقعت لفترة طويلة تحت تأثير بعض العناصر الشيوعية التي جاءت من فلسطين لتتولى قيادتها منذ عام 1924 ، وهذه العناصر الشيوعية اليهودية هاجرت إلى فلسطين تلبية لنداء الصهيونية ، أضف إلى ذلك أن اليسار المصري ، متأثرا بالآلام التي نزلت باليهود – رفاق النضال – كان مستعدا لتأييد قيام دولة يهودية .

المبحث السادس
اليهـود والماسـونيـة

عرفت كثير من الصحف المصرية الماسونية بأنها جماعة خيرية ، ورابطة إخاء بين أعضائها ، لاهم لها غير نشر الآداب وإذاعة الفضائل وتخفيف ويلات الإنسانية وآلامها ، وقد حرمت الخوض في المسائل السياسية والدينية كما هو مبين في قوانينها وكما نصت عليه أصولها الأساسية[1] .

وقد اختلف المؤرخون في منشأ هذه الحركة ، ويرجع السبب في ذلك إلى السرية والغموض اللذين تحيط بهما الحركة الماسونية نفسها ، ولكن ماهو ثابت من الناحية التاريخية أن هذه الحركة بدأت في إنجلترا بالفعل عام 1717 . ولذلك فإن حوليات الماسونيين تبدأ بهذه السنة التي تعد ذات أهمية خاصة في تاريخ الحركة[2] .

وقد أثير في مصر وغيرها من البلاد العربية والأجنبية كثير من الاتهامات ضد الماسونية وعلاقتها بكل من الصهيونية والشيوعية ، فهناك من قال : إن الماسونية حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود ، وخاصة في مراحل التيه السياسي الذي تعرض له يهود التوراة ، فأخذ الحاخامات على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون عالمية . ومن هذا التعريف تصبح الماسونية عند مؤسسيها ذات هدف يهودي بحت ، وذات طابع عالمي تلبس من أجل تحقيقه كل صور وأدوات العصر الذي تمر به ، وطقوس وشعائر المجتمع الذي تكون فيه لإمكان تحقيق الهدف الماسوني في خاتم المطاف .[3] .

وهناك من يقول : إن اليهود الصهاينة أنشئوا إلى جانب المحافل الصهيونية محافل أخرى ماسونية لكي يتخلصوا بواسطتها من الحالة التعسة التي كانوا فيها ، وإن رؤساء هذه المحافل كانوا في بادئ الأمر يهودا[4] .

وقد انتظم الدكتور أحمد غلوش رئيس جمعية منع المسكرات في مصر في سلك الماسونية نحو عشر سنوات (1904 - 1914) ، ثم أصدر كتابا هاجم فيه الماسونية بعنف ، وقال : إنه انسحب منها بعد أن اكتشف هويتها الصهيونية .

وبغض النظر عن حقيقة هذه الاتهامات أو زيفها ، فمن المفترض أن الماسونية لاتتدخل في السياسة وفق ماتقول تعريفاتها ، كما أنه يفترض أنها بدعوتها إلى الإخاء والمساواة والحرية إنما تسمو فوق العصبيات ، وترتفع فوق القوميات والديانات إلى مرحلة من الإخاء العالمي تذوب فيه الفروق العقائدية والعرقية ، ولهذا فإن مايعنينا هنا هو : هل كان للماسونية موقف من قضية فلسطين ومن مسألة الوطن القومي ؟

أولى هذه الإجابات تقدمها لنا مجلة « الاتحاد الإسرائيلي » فتذكر أن رجال الماسونية في أمريكا اتفقوا على إمداد حركة تعمير فلسطين بالمساعدة المالية والأدبية لإعداد البلاد كوطن قومي لليهود ، وأن ثمانية من الرؤساء السابقين والحاليين لمحافل نيويورك أقاموا وليمة فاخرة للدكتور حاييم وايزمان عام 1924 ، أعلنوا فيها وقف أنفسهم ومحافلهم لخدمة الحركة الصهيونية ، كما كونوا لجنة للتفاوض مع أستاذ أعظم محافل ولاية نيويورك لتحديد مبلغ المساعدة التي سيقدمونها ، وتوقعت المجلة أن يصل مبلغ الاكتتاب إلى 200 ألف دولار نظرا للحماس الكبير الذي أبداه الماسونيون الأمريكيون[5] .

وإذا كان هذا هو موقف الماسونية الأمريكية من الصهيونية وفلسطين فهل كان للماسونية المصرية موقف مخالف ؟ .

انضم اليهود في مصر – منذ وقت مبكر – إلى المحافل الماسونية أيضا ، وقد اجتذبت هذه الحركة أبناء الطبقتين الرأسمالية والبرجوازية بالذات ، وهما الطبقتان اللتان أمدتا الحركة الصهيونية في البلاد بأبرز زعمائها وأنشط العاملين فيها ، فعلى سبيل المثال نجد موسى بك يعقوب قطاوي (1850 - 1924) الذي تولى رياسة الطائفة الإسرائيلية عام 1883 ، ورئيس محفل بني بريت ، ورئيس شرف في المحافل الماسونية المصرية ، كما كان من أهم الأعضاء في محفل « كوكب الشرق » الإنجليزي[3] ، الذي تولى رياسته جمال الدين الأفغاني .

وكان يعقوب بن صنوع أيضا أحد أعضاء محفل « كوكب الشرق » ، كما أنه أسس جمعيتين علميتين أدبيتين ، سميت الأولى « محفل التقدم » ، والثانية « محفل محبي العلم »[7] ونعتقد أن هاتين الجمعيتين كانتا أقرب إلى المحافل الماسونية منها إلى الجمعيات الأدبية ، فقد كان يحضر اجتماعاتها ومحاضراتها المسلمون والنصارى واليهود ، وقد ترتب على ذلك أن خفت حدة العصبية الدينية - كما يقول الدكتور إبراهيم عبده - مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنهما كانتا تروجان مفاهيم الحرية والإخاء والمساواة التي تدعو لها الماسونية ، ويشاركنا في هذا الرأي أيضا الباحث سعيد محمد السيد أحمد الذي يقول : إن هناك ما يدعو إلى انتماء محفلي « التقدم » و« محبي العلم » إلى الماسونية ، فقد كان ليعقوب نشاط كبير في تأسيس المحافل الماسونية منذ عام 1845[8] .

وربما كان ابن صنوع من أوائل اليهود الذين حاولوا استخدام الماسونية في مصر لخدمة أغراض سياسية ، ولعل ما يدعم هذا الافتراض أن الحكومة المصرية حينما أقدمت على إغلاق المحفلين اللذين أنشأهما ، كانت الأسباب الموجبة لإغلاقهما أسبابا سياسية تتعلق بتجاوزهما الحدود المرسومة لهما والاشتغال بنشاط سياسي[9] .

وتدلنا وثائق عابدين الخاصة بالمحفل الماسوني - على الرغم من قلتها - على مدى تغلغل اليهود داخل المحفل الأكبر والشرق الأكبر المصري وجميع المحافل المصرية الفرعية الأخرى في مدن الإسكندرية والقاهرة وبور سعيد وغيرها من المدن المصرية ، كما تدلنا على أنه كانت هناك محافل أسسها اليهود وكانت تحمل أسماء يهودية ، مثل محفل « سليمان » ومحفل « مغن ديفيد »[10] .

وقد سيطر اليهود كذلك على ما يقرب من 50% من عضوية « المجلس السامي المصري لدرجة 33 » وهي أعلى درجات الماسونية الرمزية ، وكان من بين أعضائه البارون ألفريد دي منشه ، والذي كان يلي إدريس راغب بك في رياسته مباشرة ، وجاك موسى آجيون مستشار أعظم ، وناثان سوسان Nathan Soussan وأدولف أرجي Adolph Argy والبارون فيلكس دي منشه رئيس الطائفة بالإسكندرية (1918 - 1931) وانريكو لوزينا Enrico Lusena المحامي ، وحاييم شملا ،

ويوسف أبو العافية ، وإدجار قطاوي وجاك مزراحي ، ومرسيل تيلكيه Marcel Tilche ، وكان هؤلاء جميعا حاصلين على درجة 33[11] .

وقد اتضح نفوذ اليهود داخل « المحفل الأكبر الوطني المصري » حينما أصدر هذا المحفل بيانا باسم مصر وباسم الماسونية المصرية في 2 أبريل 1922 ، تبنى فيه وجهة النظر الصهيونية ، وناشد سكان فلسطين باسم « شقيقتهم الكبرى » مصر العمل من أجل أن يحل السلام في فلسطين ، ومن أجل مصلحتهم ومصلحة الشرق كله ، مذكرا إياهم بأن الإنجليز والفرنسيين يعيشون أمة واحدة في كندا على الرغم من اختلافهما في الجنس والسلالة ، وبأن الألمان والفرنسيين والإيطاليين يعيشون في سويسرا أيضا أمة واحدة ، ومذكرا إياهم بأن اليهود هم أخوتهم وأبناء عمومتهم الذين ركبوا متن الغربة فأفلحوا ونجحوا ، ثم هم اليوم يطمحون إلى الرجوع إليهم لفائدة وعظمة ماأسماه بالوطن المشترك .

ومن الملاحظ أن الأفكار التي رددها هذا البيان كانت تتفق وما تردده الدعاية الصهيونية في مصر ، ولذلك لم يفت « لارفيو سيونيست » لسان حال المنظمة الصهيونية بمصر أن تنشر ترجمة كاملة للبيان[12] .

ولقد أحدث نداء « المحفل الأكبر الوطني المصري » ردود فعل قوية في مصر وفلسطين ، بل وبين بعض الماسونيين أنفسهم – وقد نشرت صحيفة « النظام » بعضا مما جاء في احتجاج محفل « الشفق » الماسوني في يافا بتوقيع « ماسوني متألم » استنكر فيه « أن يكون المحفل الأكبر المصري » آلة تديرها الأكثرية اليهودية لغايات سياسية (هكذا) لاتتفق في شيء والحرية والإخاء والمساواة « شعار الماسونية المقدس[12] .

واستنكرت صحيفة « النظام » المصرية صدور هذا النداء عن المحفل الأكبر المصري ، وأعربت عن دهشتها بقولها : « يحق لنا أن ندهش ؛ لأن المحفل الأكبر كان يأبى أن يبدي رأيه في المسألة المصرية مدعيا أن الجمعية الماسونية جمعية خيرية لادخل لها في السياسة ، وكانت دهشتنا أكبر ؛ لأن تلك الدعوة التي أرسلها المحفل الأكبر إلى إخواننا أهالي فلسطين كانت مرسلة باسم الأمة المصرية التي تطالب بحريتها ،

أي باسمنا نحن الذين نطالب بالحرية ، ويعطف علينا إخواننا الفلسطينيون والسوريون ، ويدافعون عن حقنا ، ويحبذون جهادنا ، ندعوهم فيها إلى الذلة والاستسلام ، ولاندري كيف جاز للمحفل أن يتدخل في شئون الأمم المجاورة باسم مصر ، وهي لاتعرف من أمر ذلك المنشور شيئا ولم ترسله ولا دخل لها فيه .

ولأن الصحيفة رأت أن أكثر القراء لايعلمون من أمر هذا المنشور شيئا نشرت نصه كاملا كي تحيطهم علما به .

وقد أثار نشر نص هذا البيان في جريدة « النظام » ردود فعل في الأوساط الماسونية في مصر ، فكتب أحدهم بتوقيعه « ماسوني حر » مشيرا إلى أن هذا المنشور قد خفض من رءوس الماسون ، وآلم نفوسهم لاتخاذه اسم جمعيتهم « الخيرية الشريفة » آلة لخدمة الصهيونية في فلسطين ، وطالب المحفل الأكبر الذي يمثل الماسونية المصرية أن يظهر العامل الحقيقي الذي دفعه إلى كتابة هذا المنشور ، كما طالبه بكتابة كلمة يصلح بها تلك الغلطة التي « لاتغتفر »[13] .

ومن ناحية أخرى وجه محفل « ممفيس » التابع للمحفل الأكبر الإيطالي بشرق روما دعوة إلى الشروق الماسونية في مصر لحضور جلسته الاعتيادية في التاسع من أبريل عام 1922 ، لمناقشة نداء اللجنة الدائمة للمحفل الأكبر المصري الموجه إلى أهالي فلسطين ، وعلاقته بالواجب الماسوني ، ورحب المحفل بآراء الباحثين في الموضوع دون التفات إلى تابعية المتكلم لأي شرق من الشروق مع مراعاة المصلحة الماسونية[14] .

وقد استغلت « مجلة الميثاق الماسونية » هذا الحادث فيما بعد للتشهير بإدريس راغب أستاذ أعظم « المحفل الأكبر الوطني المصري » فذكرت أن الصحف المصرية أعلنت جهرة أنه تقاضى أجرا على هذا العمل ، وأن الفلسطينيين كادوا يفتكون بمندوبه الذي ذهب لإذاعة المنشور – مكرها – لولا أن تداركته عناية الله ففر هاربا إلى سوريا ، ثم قفل عائدا إلى مصر ساخطا على إدريس راغب .[15]

وعلى الرغم من أن أنصار الأمير محمد على - والذي نافس إدريس راغب على رياسة المحفل الأكبر في العام نفسه وفاز بها - ألقوا مسئولية صدور بيان المحفل الأكبر على إدريس راغب ، فإننا نعود فنلمس قوة النفوذ الصهيوني مرة أخرى في المحافل الماسونية المصرية ، ففي عام 1933 استصدر اليهود احتجاجا بلسان « المحفل الأكبر الوطني المصري » على الأعمال التي وقعت في ألمانيا ضد اليهود ونشروه في صحيفة « البورص » يوم 12 أبريل من العام نفسه ، وقد أثار هذا البيان غضب محفل (سفنكس) الألماني الذي أوقف انعقاد جلسته احتجاجا على بيان المحفل الأكبر ، وهدد بالانسحاب منه مالم يصدر تكذيبا لهذا الاحتجاج .

وعلى الرغم من مرور عشرة أيام على احتجاج المحفل الألماني فإن المحفل المصري لم يحرك ساكنا ، مما اضطر أحد أعضائه إلى تقديم التماس إلى كبير الأمناء يطلب عرضه على العتبات السامية الملكية ، وفيه يشير إلى أن مسألة اضطهاد اليهود في ألمانيا من المسائل السياسية ، التي كان ينبغي على المحفل الأكبر الابتعاد عنها ، كما يكشف عن ضعف شاهين باشا رئيس الشرق الأعظم المصري أمام النفوذ اليهودي في المحافل الماسونية ، التي قال : إن أغلبها من الإسرائيليين[16] .

وسواء أصدر المحفل الوطني تكذيبا لهذا البيان أم لا ، فإن هذا الحادث يؤكد لنا مرة أخري أن النفوذ اليهودي ظل على قوته داخل المحافل الماسونية ، على الرغم من إبعاد إدريس راغب عن رياسة المحفل الأكبر ، كما أنه يوضح لنا مرة أخرى مدى خضوع كبار الشخصيات المصرية ، التي كانت على رأس هذه المحافل لذلك النفوذ فقد كان على رأس المحفل الأكبر في الفترة التي صدر فيها هذا البيان الأخير كل من محمد فهمي باشا وزير مصر المفوض بأثينا سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ أستاذا أعظم ، وإبراهيم فهمي كريم باشا وزير المواصلات نائبا للأستاذ الأعظم ، وعلى جمال الدين باشا وزير الحربية والبحرية مساعد نائب الأستاذ الأعظم ، ومحمد طلعت الفرنساوي بك من أعيان مصر منبها أول أعظم .. وغيرهم .

وقد تحدث الصحفي والمناضل محمد على الطاهر عن تأثير الماسونية على موقف

بعض المسئولين المصريين فيما يختص بقضية فلسطين ، فذكر أن الدكتور أحمد ماهر باشا كان رئيسا أعلى للمحفل الماسوني في مصر ، وقال : إن « انضمام أحمد ماهر إلى الماسونية جعله – وهو رئيس بمجلس النواب – يسكت الضجة التي قامت في البرلمان على إخوانه اليهود بجلسة 31 مايو 1938 ، ولولا الماسونية لما وسعه إلا نصرة العرب والحق ، ولكن الماسونية جردته من خصائصه الطبيعية وجعلت الإسلام يخسره ، والصهيونية تكسبه[17] .

مما سبق يتضح أن مصر احتلت أهمية خاصة بالنسبة لتنفيذ خطة العمل الصهيونية الرامية إلى إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، ونسطيع القول بأن سيطرة اليهود على جوانب هامة من الاقتصاد المصري أتاحت للصهيونيين تحقيق أهدافهم في مصر ، فقد شكلت الرأسمالية اليهودية جزءا مهما من البناء التحتي في المجتمع المصري ترتب عليه وجودها في البناء الفوقي ، حيث تجري عملية اتخاذ القرارات .

كذلك فإن الرأسمالية اليهودية ارتبطت بعلاقات وثيقة مع والسلطات الحاكمة في مصر من خلال النشاط الاقتصادي الذي ربط بين مصالحهما ، ومن خلال المحافل الماسونية التي كانت تضم كبار رجال الدولة وكبار زعمائها الشعبيين(*) .

ومما لاشك فيه أن الرأسماليين اليهود الذين أيدوا الحركة الصهيونية ودعموها – كما سنرى فيما بعد – استطاعوا التأثير على سلطة اتخاذ القرار في مصر بطريق مباشر أو غير مباشر ، سواء من خلال التعتيم على الأهداف الحقيقية للحركة الصهيونية ، أو من خلال وضع نفوذهم الاقتصادي في مصر في الاعتبار عند اتخاذ القرارات ، ولعل ذلك يفسر لنا تلك الحرية التي تمتع بها الصهيونيون في بث دعايتهم في البلاد من خلال وسائل متعددة ، وممارسة نشاطهم الصهيوني دون خوف ، وعدم قيام السلطات المصرية باتخاذ أي إجراءات لمنع هذا النشاط .

كذلك فإنه عندما نمت الأفكار الاشتراكية وانتشرت في مصر سعى اليهود إلى

(*) كان سعد زغلول أستاذ شرف أعظم في المحفل الوطني الأكبر .

ركوب هذه الموجة واستخدامها في التصدي للحركات المعادية للصهيونية في مصر ، وهكذا نرى أن معظم الأنشطة السياسية والاقتصادية التي مارسها اليهود في مصر ، كانت تتكامل فيما بينها لخدمة القضية الصهيونية .

* * *

الفصل الثاني

نشأة
صحافة اليهود الفرنسية في مصر
وتطورهـــا

حظيت الصحافة باهتمام الحركة الصهيونية خلال مراحل نشاطها المختلفة ، ففي أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي كانت الصحافة هي وسيلة الاتصال الجماهيري ، التي تعد أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا في الرأي العام سواء على المستوى المحلي أو على المستوى العالمي ، إلا أن المتتبع تاريخ الحركة الصهيونية سيجد أنها لم تستخدم الصحافة كوسيلة للاتصال فحسب ، وإنما استخدمتها لتحقيق أغراض أبعد ، وأهداف أوسع فاقت بكثير حدود وظيفتها الإعلامية ، إذ يكشف لنا تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة في مذكراته كيف كان يعتقد أن امتلاك صحيفة حرة كبيرة ، هو بمثابة سلاح من فولاذ يستطيع بواسطته أن يقرر سياسة ويؤدي خدمات ، ويقيم علاقات ، ويأتي بالعجب العجاب . أما بدون هذه الصحيفة فهو إنما يحارب بسيف من خشب مثل الأولاد[1] .

ولما كان هرتزل يدرك قوة تأثير الرأي العام ، فقد سعى إلى إعادة تشكيل الرأي العام العالمي لصالح قضيته ؛ حتى يتمكن من ترسيخ الوجود اليهودي في فلسطين[2] ومن منطلق هذا المسعى أقدم هرتزل قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بأسابيع

معدودة على إصدار مجلة (دي فلت) Die Welt أي العالم ، التي أصبحت فيما بعد المجلة الرسمية الناطقة بلسان الحركة الصهيونية[3] ، بل إنه بدأ من قبل أن تخرج هذه الصحيفة إلى حيز الوجود في توظيفها لخدمة الأغراض التي كان يتطلع إلى أن تقوم بتحقيقها ، فكتب إلى سيدني ويتمان[*] يعرض خدماته على السلطان العثماني في جريدته الجديدة قائلا :[4] .

« أكتب إليك اليوم على أوراق مراسلات صحيفة أسبوعية جديدة سوف نبدأ في إصدارها لخدمة احتياجات القضية ، ولكنها ستكون على مستوى رفيع . إن « دي فلت » سوف تظهر يوم 4 يونيو 1897 ، ونحن ننوي أن نقدم في هذه الصحيفة الدلائل على تعاطفنا العميق مع تركيا ، وتستطيع أن تبلغ أحمد مدحت أفندي[**] ، أننا سننشر فيها وبكل سرور بالطبع ، وبدون تحيز أيضا اتصالات وأخبارا ربما تكون مفيدة لحكومة السلطان . وهذه ستكون خطوة نحو حشد نفوذ الصحافة اليهودية لصالح تركيا ، إن تعاطفكم مع القضية اليهودية سوف يشجعنا على مواصلة هذه الجهود ».

وفي موضع آخر من مذكراته يقول هرتزل للمستشرق فامبري « أكتب للسلطان (العثماني) أنه يجب أن يستقبلني ؛ لأنني أستطيع أن أخدمه في عالم الصحافة . إن مجرد ظهوري عنده سيرفع أسهمه .. اكتب للسلطان أن يرسل في طلبي لأني أستطيع أن أساعده في الرأي العام »[5] .

مما سبق يتضح لنا أن الحركة الصهيونية كانت تعي تماما قيمة الصحافة وأهميتها بالنسبة للمعركة التي أعدت نفسها لخوضها ، ليس من ناحية قدرتها على التأثير في الرأي العام وتوجيه الوجهة التي تريدها ، ولكن من ناحية إمكان استخدامها في

(*) سيدني ويتمان (1848 - 1925) صحفي ورحاله إنجليزي عمل مراسلا لصحيفة نيويورك هيرالد في لندن . زار أناضوليا عام 1897 - 1898 وصادق السلطان عبدالحميد وكتب كثيرا عن أوضاع السلطنة .

(**) أحمد مدحت أفندي (1844 - 1919) كاتب ومفكر تركي نال حظوة السلطان عبدالحميد فعينه مديرا للجريدة الرسمية ومطبعة الحكومة .

المساومة للحصول على مكاسب من القوى الأجنبية المختلفة سواء بالترغيب أو الترهيب .

وهنا في الشرق العربي بصفة عامة ، وفي مصر بصفة خاصة ، استخدمت الحركة الصهيونية الصحافة للقيام بالدور نفسه ، الذي لعبته على المستوى العالمي بمختلف جوانبه وأبعاده ، وهو ماستكشف عنه هذه الدراسة .

ونحن إذا تتبعنا تاريخ الصحافة اليهودية الناطقة باللغة الفرنسية في مصر فسنجد أنها كانت أقدم من صحافتهم الناطقة باللغة العربية ، ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل الخاصة والعامة التي ساعدت على ظهور تلك الصحافة في مرحلة سابقة على صحافتهم العربية .

فمن ناحية ساهم التنافس الاستعماري بين إنجلترا وفرنسا على مصر في تهيئة المناخ أمام صدور الصحافة الفرنسية في البلاد بصفة عامة ، فقد أدركت فرنسا بعد احتلال بريطانيا مصر أنها أخطأت في تركها بريطانيا تنفرد بمصر وحدها ، بعد أن كانت شريكة لها في كل أمر من أمورها ، وكان من الطبيعي إلا تعترف فرنسا بشرعية هذا الاحتلال ولا بحق بريطانيا فيه ، فعاد الفرنسيون إلى مصر ، وشجعت فرنسا الصحف الفرنسية القديمة على معاودة الصدور ، ولكنها أجمعت كلها على الدفاع عن فرنسا ومناوأة الاحتلال البريطاني ، ولمواجهة هذا الموقف اضطر الإنجليز بدورهم إلى إصدار صحف تنطق باللغة الفرنسية تدافع عنهم وترد هجمات الصحف الفرنسية الأصلية[6] .

وفي خضم هذا الصراع وذلك التنافس استطاع بعض اليهود التسلل إلى الميدان الصحفي فأصدروا صحفا للدفاع عن هذا الطرف أو ذاك ، إذ يذكر لنا جورج كورنيهان Georges Corneilhan في كتابه « اليهود والانتهازيون »[7] أنه ظهرت في مصر بعض الصحف التي قيل عنها إنها صحف فرنسية ، ولكنها كانت في حقيقة الأمر صحفا يهودية بحتة ، أو صحفا انتهازية يظهر على صفحاتها يوميا هجوم مباشر على الإدارة الإنجليزية في مصر .

ويقول كورنيهان : إن فرنسا تمكنت في ذلك الوقت من إدخال شخصين إلى الأراضي المصرية هما اليهودي « بادوفا » Padoa والانتهازي بوريللي Borelli وقد تمكن هذا الأخير بفضل نفوذه وتأثيره القوي أن يكون المالك الفعلى والأصلي لجريدة « بوسفور إجيبسيان » « Bosphore Egyptien » التي كانت ملكا لشركة مزعومة غير معروفة الاسم ، ولكن كان بوريللي في واقع الأمر هو مؤسس هذه الشركة وكان هو الذي يمدها بالأموال التي تحتاج إليها .

ويذكر جورج كورنيهان أن أحد أهداف هذه الصحيفة التي صدرت كناطق رسمي بلسان الجالية الفرنسية في مصر ، هو الدفاع عن اليهود والانتهازية .

ومن ناحية أخرى فمما شجع على كثرة إصدار الصحف الناطقة بالفرنسية ـ كما يقول اللورد كرومر في تقرير عام 1903 ـ « هو إيقاف سلطات الاحتلال العمل بقانون المطبوعات الصادر عام 1881[*] ، وعدم رغبتها في إصدار قانون جديد ؛ لأنه كان سينتج إشكالات نحن في غنى عنها ، لأنه يستوجب سريان نصوصه على الصحافة الأجنبية ، وفي ذلك من المشاكل ما يجدر أن نتجنبها ، وإذا اقتصر الأمر على الصحافة المصرية وحدها ، فإن ذلك يحمل المصريين على الاحتماء بالدول الأجنبية فلا ينال منهم القانون ويصبح لغوا لافائدة منه »[8] .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن كثيرا من الصحف الأجنبية ـ وخاصة الفرنسية ـ كانت تصدر بغير علم مكتب الصحافة أو قلم المطبوعات أو إدارة المطبوعات اعتمادا على ماتوفره الامتيازات الأجنبية من خروج على قوانين الدولة[9] .

وإذا كان التنافس الاستعماري بين فرنسا وإنجلترا وإيقاف العمل بقانون المطبوعات قد شجعا على كثرة إصدار الصحف الفرنسية ، فثمة عامل آخر كان له أثر كبير في تهيئة المناخ أمام هذه الصحف وأمام أصحابها ، ألا وهو انعدام الحرية الكاملة للصحافة ، إذ تتحدث صحيفة (لابورص اجيبسيين) عن حرية الصحافة في مصر في ذلك الوقت فتقول :

(*) أوقف العمل بهذا القانون في سنة 1894 وأعيد العمل به سنة 1909 .

إنها كانت موجودة نظريا ، ولكنها كانت غير كاملة من الناحية العملية ، فللصحفي المصري الحق في أن يقول كل ما يريد ، بشرط ألا يضايق أو يغضب إنجلترا أو تركيا أو أية دولة من الدول العثمانية ، ولا الأقباط ، ولا المسلمين ، ولا اليهود ، ولا السوريين ، ولا الأرمن ، ولا الأرثوذكس ، ولا البروتستانت ، ولا الكاثوليك ، وإلا تعرضت صحيفته للتعطيل والإغلاق[10] .

تلك هي – باختصار – أهم العوامل العامة التي شجعت على إصدار صحف ناطقة باللغة الفرنسية في مصر ، ولكن لاشك أنه كانت هناك بعض الأسباب الخاصة التي حملت الطائفة اليهودية بمصر على إصدار صحافتها باللغة الفرنسية . وأحد هذه الأسباب له علاقة مباشرة بالبناء الاجتماعي للطائفة ، فقد رأينا عند الحديث عن الوضع الاجتماعي لليهود أن الطائفة اليهودية في مصر كانت تتألف من ثلاث طبقات ، والذي يهمنا هنا الطبقتان الأولى والثانية ، اللتان كانتا تضمان صفوة المجتمع اليهودي من الرأسماليين والبرجوازيين ، وكان أبناء هاتين الطبقتين يتحدثون اللغة الفرنسية ؛ لأنها كانت لغة الصالونات ، وأرقى الثقافات في ذلك الوقت ، علاوة على أنها كانت اللغة المستعملة في دوائر المال والأعمال ، ولغة التدريس السائدة في المدارس اليهودية ، ومدارس الفرير ، والآباء اليسوعيين ، والراهبات التي تلقى فيها أبناء هاتين الطبقتين تعليمهم .

وإذا كنا قد رأينا في الفصل الأول أن الحركة الصهيونية علقت أهمية كبيرة على المعونة المادية والمعنوية ، التي كان ينبغي على يهود مصر تقديمها خلال عملية بناء الوطن القومي ، فقد كان بإمكان الطبقتين الأولى والثانية تقديم هذه المعونة بحكم ثرائهما من ناحية ، وبحكم علاقاتهما بالمسئولين من ناحية أخرى .

وإذا كان يتعين على الحركة الصهيونية كسب هذا القطاع من اليهودية المصرية ، فقد كان من الضروري أن توجه دعايتها إليهم باللغة التي يفهمونها وهي اللغة الفرنسية .

أما ثاني هذه الأسباب الخاصة التي دفعت اليهود إلى إصدار صحفهم باللغة

الفرنسية ، فهو أن الفرنسية كانت لغة التخاطب بين الجاليات الأجنبية في مصر . ونظرا لأن الحركة الصهيونية كانت تهدف إلى كسب الرأي العام الأجنبي في مصر ، ونظرا لأن إمكاناتها لم تكن تؤهلها لإصدار صحف تخاطب كل جالية أجنبية بلغتها ، كانت الفرنسية – بوصفها لغة التخاطب بين هذه الجاليات – هي أنسب اللغات بالنسبة للصحافة اليهودية .

ولعل أحد أسباب صدور صحف يهودية باللغة الفرنسية – من وجهة نظرنا – هو أن الحركة الصهيونية كانت ترغب في توجيه دعايتها إلى اليهود – خصوصا في مرحلة كسب الأنصار – بلغة تجهلها غالبية الشعبين المصري والعربي ؛ حتى تستطيع أن تجد الحرية التي تمكنها من عرض أهداف الحركة الصهيونية ومخططاتها دون خوف أو تحفظ ، ولعل فيما يذكره نجيب أبو الليل في كتابه « الاحتلال البريطاني والصحافة الفرنسية » ما يؤيد هذا الرأي إذ يقول : « إن الصحافة الأجنبية التي كانت تحرر باللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية واليونانية كان عدد قرائها محدودا جدا ، وكان أكثرهم لايعملون في السياسة ، وإنما كانوا يودون أن يحاطوا بها علما . إذن فليس في وجودهم أي خطر سياسي أو اجتماعي ، والحرية الصحفية بالنسبة لهذه الصحف الأوروبية حق وضرورة »[11] .

وإذا عدنا إلى تاريخ الصحافة الفرنسية في مصر فسنجد أنه كما كان يعقوب بن صنوع(*) هو أول يهودي يصدر صحيفة باللغة العربية في مصر هي صحيفة (أبو نظارة) سنة 1877 ، كان هو أيضا أول صحفي يهودي يصدر صحيفة باللغة الفرنسية في مصر ، فقد أصدر في أعقاب عودته من رحلة إلى أوروبا صحيفة هزلية باللغة الفرنسية أسماها La Moustique – أي (البعوضة) – بعد أن أوصدت الصحف أبوابها دونه بسبب الحملة التي شنها على الخديو إسماعيل لعدم دفعه تكاليف هذه هذه الرحلة التي كلفه بها ، ثم أنشأ صحيفة أخرى باللغة الإيطالية أطلق عليها

(*)تبين أن اسمه الحقيقي فيكتور زار اديل صانوا ، وهو مايدعونا إلى إعادة النظر فيما كتب عنه اعتمادا على أقواله بعد أن أخفى اسمه الحقيقي وأشياء كثيرة ، وادعاءه بأن أمه ولدته مسلما هبة منها للإسلام والمسلمين . انظر إبراهيم عبده : أبو نظارة ص 40 .

L'Occhialino ومعناها (النظارة) ، ثم أصدر بعد ذلك صحيفة LE Bavard Egyptien أي (الثرثار المصري) ، ويقول ابن صنوع : إنها كانت تصدر بثماني لغات ، وأنها كانت أوسع صحف العصر انتشارا لذا لقيت رواجا في جميع الأوساط ، حتى تنبهت لها الحكومة فأصرت على إغلاقها[12] .

ولم نتمكن – لسوء الحظ – من العثور على أي من صحف ابن صنوع الفرنسية حتى نتمكن من التعرف على اتجاهاتها ، ولكن من المرجح أنها كانت صحفا عامة على مايبدو . أما أولى المحاولات لإصدار صحيفة صهيونية باللغة الفرنسية فترجع إلى عام 1892 على وجه التقريب ، إذ يذكر جوزيف ماركو باروخ في خطاب إلى Theodore Zloszisti في فبراير 1897 . إن ابن شقيق السيدة قرينة أصلان قطاوي فكر – بعد يأسه من أعمامه – في إصدار صحيفة كانت تحمل اسم Le Réveil D'Israél ومعناها (صحوة إسرائيل) كان لها صدى طيب ، ولكن كل ماكان له رنين طيب في الآذان لم يكن قطاوي يسمعه جيدا ، ولذلك أغلق الصحيفة خوفا من أن يتسع صداها[13] .

ويقول باروخ : إنه لدى وصوله إلى الإسكندرية (عام 1896) تساءل عن أسباب عدم وجود صحيفة للطائفة اليهودية في مصر على الرغم من أن اليهود يشكلون الأغلبية في البلاد بعد المسلمين[*] فكانت الإجابة هي : قطاوي .

ويضيف باروخ قائلا : لقد أدركت أن قطاوي المصري هو شيء أكثر إرهابا من الفيتو داخل مجلس الشيوخ الروماني فيما مضى ؛ ولذلك لم أكرر سؤالي بعد ذلك .

ويشير باروخ في رسالته إلى أن شخصا يدعى سلفاتور ليفي قام منذ تسعة أشهر – أي في عام 1896 – بإصدار صحيفة تدعى La Chronique Egyptienne

---

(*)كان الأقباط يشكلون الأغلبية التالية في البلاد بعد المسلمين وليس اليهود .

بوحي من صحيفة « الكرمل » Ha-Carmel التي كان يصدرها باروخ في بلغاريا ، وأن مجموع اشتراكات هذه الصحيفة بلغ ألف اشتراك ، ومع ذلك قام قطاوي بتعطيلها لأسباب سياسية[14] .

ومما لاشك فيه أن هاتين الصحيفتين كانتا ذات اتجاهات صهيونية وإلا ما أقدم قطاوي رئيس الطائفة على إغلاقهما ، ولما استهجن باروخ منه هذا التصرف ، فالصحيفة الثانية – على الرغم من أن اسمها لا يدل على اتجاهها – يقطع صدورها بوحي من صحيفة « هاكارمل » التي أصدرها باروخ في بلغاريا باتجاهها الصهيوني .

مما سبق نستطيع أن نقول : إن العقبة الرئيسية التي اعترضت طريق صدور الصحف الصهيونية في مصر في أواخر القرن الماضي سواء العربية منها أو الفرنسية ، تتمثل في موقف رؤساء الطائفة الذين لم يكونوا قد تبنوا بعد الأفكار الصهيونية ، فقد كانت هناك محاولة سابقة لإصدار صحيفة صهيونية باللغة العربية عام 1890 باسم (نهضة إسرائيل) ، ولكنها تعطلت أيضا بناء على طلب حاخام باشي الطائفة وبعض أعيانها[15] ، وقد تغير هذا الموقف فيما بعد كما سنرى ، فأصبح رؤساء الطائفة يتغاضون عن صدور مثل تلك الصحف أو يشجعون على إصدارها .

ومع حلول مطلع القرن العشرين لقيت الصحافة اليهودية دفعة إلى الأمام ، فقد شهد العقد الأول من هذا القرن صدور عدة صحف باللغتين الفرنسية واللادينو[*] ، منها صحيفة Le Messager Sioniste أي « الرسول الصهيوني » التي أصدرتها « جمعية بركوخبا الصهيونية » بالإسكندرية عام 1901 ثم تحول اسمها في عام 1902 إلى « مباسرت زيون » Mebasserth Zion[16] ، ولكن هذه الصحيفة لم تعش طويلا إذ توقفت عن الصدور بعد فترة وجيزة .

وعلى الرغم من أننا لم نتمكن من العثور على أعداد هذه الصحيفة فإنه كما

(*) اللادينو تحريف لكلمة « لاينو » وهي لهجة أسبانية يتحدث بها اليهود السفارديم .

يتضح من اسمها ، كانت الرسول الصهيوني لأبناء الطائفة .

وحينما أصدر الناشر اليهودي اسحق كارمونا صحيفة « المصرايم »(*) ــ أي مصر باللغتين العربية والعبرية عام 1904 أصدر لها ملحقا باللادينو تحت اسم Jl Calvo ومعناه المفتاح ، وقد توقف هذا الملحق أيضا بعد فترة قصيرة من صدوره مع توقف الصحيفة الأم .

« وأعقب Jl Calvo ظهور صحيفة أخرى باللغة اللادينو خلال الفترة بين عامي 1905 و1908 أطلق عليها اسم Le Vara(**) أي (العصا) ، وعلى الرغم من أن هذه الصحيفة تذكر أنها كانت تصدر في مدينة القاهرة فإن جاكوب لانداو يذكر أنها كانت تصدر في واقع الأمر من مدينة الإسكندرية حيث كان يقيم محررها ابراهام جالانت Abraham Galante . »

« وفي عام 1906 ظهرت صحيفتان أخريان باللغة اللادينو في مدينة القاهرة هما La Tribuna ، وكانت نصف شهرية يحررها شخص يدعى إسحق سيزانا Isac Sisana أما الصحيفة الأخرى فهي LA Luz ومعناها (النور) ويحررها اليعازر ، ميندا Elizer Mindaوقد صدرت كلتا الصحيفتين بضعة أشهر ثم توقفتا عن الصدور[17] » .

مما سبق يمكن القول أن الصحافة اليهودية التي صدرت في العقد الأول من القرن العشرين ، كانت في معظمها ذات اتجاه صهيوني ، فقد أصدرها يهود من أصل غير مصري ، ممن وفدوا على البلاد ، وكانوا أول من استجاب لنداء هرتزل ، ولذلك كان معظمها باللادينو أو الفرنسية ، وهما اللغتان اللتان كان يجيدهما المهاجرون الذين انضموا إلى الطائفة في ذلك الوقت .

(*) كانت صحيفة « المصرايم » تصدر في القاهرة يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان شعارها « السلام والحق علامة المحبة » .

(*) يذكر كتاب Juifs d'Egypte أن هذه الصحيفة كانت يهودية أسبانية تصدر في القاهرة .

ولاشك في أن توقف هذه الصحف بعد فترات قصيرة من صدورها يدلنا على أنها لم تكن تتمتع بشعبية كبيرة ، كما يعطي مؤشرا إلى أن الأفكار الصهيونية لم تكن تلقى قبولا في الأوساط اليهودية المصرية حتى ذلك الوقت .

ولكن مع بدء وصول المفكرين اليهود الصهاينة القادمين من فلسطين إلى مصر ، ومع بدء وصول المهاجرين اليهود من فلسطين وغيرها من دول العالم خلال الحرب العالمية الأولى ، لقيت الحركة الصهيونية دفعة قوية ، فظهر العديد من المطبوعات والدوريات التي عاشت فترات أطول نسبيا ، ففي عام 1910 صدرت صحيفة ناطقة باللغة الفرنسية تدعى Israél[18] ، ومما يؤسف له أنه لم تتوافر معلومات كثيرة عن تلك الصحيفة ، كما أننا لم نعثر على أي من أعدادها .

وقد تلا هذه الصحيفة ظهور صحيفة أخرى ناطقة باللغة الفرنسية عام 1912 ، هي « رفيو إسرائيليت ديجيبت » Revue Israélite D'Egypte ، أي « المجلة الإسرائيلية بمصر » وكانت هذه المجلة هي أول صحيفة صهيونية تنجح في مواصلة الصدور فترة تزيد على سبع سنوات ، حتى إذا ماصدر تصريح بلفور وأعطى النشاط الصهيوني في مصر دفعة قوية بانضمام بعض وجهاء الطائفة وأعيانها إلى الحركة ، خطت الصحافة الطائفية والصهيونية خطوة واسعة إلى الأمام ، وهذا ماسنتناوله بالتفصيل في الصفحات التالية .

* * *

Revue Israélite D'Egypte

« رفيو إسرائيليت ديجيبت »

1918 - 1912

في الأول من مارس عام 1912 شهدت مدينة الإسكندرية مولد صحيفة يهودية تصدر كل خمسة عشر يوما ناطقة باللغة الفرنسية هي مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » Revue Israélite D'Egypte ، أي المجلة الإسرائيلية بمصر « مجلة تاريخية ، فلسفية ، أدبية » تصدر عن « جمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية » « Soaété Pro-Cultura Israélitica » كلسان حال لها وناطقة باسمها[19] ، ويتولى إدارة تحريرها أوجو فرفارا Ugo Farfara .

كانت هذه الجمعية – كما هو واضح من اسمها الناطق بالإيطالية – تتألف من مجموعة من الأعضاء اليهود الإيطاليين بالثغر ، ومع ذلك لم تصدر هذه المجلة لخدمة التجمع الإيطالي داخل الطائفة اليهودية بالثغر – كما قد يبدو للبعض ، أو لتكون مجلة ثقافية متخصصة – كما قد يوحي به شعارها إنما كانت موجهة أساسا إلى الجمهور اليهودي ليس في الإسكندرية فحسب ، وإنما في مصر بصفة عامة ، ولذلك كانت لغتها هي الفرنسية لا الإيطالية واهتمت بالشئون الطائفية لا بالأمور الأدبية والفلسفية .

ونحن إذا ما حاولنا أن نتعرف إلى التجمع الإيطالي السكندري ، الذي كان يقف وراء إصدار هذه المجلة ، فسنجد أنه كان يتألف من بعض الأسر اليهودية العريقة التي برز منها بعض أعيان اليهود في مدينة الإسكندرية وبعض كبار الرأسماليين فيها ، أمثال أسر سوارس ، وأجيون ، ودوبتشوتو ، وكوهين ، وكاسترو ، وسيزانا ، وحزان ، وبيحا ، وبعض أفراد من أسره موصيري الأسبانية الأصل ممن كانوا حاصلين على الرعاية الإيطالية ، وقد كان لهذا التجمع السيطرة

7me Année. ALEXANDRIE, Décembre 1918. Numéro 22-23.

Revue Israélite d'Égypte

Historique, Philosophique, Littéraire.

Organe de la Société "Pro-Cultura Israelitica".

PARAIT LE 15 ET LE 30 DE CHAQUE MOIS.

ABONNEMENTS :

ÉGYPTE :		ÉTRANGER :	
Année..............	P.T. 65	Année..............	Fcs. 20
Semestre...........	» 35	Semestre...........	» 10

Le numéro P.T. 3.

Pour les Annonces s'adresser à la Direction.

صورة رقم (1)

غلاف مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » في عامها السابع

(عدد ديسمبر 1918)

بصفة مستمرة على الطائفة اليهودية ومؤسساتها الإدارية والدينية ، فقد كان إدجار سوارس الذي تدين له المجلة بصدورها بناء على مبادرة مباشرة منه[20] يتولى رياسة محفل « الياهوحنابي بني بريت » ، ثم رياسة الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية عام 1917 ، كما كانت له ميول صهيونية ، فقد شارك في الاحتفال الذي أقامته المنظمة الصهيونية بالإسكندرية بمناسبة صدور تصريح بلفور ، كما شارك في تنظيم بعض الاجتماعات التي كانت ترمي إلى البحث عن سبل تقديم المساعدة ليهود فلسطين ، وهوالذي أرسل برقية إلى لورد روتشيلد رئيس الطائفة الإسرائيلية في لندن عام 1917 ، يطلب إليه السعي لدى الدول الحليفة لإنهاء محنة يهود فلسطين[21] . وكان من بين أعضاء هذا التجمع أيضا أفراد اشتغلوا بالنشاط الصهيوني ، مثل الحاخام ديللا· بيرجولا ، وجوزيف بتشوتو .

وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن إدجار سوارس كان هو صاحب المبادرة المباشرة في إصدار هذه الصحيفة لأمكننا أن نتعرف إلى الهدف الذي أنشئت من أجله وهو خدمة الصهيونية أهدافا ومبادئ ، ولذلك لم يكن غريبا أن تهتم « رفيو إسرائيليت ديجيبت » بمتابعة نشاط الزعماء الصهيونيين في مصر والخارج ، ونشاط الجمعيات اليهودية التي كانت تخدم أغراضا صهيونية مثل : « الدائرة الاجتماعية للجنود اليهود » ، و« لجنة مساعدة لاجئي فلسطين ، و « الصندوق القومي اليهودي » ، و« المنظمة الصهيونية بالإسكندرية » ، والجمعيات الرياضية الأدبية ، التي كان هدفها تهذيب الشباب وتثقيفه ثقافة يهودية في ظل المبادئ الصهيونية .

ونظرا لأن فلسطين كانت تمثل محور العمل الصهيوني خصصت لها المجلة بابا بعنوان Sur La Palestine أي عن فلسطين وكانت تنشر فيه ماتكتبه الصحافة الأجنبية عن تقديم فلسطين بفضل مجهودات الصهيونيين ، كما كانت تنشر بابا آخر تحت عنوان Nouvelles Sionistes أخبار صهيونية ، وكان يتناول أخبار الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وحرصا من المجلة على خلق رابطة بين يهود مصر ويهود الخارج كانت تنشر بابا بعنوان Al'étranger أي في الخارج وكان يختص بأخبار اليهود في الدول الأخرى ، وخاصة تلك التي كانوا يتعرضون فيها للاضطهاد ، وكان الهدف من نشر مثل هذه الأخبار حث يهود مصر على مساعدة إخوانهم ، وقد آتت هذه السياسة ثمارها ممثلة في تأسيس صندوق إعانة يهود فلسطين وسوريا ، وفي المساعدة التي قدمها يهود الطائفة من أجل إنقاذ يهود كيشنيف .

وعلى الرغم من أن هذه المجلة كانت تصدر كل خمسة عشر يوما ، ومن القطع الصغير (22سم طولا و 15,3 سم عرضا) ، فإنها بدأت في عام 1917 تعاني بعض الصعوبات التي نجمت عن الحرب ، مثل أزمة الورق ، وحبر الطباعة ، مما اضطرها إلى الظهور مرة كل شهر خلال الشهور الأخيرة من عام 1917 ، كما لجأت في بداية عام 1918 إلى رفع قيمة الاشتراك السنوي من 50 قرشا إلى 65 قرشا وخفضت عدد صفحاتها من 20 صفحة إلى 12 صفحة وناشدت قراءها قبول هذا الارتفاع المؤقت في اشتراك المجلة ، ووعدت بتعويضهم عن الصفحات التي تم تخفيضها باستخدام بنط أصغر في الطباعة بما يسمح بنشر الكمية نفسها من الموضوعات .

وشرحت المجلة لقرائها أهمية وجودها وضرورة الحفاظ عليها ، فقالت « إذا كان قد تم الاعتراف منذ ست سنوات بضرورة وجود دورية يهودية ، فإن وجودها في الوقت الحالي أصبح حتميا ليس لكي نجعل قراءنا على علم بما يحدث في فلسطين ، وعلى علم بكل تفاصيل الحركة اليهودية في العالم ، بل لكي تسجل الأفكار المختلفة التي تظهر أولا بأول مع نمو الحركة الصهيونية ، ولدراسة رأي القادة المستنيرين ، ولبحث العلاقات التي أوجدها الموقف بين فلسطين والقوى الأخرى[22] .

وأعربت المجلة عن أملها بأن تتمكن قريبا من تعيين مراسل لها في القدس ، ليوافيها ببعض المقالات عن الموقف الفلسطيني ، حتى تتيح للقراء أن يتابعوا عن قرب نشاط اليهود في الأرض المقدسة .

ولكن الشيء الذي لم تقله المجلة صراحة هو أن اليهود كانوا أحوج ما يكونون

في ذلك الوقت إلى مجلة أو صحيفة تنقل اليهم أولا بأول أحداث فلسطين وعلاقتها بالقوى الدولية خصوصا بعد صدور تصريح بلفور الذي اعترف بها وطنا قوميا لليهود ، ولعل في اهتمام المجلة بتعيين مراسل لها في القدس ما يعكس إدراكها أهمية وخطورة المرحلة التي تمر بها الصهيونية واليهودية معا .

في عام 1918 بدأت « رفيو إسرائيليت ديجيبت » عامها السابع مفعمة بالحماس للعمل الذي كرست نفسها من أجله ، ولذلك عقدت جمعية « أنصار الثقافة الإسرائيلية » التي تقوم بإصدارها اجتماعا لدراسة الإجراءات الواجب اتخاذها بالنسبة للمستقبل ، وانتهت إلى تشكيل لجنة تحرير تقرر أن تعقد اجتماعا كل أسبوعين لتبادل وجهات النظر ودراسة الأحداث التي تقع ، حتى يمكن تحديد أهم الموضوعات التي ينبغي نشرها للقراء ؛ لإعطائهم فكرة دقيقة عن الآراء السائدة والظروف التي أوجدتها .

وإدراكا لخطورة المرحلة التي تمر بها اليهودية العالمية قررت اللجنة عودة المجلة إلى الصدور مرتين في الشهر بصورة منتظمة على أن تقوم بنشر بعض الدراسات التاريخية أو الفلسفية أو الأدبية في كل عدد بشرط أن تكون من مصدر يهودي ، ورأت اللجنة الإكثار من نشر أخبار اليهود في الخارج بما يتناسب والفترة التي تمر بها مع الاستمرار في متابعة أخبار الطائفة اليهودية في مصر ، في حين كلفت مسيو إيدلوفيتش بالحصول على مراسلات من فلسطين وتمريرها إلى أسرة تحرير المجلة ..

ورأت اللجنة أن أخبار « أرض إسرائيل » أصبحت تحظى بأهمية خاصة ، ولكنها وجدت أن العمود الإخباري الذي تنشره يسد الفراغ .

وأعلنت « جمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية » أن مجلتها ستظل مستقلة ولن تخضع لأية مؤسسة ، ولن تكون لسانا لأي حزب ، وستظل مخلصة للمبدأ الذي أنشئت من أجله ، ومع ذلك أبدت استعدادها لنشر كل الآراء التي تصلها دون المساس بمشاعر الآخرين .

وانطلاقا من الإيمان بأهمية دور الشباب في حياة الشعوب والأمم قام المسئولون عن تلك المجلة باستخراج الترخيص الضروري من إدارة الصحافة بوزارة الداخلية ؛ لإصدار ملحق شهري خاص بالشبيبة اليهودية وقد صدر العدد الأول من هذا الملحق بالفعل في يناير عام 1918 ، وكان يحرر تحت إشراف الكشافة اليهودية « الحشمونيون »(*) بالإسكندرية ويتم توزيعه على هيئات الكشافة فقط ، ولذلك لم يكن مدرجا ضمن الاشتراك في المجلة . وكان هذا الملحق يهتم بالرياضة والصحة ـ على حد قول المجلة الأم ـ ووعد بنشر بعض الموضوعات التاريخية وبعض المقالات بقلم الشباب أنفسهم .

ولم يكد يمضي وقت قصير على هذه البداية الطيبة حتى وقعت الأزمة التي نعتقد أنها كانت وراء اختفاء المجلة .

ففي عدد 15 مايو سنة 1918 نشرت « رفيو إسرائيليت ديجيبت » مقالا بعنوان « القدس الجديدة » لكاتب أيطالي يدعى فيرارو Ferraro نقلا عن صحيفة إيطالية أثار أزمة كبيرة في الأوساط الصهيونية بمصر ، وأدى إلى استقالة « دافيد إيدلوفيتش » أحد محرري المجلة الذي قال : إن المجلة تستحق أن يطلق عليها بعد نشرها هذا المقال اسم « المجلة المعادية للسامية بمصر » Revue Antisemite d'Egypte لا المجلة الإسرائيلية بمصر » ، واستنكر « إيدلوفيتش » أن تنشر المجلة في مصر وفي ذلك الوقت بالذات مقالا به تلميحات مثل : « الأرض المقدسة كان يسكنها العرب من قبل » و « اليهود تجار » و « أين الفلاحون اليهود » و « الحركة الصهيونية ضارة باليهود » و « العقول الرزينة تتمنى موت الصهيونية قريبا موتا طبيعيا أو في حادث » .

وشارك جوزيف روزنتال في هذه المعركة الكلامية التي أثارها نشر مقال فيرارو ، فبعث برسالة إلى أوجو فرفارا مدير التحرير ألقى فيها باللائمة عليه وعلى « وجمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية » لنشر هذا المقال وللسطحية الشديدة التي يديرون بها المجلة التي كان يجب أن تكون فلسفية ، تاريخية ، أدبية ، واقترح روزنتال على فرفارا الاستعانة ببعض المعاونين الجادين ، إذا كانت مشاغله تمنعه من الاهتمام بالمجلة ، ومع

(*) اسم علم يستخدم للإشارة للملوك المكابيين وهم أسرة من الكهنة حكمت اليهود في فلسطين منذ عام 161 ق . م ، حتى عام 69 ق . م ، ويرى الصهاينة أن المكابيين بعثوا في اليهود الروح العسكرية وحولوهم من شعب مستسلم إلى شعب من الغزاة المقاتلين .

ذلك أعرب عن تضامنه مع مدير التحرير في مواجهة خصومه الذين شنوا عليه هذه الحرب الكلامية ، ولكن من منطلق التسامح وحرية الرأي والتفكير .

وقد عبر روزنتال عن ضراوة الهجوم الذي تعرضت له « رفيو إسرائيليت ديجيبت » لنشرها هذا المقال بقوله : « إنه بدلا من أن يقوم خصومكم بالدراسة والتحليل من أجل إثبات بطلان تأكيدات فيرارو » شنوا ضدكم وضد المجلة ترسانة كاملة من الأسلحة السامة والمتعفنة ، التي ترجع إلى عصور التفتيش المظلمة » .

أما مجلة « لارونيسانس جويف » La Renaissance Juive فقد نشرت مقالا بتوقيع M . P . أعرب فيه كاتبه عن رغبته في أن تتوقف « رفيو إسرائيليت ديجيبت » عن نشر مقالات مشابهة في المستقبل ، ويبدو من رد أوجو فرفارا أن محرر « لارونيسانس جويف » حاول الإقلال من شأن الأعمال التي تقوم بها « جمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية » .

ومن ناحية أخرى زعمت مجلة « لارونيسانس جويف » أن بعض أعضاء « جمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية » وجدوا من الضروري أن يتخلوا عن مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » ، وأنه من المنتظر أيضا حدوث تصدع في العلاقات القائمة بينها وبين محفل ألياهو حنابي ، الذي كان يتولى المجلة بالحماية والرعاية .

وقد رد فرفارا على مجلة « لارونيسانس جويف » بأنه لايعرف أن أحدا قدم استقالته من المجلة سوى مسيو إيدلوفيتش ، وأنه على العكس مما تزعم ازداد عدد أعضاء جمعية « أنصار الثقافة الإسرائيلية » منذ تلك الأزمة ، وأكد أن مجلته التي كانت تحظى دائما بعطف محفل بني بريت سعيدة دائما بوقوفه إلى جانبها ؛ لأنه يدافع عن الحق ، وأنه يجدر بمجلة « لارونيسانس جويف » أن تتبين جيدا المعلومات التي تنشرها حتى لا تقع مرة أخرى في مثل هذا الكذب الفاضح .

وتشير الأعداد المحفوظة من هذه المجلة في دار الكتب والوثائق القومية إلى أنها ظلت تصدر حتى ديسمبر1918 ، ولاندري إن كانت قد توقفت بعد عدد ديسمبر أم أنها واصلت الصدور ، إلا أن بعض الدراسات السابقة تشير إلى أنها توقفت في

عام 1918 دون أن تذكر أسباب توقفها[19] .

ويبدو أنه بذلت محاولات في أوائل العشرينيات من هذا القرن لإعادة إصدار هذه المجلة ، إذ تذكر « لارفيو سيونسيت » عام 1923 أن مجلة « رفيو إسرائيليت ديجبيت » سوف تبعث من جديد تحت إدارة جديدة ، وأنها قد تخصص بابا صهيونيا للتعبير عن « مشاعرنا »[20] ، ولكن يبدو إنه لم يكتب النجاح لتلك المحاولات ، حيث إننا لم نجد ما يشير إلى عودتها إلى الصدور مرة أخرى .

* * *

La Renaissance Juive

« لارونيسانــس جويــف »

1916

وقبل أن تتوقف مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » عن الصدور بما يقرب من عامين ، شهدت مدينة القاهرة مولد صحيفة يهودية جديدة ناطقة باللغة الفرنسية هي « لارونيسانس جويف » La Renaissance Juive أي النهضة اليهودية ، وقد أصدرت هذه الصحيفة الطائفة اليهودية بالقاهرة لتكون ناطقة بلسانها ، وتتولى الدفاع عن مصالحها والتعبير عن رأيها[21] .

وعلى الرغم من أن موريس فرجون يذكر في كتابه Les Juifs en Egypte أن هذه الصحيفة صدرت في عام 1917 ، فإننا عثرنا أخيرا على صورة فوتوغرافية للصفحة الأولى من العدد الأول من مجلة لارونيسانس جويف » في عامها الثاني بتاريخ الأول من يوليو عام1917[22] ، الأمر الذي يؤكد لنا أن هذه الصحيفة صدرت في يوليو عام 1916 وليس في عام 1917 ، كما يذكر موريس فرجون ، وأحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف في كتابهما « اليهود والحركة الصهيونية في مصر 1897 - 1947 » .

وتشير افتتاحية هذا العدد إلى أن ضرورة إصدار صحيفة يهودية قد فرضت نفسها خصوصا في الوقت الذي بدأت فيه كتابات متعددة الألوان والمشارب تتناول الطائفة ، واستنكرت الصحيفة عدم امتلاك طائفة كبيرة العدد مثل الطائفة اليهودية الوسيلة التي تكفل لها إبراز وجودها ، كما انتقدت اختفاء الطائفة وراء تواضع يتعذر تفسيره أو تبريره .

وتمضي المجلة مؤكدة « أن الحاجة إلى صحيفة في الوقت الحاضر تفرض نفسها ،

وخصوصا عندما يكون لدى القوميات الصغيرة أمل في تحقيق أمانيها ؛ ولهذا فإننا نقدم للسكان اليهود بمصر هذه المجلة ، ونرجوهم استخدامها على نطاق واسع .

إن صفحاتنا مفتوحة أمام كل الآراء المعنية بالنهضة القومية شريطة أن تكون صادرة عن اقتناع ، كما أننا سننشر دون تحفظ المناقشات الحرة ؛ لأننا نتمسك بكلمة « اقتناع » التي بواسطتها يستطيع المثل الأعلى الذي نتمسك به أن ينتصر .

ونظرا لأن الباحثة لم تعثر على أية نسخ من تلك المجلة سواء في دار الكتب المصرية أو في المكتبات الخاصة التي ترددت عليها في أثناء إعداد هذا البحث ، فإنه لم تتوافر أكثر تفصيلا عن سياسة الصحيفة أو عن تاريخ توقفها عن الصدور ، إلا أن موريس فرجون يشير في كتابه السابق ذكره إلى أن هذه الصحيفة لم تعش أكثر من عامين أو ثلاثة ، وعلى أية حال فقد ثبت لدينا أن « لارونيسانس جويف » ظلت تصدر حتى عام 1918 ، فقد أشرنا آنفا إلى أنها شاركت في الهجوم على مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » بسبب نشرها مقال « القدس الجديدة » .

على أن الذي يعنينا هنا هو أن « لارونيسانس جويف » كانت أول صحيفة تمتلكها الطائفة اليهودية ، وهذا في حد ذاته يعد دليلا على أن مجلس الطائفة اليهودية تخلى عن تخفظه السابق بالنسبة للنشاط الصهيوني ، كما يعد دليلا على أن قطاوي رئيس الطائفة تخلى هو الآخر عن معارضته السابقة ؛ لإصدار الصحف ذات الميول الصهيونية ، وليس أدل على ذلك من أن هذه المجلة تعلن أنها صدرت من منطلق حاجة القوميات الصغيرة إلى تحقيق أمانيها ، وليست هذه الأماني سوي الرغبة في تحقيق الاستقلال ، كما أن المثل الأعلى الذي تتحدث عنه كان رمزا للهدف الصهيوني الذي يسعى إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين .

وقبل أن نختتم حديثنا القصير عن مجلة « لارونيسانس جويف » تجدر الإشارة إلى أنه يبدو أن هذه الصحيفة اعتمدت اعتمادا كبيرا على مساهمات القراء في التحرير ، ومن المرجح أنها فتحت صفحاتها لكل الآراء والمدارس الصهيونية المختلفة ؛ نظرا لأنها أعلنت نفسها لسانا لحال الطائفة الإسرائيلية بكل ماتزخر به من اتجاهات .

La Revue Sioniste

« لارفيـــو سيونيســـت »

1923 - 1918

حينما أسست المنظمة الصهيونية بمصر عام 1917 شعر المسئولون فيها بحاجتهم إلى صحيفة تعبر عن المنظمة شأنها في ذلك شأن باقي الاتحادات الصهيونية في العالم ، فقد تبين لهم أن منظمة بلا صحيفة هي جسد بلا روح[23] ؛ ولذلك شرعوا في اتخاذ الإجراءات الضرورية نحو إصدار مثل هذه الصحيفة ، فحصلوا على ترخيص باسم جاك موصيري رئيس اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر لإصدار مجلة « لارفيو سيونيست » La Revue Sioniste لسان حال أسبوعي للمنظمة ، وتولى رياسة تحريرها ليون كاسترو نائب رئيس اللجنة المركزية[24] .

صدر العدد الأول من مجلة « لارفيو سيونيست » يوم الجمعة الموافق 4 يناير 1918 ، وكان ذلك في عهد وزارة حسين رشدي الثالثة (10 أكتوبر 1917 - 9 أبريل 1919) التي كان هو نفسه يشغل فيها أيضا منصب وزير الداخلية[25] .

وقد صدرت « لارفيو سيونيست » في بادئ الأمر على شكل نشرة من أربع صفحات طولها 31,8 وعرضها 24,7 سم ، مقسمة إلى عمودين وتباع النسخة بخمسة مليمات .

وقد لاقت المجلة حال صدورها ترحيبا من زميلة صهيونية أخرى ناطقة بالفرنسية هي « رفيو إسرائيليت ديجيبت » التي أثنت عليها لظهورها في ذلك الوقت المناسب ، وتمنت لها حياة طويلة ناجحة ، كما لقيت ترحيبا من السلطات البريطانية في القاهرة ، فقد بعث السير ريجنالد وينجت Reginald Wingate المندوب السامي البريطاني في مصر رسالة إلى جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية – نشرتها المجلة في عددها

الأول – أعرب فيها عن أطيب أمنياته بالنجاح ، كما أعرب عن رغبته في أن تقوم « لارفيو سيونيست » بتوعية جمهورها باحتياجات اليهود الذين عانوا كثيرا ، وأن تحث القراء على المساهمة بسخاء من أجل رفع معاناتهم[26] .

من ناحية أخرى رحب الضابط اليهودي الكابتن بنتويش Bentwich بالمجلة وبعث إلى إدارتها رسالة من فلسطين قال فيها :[27]

« لم أسعد بعد بتلقي نسخة من « لارفيو سيونيست » ولكنني سررت بصدورها ؛ إنها دليل جديد على نهضة الروح اليهودية في مصر ، إن الساعة التي كنا ننتظرها منذ عشرين عاما ستدق حيث سنستطيع أخيرا أن نعمل معا متضامنين ودون ملل . وفي انتظار ما نستطيع عمله ينبغي لنا أن نتعلم ونتثقف ، وأن نرسي القواعد العريضة للعمل الذي يجب علينا غرسه في نفوس إخواننا وقلوبهم ، وأعتقد أن هذه هي المهمة التي ستقوم « لارفيو سيونيست » بإنجازها إذا كنا سنعمل بنشاط وحماس لنشرها .

« وقديما قال حكماؤنا : إن من ينقذ إنسانا كمن ينقذ البشرية ، وبالمثل فإن من يكسب يهوديا واحدا إلى الإيمان الصهيوني كمن ينقذ الأمة .

« إنه لمتنفسي يومي بالنسبة لي أنا الذي أعيش في بلاد إسرائيل ، أن أتأمل جمال يهودا الجديدة ، وأن أستمع من كل الجهات عن ضباط وجنود بريطانيين يندهشون من العمل الذي أنجزه روادنا في فلسطين .

« إنهم يصيحون : لو أن فلسطين كلها كانت مثل مستوطناتكم !! » .

« بعون الله ، وإذا كنا سنظل صادقين مع أنفسنا ، فإن فلسطين كلها ستكون مثل اليشوف[*] في أسرع وقت ، كما ستتحقق نبوءة استعادتنا أرضنا الموعودة » .

ونظرا لأن المجلة كانت تنطق بلسان فرع المنظمة الصهيونية العالمية بالقاهرة وجاء صدورها بعد تصريح بلفور الذي نص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ،

(*) اليشوف كلمة عبرية تعني التوطن أو السكن ، وهي تشير إلى الجماعات اليهودية التي استوطنت فلسطين لأغراض دينية ، وعاشت على الصدقات التي كان يرسلها لها يهود الدياسبور ! وتستخدم الكتابات الصهيونية كلمة « اليشوف » لتوحي بأن ثمة استمرارا يهوديا على أرض فلسطين عبر التاريخ .

فقد أعلنت تبنيها صراحة للبرنامج الصهيوني ، واتخذت لنفسها هذا الشعار بالإضافة إلي رسم لنجمة داود :

« Le Sionisme a Pour but de Créer en Palestine au peuple juive un foyer garanti par le droit public » .

« إن هدف الصهيونية إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام »[28] .

وقد مرت « لارفيو سيونيست » خلال فترة صدورها بعدة تغييرات ، فقد كانت تصدر في أربع صفحات في بداية عهدها – كما ذكرنا – وكانت المقالات والموضوعات تحتل ثلاثا منها ، أما الصفحة الرابعة ، فكانت مخصصة للأخبار التي كانت تنشرها تحت عنوان « أخبار متنوعة » Nouvelles Diveses ، وكانت هذه الأخبار تتركز حول النشاط الصهيوني في فلسطين ومصر ، وأخبار اليهود في العالم ، أما المقالات والتعليقات فكانت تتناول كل مايهم اليهود والصهيونية وبخاصة الوطن القومي .

وقد جاءت المجلة في تلك المرحلة خالية من أية إعلانات ، ومعنى ذلك أنها اعتمدت على المنظمة الصهيونية اعتمادا كاملا في تمويلها .

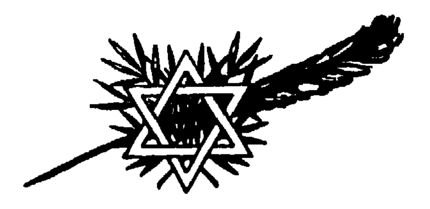
ويبدو أن « لارفيو سيونيست » تلقت دفعة قوية فيما بعد ، إذ تشير الأعداد التي تم العثور عليها إلى أنها كانت تصدر في عام 1920 في اثنتي عشرة صفحة ، وكان غلافها أحمر اللون ويحمل في رأسه اسم الصحيفة وشعارها في حين احتلت الإعلانات باقي مساحة الغلاف ، ولاندري لماذا لجأت المجلة إلي نشر الإعلانات على غلافها الخارجي ، وإن كنا نرجح أنها لجأت إلى هذا الأسلوب من أجل إيجاد بعض الإيرادات التي تساعدها على المضي في طريقها ، ومع ذلك فإن المجلة لم تستمر طويلا على هذا الشكل ، إذ طرأ عليها تعديل جديد ابتداء من العدد الصادر في 5 نوفمبر 1920 ، تمثل في استخدام نوعية أفضل من الورق وحروف طباعية أكبر ، وتم الاكتفاء بنشر اسم المجلة وشعارها فقط على الغلاف الخارجي في حين اختفت

[illegible] Année — No 26
17 Décembre 1920

Prix du numéro
25 millièmes

LA REVUE SIONISTE

השקפה ציונית



LE CAIRE
35 RUE [illegible]
1920

صورة رقم (4)
غلاف لارفيو سيونيست
في 17 ديسمبر 1920

الإعلانات منه .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التغيير طرأ بعد عودة ليون كاسترو رئيس تحريرها من المؤتمر الصهيوني العالمي في ذلك العام والذي عين ضمن سكرتيريه .

وفي عام 1921 أعلنت « لارفيو سيونيست » نفسها ناطقا بلسان « الاتحاد الصهيوني بمصر » Organe de la Fédération Sioniste d'Egypte بعد أن كانت ناطقة بلسان « المنظمة الصهيونية بمصر » Organe de l'Organisation Sioniste d'Egypte وقد بدأت تصدر في 23 صفحة فيما عدا صفحتي الغلاف .

كان من الطبيعي – وقد ازدادت صفحاتها – أن تتسع المجلة لاستيعاب أبواب جديدة ، فعلى سبيل المثال أبدت المجلة اهتماما كبيرا بالأخبار ، فاحتلت في معظم الأحيان اثنتي عشرة صفحة من العدد الواحد ، وكانت تنشر تحت أبواب ثلاثة رئيسية هي :

– باب أخبار محليةChronique Localeأو Information Nouvelles Locales وكان يختص بأخبار النشاط الصهيوني في مصر ، وبخاصة نشاط المنظمة الصهيونية ، بالإضافة إلى أخبار الطائفتين الإسرائيليتين في القاهرة والإسكندرية .

– باب أخبار فلسطين Nouvelles de Palestine ، وكان يتناول أخبار المستوطنات اليهودية في فلسطين ، وأخبار الطوائف اليهودية هناك ، والإنجازات التي يحققها المهاجرون اليهود ، وأخبار المصادمات التي تقع بين العرب واليهود في فلسطين ، ولكن من وجهة النظر الصهيونية التي كانت تقوم بتصوير العرب على أنهم المعتدون دائما .

باب أخبار من الخارج Nouvelles de l'Etranger ، وكانت تنشر فيه أخبار اليهود في بلدان العالم الأخرى وما يحققونه من إنجازات أو انتصارات ، وما يتعرضون له من اضطهادات ، وكانت تبدي اهتماما خاصا بأخبار نشاطهم من أجل الوطن القومي .

وكان من بين الأبواب الثابتة في « لارفيو سيونيست » باب آخر باسم

Bulletin de Quinzaine ، وكان بمثابة المقال الافتتاحي الذي يعبر عن رأي المجلة في الأحداث الجارية وموقفها من تلك الأحداث ، وكان ليون كاسترو هو الذي يحرر هذا الباب في أغلب الأحيان ، وفيما عدا ذلك كانت بقية الصفحات تخصص للمقالات والأحاديث والموضوعات المختلفة .

وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تزايد فيه عدد صفحات المجلة تناقصت مساحات صفحاتها إذ بلغ طول الصفحة 24 سم وعرضها 16,8 سم ، كما تحولت المجلة إلى « نصف شهرية » بعد أن كانت أسبوعية .

وإذا كانت « لارفيو سيونيست » قد أعلنت تبنيها للبرنامج الصهيوني الذي يسعى إلى إقامة وطن لليهود في فلسطين فقد كان من الطبيعي أن تولي موضوعات كالهجرة وجمع التبرعات جل عنايتها واهتمامها باعتبارها العمود الفقري لهذا الوطن ؛ ولذلك وجدناها تهتم كثيرا بنشاط مكاتب الهجرة في القاهرة والإسكندرية ، وبفرع الصندوق القومي اليهودي الذي كان يمثل إحدي الهيئات المستقلة داخل المنظمة الصهيونية بمصر ، فتخصص له بابا ثابتا في نهاية كل عدد من أعدادها لنشر كل مايتعلق بنشاطه .

و لم يقتصر دعم « لارفيو سيونيست » للصندوق القومي علي مجرد منحه بابا ثابتا علي صفحاتها ، بل امتد هذا الدعم ؛ ليشمل الدعاية المكثفة ، التي كانت تقوم بها لصالح الصندوق من خلال المقالات والنداءات ، التي كانت تستهلك مساحة كبيرة من صفحات المجلة ، مما دفع د . جيتلمان مدير مكتب الصندوق القومي في القاهرة إلى الاعتراف بفضلها إذ يقول :

« لقد وزعنا نشرات متنوعة على ألف من العناوين ولكن هذه الدعاية المباشرة لم تكن مجدية بالنسبة لعائداتنا ، ولذلك فإننا نقوم بدعايتنا بالفعل من خلال « لارفيو سيونيست » ، وإذا درسنا الاثني عشر عددا الأخيرة من المجلة فسنجدها كلها أدبا عن الصندوق القومي[29] .

وهكذا نشأت علاقة وثيقة بين « لارفيو سيونيست » و الصندوق القومي اليهودي أملتها طبيعة التنظيم الصهيوني في مصر في ذلك الوقت ، فقد كان مكتب

الصندوق القومي اليهودي يمثل أحد الأقسام داخل المنظمة الصهيونية ، وكان مدير هذا المكتب عضوا في اللجنة المركزية لتلك المنظمة ؛ ولذلك كان من الطبيعي أن تضع المجلة نفسها في خدمة هذا المرفق الحيوي بالنسبة للحركة الصهيونية ، كما كان يتعين على الصندوق القومي من ناحية أخرى أن يرعي المجلة ليس بوصفها لسان حال المنظمة التي ينتمي إليها فحسب ، ولكن بوصفها لسانا لحاله أيضا .

وقد ترتب على تلك العلاقة أن « لارفيو سيونيست » لم تقف جهودها على مجرد الدعاية للصندوق القومي ، وإنما تجاوزتها إلى المساهمة الفعلية في جمع التبرعات من الجمهور اليهودي في البلاد ، فقد كان بعض مندوبي المجلة في مدن مصر وأقاليمها ـ أمثال مسيو ناثان ممثل المجلة في دمنهور ـ يعملون في الوقت نفسه مندوبين للصندوق القومي ، ويقومون بجمع التبرعات له داخل مناطق عملهم .

ولقد أدرك الصندوق القومي أهمية المجلة بالنسبة له ، كما وعى جيدا أن رواجها كان يعني دعما لإيراداته وأمواله ؛ ولذلك عبر الصندوق عن تلك العلاقة الوثيقة بين شعبية المجلة وزيادة إيرادات الصندوق في البيان الذي أصدره بهدف حث القراء والمسئولين في الطائفة على العمل من أجل زيادة توزيع المجلة إذ يقول :

« إن مصالح الصندوق القومي اليهودي ترتبط ارتباطا وثيقا بمصالح « لارفيو سيونيست » ..

« فلدى مجلتنا بالفعل 2000 اشتراك ، ويقرؤها على الأقل عشرة آلاف يهودي في مصر والبلدان المجاورة ، لذلك فكلما ازدادت شعبية مجلتنا ، ازدادت إيرادات الصندوق القومي .

« إن دراسة موجزة لقوائم إيراداتنا المنشورة في المجلة في الخامس عشر من كل شهر تشير إلى أن عدد المتبرعين يزداد بزيادة توزيع « لارفيو سيونيست ، وهذا يثبت مرة أخري أن بذل مزيد من العمل من أجل زيادة توزيع مجلتنا يشكل عملا مباشرا لصالح الصندوق القومي » .

مكتب الصندوق القومي اليهودي بمصر

وانطلاقا من إدراك الصندوق القومي اليهودي أهمية « لارفيو سيونيست » بالنسبة له ،. بدأ مندبوه في الترويج لها بين أفراد الطائفة ، وقد أسفر هذا الجهد عن نجاحهم في جلب أكثر من مائة مشترك فيها حتى عام 1921 .

وإلى جانب القيام بدعم نشاط الصندوق القومي ، ونشر الأفكار الصهيونية بين الجمهور اليهودي ، قامت « لارفيو سيونيست » بحث أبناء الطائفة على الانضمام إلى المنظمة الصهيونية سواء من خلال النداءات التي كانت توجهها إليهم على صفحاتها ، أو من خلال طلبات الانضمام التي كانت ترفقها أحيانا بأعدادها .

وعلى الرغم من أن المجلة فشلت في جذب مزيد من الجماهير اليهودية ، للانضمام إلى عضوية المنظمة الصهيونية ، خصوصا في الفترة العصيبة التي مرت بها في عام 1923 ، فإنها تدعي بأن جهودها لم تذهب أدراج الرياح ، وبأنها لم تكن كمن يصرخ في البرية ، وإنما ظهر تأثيرها في تشكيل بعض التنظيمات الصهيونية التي تعمل في إطار البرنامج الذي تعمل له المجلة في المدن المصرية ، وتقدم المجلة الدليل على صدق ادعائها ، فتعلن عن تشكيل منظمة صهيونية في مدينة المنصورة ، تولى رياستها أعيان اليهود في المدنية ، وعن تشكيل لجنة عمل صهيونية في مدينة طنطا من الأسماء التي حققت نجاحا في المشرعات القومية – على حد قولها .

وقد نشرت المجلة نص الخطاب الذي أرسله رئيس اللجنة الصهوينة الإقليمية بطنطا إلى رئيس المنظمة بمصر والذي يقول فيه : « بعد النداء الذي وجهته « لارفيو سيونيست » بضرورة أداء الواجب قاموا بتشكيل هذه اللجنة ، وأنها لكي تكون على اتصال مباشر بمن سيرشدونها إلى إنجاز مهمتها ، رأت أن تحمل اسم « المنظمة الصهيونية » .

وإلى جانب هذه الخدمات والمهام التي أدتها « لارفيو سيونيست » للحركة الصهيونية ، قامت بدور الرابطة التي تجمع الصهيونية في مصر وتجعلهم على اتصال

دائم بينهم وبين منظمتهم .

على أن دعم المؤسسات الصهيونية التي تتولى مسئولية جمع التبرعات وشراء الأراضي في فلسطين وتهجير اليهود ظل يحظى بالاهتمام الأول من المجلة وربما يرجع ذلك إلى فكر رئيس تحريرها الذي كان يعد المسئول الأول عن رسم سياستها ، فقد كان ليون كاسترو أحد تلاميذ هرتزل وماكس نوردو(*) المخلصين ، ولذلك كان واحدا من أنصار الحزب السياسي والاقتصادي الهرزلي ليس داخل المنظمة الصهيونية في مصر فحسب ، وإنما داخل المنظمة الصهيونية العالمية أيضا ، وكان هذا الفريق يرى إنشاء كومنولث يهودي(*) في فلسطين ، وإعطاء الوطن القومي أسسا اقتصادية يقوم عليها النظام السياسي فيما بعد ، ولهذا السبب كان كاسترو على خلاف دائم مع أعضاء اللجنة التنفيذية في لندن ، فقد اعتقد أنهم إنما يريدون إقامة مركز ثقافي في فلسطين ، ويرضون بمجرد يشوف Yechoub يتعهده يهود الدياسبورا - أي الشتات - على أساس خيري .

وقد اشتدت حدة الخلاف بين كاسترو واللجنة التنفيذية في أعقاب الاجتماع السنوي الذي عقدته المنظمة الصهيونية العالمية في لندن ، في يوليو عام 1920 ، والذي كان مقدمة لخروج ليون كاسترو من المنظمة الصهيونية في مصر .

(*) ماكس نوردو مفكر ألماني وزعيم صهيوني سياسي ، تعرف على هرتزل الذي فاتحه في فكرة الدولة الصهيونية فوافق عليها ، وقد ألقى نوردو الخطاب الافتتاحي عن وضع اليهود في العالم خلال المؤتمر الصهيوني الأول ، ولعب دورا بارزا في صياغة برنامج بازل . كان نوردو يعتبر نفسه تلميذا لهرتزل ، وقد ظل طيلة حياته معاديا للصهيونيين العمليين والثقافيين ، مطالبا بتركيز الجهود على خلق دولة صهيونية في أقرب وقت ممكن ، بحيث يحميها القانون الدولي العام (نقلا عن موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل) .

(*) الكومنولث اليهودي اصطلاح يستخدم للإشارة إلى الفترة التي ارتبط فيها تاريخ فلسطين بوجود يهودي وقد عرف بن جوريون كلمة كومنولث يهودي في مذكراته بأنها تعني جمهورية ، وأنه يمكن استخدامها بالنسبة لدولة مستقلة ذات سيادة أو لدولة ضمن اتحاد فيدرالي يضم دولا أخرى .. الخ . ولاشك أن استخدام كلمة كومنولث يهودي كان يرمي إلى تخفيف أثر المطالبة المكشوفة بإنشاء الدولة اليهودية . (نقلا عن موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل) .

يقول ليون كاسترو : إنه وجد هو وبعض الأعضاء أن القرارات التي اتخذها هذا الاجتماع لا تؤدي إلى بناء وطن قومي يهودي ، ولذلك اجتمعوا للبحث في إقامة حزب صيهوني جديد يطلق عليه اسم « منظمة هرتزل » Herzl Organisation وينص برنامجه على أن الصهيونية يجب أن تقود نحو المبادئ الهرزلية[30] .

وعلى الرغم من أنه لم يُعرف أنه تم تأسيس هذا الحزب أم لا ، فإن ليون كاسترو بدأ هجومة على اللجنة التنفيذية في لندن فور عودته إلى مصر .

ففي أبريل عام 1921 انتهز ليون كاسترو فرصة استقالة اثنين من أعضاء اللجنة التنفيذية في لندن البالغ عددهم خمسة أعضاء وبدأ حملة على اللجنة تحت العناوين التالية : أزمة اللجنة التنفيذية La Crise de I'executif أو « الأزمة » La Crise .

ولأن معظم أعضاء اللجنة المركزية بالقاهرة لم يوافقوا على أفكار كاسترو ، ولا على الهجوم الذي شنه على اللجنة التنفيذية بزعامة حاييم وايزمان وناحوم سوكولوف ، غادر ليون كاسترو المنظمة حيث قام بإصدار صحيفة « لاليبرتية » الوفدية في 15 سبتمبر عام 1921[31] .

وقبل مغادرته اقترح كاسترو وعضوان آخران من اللجنة المركزية تعيين محرر بأجر للمجلة الصهيونية على أن يكون في الوقت نفسه سكرتيرا عاما للمنظمة الصهيونية ، وقد تمت الموافقة على اقتراح كاسترو ، واختير لوسيان شوتو(*) Lucien Sciuto رئيسا لتحرير « لارفيو سيونيست » على الرغم من معارضة الأعضاء الذين لم يتوسموا فيه الموهبة والجدارة – على حد قول ألبرت موصيري – ومع ذلك فقد انتهى الأمر بتحرير عقد معه مقابل راتب شهري قدره ثلاثون جنيها مصريا .

(*) يذكر موريس فرجون في كتابه Les Juifs en Egypte أن جاك مالح هو الذي تولى رياسة تحرير « لارفيو سيونيست » بعد ليون كاسترو وهذا غير صحيح ، إذ تولى رياسة تحريرها كما رأينا لوسيان شوتو صاحب جريدة « لورور » L'Aurore التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

وتجنبا لوقوع أي نوع من سوء الفهم بين شوتو واللجنة المركزية قام بدعوتها إلى اجتماع خاص للاتفاق وقادة العمل الصهيوني في مصر على الخط الذي يتعين على المجلة اتباعه ، وللتعرف إلى طبيعة عمله كسكرتير عام للمنظمة وكرئيس للتحرير في « لارفيو سيونيست » .. وفي نهاية الاجتماع اقترح عليه أحد الأعضاء الاستعانة بمسيو جارباتش في تحرير المجلة مقابل عشرة جنيهات شهريا فوافق[32] .

وبعد مرور شهرين على تعيين شوتو أجريت انتخابات داخل المنظمة الصهيونية في مصر ، واتخذت اللجنة المركزية الجديدة قرارا بتشكيل لجان مختلفة لتقسيم العمل للحصول على أفضل النتائج ، وتم تكليف رئيس كل لجنة بمد السكرتير العام للمنظمة ـ لوسيان شوتو ـ بكل الأخبار والمعلومات التي تهم الجمهور الصهيوني لنشرها في المجلة .

ولتحقيق نوع من التنسيق بين أعمال هذه اللجان ، ولإحاطة شوتو علما بنشاطها كانت هذه اللجان تعقد اجتماعاتها في مقر المنظمة الصهيونية وتدعو شوتو إلى حضورها .. كما تم الاتفاق على أن يقوم بزيارات لكبار الشخصيات يرافقه أحد أعضاء اللجنة المركزية لتوسيع دائرة انتشار المجلة وكسب الأنصار .

وكان من نتيجة هذه الجهود أن اكتسبت المجلة كما يقول ألبرت موصيري ـ مظهرا جميلا وإدارة حسنة وتحريرا مثاليا ، وأخبارا صهيونية دقيقة وحديثة ... ومع ذلك لم يرتفع عدد الاشتراكات إلا قليلا مما أثار قلق أعضاء اللجنة المركزية الذين كانوا يتوقعون ارتفاع توزيعها بعد كل الجهود التي بذلت ، ولذلك بدأت المناقشات تحتدم في اجتماعات اللجنة المركزية حول هذا الموضوع .

وفي محاولة لوقف هذا التدهور يبدو أنه تم الاستغناء عن خدمات لوسيان شوتو ، إذ يشير التقرير السنوي للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بالقاهرة إلى أنه ابتداء من الأول من يناير 1923 وافق د . جيتلمان ومسيو جارباتش على نشر المجلة تحت مسئوليتهما وتحمل جميع التبعات بمساعدة أعضاء من اللجنة المركزية ، وقد تولى مسيو جارباتش في إطار هذا التنظيم الجديد مسئولية التحرير في حين تولى د . جيتلمان مسئولية الإدارة[33] .

وبعد إجراء الانتخابات السنوية للجنة المركزية في مايو عام 1923 تم تعيين شولال ومسعودة مراقبين للمجلة ، في حين تولى جارباتش رئيس التحرير مسئولية السكرتارية العامة للمنظمة وفقا للتنظيمات الجديدة .

وقد ترتب على هذه التطورات انتقال الترخيص الذي مُنحه في البداية جاك موصيري ، ثم جوزيف شيكوريل ، وليون كاسترو إلى مجموعة من أصحاب الامتياز[34] دون أي اعتراض من السلطات المصرية ، خصوصا بعد صدور المجلة وظهور اتجاهها ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن المسئولين المصريين الذين تعاقبوا على الحكم خلال هذه الفترة انشغلوا بقضية الاستقلال وبالمفاوضات مع انجلترا من أجل تحقيق الجلاء ، وفضلا عن ذلك فإنهم لم يكونوا قد أدركوا خطورة أبعاد المخطط الصهيوني أضف إلى ذلك أن الحركة الصهيونية في ذلك الوقت كانت تحظى بدعم الرأسمالية اليهودية التي ارتبطت بمصالح وعلاقات وثيقة ببعض الرأسماليين وكبار الملاك المصريين ممن تولوا بعض المناصب الوزارية خلال تلك الفترة .

على أية حال فإن كل المحاولات السابقة لم تفلح في وقف التدهور الذي عانت منه « لارفيو سيونيست » ، ففي الأول من أغسطس 1923 أعلنت المجلة لقرائها أن مسيو جارباتش سيستقيل من عمله كرئيس لتحريرها ابتداء من العدد القادم ، بسبب أعباء أعماله الشخصية والاجتماعية المتعددة ، وأن المجلة ستصدر نتيجة لذلك تحت إدارة جديدة .

على أننا لم نعثر على أية أعداد من « لارفيو سيونيست » بعد ذلك ، مما يجعلنا نرجح أنها توقفت عن الصدور بعد العدد الصادر في الأول من أغسطس 1923 ، وهكذا توقف لسان حال المنظمة الصهيونية بعد فترة دامت ما يزيد على خمس سنوات ونصف .

وقد تساءل لوسيان شوتو رئيس تحريرها السابق ، وصاحب جريدة « لورور الناطقة بالفرنسية عن السبب في توقف « لارفيو سيونيست » بعد أن أعلنت على غلافها أنها وصلت إلى 2000 اشتراك وعشرة الآف قارئ ، كما تساءل عن مصير

الأموال التي دفعها القراء في صورة اشتراكات وما شابه ذلك ، ولم يلبث شوتو أن حمل اللجنة المركزية الصهيونية مسئولية توقفها فكتب يقول :

« إن هذه اللجنة لم يعد لها وجود من وجهة نظرنا .. لقد انتحرت منذ وقت طويل فلم يعد لها سلطة أو تأثير .. إن أعمالها بدلا من أن ترفع من شأن الصهيونية ، حقرت منها ، لقد أضعفت معنويات العناصر الممتازة التي كان يمكن الاعتماد عليها .. جلساتها التي كان ينبغي أن تخصص لحل المشكلات ، خصصت للمشاجرات الشخصية .. إنهم يتشاجرون لأن هذا سفارادي وذاك اشكنازي أو قرائي لم يستطيعوا التحرر من هذه النقائص على الرغم من المهمة المقدسة التي يجب أن نتعاون لإنجازها ، فكيف لنا إذن أن نأمل شيئا من وراء هذه التناقضات ؟ » .

وقد انبرى ألبرت موصيري – أحد أعضاء اللجنة المركزية الذين حملهم لوسيان شوتو مسئولية توقف « لارفيو سيونيست » – للرد على صاحب جريدة « لورور » في سلسلة من المقالات نشرها في الطبعة الفرنسية من صحيفته المسماة « إسرائيل » Israél تحت عنوان (قصة مؤامرة) L'Histoire d'une Intrigue وعلى الرغم من أن موصيري بدأ يروي قصة توقف « لارفيو سيونيست » فإنه توقف عن استكمال القصة دون إبداء الأسباب .

على أية حال فإنه يؤخذ من الحلقتين اللتين نشرهما موصيري في « إسرائيل » أنه أرجع السبب في معاناة « لارفيو سيونيست » وتدهورها إلى تخلي ليون كاسترو عنها في أعقاب الأزمة التي وقعت داخل اللجنة المركزية الصهيونية بمصر بسبب هجومه على اللجنة التنفيذية في لندن ..

وفي الواقع فإن تخلي ليون كاسترو عن المجلة لم يكن السبب الوحيد فيما آل إليه حالها ، إذ إننا نستطيع أن نضيف إليه سببين آخرين :

فأما السبب الأول فهو التدهور الذي أصاب الحركة الصهيونية في مصر خلال تلك الفترة نتيجة تخلي أعيان الطائفة عن قيادة العمل الصهيوني – كما رأينا في الفصل الأول – الأمر الذي أدى إلى تحلل المنظمة وتفككها نتيجة لانشغال القائمين عليها

بخلافاتهم الجانبية من ناحية ، ولعدم قدرتهم على الاضطلاع بمسئوليات العمل الصهيوني من ناحية ثانية ، ولإنصراف الجمهور اليهودي عن الاهتمام بالمنظمة ونشاطها من ناحية ثالثة ، خصوصا بعد أن بدأت شعلة الحماس التي اتقدت في نفوس الكثيرين منهم بعد صدور تصريح بلفور وقرارات سان ريمو تخبو تدريجيا ، ولهذا بدأنا نسمع عن اتهامات من الصحافة الصهيونية في مصر للجمهور اليهودي باللامبالاة إزاء المشروعات الصهيونية .

وأما السبب الثاني فهو مشكلات التمويل ، وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن تلك المسألة ينبغي لنا أن نذكر أن المصادر المالية الرئيسية لتلك المجلة ، كانت تأتي من مصدرين هما : الاشتراكات والإعلانات .

وبالنسبة للاشتراكات فإن « لارفيو سيونيست » التي كانت توزع 700 نسخة كما يشير إلى ذلك التقرير السنوي للمنظمة الصهيونية عام 1922 - 1923 – بدأت تنشر على صفحة الغلاف في أواخر عام 1922 وأوائل عام 1923 ، أن لديها ألفي مشترك وعشرة الآف قارئ ومعنى هذا أنها كانت تمضي من حسن إلى أحسن ، ولكننا إذا عدنا إلى لغة الأرقام ، فسنجد أن قيمة الاشتراك السنوي في المجلة كانت خمسين قرشا داخل مصر ، وعشرة فرنكات في الخارج ، ولو أن المجلة كان لديها ألفا مشترك كما تزعم ، فمعنى هذا أن تكون حصيلتها من الاشتراكات ألف جنيه سنويا على وجه التقريب ، ولكننا نجد التقرير السنوي للمنظمة الصهيونية عن الفترة من الأول من مارس عام 1921 حتى نهاية أبريل 1922 يشير إلى أن حصيلة المجلة من الاشتراكات والبيع بلغت 87 جنيها مصريا و 65 مليما فقط[36] ، مما يدلنا على أن الاشتراكات لم تكن هي مصدر التمويل الأساسي للمجلة ، وأن رقم الألفي مشترك مبالغ فيه ، وربما كان من قبيل الدعاية للمجلة .

وأما بالنسبة للإعلانات فقد احتكرتها منذ عام 1921 اثنتان من كبري البيوت التجارية اليهودية في مصر وهي محلات « شيكوريل » ومحلات « موروموس أورينتال ستورز » اللتين كان يديرهما اثنان من أعضاء اللجنة المركزية الصهيونية ، هما جوزيف

شيكوريل وسامي جولدشتين وبذلك استطاعت المجلة - التي كانت تعاني من مشكلات مالية بعد خروج كاسترو منها - أن تضمن جانبا كبيرا من مرتب لوسيان شوتو رئيس التحرير الجديد ، الذي كان يخشى عدم إمكان دفع مرتبه الشهري البالغ 30 جنيها مصريا .

وقد بلغت حصيلة المجلة من الإعلانات في الفترة من الأول من مارس 1921 حتى نهاية أبريل 1922 مبلغ 250 جنيها مصريا ، دفعتها محلات شيكوريل ومورومس ومصانع سباتس للمياة الغازية .

ومما لاشك فيه أن حصيلة المجلة من الإعلانات والاشتراكات وبيع نسخها لم تكن كافية لتغطية نفقاتها ، وقد اعترفت اللجنة المركزية الصهيونية أن طبع 700 نسخة من المجلة في سنواتها الأولى ، أحدث عجزا ماليا قدره 500 جنيه مصري في السنة ، وقد وصل هذا العجز في مايو 1923 إلى 430 جنيها ؛ ولهذا كان يتعين على المجلة الاعتماد على مصادر أخرى حتى تستمر في الصدور ، فلجأت إلى الحصول على الإعانات التي كان يقدمها إليها بعض أعيان اليهود المتحمسين للصهيونية أمثال مسيو ماركوفيتش الذي دفع لها مبلغ 160 جنيها عام 1922 .

مما سبق يتضح لنا أنه في ظل الأحوال المتدهورة داخل المنظمة الصهيونية ، وفي ظل الخسائر المالية التي لحقت بها ، لم يكن بمقدور « لارفيو سيونيست » الاستمرار في الصدور بعد انفضاض الجمهور اليهودي من حولها ، وهكذا توقف عن الصدور أول لسان حال رسمي للمنظمة الصهيونية في مصر .

Israél
« إسرائيـــــل »
1939 - 1920

في أوائل عام 1920 صدرت في مدينة القاهرة صحيفة « أسبوعية قومية يهودية

مستقلة » باللغات العبرية والعربية والفرنسية هي صيفحة Israél « إسرائيل » .

وإذا ماحاولنا التعرف على صاحب هذه الصحيفة ، فسنجد أن كل الدراسات السابقة(*) تقريبا أجمعت على أن صاحبها هو الطبيب الإسرائيلي ألبرت موصيري ومن بعده زوجته ماتيلدا موصيري ، إلا أننا عثرنا أخيرا على بعض الوثائق التي كشفت لنا أن صحيفة « إسرائيل » لم تكن ملكا لألبرت موصيري ، على الأقل خلال السنوات الأربع الأولى من صدورها ، وإنما كانت ملكا للطائفة الإسرائيلية بالقاهرة ، فقد جاء بالطلب المقدم إلى مكتب الصحافة بوزارة الداخلية للترخيص بإصدار هذه الصحيفة أن صاحبها هو الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة ، وأن ألبرت دافيد موصيري – إسرائيلي إيطالي الجنسية – هو مدير التحرير المسئول فقط وبذلك تكون صحيفة « إسرائيل » هي ثاني صحيفة تصدرها الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة باللغة الفرنسية بعد مجلة « لارونيسانس جويف » .

ونظرا لأن الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة كانت من المؤسسات ذات الشخصية الاعتبارية ، فقد صدرت الرخصة في 27 يناير 1920(**) باسم موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة في ذلك الوقت ، وهو أيضا الذي دفع الضمان المالي اللازم لإصدارها ، وبناء على ذلك فإنه يمكننا اعتباره المالك لهذه الصحيفة .

ولكن لماذا أقدمت الطائفة الإسرائيلية على إصدار صيفحة « إسرائيل » ؟

إن رخصة وزارة الداخلية تشير إلى أن « إسرائيل » صحيفة دينية ، ولكننا لانعتقد أن صحيفة « إسرائيل » صدرت أساسا لتهتم بالمسائل الدينية فقط ، وخصوصا أنها

(*) يذكر موريس فرجون في كتابه Les Juifs en Egypte ص 227 ، وأحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف في كتابهما « اليهود والحركة الصهيونية في مصر » ص 44 ، أن ألبرت موصيري هو الذي أصدر صحيفة « إسرائيل » .

(**) كان ذلك في عهد وزارة يوسف باشا شاهين الأولى (20 نوفمبر 1919 - 21 مايو 1920) وكان وزير الداخلية في هذه الوزارة هو محمد توفيق نسيم باشا .

لم تذكر اتجاهها في طلب الترخيص ، كما أن ألبرت دافيد موصيري مديرها المسئول لم يكن حاخاما أو رجل دين وإنما كان أحد الكوادر الصهيونية البارزة داخل المنظمة الصهيونية بمصر ، أضف إلى ذلك أنه قد ثبت لدينا في دراسة سابقة عن « صحافة اليهود العربية في مصر » أن الطبعة العربية في إسرائيل » « كانت صهيونية قلبا وقالبا[37] ، ولهذا فإننا نستطيع أن نقطع بأن الادعاء بأن « إسرائيل » ستكون صحيفة دينية كان ستارا أخفى وراءه القائمون على إصدار الصحيفة أهدافهم الحقيقية ، وخصوصا أن صحيفة « لاروينسانس جويف » التي أصدرتها هذه الطائفة عام 1916 ، لم تكن صحيفة دينية وإنما كانت صحيفة ذات ميول صهيونية .

أما بالنسبة لصحيفة « إسرائيل » الفرنسية التي تشكل أحد عناصر وأدوات هذه الدراسة فقد تبين من استعراض الأعداد التي تم العثور عليها أنها سارت على الدرب نفسه ، ولكن المشكلة التي واجهت الباحثة هنا هي عدم وجود الأعداد التي صدرت من هذه الصحيفة خلال سنواتها الأربع الأولى – اللهم إلا عددا واحدا – حتى كان يمكننا إصدار حكم قاطع على اتجاهاتها ، وعلى التطورات التي مرت بها منذ البداية .

ولكن على أية حال فإنه يمكن التغلب على هذه العقبة إذا حاولنا التعرف على اتجاهات القائمين عليها ، والظروف التي صدرت فيها ، وتحليل محتوى العدد الوحيد المتاح الذي صدر منها قبل وفاة موسى قطاوي مؤسسها مباشرة .

لقد كان صدور « إسرائيل » في تلك الفترة يمثل ضرورة بالنسبة لأنصار الحركة الصهيونية في مصر ، فقد حصل اليهود في عام 1917 – كما رأينا – على وعد من بريطانيا بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، وبدأت بريطانيا بالفعل في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بوضع هذا التصريح موضع التنفيذ ، فوافقت على إيفاد بعثة صهيونية إلى فلسطين عام 1918 برياسة حاييم وايزمان ؛ لتكون حلقة الاتصال بين السلطات البريطانية ويهود فلسطين ، وبذلك كان على اليهود أن يعدوا أنفسهم لتلك المرحلة ، التي كانت تتطلب أن يقوم كل واحد منهم بواجبه لإخراج الحلم الصهيوني إلى أرض الواقع .

وإزاء هذه التطورات شعرت الطائفة اليهودية – كما تقول صحيفة

« إسرائيل » ـ بالحاجة إلى لسان يهودي يتولى الدفاع عن الشئون اليهودية ، ويتولى التفاهم مع الشعب العربي ، وليقوم بالرد على الدعاية المضادة[38] ، و « إطلاع الشرقيين على حقيقة الحالة في فلسطين ، وإظهار نوايا اليهود الحسنة من عودتهم إليها ، ورغبتهم الصادقة في تعاونهم والعرب »[39] .

وقد يتساءل البعض عن جدوى إصدار صحيفة « إسرائيل » في الوقت الذي كانت تصدر فيه لليهود صحيفة أخرى هي مجلة « لارفيو سيونيست » ولكننا نعتقد أن الطائفة كانت في حاجة إلى مثل هذا اللسان لسببين ؛ أولهما : أن « لارفيو سيونيست » كانت الناطق الرسمي بلسان المنظمة الصهيونية في مصر ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي تدعو إلى أخذ الدعاية التي تبثها بشيء من الحذر والارتياب . وثانيهما : أن هذه المجلة كانت تخاطب قطاعا واحدا من اليهودية المصرية وهو القطاع الذي يجيد الفرنسية ، ولذلك كان صدور « إسرائيل » بطبعتيها العربية والفرنسية عن الطائفة اليهودية يسد هذا النقص ، ويمنح الثقة فيما كانت تنشره من أخبار ومعلومات بوصفها صحيفة مستقلة . أما فيما يتعلق بشخصية القائمين على هذه الصحيفة واتجاهاتهم فسنجد أن ألبرت موصيري مدير الصحيفة المسئول ، والذي كانت تربطه بموسى قطاوي باشا علاقات قرابة ونسب ، وكان معروفا باتجاهاته الصهيونية منذ الصغر ، فقد كانت فترة دراسته الطب في باريس حافلة بالنشاط في إطار الحركة الصهيونية ، وفي هذا الشأن يعترف ألبرت موصيري بأن صهيونيته « ليست صهيونية الأمس .. ولكنها ترجع إلى اليوم الأول الذي أعلن فيه هرتزل اسم صهيون السحري كوطن قومي[40] ، ولذلك حينما أنشئت المنظمة الصهيونية في مصر ، انضم إليها وظل يتدرج في مناصبها إلى أن أصبح النائب الأول للرئيس عام 1922 .

أما بالنسبة لموسى قطاوي باشا رئيس الطائفة والذي كان يعتبر مالك تلك الصحيفة ، فقد كان معروفا بغيرته على مصالح الطائفة ، وبسعيه من أجل ترقيتها والنهوض بها ، كما كان معروفا باهتمامه بالمسائل القومية اليهودية[41] ، ويذكر ألبرت

موصيري أن قطاوي التقى هو وتيودور هرتزل عندما جاء إلى مصر في عام 1903 وتركه يعرض الهدف من زيارته ، ولكن لم يلبث أن قاطعه قائلا : « دكتور ! أرجو ألا تكمل .. فشخصيتك الساحرة وفصاحتك يجذبان القلوب ، ولذلك أخشى أن تقنعني وتشدني إلى حضن الصهيونية ، ولكني لن أستطيع أن أفعل ذلك ؛ لأني تلقيت تعليمات بألا أشارك في النشاط الصهيوني » .

ويقول ألبرت موصيري الذي ننقل عنه هذه الواقعة : إن قطاوي باشا أكد له هذه الطرفة ، وأعرب له عن أسفه الشديد ؛ لأنه لم يستطع كشف الجانب الإنساني في الحركة القومية ، ولكنه انضم إليها فيما بعد وفقا للبرنامج المزراحي بسبب معتقداته الدينية[42] ، والمعروف أن حركة مزراحي برزت كحركة مستقلة داخل الحركة الصهيونية منذ عام 1902 ، وكان شعارها « أرض يسرائيل ، لشعب يسرائيل ، وفقا لتوراة إسرائيل » ثم تحولت إلى حزب سياسي بين يهود فلسطين عام 1918 ، وكان من أكبر الأحزاب الدينية في إسرائيل[43] .

وبالإضافة إلى ذلك شغل قطاوي باشا رياسة محفل بني بريت في القاهرة وكان هذا المحفل يمارس نشاطا صهيونيا ، وإلى جانب ذلك كان يشارك أحيانا في أعمال اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ، كما كان يسمح لمندوبي الدعاية بالتحدث في مكاتبه - كما أشرنا آنفا .

وإذا ماعدنا إلى محتوى العدد الوحيد المتاح من « إسرائيل » قبل وفاة موسى قطاوي فسنجد على صفحته الأولى موضوعا عن عيد « بوريم » - الذي احتل أهمية خاصة بالنسبة للحركة الصهيونية - وملخصا لمحاضرة ألقيت في نادي رابطة يهود سالونيك بباريس عن الصهيونية والعمل اليدوي ، الذي يقوم به اليهود في فلسطين ، وخبرا عن صدور كتاب جديد أوصت به الصحيفة لكل المهتمين بالعمل الذي أنجزه الصهيونيون في فلسطين ، وخبرا آخر عن زيارة سيقوم بها السفير الأمريكي السابق لدى تركيا وقرينته إلى أرض إسرائيل ، وعن الأثر الذي أحدثته زيارة مماثلة قام بها شقيقه إلى فلسطين في تحقيق تعاون اليهود في أمريكا لصالح الوطن القومي .

وعلى الصفحة الثالثة نشرت الصحيفة أخبار اليهود في الخارج ، ودار معظمها حول معاداة السامية في أوربا ، وأخبار النشاط الصهيوني بها ، أما على الصفحة الثالثة فقد نشرت الصحيفة أخبار اليهود في فلسطين ، وإيرادات الصندوق القومي اليهودي في العالم كله ، بالإضافة إلى بعض أخبار الطائفة اليهودية في القاهرة ، وكما هو واضح لنا كان معظم هذه الموضوعات ذا طبيعة صهيونية .

نستطيع القول إذن إن « إسرائيل » بطبعاتها الثلاث صدرت منذ البداية لخدمة هدف قومي صهيوني لالغرض ديني كما جاء في رخصتها ، ولعل فيما كتبه ألبرت موصيري في ذكرى مرور خمس سنوات على إصدارها ما يؤكد ذلك إذ يقول : « لقد مرت خمس سنوات منذ صدورها ، وعلى تبنيها برنامج الدفاع عن اليهودية ، وإنهاض إخواننا فكريا وروحيا ، وعلى نشر الفكرة القومية بين الجماهير ، والحفاظ على التضامن والأخوة اليهودية ، ودراسة تاريخنا »[44] .

أما إبراهيم المالح رئيس تحرير جريدة « دوار هايوم » **Doar Hayom** التي تصدر في القدس فيقول : « تستحق « إسرائيل » تقديرنا وتعاطفنا الخاص لأنه حتى ظهور صحيفة « لورور » كانت « إسرائيل » هي الوحيدة التي تقود النضال دفاعا عن المصالح اليهودية في مصر ، ونشر الهدف الصهيوني بين الجماهير[45] .. » .

وبالإضافة إلى كل ما سبق لاشك في أن اختيار ألبرت موصيري ، وهو معروف باتجاهاته الصهيونية ، ليشغل منصب مدير التحرير المسئول منذ اليوم الأول لصدورها كان اختيارا له مغزاه .

ويذكر موريس فرجون أن « إسرائيل » تعرضت لدى صدورها للهجوم والمقاطعة من جانب بعض اليهود المصريين – ربما بسبب اتجاهاتها الصهيونية – ولكن الحماية والدعم اللذين كفلهما لها مجلس الطائفة ، الذي كان يتكون أساسا من أعضاء من أسرة موصيري ، ويرأسه قطاوي باشا مكن موصيري من الاستمرار في إصدارها .

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على ما يفيد انتقال ملكية « إسرائيل » إلى ألبرت موصيري فإنه يبدو أن الرخصة انتقلت إليه بعد وفاة قطاوي باشا عام 1924 .

وإذا ماتفحصنا الطلب المقدم لإصدار « إسرائيل » فسنجد أن الاهتمام كان منصبا على « إسرائيل » العربية و « إسرائيل » العبرية دون « إسرائيل » الفرنسية ، التي خصص لها صفحة واحدة ، ولاندري إن كانت « إسرائيل » الفرنسية قد صدرت كصحيفة مستقلة – في بادئ الأمر أم لا ، ولكن الأعداد التي عثرنا عليها ابتداء من عام 1924 ، وإلى أن توقفت الصحيفة عن الصدور تشير إلى أنها كانت تصدر كصحيفة مستقلة ، مما يعني أنها لقيت تشجيعا ورواجا بين جمهور الطائفة ، الذي كان يتحدث معظمه باللغة الفرنسية ، والذي لم يكن يميل كثيرا إلى إصدار صحف باللغة العربية ، ولذلك نجد أنه عندما توفي ألبرت موصيري عام 1933 ، وخلفته زوجته ماتيلدا موصيري في مهمة إصدار الصحيفة « تقدم إليها بعض الأنصار وأشاروا عليها بتوسيع القسم الفرنسي من « إسرائيل » ، وأعربوا عن استعدادهم لمعاونتها وتسهيل مهمتها ، وبالفعل قاموا بالعمل بهمة ونشاط فضاعفوا حجم الجريدة الفرنسية ، أما القسم العربي فلم يتقدم إليها أحد بمشورة بشأنه ولم يعرض عليها أحد مساعدته ، بل إن المحال اليهودية أبت أن تنشر إعلاناتها فيه ، أو أن تشترك فيه ، ولذلك بقي على حاله ، وانتهى الأمر بتوقف صحيفة « إسرائيل » العربية عام 1934 ، في حين واصلت « إسرائيل » الفرنسية مسيرتها حتي توقفت عن الصدور في أواخر عام 1939 .

وإذا ما اطلعنا على الأعداد المتاحة من « إسرائيل » العربية و« إسرائيل » الفرنسية ، فسنجد أن كل واحدة منهما كانت مستقلة عن الأخرى في التحرير ، فلم تكن إحداهما ترجمة لما في الأخرى(*) ، وهذا أمر طبيعي اقتضته طبيعة الجمهور ، وطبيعة الأهداف .

كانت « إسرائيل » العربية تخاطب اليهود المنتشرين في مصر وباقي البلاد العربية »

(*) انظر صورة رقم (7) وصورة رقم (8) للعدد الثاني من صحيفة « إسرائيل » في طبعتيها العربية والفرنسية الصادرتين في يوم 19 مارس 1926 .

ممن لايعرفون سوى اللغة العربية ، حتى لاتتركهم فريسة لتأثير صحف بلادهم المتحيزة ضد قضية آبائهم وأبنائهم »[46] ، كما كانت تخاطب الجمهور العربي سعيا إلى تحقيق التفاهم معه بإظهار نوايا اليهود الحسنة من عودتهم إلى فلسطين ورغبتهم الصادقة في تعاونهم والعرب ، ولهذا كان يجب أن يتولى رياسة تحريرها شخص يجيد اللغة العربية ، وعلى علم تام بالعقلية العربية حتى يكون أهلا لمخاطبتها وإقناعها ، وقد كان هذا الشخص هو سعد يعقوب مالكي .

ونظرا لأنه كان من بين أهداف « إسرائيل » العربية تحقيق الوفاق مع العرب – كما ذكرنا – سنجدها تتجنب بقدر الإمكان نشر كل ما يمكن أن يثير العرب أو ينبههم إلى حقيقة النشاط الصهيوني ، فعلى سبيل المثال امتنعت الصحيفة عن نشر أخبار المنظمة الصهيونية في مصر ، أو أخبار التبرعات التي كانت تقوم بجمعها في البلاد وإرسالها إلى فلسطين ، فقد كان موصيري حريصا على تأكيد استقلال صحيفته ، وتأكيد عدم انتمائها إلى المنظمة الصهيونية التي كان أحد الكوادر البارزة فيها .

أما صحيفة « إسرائيل » الفرنسية فنظرا لأنها كانت تتوجه إلى الجمهور اليهودي الذي يجيد الفرنسية ، وإلى الجاليات الأجنبية في مصر فإننا نجدها تهتم بعرض وجهة النظر الصهيونية حول الصراع العربي الصهيوني في فلسطين ، وتأكيد حق اليهود في العودة إليها ، مع إبراز أهمية إنشاء دولة يهودية في تلك المنطقة بالنسبة لمصالح الدول الأجنبية ، أما بالنسبة لجمهورها من اليهود ، فقد كانت دعايتها الموجهة إليهم مباشرة لاتتسم بالحرص والحذر الذي كانت تتوخاه « إسرائيل » العربية ، ولهذا حفلت الصحيفة بأنباء النشاط الصهيوني في مصر سواء في ميدان الهجرة أو جمع التبرعات ، كما كانت تنشر بابا بعنوان « Dans I'Organisation » أي « في المنظمة » ضمنته أخبار المنظمة الصهيونية بالقاهرة ، وبالإضافة إلى ذلك كانت تنشر أيضا حجم التبرعات التي يجمعها كل من الصندوق القومي اليهودي والكيرن هايسود – أي الصندوق التأسيسي اليهودي – في مصر ، كما فتحت أبوابها أمام مندوبي الدعاية الصهيونية للكتابة فيها مثل د . بوشميل مندوب الكيرن هايسود .

وإذا كنا قد لمسنا في « إسرائيل » العربية حرصا على تأكيد انتمائها لمصر وإضفاء مسحة وطنية مصرية على نفسها بتناولها الشئون والمسائل المصرية على صفحاتها ،

فإن صحيفة « إسرائيل » الفرنسية لم تخف ولاءها وانتماءها لأرض إسرائيل ، بل إنها لم تبد أدنى قدر من الاهتمام بالمسائل المصرية ، أو بالجمهور العربي الذي كانت « إسرائيل » العربية حريصة على تحقيق التفاهم بينها وبينه ، اللهم إلا في حالات نادرة جدا كنشرها نبأ عن افتتاح أول برلمان مصري أو عن وفاة سعد زغلول ، أو عن عيد جلوس الملك فؤاد على العرش أو نبأ وفاته .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشعارات كانت مختلفة في كلتا الصحيفتين ، فبينما كان شعار « إسرائيل » الفرنسية « أسبوعية قومية يهودية مستقلة » نجد أن شعار « إسرائيل » العربية هو : « صحيفة حرة أسبوعية » .

وإذا كان سعد يعقوب مالكي قد تولى مسئولية التحرير في « إسرائيل » العربية ، فإن ألبرت موصيري تولى بنفسه رياسة التحرير في « إسرائيل » الفرنسية ، وعلى الرغم من أن الصحيفتين كانتا مستقلتين في تحريرهما فإنهما كانتا تعملان وفق برنامج واحد هو البرنامج الصهيوني .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن صحيفتي « إسرائيل » كانتا صحيفتي خبر أكثر منهما صحيفتي رأي ، على الأقل خلال سنواتهما العشر الأولى ، فنظرا لأن أحد أهدافهما الأساسية كان تعريف اليهود المصريين بأخبار إخوانهم في الخارج ؛ لذلك نجد الأخبار وقد احتلت مساحة كبيرة منهما ، ففي صحيفة « إسرائيل » الفرنسية نجد مجموعة متنوعة من الأبواب الإخبارية مثل : باب أخبار محلية Nouvelles Locales وكان يتناول أخبار اليهود في مصر ، وأخبار المنظمة الصهيونية فيها ، وكذلك أخبار الكيرن كايمت والكيرن هايسود ، وباب A Travers le Monde (حول العالم) وكانت تنشر فيه أخبار اليهود في العالم ، وباب Nouvelles de Palestine (أخبار فلسطين) وكان يختص بأخبار النشاط الصهيوني في فلسطين .

وربما كانت طبيعة المرحلة التي تجتازها الصهيونية في ذلك الوقت هي التي فرضت على تلك الصحيفة الالتجاء إلى صحافة الخبر التي تعتمد على الأحداث ، وعلى ماهو معروف بسياسة الصدمات السريعة بهدف الحصول على استجابات فورية

من الجمهور اليهودي ، وربما يرجع ذلك في جزء منه إلى عاملين آخرين : أولهما : أن الصهيونية لم تكن قد وضعت أقدامها بعد فوق أرض صلبة ؛ ولذلك فإنها آثرت الاعتماد على الأحداث كوسيلة للدعاية حتى إذا ماتعزز موقفها خلال الثلاثينيات رأينا هذه الصحيفة تهتم بمقالات الرأي إلى جانب الخبر .

وثانيهما : ربما يرجع إلى تعيين ألبرت موصيري مديرا لفرع وكالة فلسطين التلغرافية بمصر عام 1925 الأمر الذي أدى إلى طغيان الخبر على جانب الرأي فيها ، فقد كانت هذه الوكالة وكالة للأنباء اليهودية في واقع الأمر .

وبوفاة ألبرت موصيري 1933 انتقلت ملكية « إسرائيل » إلى زوجته ماتيلدا موصيري – وجنسيتها « تابع للحكومة الفرنسية » – وقد طلب إليها في 13 مايو 1939 تنفيذ قانون المطبوعات الجديد بالمنشور الدولي المؤرخ 23 فبراير 1939 ، فلبت الطلب وقدمت الإخطار القانوني وضمانا من بنك موصيري .

وقد جاء بالتحريات التي أجرتها حكمدارية بوليس مصر أن « ماتيلدا موصيري حسنة السمعة .. وأنها تولت رياسة تحرير هذه الجريدة بعد وفاة زوجها منذ عشرات سنوات » وفي الواقع كانت الفترة التي تولت فيها مدام موصيري مسئولية التحرير في « إسرائيل » هي ست سنوات فقط ، مما يدلنا على أن هذه التحريات كانت مجرد عملية روتينية ليس إلا[47] .

ونحن إذا ماحاولنا التحري عن شخصية ماتيلدا موصيري للتعرف إلى اتجاهها ، فسنجد أنها لم تكن أقل حماسا للصيهونية أو أقل غيرة على « إسرائيل » من زوجها ألبرت موصيري ، فقد كانت هذه السيدة معروفة هي الأخرى بنشاطها الصهيوني واسع النطاق داخل الطائفة الإسرائيلية في القاهرة ، فقد تولت رياسة المرشدات اليهوديات بالعاصمة المصرية Girl Guides Juives ، وكانت هذه الجماعة معروفة بنشاطها الصهيوني في أوساط الفتيات ، كما يرجع إليها الفضل هي وآخرين في إعداد الأرض التي منحها جوزيف ماتوسيان – صاحب شركة ماتوسيان للدخان والسجاير – المنظمة الصهيونية بمصر كمقر جديد للمنظمة ؛ ولذلك فإنها بعد وفاة زوجها أبت لـ « إسرائيل » ذلك اللسان الصهيوني في مصر أن يسكت ،

فتولت بنفسها إصداره ، وعملت على تذليل كل العقبات التي اعترضته ، فأثبتت قدرة وكفاءة علي مدى ست سنوات بعد وفاة صاحبها .

وفي عهد مدام موصيري طرأ تطور راديكالي على صحيفة « إسرائيل » – كما تقول مجلة « كاديما » « نفحة من الشباب اجتاحت الصحيفة من أولها إلى آخرها .. أنشئت أبواب جديدة للشباب .. حركة أفكار جديدة انتشرت في أعمدتها فجعلت قلوب الشباب تخفق من الفرح » . أما بالنسبة للكبار فإنهم كانوا يجدون فيها مادة غنية وغزيرة من الدراسات الوثائقية ، ولذلك قدمت « كاديما » تهانيها إلى مدام موصيري لسماحها للمواهب الشابة بالانطلاق في حرية من خلال دوريتها ، وإلى مسيو سابتينو شاؤل Sabatino Shaool وموريس هارملين ، ونيسمبون Nissemboun الذين أعطوا بمساعدتهم المخلصة لهذا اللسان القومي الشكل الجدير بصحيفة يهودية .

ومن معالم التطور الذي لحق بصحيفة « إسرائيل » زيادة عدد صفحاتها من أربع صفحات إلى ست صفحات ، مما أتاح الفرصة لزيادة المساحة المخصصة لمقالات الرأي ، ولأخبار فلسطين التي كانت تحتل مساحة تزيد على نصف الصفحة في بعض الأحيان ، وتُنشر تحت عنوان بعرض الصفحة هو : Echos D'Eretz-Israél أي أخبار أرض إسرائيل – كذلك فقد أعطيت عناية خاصة لأخبار الطائفة اليهودية في مصر التي كانت تنشر تحت عنوان « إسرائيل في مصر » Israél En Egypte .

ومن أبرز الموضوعات التي نشرتها الصحيفة خلال تلك الفترة سلسلة من المقالات بقلم د . جيتلمان مدير مكتب الصندوق القومي اليهودي في القاهرة تحت عنوان « الصهيونية في مصر » وصل عددها في 8 يناير 1936 إلى 84 حلقة ، وأرجع فيها الكاتب تاريخ الصهيونية في مصر إلى عهود موغلة في القدم تعود إلى بداية الوجود اليهودي فيها ، وإلى قصة خروج اليهود من مصر في عهد فرعون موسى .

كذلك فقد تميزت هذه الفترة بكثرة الموضوعات التي تهاجم ألمانيا والتي تحث اليهود على إنقاذ إخوانهم هناك .

وحينما اشتد اضطهاد اليهود في ألمانيا قامت « إسرائيل » بشن حملة عنيفة ضد هذه الدولة ، وحثت على مقاطعة بضائعها ؛ مما دفع بالمفوضية الألمانية بمصر إلى التقدم بشكوى إلى الخارجية المصرية ضد هذه الصحيفة ، فاستدعت إدارة الأمن العام صاحبة الصحيفة ورئيس تحريرها ونبهت عليهما بالاعتدال في الكتابة ، ولكن الصحيفة عادت ونشرت مقالا بعنوان « الكنيسة والمعبد ضد الوحشية العنصرية » « L'eglise et la Synagogue Contre le monstre raciste » اعتبرته المفوضية الألمانية ماسا بكرامة ألمانيا ومحرضا على مقاطعة بضائعها ، وطلبت اتخاذ مايلزم من إجراءات نحو ذلك ، فطلبت وزارة الخارجية المصرية من وزارة الداخلية النظر في طلب المفوضية الألمانية وإيقاف حركة المعارضة ضد الواردات الألمانية ، ولكن وزارة الداخلية ردت بأنه تم التشديد على صحيفتي « إسرائيل » و « لورور » بعدم نشر مايسيء إلى سمعة ألمانيا وهو أقصى ماتستطيع عمله[48] .

وقد دافعت « إسرائيل » عن نفسها بقولها : إنها تعتمد على الأخبار التلغرافية التي تنشر في الصحف الأخرى ، وأنهم في بعض الأحيان يعيدون نشر مقالات أو أخبار من صحف أجنبية أشد قسوة على النازية ، ولكنها وعدت بتخفيف لهجتها .

وفي شهر يونيو 1939 — أي بعد تقديم مدام موصيري الإخطار القانوني ودفع الضمان المالي بشهر واحد — أبلغت صاحبة « إسرائيل » رئيس قسم الصحافة بوزارة الداخلية أنها ستغادر البلاد لأسباب عائلية وأن صحيفة « إسرائيل » ستصدر في أثناء فترة غيابها متحدة مع صحيفة « لاتربيون جويف La Tribune Juive » — المنبر اليهودي — التي تصدر في مدينة الإسكندرية ، وبذلك ستكون تحت مسئولية موريس ليزبونا Maurice Lisbona رئيس تحرير هذه الصحيفة ، كما أنها ستتمتع بالضمانة المصرفية المدفوعة سلفا لجريدة « لا تريبيون جويف » ، وبناء على ذلك فإن الضمان المالي الذي قدمه بنك موصيري لـ « إسرائيل » لن يكون ذا قيمة وسيكون ملغيا .

وقد طُلب إلى مدام موصيري تقديم خطاب إيضاحي مع صورة العقد المبرم بينها

وبين الطرف الآخر ، حتى يمكن البت في طلبها ، ولكنها لم تستجب لهذا الطلب وقام بنك موصيري بسحب ضمانته ، فتم إنذار مدام موصيري بتقديم التأمين القانوني خلال خمسة أيام ، كما تم إبلاغها أيضا بمعارضة الوزارة في نقل الجريدة من القاهرة إلى الإسكندرية وإدماجها في « لاتريبيون جويف » ؛ لأنها لم تقدم إخطارا صريحا بذلك ، ولكن مدام موصيري رفضت التوقيع بالعلم ، ومضت الصحيفتان في تنفيذ مشروعهما بالاندماج فصدرتا في 14 يونية 1939 باسم جديد هو (لاتريبيون جويف وإسرائيل) La Tribune Juive Et Israél ونوهتا في الصفحة الأولى بهذا الاندماج ، كما بدا مما نشر أن مدام موصيري ستغادر القطر نهائيا[49] .

وقد وجد رئيس قسم الصحافة الأجنبية أن هذا المشروع ينطوي على عدة مخالفات قانونية منها : انتقال الصحيفة من القاهرة إلى الإسكندرية على الرغم من رفض الوزارة ، وعدم قيام « لاتريبيون جويف » بإخطار الإدارة بمشروع الاندماج ، ثم تغيير اسمها ؛ ولذلك فقد رئي النظر في أمرها وخصوصا أنها أصبحت في مركز شاذ نظرا لعدم وجود مالكها الأصلي بالقطر المصري .

وفي 10 يوليو 1939 عادت مدام موصيري إلى إبلاغ مكتب الصحافة أن موريس بن آشير Maurice Ben Acher وهو مواطن مصري مقيم بمدينة الإسكندرية ووظيفته مدير شركات سيخلفها في إصدار « إسرائيل » وسيقدم الضمان المالي المطلوب .

وفي 11 نوفمبر 1939 طلبت وزارة الداخلية من محافظ مصر التنبيه على مدام موصيري بأنها لم تقدم التأمين المطلوب قانونا ، وبذلك أصبح إخطارها ناقصا ، ولايجوز إصدار الصحيفة إلا بعد تقديم إخطار جديد مصحوبا بالتأمين المالي ، كما طلب فيه إبلاغها بشطب اسم هذه الجريدة من الصحف المصرح بها وحينما قام ضابط قسم عابدين بإبلاغها ذلك على عنوانها اتضح أنها غادرت البلاد منذ بضعة أشهر إلى فلسطين ، وبذلك توقفت صحيفة « إسرائيل » بعد إلغائها في 1939/11/14 ؛ لعدم تقديم الضمان المالي لإدارة المطبوعات .

LA LIBERTE

صحيفة « لاليبرتيه »

15 سبتمبر 1921 - 9 يناير 1925

في 15 سبتمبر 1921 أصدر ليون كاسترو صحيفة سياسية يومية مسائية ناطقة باللغة الفرنسية أطلق عليها اسم « لاليبرتيه » La Liberté أي الحرية .

وعلى الرغم من أن هذه الصحيفة لم تصدر كصحيفة طائفية أو صهيونية ، وإنما صدرت كصحيفة مصرية عامة ، مما قد يجعل البعض يرى عدم وجود مبرر لإدراجها ضمن هذا البحث ، فإنه كانت هناك بعض الأسباب التي أملت علينا إدخالها في إطار هذه الدراسة ، ومنها :

أولا :

أن هذه الصحيفة تكشف عن جانب من الدور الذي لعبه أحد اليهود الصهيونيين في السياسة المصرية ، كما تكشف عن علاقة اليهود بأكبر حزب مصري خلال تلك الفترة ، وحتى إلغاء الأحزاب بعد ثورة 1952 وهو حزب الوفد .

ثانيا :

أنه على الرغم من مرور 64 عاما تقريبا حتى الآن على صدور تلك الصحيفة فإنها وصاحبها مازالا موضع جدل الكتاب والمؤرخين ، وبخاصة فيما يتعلق بهوية الصحيفة الوفدية ، وعلاقة صاحبها بزعيم الوفد وزعيم الأمة سعد زغلول ، ولهذا وجدت الباحثة لزاما عليها بعد أن عثرت على المجموعة الكاملة لصحيفة « لاليبرتيه » أن تقوم بمحاولة متواضعة لإجلاء الغموض الذي يحيط بها وبصاحبها ، وسوف تجعل الباحثة الاجتهادات والآراء التي قيلت حول ليون كاسترو وصحيفته « لاليبرتيه » منطلقها إلى تلك الدراسة .

يقـول علـي إبراهيـم عبده وخيريـة قاسميـة ـ في كتابهما « يهود البلاد العربية » الذي صدر عام 1971 ـ نقلا عن صحيفة « جويش كرونيكل Jewish Chronicle

إنه « برزت بعد الحرب العالمية الأولى شخصيات من اليهود انضمت إلى الحركة الوطنية ، ففي حزب الوفد ليون كاسترو وهو محام وصحفي مشهور ، كرئيس تحرير للجريدة اليومية الفرنسية La Liberté ، وكان الناطق باسم الوفد في أوربة ورافق سعد زغلول في مفاوضاته في لندن وعاد ليبدأ عن طريق صحيفته حملة ضد بريطانيا من أجل الاستقلال .. »[50] .

وجاء في محضر نقاش مع إدوارد ليفي أجراه رفعت السعيد في باريس في نوفمبر عام 1968 ونشره في كتابه « اليسار المصري » عام 1974 أنه « كانت هناك جريدة ذات ميول وفدية تصدر بالفرنسية اسمها Liberté وكان يرأس تحريرها شخص يساري اسمه ليون كاسترو ، وهو محام شهير كان صديقا شخصيا لسعد زغلول ، وقد ظهر ليون كاسترو بعد ذلك ككادر يساري ، يلعب دورا هاما في اتحاد أنصار السلام عام 1937 .. » .

ويضيف إدوارد ليفي أنه كان يعمل في « لاليبرتيه » أيضا روبرت بلوم ، وكانت مقالاته ذات اتجاه يساري واضح ، وأنه كان يشير دائما في هذه المقالات إلى « الأومانتيه » جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي[51] .

غير أن رفعت السعيد نفسه يقول نقلا عن موراي هاريس Murray Harris في كتابه Egypt Under Egyptians أن « لاليبرتيه » نهضت بسياسة زغلول ، وكان لها من الوفد معونة « ولكنه يعود فيقول : « إن هذه الجريدة اقتصرت على معالجة المسائل التي تمس إسرائيل .. »[52] .

كذلك جاء في كتاب لعبد القادر ياسين بعنوان : « القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري » صدر عام 1981 أن « ليون كاسترو هو أحد أبناء الطائفة اليهودية في مصر وصديق حميم لسعد زغلول رئيس حزب الوفد المصري ، ويبدو أن سعدا احتضنه درءا للاتهام بضرب المصالح الأجنبية في مصر ، وكاسترو هذا الصهيوني يساري أصدر بعد انضمامه إلى الوفد مجلة Liberté باللغة الفرنسية وتعني « الحرية » ، وكانت تصدر عن الوفد ، وبعد وفاة سعد زغلول عام 1927 تراجع دور كاسترو في الحركة السياسية عموما وداخل حزب الوفد خاصة »[53] .

ونحن إذا بحثنا في المصادر الأساسية لهذه المعلومات فسنجد أنها مصادر صهيونية أو يهودية يسارية سواء كانت متمثلة في كتب أو دوريات أو أحاديث ، ولكننا نجد في مواجهة هذه الأقوال أقوالا أخرى ، إما أنها تنفي نفيا تاما وجود أي علاقة بين سعد زغلول وليون كاسترو صاحب « لاليبرتيه » ، أو أنها تقلل من شأن هذه العلاقة وأهميتها ، فالكاتب الصحفي مصطفى أمين كتب بمناسبة صدور كتاب « صيهوني » يكذب ماجاء به من أن ليون كاسترو كان مستشارا لسعد زغلول ، فكتب يقول : « إن هذا الكاتب كان صحفيا مصريا(*) يهوديا ، وكان يصدر في القاهرة جريدة فرنسية اسمها « الليبرتيه » . وكان في كتاباته يناصر سعد زغلول وهو رئيس للوزارة ، ولكنه لم يكن مستشارا لسعد زغلول ، وكل صلته بسعد أنه حصل على حديث منه وهو رئيس للوزارء ، وعندما أخرج الإنجليز سعد زغلول من رياسة الوزارة أسرع مسيو ليون كاسترو وباع جريدته لحزب « الاتحاد » ، الذي أسسه الملك لمحاربة سعد زغلول والقضاء عليه ، ومن ذلك اليوم أصبح كاسترو يهاجم سعدا ويؤيد الملك فؤادا . ولم يَدَّع كاسترو في يوم من الأيام أنه كان مستشارا لسعد زغلول . »[54] .

أما على شلش فيقول في كتابه : « اليهود والماسون في مصر » :

« لم يكن كاسترو صديقا شخصيا لسعد زغلول ، أو ناطقا باسم الوفد في أوربا ، ولكنه كان ممن استعان بهم زغلول في مهامه الخارجية ، ووكل إليهم شئون الترجمة من العربية إلى الفرنسية ، ولم يجيء ذكره في أي مصدر عربي في ذلك الوقت لاتحاشيا لصهيونيته التي لم تكن مرفوضة على المستوى الرسمي والشعبي وقتها ، وإنما لأنه لم يكن معروفا ولا مرموقا مثل يوسف قطاوي »[55] .

ولكن على شلش يشير بعد ذلك إلى أن حزب « الاتحاد » الذي كان يبحث لنفسه

(*) لم يكن ليون كاسترو حاملا للجنسية المصرية في ذلك الوقت وإنما كان حاصلا على الرعاية العثمانية ثم اليونانية بعد إلغاء السيادة العثمانية على مصر .

عن لسان حال وقع اختياره على جريدة « الحرية » الفرنسية التي يملكها ويحررها المحامي اليهودي الصهيوني ليون كاسترو ، واشتروها بثمن ضخم ، فجعلوها تنطق بلسان حزبهم بعد أن كانت وفدية » .

وأمام هذه الآراء والأقوال المتناقضة تثور في الذهن عدة تساؤلات : هل كانت صحيفة « لاليبرتيه » صحيفة وفدية حقا ؟ ، وهل التزمت بخط الوفد وسياسته في كل ماكانت تنشره ؟ وماهي الدوافع التي أدت بليون كاستور إلى الانضمام إلى حزب الوفد ؟ ومانوع العلاقة التي كانت بينه وبين زعيم هذا الحزب ؟ ولماذا قبل سعد زغلول الاستعانة بصاحب « لاليبرتيه » على الرغم من نشاطه الصهيوني ؟ وهل استخدم كاسترو « لاليبرتيه » في الدفاع عن القضية الصهيونية التي كان من أبرز المتحمسين لها في مصر ... ؟

ونحن إذا ماعدنا إلى صحيفة « لاليبرتيه » لنبحث عن أجوبة لهذه التساؤلات وغيرها ، فسنجد أن الهوية الوفدية للصحيفة كانت أيضا محل جدل وخلاف فترة صدورها ، فقد أحاطت هذه الصحيفة نفسها بشيء من الغموض منذ صدور عددها الأول ، فهي لم تحمل اسم صاحبها أو رئيس تحريرها(*) ، كما أنها لم تكشف عن هويتها السياسية وإنما اكتفت بأن أعلنت نفسها صحيفة يومية سياسية مصرية Quotidien Politique Egyptien ، ولسان حال الدفاع عن مصالح مصر Organe défense des Intérets de L'Egypte[56] ولذلك كتب المندوب السامي البريطاني في تقريره إلى حكومته عن الفترة من 15إلى 21 سبتمبر 1921 يقول :

« شهد هذا الأسبوع مولد صحيفة جديدة هي « لاليبرتيه » ، وقد بدأ المشروع في 15 سبتمبر ، ويصدر هذه الصحيفة ليون كاسترو وهو محام ورئيس سابق(**)

(*) ابتداء من 3 يناير 1922 بدأت « لاليبرتيه » تشير في رأس صفحتها الأولى إلى أن صاحبها ومديرها هو ليون كاسترو .

(**) لم يكن ليون كاسترو حتى ذلك الوقت قد شغل منصب رئيس المنظمة الصهيونية ، وإنما كان يشغل منصب نائب الرئيس والمرة الأولى التي تولى فيها رياسة المنظمة الصهيونية كانت في عام 1925 .

للمنظمة الصهيونية بمصر ، والصحيفة تؤيد الاستقلال التام ، وتسعى لأن تكون « لسان حال الدفاع عن المصالح المصرية ، وسياستها المعلنة هي مؤازرة الوطنيين ضد الأوربيين ، وبصفة خاصة الإنجليز ، وبالنسبة لموقفها من وزارة عدلي والزغلوليين ، يبدو أنها تحاول الحصول على شعبية أولا بعدم اتخاذها موقفا محددا ، أما هجماتها على « جورنال دي كير »(*) Journal du Caire فلعلها تستهدف كسب رضا الجانب الزغلولي »[57] .

ولم يلبث المندوب السامي البريطاني أن اكتشف الهوية الوفدية لتلك الصحيفة الناشئة ، فقد كتب في تقريره التالي عن الموقف العام في مصر في الفترة من 22 — 28 سبتمبر يقول : « إن صحيفة « لاليبرتيه » الجديدة أعلنت نفسها زغلولية ، وهاجمت الوزارة بعنف ، ثم تساءلت : ومتى يتم اعتقال زغلول ؟ » .

وقد أشارت صحيفة « لاليبرتيه » نفسها إلى الجدل الذي أثير حول اتجاهها السياسي حال صدورها ، فكتبت تقول : « في يوم ليس ببعيد ، في اجتماع للسيدات المصريات من الطبقة الراقية ، قالت سيدة مصرية كبيرة أيضا : « لاليبرتيه » ! ولكن هذه صحيفة يعاونها سينوت حنا بك ماليا !!

« والبعض قال : إن الحكومة تدفع لنا حتى اليوم الذي أعلنا فيه احتجاجنا الشديد على قرار منع زغلول من زيارة طنطا ، والجميع يؤكدون في كل مكان أننا نخدم بالأجرة ، ومن ؟! رئيس الوفد المصري !

ويؤكد بعض العارفين الآخرين أن بنك مصر هو الذي يمولنا ! ... وآخرون يؤكدون أن حمد باشا الباسل(**) يحتكر « لاليبرتيه » لصالحه ، وآخرون يقولون : إن الأموال اليهودية موجودة هنا لعمل انقلاب .. »[58] .

(*) كانت صحيفة « جورنال دي كير » لسان حال الجالية الفرنسية في مصر .
(**) كان ليون كاسترو صديقا لحمد باشا الباسل ومحاميه الخاص ، وكان حمد باشا الباسل أحد الأعضاء البارزين في حزب الوفد .

أما صحيفة « لاكسيون فرانسيز » L'Action Francaise[*] التي تصدر في فرنسا ، فقد كتبت عن « لاليبرتيه » في عددها الصادر في 24 أكتوبر 1921 تقول : « أبلغنا مراسل في القاهرة بصدور صحيفة صهيونية جديدة تؤيد اليهود ... نحن نعرف الرقابة على الصحافة المستقلة في بلاد الفراعنة ، فلنشر صحيفة جديدة في القاهرة أو الإسكندرية ينبغي الحصول على رخصة مقدما ، وهذه الرخصة ترفض دائما ؛ ولذلك دهشنا عندما علمنا أن صحيفة « لاليبرتيه » لسان حال الدفاع عن المصالح المصرية ، قد حصلت على هذا الامتياز الذي لم تستطع أي جريدة وطنية الحصول عليه !!

« الاستثناء يقول : إن « لاليبرتيه » هي لمدير ومحام صهيوني متحمس هو ليون كاسترو ، هدفه الوحيد الدفاع عن اليهود وإيقاظهم »[59] !

وإذا كان المسئولون البريطانيون والصحافة الأجنبية خارج مصر قد استقبلوا « لاليبرتيه » على هذا النحو ، فإن الصحيفة تذكر أن الزميلات في القاهرة والإسكندرية أعلنوا عن ظهورها بأسلوب ودي ؛ ولذلك وجهت شكرها لهم على تمنياتهم لها بالنجاح .

ومع ذلك فإن بعض الصحف الأجنبية والعربية في مصر لم تلبث أن وجهت انتقاداتها وهجماتها على « لاليبرتيه » ، وقد عبر ليون كاسترو عن ذلك بقوله : « في الحقيقة لا يمر يوم دون أن ينشغل بنا زملاؤنا .. إننا أصبحنا في جدول الأعمال اليومي لمناقشات الصحافة المصرية .. إنهم لا يدعوننا نخلد إلى نوم هادئ مطلقا .. » فعلى سبيل المثال استقبلت صحيفة « جورنال دي كير » صدور صحيفة « لاليبرتيه »بالتساؤل في سذاجة مصطنعة ـ على حد قول ليون كاسترو ـ عما إذا كان قد تم استحداث صيغة جديدة في الصحافة الأجنبية التي تدافع عن قضية مصر ؟!

(*) صحيفة كانت تصدر في باريس وتنادي بعودة الملكية .

ورد ليون كاسترو بقوله : نعم ! وهذه الصيغة هي : للدفاع عن قضية مصر ينبغي أن تكون الصحيفة متحررة أولا من كل إعانة مالية تأتيها من الخارج ، وهذا هو الفارق البسيط الذي يميز « لاليبرتيه » عن « جورنال دي كير » .

وعلى الرغم من كل هذه الآراء والأقوال المتضاربة ، فإن كتابات المعاصرين لتلك الصحيفة تكاد تجمع على أن « لاليبرتيه »كانت صحيفة وفدية ، فالمندوب السامي البريطاني – كما أشرنا آنفا – اكتشف منذ فترة مبكرة ميولها الوفدية ولذلك كانت الصحيفة موضع دراسة يومية منه للتعرف إلى سياسة الوفد واتجاهاته – كما تشير إلى ذلك تقاريره إلى حكومته التي كان يصف فيها « لاليبرتيه »بأنها « زغلولية » . من ناحية أخرى فإن صحيفة « الوطن » المصرية ذكرت أن « الليبرتيه » أنشئت بناء على إيعاز سعد باشا وتعضيده لتكون لسانا من ألسنة الوفد ولكي تروج للوفد ، وتعلن عن الوفد ، وتعضد مبادئ الوفديين الذين يقرءون الفرنسية .

كذلك فإن موريس فرجون أحد المعاصرين لليون كاسترو يقول في كتابه Les Relation entre Egyptiens et Juifs ، الذي أصدره بتوقيع مستعار هو توفيق سليمان أبو هيف : « إن ليون كاسترو دافع جنبا إلى جنب مع القائد العظيم سعد زغلول عن قضية الوطنيين المصريين من خلال صحيفته « لاليبرتيه » مدة عشر سنوات ، ومن الواضح أن فرجون يبالغ في هذا الرقم ، إذ إن « لاليبرتيه » عاشت تحت إدارة ليون كاسترو فترة لاتتجاوز سنوات ثلاثا إلا بشهور قلائل .

وإذا عدنا إلى البرنامج الذي اتخذته « لاليبرتيه » لنفسها فسنجد أنها تؤيد « الاستقلال التام » ذلك المبدأ الرئيسي الذي كافح من أجله الوفد ، ومع ذلك فإنها تعلن أنها ستعود لسان حال « مصر الجديدة » La Nouvelle Egypte في عهدها الجديد أيا كانت نتائج مفاوضات لندن التي كان يجريها في ذلك الوقت الوفد الرسمي المصري بقيادة عدلي يكن مع كيرزون رئيس الوزراء البريطاني .

وعلى الرغم من أن سعد زغلول كان قد سحب الثقة من عدلي قبل سفره إلى لندن لرفضه أن تكون للوفد أغلبية المفاوضين والرياسة ، فإن « لاليبرتيه » لم تتخذ موقفا معاديا من عدلي ، بل أعلنت – كصحيفة يومية – أنه « سيكون لنا وضعنا

في المناقشات السياسية الداخلية ، ولكننا لن ندخل في خصومة شخصية مع أحد .. ما دام لا يوجد سوى برنامج واحد هو : « الاستقلال التام » ، فرئيس الوزراء في لندن للحصول عليه ، وإلا قطع المفاوضات ، وفي هذه الحالة أو تلك فإن البلاد كلها ستكون وراءه بما فيها سعد زغلول » .

وكما هو واضح من برنامج « لاليبرتيه » فإن الصحيفة لم تعلن انحيازها إلى الوفد ، أو أنها ستكون ناطقا بلسانه ، بل التزمت جانب الحياد بين القوى السياسية المختلفة ، ربما لكسب شعبية أولية ، كما ذكر المندوب السامي البريطاني .

وإذا كانت « لاليبرتيه » لم تعلن منذ عددها الأول انتماءها إلى حزب الوفد إلا أنها لم تلبث أن دافعت عن سعد زغلول منذ عددها الخامس ، ووقفت ضد قرار منعه من زيارة مدينة طنطا التي كان محددا لها يوم 23 سبتمبر 1921 ، ونشرت أنباء المظاهرة التي قام بها الطلبة المصريون الذين ذهبوا لوداع أعضاء البرلمان البريطاني المسافرين إلى طنطا في غياب سعد بعد أن تبين لهم أن القطار قد غادر محطة مصر بدون الأعضاء .

ومن ناحية أخرى دافعت « لاليبرتيه » عن سعد زغلول ضد الاتهامات التي ألصقت به ، ومنها أنه محرض خطير ليس له برنامج سياسي ، وأن وسيلته الوحيدة هي إثارة الجماهير وخلق الاضطرابات ، وأن صحيفة « لاليبرتيه » التي تؤيده هي صحيفة متطرفة كارهة للإنجليز angiophobe ، وقد ردت الصحيفة على هذه الاتهامات بقولها : « إن سعدا ليس محرضا خطيرا كما يدعون ، بل إنه رجل دولة برنامجه حكيم وعملي .. إنه يريد تحقيق الاستقلال لبلاده بأسلوب منظم وبالطرق المشروعة والدستورية .. » .

وقالت الصحيفة : إن سعدا كان معتدلا دائما و لم يعبر مطلقا عن كراهيته للشعب الإنجليزي ، وفي كل خطبه وتصريحاته كان يشير فقط إلى الإمبرياليين الإنجليز .

وإذا ماحاولنا التعرف إلى طبيعة العلاقات التي نشأت بين سعد زغلول وليون كاسترو ، فسنجد أنه قد أحاط بها كثير من المغالطات والمبالغات – كما أشرنا من قبل – ولذلك ستحاول الباحثة سبر أغوار تلك العلاقة في حدود ما أتيح لها من المعلومات .

ففيما يتعلق بما أشيع من أن ليون كاسترو كان السكرتير الخاص لسعد زغلول ، يذكر فيكتور حزان في كلمة ألقاها في أثناء احتفال أقامه « النادي الصهيوني » بالقاهرة عام 1935 بمناسبة تقييد اسم ليون كاسترو في السجل الذهبي للصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت ليسرائيل) ، أن سعد زغلول اصطفى ليون كاسترو ؛ ليكون سكرتيره في مفاوضاته الأولى اعتقادا في إخلاصه وذكائه[58] .

ونحن إذا عدنا إلى مذكرات سعد زغلول وإلى ماكتب عن مفاوضات سعد الأولى فلن نجد مايؤيد ادعاء فيكتور حزان ، بل على النقيض سنجد كثيرا من الأدلة التي تدحضه ، ففي مذكرات سعد لم ترد أدنى إشارة إلى كاسترو ، وإنما ورد اسم جورج دوماني ضمن اللجنة التي سافرت إلى لندن لمفاوضات ملنر عام 1920[59] ، وكان دوماني مكلفا في ذلك الوقت بسكرتارية الوفد في باريس .

من ناحية أخرى كان محمد كامل سليم سكرتير سعد زغلول الخاص ، هو الذي رافقة في مفاوضاته في لندن وقام بتسجيل وقائع جلسات تلك المفاوضات ، كما تولى ترجمة بعض الأعمال التي كان يطلبها سعد زغلول ، ومنها برقيات الوفد ونصوص مشروع المعاهدة الذي قدمه ملنر[60] . أما فيما يتعلق بأعمال الترجمة الفرنسية ، فقد قام بها جورج دوماني الذي سافر ضمن الوفد الذي رافق سعد زغلول إلى باريس في 16 أغسطس 1920 بعد انتهاء الجولة الأولى من محادثاته مع ملنر بوصفه السكرتير الفرنسي للوفد أو مترجم الوفد الفرنسي[61] ، وبناء على ذلك فإن سفر ليون كاسترو مع سعد زغلول في مفاوضاته الأولى أمر مستبعد من أساسه .

وعلى الرغم من ذلك فقد ثبت أن ليون كاسترو لحق بالوفد المصري خلال المفاوضات التي أجراها سعد زغلول في لندن مع ماكدونالد عام 1924 ، إذ يذكر كلارك كير Clark Keer القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني في مصر في أحد تقاريره إلى رئيس الوزراء البريطاني أنه تم استدعاء كاسترو ليقوم بمهمة الناطق بلسان سعد زغلول إلى الصحافة المصرية[62] ، كما أن صحيفة « المحروسة » الوفدية أكدت

سفر ليون كاسترو إلى لندن فكتبت تقول : « للأستاذ ليون كاسترو محرر « الليبرتيه » آراء وأبحاث يدلي بها من وقت إلى آخر على صفحات جريدته بخصوص المسألة المصرية ، وقد كان في المدة الماضية من الصيف بباريس يرسل إلى جريدته « الليبرتيه » الأنباء والأخبار ، ثم كان في لندن في أثناء المحادثات الخصوصية بين دولة سعد باشا زغلول والمستر رامسي ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية السابق ، فكان أسبق مكاتبي الجرائد في إرسال الأخبار ، وكانت بعض الصحف العربية في مصر تنقل عن جريدته الأخبار التي ترد من جنابه وهو بباريس ثم وهو بلندن[63] ، ومعنى ذلك أن ليون كاسترو ولم يشارك في تلك المفاوضات بوصفه سكرتيرا خاصا لسعد زغلول كما تزعم بعض المصادر . يؤكد ذلك أنه لم يشترك في حضور جلسات المباحثات مع سعد زغلول عن الجانب المصري سوى حامد محمود ، ومحمد كامل سليم سكرتيره الخاص على الرغم من أن الوفد الذي رافقه ضم بعض الوزراء المصريين[64] ، في حين اقتصر وجود كاسترو في لندن على القيام بمهام عمله الصحفي بوصفه صاحب جريدة « لاليبرتيه » الناطقة بلسان الوفد ورئيس تحريرها ، ويتضح مما نشرته صحيفة « لاليبرتيه » أنه كان يتعذر على ليون كاسترو في بعض الأحيان الحصول على تأكيد من أعضاء الوفد المصري لبعض الأخبار ، التي كانت تتردد في الصحافة البريطانية حول المفاوضات ، وهو ما يؤكد أنه كان بعيدا تماما عن مائدة المفاوضات .

ويبدو أن هذا التطور جاء بعد أن توطدت علاقات ليون كاسترو برجال الوفد خلال نحو ثلاث سنوات من العمل في جريدة « لاليبرتيه » ، وبسعد زغلول نفسه منذ عودته من المنفى إلى مصر في سبتمبر عام 1923 ، فقد ظل كاسترو يترد على سعد زغلول منذ ذلك التاريخ لاستطلاع رأيه في القضايا التي واجهت الوفد حتى يمكنه التعبير عن وجهة نظر الوفد في صحيفته ، وهناك إشارات متكررة في مذكرات سعد زغلول إلى تلك الزيارات التي كان يقوم بها كاسترو لسعد زغلول والتي لم تكن تقتصر على مجرد تلقي الأوامر والتعليمات ، أو نقل الرسائل والأخبار التي كان يستقيها كاسترو من مصادره الخاصة ، وإنما كانت تتجاوزها إلى إبداء الآراء والمقترحات ، من ذلك مايقوله سعد زغلول في مذكراته يوم السبت 12 يناير 1924 :

« زارني كاسترو محرر « الليبرتيه » ، وحدثني في موضوع الوزارة ولزوم استعفائها فأيدت هذه الفكرة ، وقال : إنه سيعد الأذهان لها ، ولكن لم نتكلم عمن يكلف بها .. »[65] .

والوزارة التي دار الحديث حولها هنا هي وزارة يحيى إبراهيم التي أشرفت على أول انتخابات برلمانية أجريت في مصر في ذلك الوقت واكتسحها حزب الوفد ، وسقط فيها يحيى إبراهيم نفسه في دائرته أمام مرشح الوفد .

ولقد كانت علاقة ليون كاسترو بالوفد وسعد موضع استنكار بعض الصحف المصرية مثل صحيفة « السياسة » المعارضة للوفد وصحيفة « الوطن » وغيرها من الصحف ، التي رأت أن كاسترو إنما كان يستهدف خدمة مصالحه الشخصية وخدمة قومه أولا ، فعلى سبيل المثال حينما كتب ليون كاسترو يدعو إلى أن يكون الاحتفال الذي سيقام بمناسبة عودة سعد من المنفى عام 1923 بسيطا احتراما للرغبة التي أبداها زعيم الأمة ومراعاة لصحته ، التي تأثرت خلال عشرين شهرا من النفى كتبت صحيفة « الوطن » مقالا بعنوان جريدة الليبرتيه تخالف السعديين في أمر استقبال سعد ، استعرضت فيه موقف « لاليبرتيه » المخالف لموقف الوفد من وزارة يحيى إبراهيم ، ثم قالت : إن هذه الصحيفة أخذت تخالف السعديين في أمر آخر وهو أمر استقبال سعد باشا ؛ لأن الوفد يريد أن يقيم البلاد ويقعدها لاستقبال سعد ، في حين تقول « لاليبرتيه » بصراحة وجلاء : إن الرجل غير محتاج إلى كل مايهيئونه له من مظاهر الاحتفاء وبذلك تكون قد خرجت على الوفد في أمر ذي شأن .. »[66] .

ثم تساءلت الصحيفة : « لماذا يلجأ سعد باشا إلى أفراد لايخدمون إلا مصالحهم الشخصية ومصالح أقوامهم » .. ثم تساءلت مرة أخرى : « ألا يعلم سعد باشا أن « الليبرتيه » جريدة صهيونية ، وأنه ماكان يصح للوفد أن يتخذها لسانا لحاله مراعاة لميول عرب فلسطين الذين يدافعون عن كيانهم ، ويجاهدون في سبيل استبقاء سيادتهم على بلادهم .

وأضافت «الوطن» موضحة « أننا لانقصد بذلك أن نجرح عواطف مواطنينا من اليهود ، ولكننا نقصد أن تكون أحزابنا فيما يختص بالقضية الفلسطينية بعيدة عن كل ما يشتم منه رائحة التشيع لفريق من الفريقين ، وما اتخاذ جريدة صهيونية لسانا لحال حزب كبير كحزب السعديين إلا خروج على هذه القاعدة بلا جدال .. ولكن هل كانت « لاليبرتيه » صحيفة وفدية حقا ؟ !

لاشك أن الإجابة عن مثل هذا السؤال تقتضي منا التعرف إلى موقف الصحيفة من أهم الأشخاص ؟ وما هي أهم القضايا التي أثيرت خلال فترة صدورها ، ومدى التزامها بموقف الوفد من تلك القضايا ؟ وهو ماسنتناوله فيما يلي :

العاملون في لاليبرتيه :

على مدى مايزيد على ثلاث سنوات بشهور قلائل هي عمر صحيفة « لاليبرتيه » استعان ليون كاسترو بعدد من المعاونين الذين ساعدوه على إصدار الجريدة . ولكن مما يسترعي الانتباه أن الولاء للوفد أو لسعد زغلول لم يكن شرطا أساسيا بالنسبة لكاسترو في اختيار معاونيه ؛ ولهذا وجدناه يقوم بتعيين بعض الصحفيين الذين كانت لهم مواقف معادية للوفد ولسعد زغلول ، ونستطيع أن نشير في هذا الشأن إلى جورج دوماني السكرتير الفرنسي السابق لحزب الوفد في باريس والذي انضم إلى الوفد الرسمي المصري ـ الذي سافر إلى لندن عام 1921 برياسة عدلي يكن لإجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن استقلال مصر ، على الرغم من علمه بالأسباب التي جعلت سعد زغلول يرفض الاشتراك في هذا الوفد ، بل إن دوماني كتب خطاب استقالة إلى سعد زغلول أدان فيه موقفه من عدلي ، وقد رد سعد بقبول الاستقالة موجها الشكر إلى دوماني على خدماته السابقة .

وعلى الرغم من أن بعض الوفديين حذروا كاسترو من الاستعانة بدوماني فقد ضرب بكلامهم عرض الحائط وقام بتعيينه في شهر فبراير 1922 بعد عودته من المفاوضات التي رافق فيها عدلي منتهزا فرصة غياب سعد زغلول في المنفى وقد استطاع دوماني من خلال حرية التعبير التي كفلها له كاسترو أن يشن هجوما مستترا

على سعد زغلول من فوق صفحات جريدته « لاليبرتيه » التي يفترض فيها أنها وفدية[67] .

وإذا كان دوماني قد عاد إلى حظيرة الوفد فيما بعد ، وأشاد بسعد زغلول وقال عنه : إنه « يخاطر بحياته من أجل الأفكار التي يدافع عنها » ، ثم هاجم ليون كاسترو نفسه واتهمه بالتخلي عن سعد والوفد ، فإن خروج كاسترو على الوفد في مسألة تعيين دوماني نقطة لاتحسب له بل عليه .

وثمة مثال آخر على قيام كاسترو بتعيين معاونين لايؤيدون الوفد ألا وهو تعيين جوزيه كانري المحامي ، الذي كان يساهم في تحرير مجلة « لارفيو سيونيست ».

لقد بدأ كانري عمله في « لاليبرتيه » خلال الشهور الأولى من صدورها ثم تركها مذعورا – على حد قول ليون كاسترو – بسبب عنف الحملة التي قادتها الصحفية ضد وزارة ثروت ، ولكن كانري هاجم سعد زغلول ورفاقه فور مغادرته الصحيفة ، ثم هاجم أعضاء البرلمان في وزارة سعد زغلول بعنف ، فشكوا إلى سعد الذي كلف وزير مصر المفوض في باريس بتقديم مقتطفات من المقالات الجارحة التي نشرها كانري إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، فرأت عقابه بطرده من الأراضي المصرية ، ولكن كانري الذي كان يتشبث بالبقاء في مصر لم يجد أمامه سوى الاعتذار لسعد بعد فشل المساعي التي بذلها للحيولة دون تنفيذ قرار طرده من البلاد وأعلن أنه لن يعود إلى ذلك مرة أخرى .

وإذا كان ليون كاسترو لم يجعل التعاطف مع الوفد هو القاعدة الأساسية لاختيار معاونيه ، فربما يرجع السبب في ذلك إلى أنه كان يحرص في المقام الأول في اختيار معاونيه على الكفاءة الصحفية والثقافية والقدرة على التحليل السياسي والكتابة بلغة فرنسية سليمة تتناسب والعقلية الأوروبية التي تخاطبها الصحيفة ، ولهذا أهمل أشياء كثيرة من بينها الولاء للوفد في أثناء بحثه عن تلك الكفاءات زاعما أنه يستطيع توجيه معاونيه ومراقبتهم .

لاليبرتيه والملك :

حرصت الطائفة اليهودية خلال وجودها في مصر على الاحتفاظ بعلاقات طيبة بحكام مصر وملوكها الذين كانت تعتمد عليهم في توفير الحماية لأبنائها ، ولذلك كانت تجد عندهم الملجأ والملاذ كلما اشتد الخطب بها .

وقد التزمت الصحف التي أصدرها اليهود في البلاد بهذا الخط ، فكان من الممكن أن يتجرأ بعضهم على تناول بعض الوزراء ورؤساء الوزارات بالنقد أو الهجوم خلال وجودهم في السلطة أو بعد رحيلهم عنها ، في حين ظلت ذات الخديو أو الملك مصونة لايمكن المساس بها أو التعرض لها مهما حدث ، وكان الولاء والاحترام والتبجيل دائما من نصيبها .

ولأن ليون كاسترو كان ينتمي إلى تلك الطائفة ، جرت صحيفة « لاليبرتيه » خلال فترة صدورها على تلك العادة ، فأبدت حرصا مستمرا على إظهار ولائها للملك فؤاد و لم تتعرض للقصر بكلمة نقد واحدة حتى في أحلك لحظات صراعه معالوفد .

ومن يراجع صحيفة « لاليبرتيه » يجد أن ليون كاسترو أخذ جانب الملك عندما تدخل في الدستور ، على الرغم من معارضة سعد زغلول والوفد هذا التدخل ، كذلك أيد السلطات التي كان الدستور يخول الملك إياها ، فحينما صدرت توصيات اللجنة التشريعية الاستشارية التي أحيل إليها مشروع الدستور لإبداء رأيها فيها ، وأوصت بحذف المادة 23 التي تنص على أن « الأمة مصدر جميع السلطات » وجد كاسترو أن حذف هذه المادة في نظام جمهوري يعد انتهاكا للمبادئ الديمقراطية ، أما في دستور ملكي ، فقد رأى أن هذا النص لا يبدو قانونيا ، وأنه إذا كان دستور مصر يجب أن يكون ملكيا فمن المستحيل صدوره دون إشارة إلى حقوق الملك »[68] .

وإذا كان كاسترو قد تجنب معارضة القصر بسبب تدخله في الدستور ، فإنما كان ذلك يعكس رغبته في عدم إثارة أية عقبات أمام صدوره حتى يمكن إجراء الانتخابات البرلمانية التي كان يتطلع إليها بصبر نافد ، لأنه كان واثقا من أنها ستسفر عن وصول الأغلبية الوفدية إلى كراسي الحكم كي يمكنها إجراء مفاوضات مع إنجلترا

لإنهاء احتلالها لمصر ، ولذلك دعت « لاليبرتيه » إلى قبول الدستور كما هو إلى أن يذهب إلى البرلمان ، « ونسد ثغراته ، ونصلح نصوصه » .

لاليبرتيه والوزارات المصرية :

حينما صدرت صحيفة « لاليبرتيه » في سبتمبر عام 1921 ، كانت مصر تشهد أول وأخطر حملات التشهير والخلافات الشخصية في تاريخها الحديث ، والتي انزلق إليها سعد ومؤيدوه من ناحية ، وحكومة عدلي يكن – ممثلة في عبدالخالق ثروت وزير الداخلية – وأنصارها من ناحية أخرى .

وعلى الرغم من أن سعد زغلول قاد بنفسه حملة شعواء وواسعة النطاق في آن واحد على عدلي والوزارة والمفاوضات التي كان يجريها في لندن مع كيرزون في ذلك الوقت[69] ، فإن صحيفة « لاليبرتيه » لم تشارك في تلك الحملة فور صدورها كما رأينا .

وحينما استقال عدلي يكن في 24 ديسمبر 1921 بعد فشل مفاوضاته مع كيرزون قامت السلطات البريطانية باعتقال سعد زغلول ونفيه خارج البلاد ؛ لتهيئة الجو أمام المعتدلين السياسيين المصريين للاتفاق على تشكيل الحكومة الجديدة ، فأعلن الوفد مبدأ عدم التعاون معهم . وكان هذا المبدأ يشمل عدم التعاون السياسي ، أي أن يمتنع السياسيون المصريون عن تشكيل الوزارة حتى يتحمل الإنجليز وحدهم مسئولية السياسة القائمة على القوة[70] .

ولأن عبد الخالق ثروت خرج على الإجماع الشعبي ، وقام بتشكيل الوزارة الجديدة فضلا عن حملة التشهير التي قادها ضد الوفد وسعد زغلول ومعاداته لهما في أثناء عمله كوزير للداخلية في وزارة عدلي ، ولذلك حظي بعداء صحيفة « لاليبرتيه » الشديد ، فقد شنت عليه هذه الصحيفة حملة شعواء يرجع الفضل فيها إلى جورج دوماني ، الذي خصص مقالاته لمهاجمة تلك الوزارة فقط ، ولكن هذا لا ينفي أن ليون كاسترو ساهم في تلك الحملة ببعض المقالات في حين خصص البعض الآخر للتعليق على الشئون الدولية .

ويذكر كاسترو – مستشهدا على الدور الذي لعبته صحيفته ضد وزراة ثروت – أن شخصية بريطانية كبيرة صرحت له بأن صحيفة « لاليبرتيه » هي التي أطاحت بوزارة ثروت[71] ، وأن اللورد اللنبي – وهو يعتقد أن صحيفة « لاليبرتيه » صحيفة فرنسية – استرعى انتباه مسيو Gaillard وزير فرنسا المفوض في مصر إلى مسلك هذه الصحيفة ، ولكنه رد بأن « لاليبرتيه » صحيفة مصرية[72] .

ولا شك في أن قيام وزارة ثروت بتعطيل صحيفة « لاليبرتيه » في 30 يوليو 1922 يدلنا على عنف الحملة التي كانت تقودها ضد تلك الوزارة ، والتي أعرب ويصا واصف أحد قادة الوفد عن إعجابه بها ، ووصفها بأنها كانت « رائعة جدا » .

وإذا كانت « لاليبرتيه » قد شاركت في الهجوم على وزارة ثروت منذ يومها الأول ، فإنها اتهمت بالخروج على الوفد والانحياز إلى وزارة محمد توفيق نسيم باشا الثانية (30 نوفمبر 1922 — 9 فبراير 1923) ووزارة يحيى إبراهيم باشا الأولى (15 مارس 1923 — 27 يناير 1924) .

فبينما كانت وزارة نسيم تتعرض للهجوم من الصحافة الوفدية بسبب عدم إعلانها برنامجها الوزاري ، وعدم اتخاذها أيا من الخطوات التي وعدت بها في سبيل إطلاق سراح سعد ورفاقه ، ثم قبولها التعديلات التي اقترحت بريطانيا إدخالها على النصوص الخاصة بالسودان في دستور 1923 ، أخذ ليون كاسترو جانب الحكومة وتولى الدفاع عنها في وجه صحف المعارضة التي يقول إنها علقت على مساعدته أملا كبيرا .

من ناحية أخرى دافع ليون كاسترو أيضا عن وزارة يحيى إبراهيم حينما تعرضت للهجوم من الصحافة المصرية بسبب إذعانها لتدخل القائم بالأعمال البريطاني الذي طالب وزير المالية المصري بتقديم استقالته في أغسطس عام 1923 لإفشائه مسألة تدخل الحكومة في سوق القطن .

ويعترف ليون كاسترو بأنه تعرض للوم من جانب الوفد بسبب تأييده وزارة توفيق نسيم . كما أنه تعرض للوم أيضا من ويصا واصف بسبب دفاعه عن وزارة يحيى إبراهيم بعد إذعانها لتدخل القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني .

موقف لاليبرتيه من تولي سعد الوزارة :

بفوز الوفد في الانتخابات البرلمانية عام 1924 اقترب تحقيق الأمل الذي طالما أعرب عنه ليون كاسترو على صفحات « لاليبرتيه » في وصول هذا الحزب إلى السلطة ؛ ولذلك فإنه ما أن أعلنت نتائج الانتخابات حتى قام كاسترو بزيارة لسعد زغلول اقترح عليه خلالها ضرورة أن تتخلى حكومة يحيى إبراهيم عن السلطة ؛ وعندما وافقه سعد على ذلك[73] بدأ ليون كاسترو حملة في صحيفته تدعو إلى استقالة وزارة يحيى إبراهيم عملا بنصوص الدستور ؛ لأنها لم تحظ بثقة البلاد[74] .

وحينما اختلف الرأي العام المصري حول مسألة قيام الوفد بتشكيل الوزارة الجديدة ، ووصل هذا الخلاف إلى داخل الوفد نفسه ، قام كاسترو بنشر آراء أنصار كلا الفريقين على صفحات جريدته ، ثم أعلن انضمامه إلى أنصار الفريق الداعي إلى قيام سعد بتشكيل الوزارة الجديدة ، وقد انتصر أصحاب هذا الرأي حينما قرر سعد في النهاية أن يكون على رأس الحكومة الوفدية .

لاليبرتيه ومفاوضات سعد ــ ماكدونالد :

بعد تشكيل الوزارة الوفدية أعلن سعد زغلول استعداد حكومته للدخول في مفاوضات حرة من كل قيد ؛ لتحقيق الأماني القومية لمصر والسودان ، وقد أثار هذا التصريح استياء الحكومة البريطانية ، فأعلن رامسي ماكدونالد رئيس الوزراء البريطاني أن المفاوضات المقبلة مع مصر سوف تستأنف طبقا للسياسة التي تم تبنيها من جانب البرلمان البريطاني في 14 مارس 1922 « أي على أساس تصريح 28 فبراير الذي كان يعطي بريطانيا الحق في تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر ، والدفاع عن البلاد ضد كل اعتداء أو تدخل أجنبيي ، وحماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات ، ومعنى هذا أنه كان يلغي سيادة مصر على أرضها ، بالإضافة إلى أنه كان يلغي أيضا سيادتها على السودان ، ولذلك أحدث تصريح ماكدونالد استياء مماثلا لدى الشعب المصري ، ولدى الوفد الذي لم يعترف بتصريح 28 فبراير وحاربه منذ صدوره ؛ ولذلك أعلنت صحيفة « لاليبرتيه » رفضها هذه التصريحات ، وأعلنت

تأييدها لما أعلنه سعد زغلول عن عزمه على الذهاب إلى المفاوضات متحررا من أية قيود ، كما أيدت مطالبة المصريين بالاستقلال التام مقابل عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا ، ووجدت أن هذا الاقتراح أكثر واقعية من الاقتراح البريطاني الذي يدعو إلى الاحتفاظ بقوات بريطانية في منطقة القناة[75] .

وفي شهر يونيو 1924 ، وقبل لقاء سعد – ماكدونالد بدأت أزمة السودان تطفو على السطح ، بسبب قيام بريطانيا بتشديد قبضتها على السودان ، وبذلها مزيدا من المحاولات والإجراءات لفصله عن مصر ، ولكن الحركة الوطنية السودانية تصدت لتلك المحاولات وبعثت برقيات احتجاج إلى مجلس النواب المصري مطالبة بالتدخل لمنع ما يتعرض له الشعب السوداني من ضروب التنكيل[76] .

وقد أثارت هذه الأحداث مشاعر المصريين فخرجت المظاهرات في القاهرة احتجاجا على أحداث السودان ، وقامت صحيفة « لاليبرتيه » بإبراز أنباء هذه الاحتجاجات لإظهار رفض الوفد السياسة البريطانية في السودان .

وإزاء تفاقم الأحداث في السودان ومطالبة المعارضة – في البرلمان – سعد زغلول باتخاذ إجراءات ، طلبت الحكومة المصرية من بريطانيا مساعدتها في القضاء على الأعمال التي تجرح شعور الشعب المصري وتمس حقوقه في السودان ، وتأكيدا لسيادتها على السودان طلبت الحكومة المصرية من حاكم السودان العام موافاتها بتفصيلات عما يقع في السودان من أحداث ، ولكن الحكومة البريطانية ردت بأنها لن تتخلى عن السودان تحت أي صيغة ، وأنها لن تسمح بحدوث أي تغيير في نظام الحكم فيه دون موافقة البرلمان البريطاني[77] .

وأمام هذا الموقف المتشدد من الحكومة البريطانية لم يجد سعد زغلول سوى تقديم استقالته ، وعلى الرغم من أن « لاليبرتيه » أيدت « سعدا » في تقديم الاستقالة بدعوى حقه المشروع في الراحة بسبب سوء حالته الصحية ، فإنها طالبته بالبقاء في السلطة وقبول هذه التضحية الجديدة من أجل الوطن حتى تتمكن وزارته من أداء مهمتها الوحيدة بالشروع في إجراء المفاوضات مع إنجلترا[78] .

ولكي تفوت « لاليبرتيه » على المعارضة فرصة استثمار عجز حكومة الوفد عن التصدي لبريطانيا في تلك الأزمة ، نشرت الصحيفة مقالا بعنوان :

.« لاتفقدوا النظر إلى المشكلة الحقيقية » قالت فيه : إن الأسئلة التي تتردد على ألسنة الناس منذ وقت طويل تدور حول استمرار الحكم الثنائي في السودان بمقتضى اتفاق عام 1899 ، ومدى إمكانية نجاح سعد زغلول في تحقيق الأماني الوطنية للسودان ، وكأنما العقبة الوحيدة التي تعترض طريق الاتفاق الإنجلو المصري والتي تسيء إلى العلاقات بين البلدين ، هي السودان .

وفي إشارة واضحة إلى ضرورة إنهاء الأزمة المثارة حول السودان ، أعادت الصحيفة إلى الأذهان أن مشكلة استقلال مصر لم تحل بعد ، وطالبت الشعب الذي حول أنظاره عن القاهرة إلى مكان أبعد أن يعيدها إلى هنا .. وأوضحت الصحيفة أنه » إذا كان السودان حرا مهما بالنسبة للمصريين ، فإنه يبدو لنا أكثر أهمية أن تكون مصر حرة »[79] .

واصلت الحكومة البريطانية خطتها الرامية إلى فصل السودان عن مصر ، مما أدى إلى تجدد الحوادث في السودان مرة أخرى في شهر أغسطس ، وقد أدرك سعد زغلول أن مفاوضاته المقبلة في لندن سيكون مصيرها الفشل .

وعلى الرغم من تضاؤل الأمل فيما يمكن أن يسفر عنه لقاء سعد ماكدونالد بالنسبة لمصر قامت صحيفة « لاليبرتيه » بحملة صحفية استهدفت تبديد المخاوف التي أوجدتها صحف المعارضة فيما يتعلق بموضوع المفاوضات ، وقد اعتمدت هذه الحملة على سلسلة من المقالات والمقابلات الصحفية مع النواب الوفديين في البرلمان ، الذين أعرب أحدهم عن تأييده لإجراء المفاوضات لمجرد الحصول على تعاطف الرأي العام الأوروبي ؛ لأنه لو رفض الوفد التفاوض فسيخسر الرأي العام العالمي ، إذ ستزعم بريطانيا أنها دعت مصر إلى التفاوض والتوصل إلى اتفاق يضمن استقلالها ويحفظ مصالح بريطانيا في الوقت نفسه ، ولكنها رفضت[80] .

وقد اختتمت الصحيفة هذه الحملة بسبب محاولة الاغتيال التي تعرض لها سعد في محطة باب الحديد عند سفره إلى أوروبا ولكنها أعربت عن اعتقادها أنها حققت الهدف الذي رمت إليه من وراء هذه المقابلات ، وهو إجهاض الحملة المستترة التي قام بها العدليون ضد إجراء المفاوضات[81] ، وقد قامت صحف الوفد العربية بنشر ترجمة لهذه المقابلات لقرائها الذين لايعرفون الفرنسية .

وفي أواخر شهر سبتمبر 1924 سافر سعد زغلول إلى لندن ، وقد لحق به ليون كاسترو الذي تم استدعاؤه إلى هناك – كما أشرنا آنفا .

وحينما عاد سعد زغلول إلى مصر بعد فشل محادثاته في لندن أبرزت صحيفة « لاليبرتيه » في عددها الصادر يوم 20 أكتوبر 1924 الاستقبال الحافل الذي لقيه سعد بعد عودته إلى البلاد ، وبالرغم من فشل المفاوضات . كتب ليون كاسترو مقالا افتتاحيا في اليوم التالي بعنوان « إلى زغلول الذي يعلن أنه لم يحقق شيئا : الشعب المصري يستقبله استقبال الفاتحين » .

وفي مقال آخر رد كاسترو على الداعين إلى النضال ضد بريطانيا بأن هذا النضال يحتاج إلى وقت طويل ، ودعا إلى عدم الاستماع إلى أولئك الذين سينصحون المصريين بخروج مباغت لاختراق جبهة الأعداء ؛ لأن هذا الخروج سيكون قاتلا إذا لم يسبقه استعداد طويل[82] .

تسوية وقتية : Modus Vivendi

تكشف كتابات كاسترو خلال الفترة التي أعقبت عودة الوفد من مباحثاته مع ماكدونالد برياسة سعد زغلول عن ميله إلى النضال السلمي ضد بريطانيا ، ونبذه اللجوء إلى العنف لاستخلاص حقوق مصر في الاستقلال ؛ حتى بعد أن ثبت فشل الأسلوب السلمي في مفاوضات لندن ، وربما يرجع ذلك في أحد أسبابه إلى التزام كاسترو بمنهج الاعتدال الذي دعا إليه سعد زغلول ، إذ يذكر كلارك كير في تقرير إلى ماكدونالد بتاريخ 7 سبتمبر 1924 ، أن ليون كاسترو قام بزيارته بعد عودته من أوروبا حيث كان على اتصال وثيق بسعد زغلول ، وأبلغه أنه تلقى أوامر من زغلول

باشا بأن يبشر بالاعتدال[83] .

ولعل ما يدعم هذا الرأي أن سعد زغلول صرح لمراسل صحيفة « لوماتان » في باريس ، بأنه سيستمر في استخدام الطرق السياسية إلى وقت ما على كل حال كي يدرك الغاية النهائية التي ينشدها المصريون ، وهي جلاء الإنجليز عن مصر ، كما صرح في حديث آخر مع جريدة « لوبتي باريزيان » بعد فشل المفاوضات أنه « سيواصل السياسة التي جرى عليها حتى الآن »[84] .

من هذا المنطلق طلعت صحيفة « لاليبرتيه » على جمهورها يوم السادس من نوفمبر وهي تحمل في صدر صفحتها الأولى اقتراحا لصاحبها ومديرها ليون كاسترو بشأن تسوية وقتية للمسألة المصرية ، وقبل أن يعرض كاسترو اقتراحه أكد أنه لايردد فكر رئيس الوزراء – سعد زغلول – ولا فكر أي شخصية مصرية أو أجنبية ، وأن مقترحاته إن هي إلا مجرد آراء شخصية لصحفي غير مسئول .

وقال كاسترو إنه نظرا لأن مفاوضات لندن أكدت استحالة التوصل إلى اتفاق عام بين مصر وإنجلترا ، ونظرا لوصول المحافظين – الذين لايقلون اهتماما عن العمال بمصالح الإمبراطورية البريطانية – إلى الحكم ، لم يعد أمام مصر سوى ثلاثة طرق ممكنة[85] :

فأما الطريق الأول فهو الطريق الثوري ، وذلك بإثارة الاضطرابات في مصر والسودان ، وأما الطريق الثاني فهو الدخول في نضال دبلوماسي ضد إنجلترا وأما الطريق الثالث فهو « تسوية وقتية » **Modus Vivendi** .

وسرعان مااستبعد كاسترو الحلين الأول والثاني لما ينطويان عليه من مخاطر ، ولهذا فلم يبق أمامه سوى التوصل إلى تسوية مؤقتة مع بريطانيا ، وكانت الصيغة التي اقترحها صاحب « لاليبرتيه » لهذا الحل المؤقت تبدأ بإعلان مطالب وادعاءات كل طرف ، وبعد أن يقر الطرفان باستحالة التوصل إلى اتفاق عام ، يحددان علاقاتهما السياسية والدبلوماسية على مدى سنوات ثلاث أو أربع ، تشارك فيها مصر بريطانيا

في حراسة القناة ، وتستطيع مصر خلالها أن تحمل بريطانيا على الموافقة على اشتراكها الفعلي في إدارة السودان .

وقد أحدث هذا المقال ضجة كبيرة في الصحافة المصرية والبريطانية وانقسمت الصحف حياله فريقين : فريق يرى أنه صدر بإيعاز من سعد زغلول ذاته ؛ نظرا لظهوره في صحيفة متصلة بالوفد وتعتبر لسانا لحاله ، وفريق يرى أنه صدر بإيعاز من الإنجليز .

وأمام هذه الضجة اضطر سعد زغلول إلى الإدلاء بتصريح إلى عبدالقادر حمزة صاحب جريدة « البلاغ » الوفدية ، أعلن فيه أنه « بريء من الاقتراح ومن الإيعاز به »[86] .

وفيما يتعلق بموقف الصحف الوفدية من هذا الاقتراح يقول عبدالخالق لاشين : إن الصحف الوفدية كافة اشتركت في الترويج لهذا الاقتراح ، ولكن إذا ماعدنا إلى الصحف الوفدية التي كانت تصدر في ذلك الوقت – وتتمثل في صحف : « البلاغ » و « المحروسة » و « كوكب الشرق » – فسنجد أنها لم تشترك في الترويج للاقتراح .

فعلى الرغم من أن صحيفتي « كوكب الشرق » و « المحروسة » لم تتطرقا إلى الخوض في موضوع التسوية المؤقتة إلا بعد أن أدلى سعد زغلول بتصريحه ، وعلى الرغم من أن موقف الصحيفتين من كاسترو جاء متباينا ، فعلى حين ركزت « كوكب الشرق » على نفي كل صلة للرئيس بالاقتراح ، وتبنت في الوقت نفسه خط الدفاع عن ليون كاسترو ضد الحملة التي تعرض لها ، وذلك بنشر ترجمة للمقالات التي كان ينشرها في « لاليبرتيه » دفاعا عن نفسه[87] ، نجد صحيفة « المحروسة » حاسمة في رفضها الاقتراح وتشارك في الهجوم على ليون كاسترو وتصف اقتراحه بأنه ضار بالقضية المصرية وبالوفد أيضا[88] ومع ذلك فقد اتفقت الصحيفتان على رفض الاقتراح .

أما صحيفة « البلاغ » فإنه نظرا لعدم توافر أعدادها خلال تلك الفترة في دار

الكتب المصرية ، يمكننا التعرف إلى موقفها من خلال ماكتب نقلا عنها .

لقد كانت « البلاغ » هي الصحيفة الوفدية التي بادرت إلى استطلاع رأي سعد زغلول في الاقتراح وما أثير حول علاقته به ، وحينما صرح لها بأنه بريء من الإيعاز به وصفت هذا الحل الوسط بأنه ضار بمصر ؛ لأنه يمنح إنجلترا حقوقا ستكرس وضعا ظلت مصر ترفضه دائما[89] .

ولكن هل كان هناك إيعاز من سعد زغلول أو من دار المندوب السامي البريطاني فيما يتعلق باقتراح التسوية المؤقتة الذي طرحه ليون كاسترو ؟

على الرغم من أن الدلائل تشير إلى أنه كانت هناك قناة اتصال مباشرة بين سعد زغلول وصاحب « لاليبرتيه » وإلى أن الأخير كان ينشر بوحي من رئيس الوزراء المصري ، فإن هناك من المبررات ما يجعلنا نستبعد أن يكون هذا الاقتراح موعزا به من سعد زغلول ، ومنها التشدد الذي أبداه زعيم الوفد في مفاوضاته مع ماكدونالد ، ثم إقدامه بعد عودته إلى مصر – على تحدي بريطانيا بإجراء تعديل وزاري أثار انزعاج السلطات البريطانية[90] ، وأخيرا ماصرح به في معرض إصراره على جلاء القوات البريطانية حيث قال :

« لانقبل بعد أن نهضنا هذه النهضة ، وضحينا بتلك الضحايا ، وبعد أن سرنا هذه الخطوات ، ولايحل لنا مطلقا نحن أو من يأتي بعدنا أن نقبل أن يكون على أرض مصر عسكري أجنبي[91] .

أما فيما يتعلق بالمندوب السامي البريطاني فإننا نجده يصف اقتراح التسوية المؤقتة في أحد تقاريره إلى أوستن تشمبرلين بأنه « بالون اختبار » أطلقه الوفد لمعرفة إلى أي مدى سيؤيد الرأي العام سياسة معتدلة[92] .

وبناء على ذلك فإنه من المستبعد قيام سعد زغلول أو المندوب السامي البريطاني بالإيعاز بهذا الاقتراح ، ولكن من المرجح أن يكون كاسترو قد تقدم به بناء على مبادرة شخصية منه ، كان الدافع إليها حرصه على استمرار الوفد في السلطة ، أو

رغبته في أن يثبت للسلطات البريطانية صدق النظرية التي سعى أستاذه هرتزل إلى إقناع بريطانيا بها ، وهي أنه باستطاعة الجاليات اليهودية أن تكون أداة مساعدة في تحقيق الاستقرار في المستعمرات التي تخضع لسيطرتها .

لاليبرتيه وحادث السردار :

في يوم 19 نوفمبر 1924 وقع في القاهرة حادث اغتيال السيرلي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم عام السودان ، وبذلك طرأ عامل جديد على الموقف في مصر ، حيث نزلت إلى الميدان قوة جديدة هي الإمبراطورية البريطانية ضد سعد زغلول[93] .

وكان ما يؤرق وزارة سعد زغلول في أعقاب هذا الحادث هو ما سيكون عليه رد فعل الحكومة البريطانية ، فقد كانت الحكومة المصرية تدرك أن بريطانيا لن تدع الفرصة تمر دون أن تملي شروطها المتطرفة ، وقد بدت هذه المخاوف على صفحات جريدة « لاليبرتيه » التي سعت إلى تحذير بريطانيا مغبة الانسياق وراء الأصوات التي ارتفعت في لندن ، تطالب باتخاذ إجراءات صارمة ضد مصر ، وذلك من خلال توضيحها ماسيكون عليه رد فعل مصر في حالة اتسام رد فعل بريطانيا بالتطرف .

وقد ألمح كاسترو في مقال نشرة في الملحق الخاص الذي أصدرته الصحيفة يوم 21 نوفمبر إلى النتائج الخطيرة التي يمكن أن تواجهها بريطانيا إذا ما أقدمت على إجراءات عنيفة قد تجعلها مسئولة عن المحافظة على الأمن في مصر وبذلك تضيف إلى نفسها مسئوليات جديدة يمكن أن تعقد أمورها في الشرق ، كما أوضح من خلال مقابلة أجراها مع عبد الرحمن عزام سكرتير مجلس النواب الوفدي أنه إذا جاءت المطالب التي ستقدمها حكومة لندن غير معقولة ، فإن سعد زغلول سيرفضها ، كما أنه لن يتردد في الاستعفاء إذا فرض على مصر أي نوع من الإهانة أو الإذلال ، بل إن البرلمان المصري لن يتسامح مع أي وزارة أخرى تقبل تقديم التضحيات التي تريد إنجلترا فرضها على مصر .

وحينما قدم اللورد اللنبي المندوب السامي البريطاني في مصر إنذار بلاده إلى سعد

زغلول عصر يوم 22 نوفمبر ، طالبا تنفيذ جميع المطالب الواردة فيه سعى الوفد إلى مد مهلة الإنذار ؛ حتى يكون لديه الوقت الكافي للتدبر في الأمر .

ويذكر اللورد اللنبي أن سعد زغلول طلب من الملك فؤاد التدخل لدى المندوب السامي البريطاني لمد الموعد المضروب 24 ساعة أخرى ، وأن طلب المد جاءه من قناة أخرى هي ليون كاسترو ، إذ يقول اللنبي : إنه « في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة تلقيت رسالة بالمعنى نفسه من وزير الخارجية المصري ، من خلال ليون كاسترو صاحب جريدة « لاليبرتيه » ، الذي صحب « زغلول » إلى لندن ، وبعد أن سلم كاسترو الرسالة غادر المقر ، وعندما عاد بعد الظهر بقليل طلبت إبلاغه أنني أنتظر رد الحكومة المصرية في الساعة الثامنة مساء ، وهنا أدلى كاسترو بتصريح مثير لأحد أعضاء هيئة مكتبي ، لقد قال : إنه على الرغم من أن مشروع الرد المصري جاهز فإن لديهم فكرة جديدة يرغبون في عرضها : إن « زغلول » يعتقد أن اللحظة مناسبة لإعادة فتح المسألة المصرية الإنجليزية ، وأنه إذا قام مندوب عن اللورد اللنبي بزيارته فإنه سيبدأ المناقشات بعد ظهر اليوم .

« ولدى إبلاغه أن مثل هذه الخطوة في مثل ذلك الوقت غير ممكنة ، رد كاسترو بأن هذا الرد كان متوقعا ، وأنه مفوض باقتراح بديل آخر ، وهو أن يأتي واصف غالي إلى المقر للغرض نفسه .. ولكن تم إبلاغ كاسترو أنه من المستحيل استقبال واصف غالي باشا ، وأنه ليس هناك ما يمنع الحكومة المصرية من إرسال ملخص مكتوب بمقترحاتها في صيغة خاصة ، أو حتى شخصية ، وسيتم احترام ثقتهم .. ولكن كاسترو أعرب عن شكه في إمكان حدوث ذلك ، وصرح بأنه سوف يشجع هذا الاتجاه لدى واصف غالي باشا ثم غادر المقر ولم يعد »[94] .

وعلى أثر تلك المحاولة الفاشلة التي قام بها كاسترو لمد مهلة الإنذار البريطاني قام واصف غالي بتسليم رد الحكومة المصرية إلى المارشال اللنبي ، وأعقب ذلك استقالة حكومة سعد زغلول يوم 24 نوفمبر .

وقد انتقد ليون كاسترو المطالب البريطانية ووصفها بأنها تجاوزت في قسوتها ماتكهن به أكثر الناس تشاؤما ، ومع ذلك كان كاسترو ضد رفض الحكومة المصرية تنفيذ كل تلك الشروط والمطالب بدعوى أن الرفض يمكن أن يؤدي إلى كوارث بالنسبة لمصر ، كما كان ضد استقالة سعد زغلول بحجة أن الاستقالة تعني إما الهروب أو الاعتراف الضمني بالاتهامات الشائنة ، التي وجهتها الحكومة البريطانية إلى حكومته .

ومن الواضح أن كاسترو لم يكن يرغب في تخلي حكومة سعد زغلول عن السلطة ، حتى لو أدي ذلك إلى قبول الإنذار البريطاني المهين ، ومع ذلك فلم يكن لرأي كاسترو أدنى تأثير على موقف الوفد ، فقد قرر سعد زغلول تقديم استقالته ، وترتب على ذلك أن كلف الملك أحمد زيور باشا بتشكيل الوزارة الجديدة .

لاليبرتيه وحكومة زيور :

رحبت صحيفة « لاليبرتيه » بوزارة زيور بعد تشكيلها ، وأشادت بشخصية رئيسها لقبوله قيادة البلاد في ظل الظروف الحرجة التي كانت تمر بها ونعتقد أن الصحيفة في ترحيبها بوزارة زيور لم تخرج على خط الوفد ، فقد أعلن سعد زغلول أمام مجلس الشيوخ بعد قبول استقالته عن استعداده واستعداد زملائه لمساندة كل حكومة تكرس نفسها للدفاع عن حقوق البلاد ، وفضلا عن ذلك كان زيور باشا يشغل منصب رئيس مجلس الشيوخ في حكومة الوفد ، كما أن الجميع كانوا ينظرون إليه على أنه وفدي خصوصا وأن وزارته ضمت في بداية عهدها بعض الوزراء الوفديين .

على أن ليون كاسترو لم يلبث أن وجه انتقاداته إلى حكومة زيور حينما أقدمت على تأجيل انعقاد البرلمان مدة شهر ، واتهمها بارتكاب خطأ برلماني كبير » .

وحينما عُين إسماعيل صدقي وزيرا للداخلية في حكومة زيور يوم 10 ديسمبر ، لم يعد كاسترو يجد حرجا في مهاجمة الوزارة الجديدة ، وبخاصة بعد أن تبين أن الهدف من المجيء بصدقي إلى وزارة الداخلية هو حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة

تحت إشرافه ؛ لضمان فوز مرشحي الحكومة وإلحاق الهزيمة بالحزب الزغلولي ، لهذا استمر كاسترو على موقفه المعارض لحكومة زيور إلى أن انتهى الأمر ببيعه صحيفته لحزب الاتحاد الذي أسسه زيور باشا بإيعاز من الملك فؤاد ؛ لخوض المعركة الانتخابية ضد الوفد ، والقضاء على زعامة سعد زغلول .

لاليبرتيه والأجانب :

على الرغم من أن المندوب السامي البريطاني كتب فى أحد تقاريره إلى حكومته بمناسبة صدور « لاليبرتيه » يذكر أن سياسة هذه الصحيفة المعلنة ، هي مؤازرة الوطنيين ضد الأوربيين وبصفة خاصة الإنجليز ، مما يعطي انطباعا بمعاداة هذه الصحيفة الأجانب ، فإن نظرة متأنية على برنامجها المنشور في عددها الأول والأعداد التالية ، تجعلنا نختلف في الرأي مع المندوب البريطاني ، فصاحب « لاليبرتيه » يذكر أنه استوحى فكرة إصدار صحيفته من مصطفى كامل الذي أصدر صحيفتي « ليتندار إجيبسيان » الفرنسية و « ذي إجيبشيان ستاندرد » الإنجليزية للدفاع عن قضية مصر في أوساط الأجانب المقيمين بها ، وكسب تأييد الرأي العام الأجنبي في مصر لتلك القضية ، ولذلك لم يكن من المتوقع أن تتخذ هذه الصحيفة موقفا معاديا من الأجانب الذين تنشد معونتهم وتأييدهم لمصر ، والذين هم جمهورها الأساسي ، بل على العكس نجدها تسعى إلى التقريب بين المصريين والأجانب فتذكر أنهم يحبون مصر وشعبها ، وأن غالبيتهم أعلنوا في مناسبات متكررة تعاطفهم هم والمطالب المصرية .

وتحقيقا لهدفها الرامي إلى التوفيق بين المصريين والأجانب والتقريب بينهم أعلنت أنها ستسعى إلى أن تكون وسيطا بين « مصر الجديدة » - كما كان يطلق عليها في صحف مصطفى كامل - وساكنيها الأجانب ، كما وجهت نداء إلى الصحفيين والسياسيين والمفكرين والفنانين المصريين الذين يمثلون عقلية الشعب المصري ؛ كي يعبروا عن مصر من خلالها ، وأن يجعلوا مصر معروفة من على منبرها لكل أولئك الذين يتطلعون إلى فهمها ، والذين يستمرون في حبها .

وهكذا يتضح لنا أن « لاليبرتيه » اتخذت موقفا وديا تجاه الأجانب المقيمين في

مصر منذ عددها الأول ، وقد تعزز هذا الاتجاه خلال الأعداد التالية ، حينما أخذت الصحيفة في إبراز فضل الأجانب على مصر فيما يؤدونه لها من خدمات في مجالات التنمية الصناعية والتجارية ، ولعل أحد الأسباب التي كانت تملي على « لاليبرتيه » اتخاذ هذا الموقف إلى جانب ماذكرناه من أسباب – أن صاحبها كان أجنبيا ، علاوة على أنه كان ينتمي إلى طائفة معظم أفرادها من الأجانب ، ولذلك فقد كان أي تحريض أو إثارة ضد الأجانب لابد وأن يمسه هو وطائفته من قريب أو بعيد .

من ناحية أخرى نجد أن « لاليبرتيه » صدرت في أعقاب مذبحة الإسكندرية التي وقعت يوم 22 مايو 1921 بين المصريين والأجانب ، والتي استغلتها بريطانيا في مفاوضات عدلي – كيرزون لتشديد الأحكام العسكرية في المعاهدة ، ولتبرير رفضها الجلاء عن مصر ولذلك نجد أن الصحيفة بدفاعها عن الوجود الأجنبي في مصر ، وبسعيها إلى تحقيق التفاهم والتعاون بين المصريين والأجانب ، سعت إلى سلب سلطات الاحتلال أحد الأسلحة الذي شهرته في وجه المفاوض المصري ، كما أنها بإعلانها في برنامجها – وهي الصحيفة الوفدية – عن عزمها على مقاومة مثيري الشغب والمحرضين ، كانت ترمي إلى تبرئة ساحة الوفد ، وساحة سعد زغلول بالذات من اتهام الحكومة البريطانية إياه بأنه « مهيج كبير » ، وبأنه يثير العداوة ضد بريطانيا ، ولذلك نجد كلارك كير يصف « لاليبرتيه » في أحد تقاريره عام 1924 ، بأنها الصحيفة التي يعبر الوفد من خلالها عن آرائه بطريقة ترمي إلى إقناع الأوروبيين »[95] .

ولم تقف جهود ليون كاسترو في مسألة التوفيق بين المصريين والأجانب على مجرد الكتابة الصحفية ، وإنما شارك في الجهود العملية التي بذلت لتحقيق هذا الهدف ، فقد حضر حفل الشاي الذي أقيم يوم 25 سبتمبر 1921 ، والذي حضره أيضا المفتي وموسى قطاوي باشا رئيس الطائفة اليهودية بهدف تنمية العلاقات بين المصريين والأجانب بعد مذبحة الإسكندرية ، كما ألقى جوزيه كانري معاون كاسترو كلمة في هذا الحفل .

لاليبرتيه والشيوعية :

نظرا لأن ليون كاسترو ظهر ككادر يساري في « اتحاد أنصار السلام » عام 1937 ، فربما يكون الشك قد ساور البعض في استخدامه صحيفة « لاليبرتيه » في الدعوة إلى الشيوعية أو في الترويج لبعض مفاهيمها ، وقد لمسنا بعض مظاهر هذا الشك فيما نقلناه آنفا عن إدوارد ليفي .

ونحن إذا ماعدنا إلى صحيفة « لاليبرتيه » فلن نجد أثرا لتلك الادعاءات إذ لم يكن من المنطقي أن تتبنى الصحيفة خطا يسارياً وهي تعمل لحساب حزب يميني ليبرالي كشف عن عدائه للشيوعية في تلك الضربة القاصمة التي وجهها للحزب الشيوعي المصري 1924 ، حينما أودع كل قياداته غياهب السجون ، هذا فضلا عن أن صاحبها كان ينتمي إلى البرجوازية اليهودية .

على أية حال فإن صحيفة « لاليبرتيه » لم تتطرق إلى الحديث عن الشيوعية إلا في عام 1924 حينما قام العمال في الإسكندرية بأعمال الإضراب والاعتصام وقد اقتصرت معالجة الصحيفة تلك القضية على مجرد نشر الأخبار عن سير الحوادث والتحقيقات ، بل إن ادجار جلاد أحد معاوني كاسترو نشر مقالا بعنوان Bolchevistes Amateurs « بلاشفة هواة » هاجم فيه قادة الحركة الشيوعية في مصر وقال : إنهم « يفكرون بالأحمر ويتصرفون بالأبيض .. يعتنقون الشيوعية ولكنهم يتصرفون كرأسماليين » .

وقد أظهر ليون كاسترو تعاطفه هو والحركة الشيوعية لأول مرة حينما تصدى للرد على مهاجميها في الصحافة المصرية وفي صحيفته أيضا فقال : « إن الاشتراكية ليست مرعبة كما يصورونها ، فهناك حكومات اشتراكية على رأس دول كبيرة ودول صغيرة ، ولكن السماء لم تنطبق على الأرض » .

وأيد كاسترو في مقاله الذي خصصه لهذا الغرض مطالب عمال الغزل الوطني بزيادة الأجور بدعوى أن البلاد ستستفيد من تلك الزيادة تحت بند ضرائب الدخل ، كما دافع عن أسلوب الإضراب والاعتصام الذي لجئوا إليه قائلا : إنهم اضطروا إلى اللجوء إلى تلك الطريقة بسبب تسويف أصحاب العمل ومماطلتهم[96] .

وفيما عدا المقال الذي نشره كاسترو دفاعا عن الاشتراكية ، أفسح صدر صحيفته لنشر رد سكرتير الحزب الشيوعي المصري على مقال ادجار جلاد ، كما أعطى نشر أخبار التحقيقات في تلك القضية اهتمامه .

وبعد صدور الأحكام في قضية الشيوعية واصلت « لاليبرتيه » نشر أخبار إضراب الشيوعيين - الذين أدينوا - عن الطعام ، وأخبار جوزيف روزنتال ومحاولاته الحيلولة دون طرده من مصر .. الخ .

على أنه ينبغي ألا يفهم من ذلك أن ليون كاسترو كان يساريا ، فأفضل مايمكن أن يوصف به هو أنه كان متعاطفا واليسار .

لقد كان ليون كاسترو طوال حياته برجوازيا صهيونيا ، وإذا كان قد انضم إلى الوفد أو إلى اليسار ، فإنما كان ذلك لفترات قصيرة وعابرة ، مارس بعدها أو خلالها النشاط الصهيوني الذي كان هو الخط الأساسي في نشاطه السياسي وماعداه كان مجرد فروع .

لاليبرتيه وقضية فلسطين :

ألقى اعتناق ليون كاسترو الفكرة الصهيونية واشتغاله بالعمل الصهيوني كمؤسس لأول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر عام 1917 ظلالا من الشك حول صحيفة « لاليبرتيه » ، فهناك من وصفها بأنها صحيفة صهيونية[97] ، وهناك من قال عنها : إنها « اقتصرت على معالجة المسائل التي تمس إسرائيل[98] » .. إلى غير ذلك من الشكوك والاتهامات .

وبغض النظر عن الأهداف الحقيقية التي من أجلها أصدر ليون كاسترو هذه الصحيفة ، فإن تحليل محتوى « لاليبرتيه » سوف يدلنا على أنها كرست نفسها لخدمة الوفد والقضايا المصرية .

وفي الواقع كان ليون كاسترو طوال فترة عمله في هذه الصحيفة حريصا على إثبات سعديته ، وتأكيد إيمانه بالوفد وولائه له وللقضية التي يدافع عنها ولذلك كان من المستبعد أن يغامر بنسف الثقة في ادعاءاته هذه بتكريس « لاليبرتيه » لخدمة قضية أخرى غير قضية الوفد ، خصوصا إذا كانت هذه قضية عنصرية مثل الصهيونية التي كان تأييدها يتعارض وسياسة الوفد وسياسة سعد زغلول بالذات الرامية إلى تحقيق

الوحدة الوطنية . ومن يراجع صحيفة « لاليبرتيه » سيجد أن ليون كاسترو كرسها للمسائل المصرية ، ولكن ذلك لم يمنع من أن تجد أخبار النشاط الصهيوني في مصر وفلسطين طريقها إلى صفحات جريدته .

وعلى الرغم من أن نسبة الأخبار التي نشرتها « لاليبرتيه » عن الصهيونية وفلسطين كانت قليلة جدا(*) بالمقارنة بباقي مواد الصحيفة مما قد يجعل القارئ العادي لايري أية شبهة فيها ، وعلى الرغم من أن هذه الأخبار كانت من النوع الذي يمكن أن تنشره أية صحيفة أجنبية في مصر تضع في اعتبارها أن الجمهور اليهودي يمثل نسبة بين قرائها ، فإن الباحث المتتبع لها يستطيع أن يكتشف بسهولة أن « لاليبرتيه » كانت تسعى إلى تحقيق أغراض معينة وترسيخ مفاهيم خاصة لدى قرائها على المدى البعيد .

ويمكننا أن نقسم الأخبار التي نشرتها هذه الصحيفة عن الصهيونية وفلسطين قسمين : قسم تقريري ؛ الهدف الأول منه إعلامي بالدرجة الأولى ، وكان يختص بنشر نتائج الانتخابات الطائفية ، ومواعيد الاحتفالات السنوية التي تقيمها الجمعيات اليهودية والصهيونية وأخبار تلك الاحتفالات . أما القسم الثاني فيشمل أخبارا ذات طابع دعائي ، وهذه كان لها نصيب الأسد ، وكانت ترمي إلى تحقيق أهداف كثيرة ، منها إثارة مشاعر التعاطف بين قرائها واليهود الذين يتعرضون للاضطهادات في كل مكان في العالم ، وإبراز فضل الهجرة اليهودية على فلسطين وماينتظرها من مستقبل مشرق على أيدي اليهود ، وتحسين صورة اليهودي في مقابل تقديم صورة مشوهة للعربي ، وتأكيد تمسك بريطانيا بوعدها لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، في مواجهة المحاولات التي كان يبذلها الفلسطينيون لإلغاء هذا الوعد .

ولا شك أن ليون كاسترو لم يشأ أن يدع فرصة امتلاكه واحدة من أكبر الصحف الأجنبية توزيعا في مصر تمر دون الاستفادة منها بذكاء شديد وبقدر

(*) كان عدد الأخبار التي تنشرها « لاليبرتيه » عن الصهيونية وفلسطين يتردد بين أربعة وسبعة أخبار في الشهر الواحد تقريبا .

ما تسمح به الظروف لخدمة العقيدة الصهيونية التي كان يؤمن بها ، وخصوصا أن الحركة الصهيونية أبدت اهتماما كبيرا – كما رأينا – بكسب الرأي العام الأجنبي في مصر ، علاوة على أن صحيفته كانت من بين الصحف العامة التي كان اليهود يقبلون على الاشتراك فيها ، أضف إلى ذلك أن قراء الصحيفة من اليهود كانوا من الرأسماليين والبورجوازيين الذين يجيدون الفرنسية ، والذين علقت عليهم الحركة الصهيونية أملا كبيرا في دعم مشروعاتها .

وتجدر الإشارة إلى أن الأخبار دون غيرها من فنون التحرير الصحفي كانت هي وسيلة كاسترو إلى ذلك ، فلا شك أنه وجد أن المقالات بما تعكسه من آراء ومواقف يمكن أن تجلب عليه المشاكل ، ولذلك نجد أن صحيفة « لاليبرتيه » تكاد تخلو من المقالات التي تتعلق بفلسطين أو الصهيونية اللهم إلا من ثلاثة مقالات على مدى السنوات الثلاث التي عاشتها .

وإذا كانت نسبة الأخبار التي تتعلق بفلسطين والصهيونية ترددت بين أربعة وسبعة أخبار في الشهر الواحد خلال عامي 1922 و1923 ، وهي الفترة التي قضاها سعد زغلول في المنفى ، فإن هذه النسبة قد انخفضت إلى درجة كبيرة خلال عام 1924 بعد عودة سعد ، حتى أن الصحيفة جاءت خلوا من أية أخبار عن فلسطين أو الصهيونية في بعض الشهور ، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدلنا على أن كاسترو كان يدرك أن سعد والوفد لن يسمحا له بتكريس صحيفة تنطق باسمهما لخدمة الصهيونية ، كما يدلنا على أنه لم يتمكن من الاستفادة من « لاليبرتيه » إلا في غياب سعد وقيادات الوفد التي كانت تتعرض بين الحين والآخر للنفي أو الاعتقال .

كاسترو يبيع الليبرتيه :

في 10 يناير 1925 أعلن في القاهرة عن تشكيل حزب « الاتحاد » الذي أسسه القصر ليخوض به الانتخابات البرلمانية ضد حزب الوفد ، وقبل الإعلان عن تأسيس هذا الحزب ترددت أنباء صحفية عن اجراء مفاوضات مع ليون كاسترو لشراء صحيفته الوفدية « لاليبرتيه » لتكون ناطقة بلسان الحزب الجديد ، وقد تمت الصفقة بالفعل مقابل ثمن ضخم دفعه حزب الاتحاد إلى ليون كاسترو[99] ، وانتقلت ملكية

الصحيفة إلى حزب الاتحاد اعتبارا من يوم 9 يناير 1925 ، حيث كتب ليون كاسترو آخر مقال ودع فيه قراء الصحيفة في حين حل محله مدير التحرير الجديد نعمة غانم Namé Ganem ، وقد عد البعض بيع ليون كاسترو صحيفته إلى حزب الاتحاد الذي أنشئ خصيصا لمحاربة حزب الوفد وضرب زعامة سعد زغلول دليلا على ضعف ميوله الوفدية ، في حين عده البعض الآخر خيانة للوفد ولسعد زغلول .

ونحن إذا ماعدنا إلى كل مانشر حول هذا الموضوع لمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت بليون كاسترو إلى الإقدام على هذه الخطوة ، فإننا لن نجد إجابة شافية لكل مايدور بداخلنا من تساؤلات ، فقد كتبت صحيفة « لاليبرتيه » نفسها بمناسبة مغادرة ليون كاسترو أياها تقول : الأستاذ ليون كاسترو يغادر هذه الصحيفة اليوم كي يكرس نفسه تماما للمحاماة ، ثم أعربت الصحيفة عن أسفها على رحيله بسبب مايتمتع به من موهبة كبيرة ، وإخلاص شديد لقضية مصر ، ولكنها وعدت بأنها ستستمر في الدفاع عن هذه القضية بكل قواها ، وبأنها لن تكف عن النضال من أجل الهدف القومي حتى تظل جديرة بثقة الجمهور ، وحتى تحافظ على المكان الذي تحتله بين الصحف المصرية ، كما أعلنت الصحيفة أنها ستظل لسان حال الدفاع عن المصالح المصرية ، والأماني الوطنية مع احتفاظها بتعلقها بالعرش والأسرة الحاكمة[100] .

وهكذا لم تشر الصحيفة إلى انتقال ملكيتها إلى حزب الاتحاد و لم تكشف أسرار المداولات التي دارت في الخفاء مع ليون كاسترو ، والتي أسفرت عن انتقال « لاليبرتيه » إلى المعسكر المعادي لحزب الوفد ، كما أنها صورت رحيل كاسترو على أنه تم بمحض إرادته و لم يجبر عليه .

أما ليون كاسترو نفسه فقد كتب كلمة وداع لقرائه قال فيها : « نظرا لأنني لن أوافق على إنكار آرائي ، فإنني أجد نفسي مضطرا لترك هذه الجريدة ، إنني أترك هذا العمل وأنا أشعر بتمزق حقيقي لارتباطي الشديد به بسبب التضحيات التي قدمتها من أجله ، ولكنني أعتقد أنني حصلت على التعويض الكافي ؛ لأنني استطعت

من خلال هذه الصحيفة أن أتتبع عن كثب آراء وأعمال أكبر عبقرية سياسية في هذا العصر ألا وهو سعد زغلول باشا .

« إنني مازلت على يقين من أن القضية التي دافعت عنها من هذا الموقع وفي حدود إمكاناتي كانت عادلة ويجب أن تنتصر ، وسأظل أفخر طوال حياتي بأنني كافحت من أجل الفكرة النبيلة تحت رياسة زعيم عظيم » .

« إنني أترك المعركة قبل تحقيق النصر رغما عني وأنا أهتف بكل قواي : تحيا مصر ! يحيا سعد ! »

وفي هذا المقال أيضا لم يكشف ليون كاسترو الستار عن هوية الملاك الجدد للصحيفة ، وإنما اكتفى بالإيحاء بأنه أجبر على تركها بعد مصادرة حريته في التعبير .

ونحن إذا ماعدنا إلى مانشرته الصحافة الوفدية حول هذا الحدث فلن نجد ما يشفي الغليل ، فصحيفة « المحروسة » نشرت في يوم 10 يناير 1925 نقلا عن صحيفة « الإجيبشيان جازيت » خبرا عن المفاوضات الدائرة لابتياع صحيفة « الليبرتيه » ، وأنه ينتظر إعلان نقل ملكيتها في القريب العاجل ، وحينما تمت إجراءات نقل الملكية نشرت « المحروسة » ترجمة للبيانين اللذين نشرتهما صحيفة « لاليبرتيه » عن رحيل ليون كاسترو دون أدنى تعليق منها[101] .

أما صحيفة « كوكب الشرق » فقد نشرت هي الأخرى نص البيانين اللذين نشرتهما صحيفة « لاليبرتيه » عن مغادرة كاسترو الصحيفة تحت عنوان « جريدة الليبرتيه لم تعد سعدية » ولكنها قدمت لهما بالفقرة التالية :

« أذيع منذ يومين أن هناك مساعٍ مبذولة لشراء جريدة « الليبرتيه » من صاحبها مسيو ليون كاسترو ، وأنه هدد بالنفي إلى غير ذلك من الأكاذيب والألاعيب ، وقد تبينا اليوم صحة هذه الرواية ، وستصدر « الليبرتيه » اليوم وفيها الكلمتان الآتيتان[102] .. ثم أوردت نص المقالين اللذين نشرتهما الصحيفة ، هذا في الوقت الذي لم تنشر فيه صحيفة « البلاغ » أية إشارة من قريب أو بعيد حول هذا الموضوع .

أما صحيفة « السياسة » لسان حزب الأحرار الدستوريين والتي تزعمت حملة التشهير ضد الوفد خلال تلك الفترة ، ودأبت على إبراز استقالات بعض الأعضاء من حزب الوفد فإنها لم تعلق على بيع صحيفة « لاليبرتيه » إلى حزب الاتحاد واكتفت بنشر الخبر التالي تحت عنوان « المسيو كاسترو يخرج من المسرح » .

« أذاعت شركة روتر تلغرافا من القاهرة قالت فيه : إن المستر كاسترو محام معروف وهو من أصل يهودي ، وقد جعل قلمه السيال تحت تصرف زغلول باشا ، وقد اعتزل المسيو كاسترو السياسة ، واستأنف الاشتغال بالمحاماة ، وسيطرأ تعديل الآن على لون « الليبرتيه » السياسي »[103] .

مما سبق يتضح لنا أن معظم الصحف المصرية المعاصرة لم تقدم الحقيقة الكاملة لقصة بيع صحيفة « لاليبرتيه » لحزب الاتحاد ، وأمام غموض هذا الموقف ، فإننا نستطيع أن نسوق عددا من الاحتمالات :

أول هذه الاحتمالات – كما يحاول ليون كاسترو الإيحاء لنا – أن صاحب « لاليبرتيه » لم يعد يتمتع بحريته السابقة في التعبير ، وأنه تعرض للتهديد بالنفي أو الطرد من البلاد – كما تقول « كوكب الشرق » – إذا لم يبع صحيفته لحزب الاتحاد ، وهناك ما يمكن أن يؤيد هذا الادعاء في مذكرات سعد زغلول الذي كتب في يوم 17 يناير 1925 يقول : « قد اشتد بي الخناق ، وأحاطت بي الشدائد من كل جانب ، فأنصار الوفد ينفضون من حولي واحدا فواحدا ، والوزارة تشدد الأوامر على رجالها بمطاردتي ومطاردة أنصاري ، فتمنع اجتماعهم وترقب حركاتهم وسكناتهم ، وتهدد كل من يميل إلينا من موظفين ومستخدمين بالرفت أو النقل إلى مكان سحيق .. وفي أغلب الأوقات تحيط عساكر البوليس ببيتي، وتمنع الناس من الدخول فيه »[104] .

من ناحية أخرى أشار سعد زغلول في مذكراته إلى أن ليون كاسترو قام بزيارته يوم 13 يونيو 1925 ، وأبلغه أن صديقا له حصل على رخصة بإصدار مجلة أسبوعية ، وفي عزمه أن يصدر جريدة يومية على المبادئ الزغلولية ، وأنه يسعى في الحصول على إصدار رخصة بها ، وقد يتم ذلك في سبتمبر القادم ، وقد أجاب زغلول : « لابأس من ذلك »[105] ، ومعنى هذا أن ليون كاسترو كان لايزال على

علاقة طيبة بزعيم الأمة ، الذي لو أنه كان قد اشتم رائحة الخيانة في مسلك صاحب « الليبرتيه » ما استمرت العلاقات بينهما ، ولكن يبدو أن سعد زغلول كان يثق في إخلاص كاسترو له ، أو يبدو أنه كان مقتنعا بأن كاسترو أجبر على بيع « لاليبرتيه » إلى حزب الاتحاد ، لأنه لو كان كاسترو قد خان الوفد أو « سعدا » لكانت الصحف الوفدية ألهبت ظهره بالنقد .

وقد تراود البعض الشكوك في أن كاسترو أقدم على تلك الخطوة ؛ لأنه كان يستعد للعودة إلى المنظمة الصهيونية خصوصا بعد أن بدأ في مغازلة وايزمان ، عندما نشر في « لاليبرتيه » نبأ وصوله إلى القاهرة في أواخر عام 1924 ، مبرزا التقدم الذي أحرزته المنظمة الصهيونية العالمية في فلسطين ، ومختتما بتصريح لوايزمان يبعث على الثقة في المستقبل وفي إمكان تحقيق الأماني الصهيونية في وقت قريب جدا . ولكننا نستبعد هذا الاحتمال ؛ لأن الاشتغال بالنشاط الصهيوني لم يكن ليعوق كاسترو عن العمل في صفوف الوفد ، ومما يؤيد هذا الرأي أن كاسترو ذهب إلى سعد زغلول بعد إعلان انتخابه رئيسا للمنظمة الصهيونية بيوم واحد[106] ، يعرض عليه إصدار صحيفة جديدة على المبادئ الزغلولية – كما أشرنا منذ قليل .

ولاشك في أن بيع « لاليبرتيه » – بما لها من رصيد هائل من القراء ومن النجاح – إلى خصوم الوفد وبالاسم الذي تحمله لتتحول إلى الطعن في الحزب الذي دافعت عنه ثلاث سنوات والتشهير به يعد ضربة قاسية لحزب الوفد ، ولذلك فإن الوفدي الحقيقي لم يكن ليقدم على مثل هذه الخطوة مهما كلفه ذلك من تضحيات ، ولكن كاسترو لم يكن وفديا حقيقيا كما رأينا ، ولذلك فإنه آثر عدم إغضاب جلالة الجالس على عرش مصر الذي كان يتبنى حزب الاتحاد .

مما سبق يتضح لنا أن صحيفة « لاليبرتيه » لم تلتزم بخط الوفد في قليل من المواقف والقضايا التي انفردت فيها بموقف خاص ، مثل موقفها من وزارتي توفيق نسيم ، ويحيى إبراهيم ، وقيامها بتعيين بعض العاملين فيها مثل جورج دوماني دون الإصغاء إلى نصحية الوفديين ، وفيما عدا ذلك التزمت الصحيفة بخط الوفد .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن خروج ليون كاسترو على خط الوفد كان في أثناء غياب سعد زغلول في المنفى خارج مصر ، ولكن بمجرد عودة سعد زغلول عادت الصحيفة إلى الالتزام التام بخط الوفد ، ولم تشذ عنه إلا عندما قدم كاسترو اقتراح « التسوية الوقتية » الذي أوجد مادة للهجوم على سعد والوفد في صحافة المعارضة ، ثم حينما قام كاسترو ببيع الصحيفة لحزب الاتحاد .

وعلى الرغم من خروج كاسترو في بعض المناسبات التي أشرنا إليها عن خط الوفد إلا أنه لم ينقلب على هذا الحزب وزعيمه ، ولم يكتب كلمة واحدة ضدهما طوال فترة إصداره صحيفة « لاليبرتيه » ، وإنما ظل حريصا على تأكيد سعديته ، وتأكيد إيمانه بالعقيدة الوفدية ، وولائه للقضية التي يناضل سعد والوفد من أجلها ، وكان ذلك مدعاة لتفاخر كاسترو على غيره من الصحفيين الذين اتهموه بالخروج على الوفد .

وخلاصة القول بعد هذا العرض أن صحيفة « لاليبرتيه » لم تصدر عن حزب الوفد ، وإنما أصدرها ليون كاسترو – الذي استوحى فكرتها من مصطفى كامل – للدفاع عن الوفد ، وعن القضية المصرية في أوساط الأجانب ، ولذلك كانت تحظى بدعم الوفد وتأييده ، وهذه الصيغة كانت موجودة في ذلك الوقت على نطاق كبير ، ولهذا يمكن إدخال « لاليبرتيه » في عداد الصحف الوفدية .

أما فيما يتعلق بليون كاسترو فمن الخطأ القول بأنه كان وفديا ، ولكن أفضل مايمكن أن يوصف به هو أنه كان متعاطفا مع الوفد ، وهنا نجد السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن ، لماذا أصدر ليون كاسترو صحيفة « لاليبرتيه » ؟

لانستطيع القول بأن الوطنية المصرية هي التي حفزت ليون كاسترو على إصدار هذه الصحيفة ، فكاسترو – كما رأينا – لم يكن مصري النشأة ، كما أن السنوات القلائل التي عاشها في مصر قبل إصداره صحيفة « لاليبرتيه » لم تكن كافية لخلق مشاعر الانتماء والولاء لمصر بداخله ، وخصوصا أنه كان من الصهيونيين المتحمسين ، ولم يكن كاسترو أي صهيوني ، بل كان من الكوادر التي تولت مسئولية العمل

الصهيوني في مصر منذ 1917 ، بهدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين .

من ناحية أخرى لانستطيع القول بأن الإيمان بالوفد وبمبادئه هو الذي دفع ليون كاسترو إلى إصدار تلك الصحيفة الوفدية ؛ لأن دور كاسترو داخل حزب الوفد لم يلبث أن تراجع بعد أن باع صحيفة « لاليبرتيه » ، وعاد أدراجه إلى المنظمة الصهيونية ، حيث انهمك في العمل الصهيوني ، ولم نعد نسمع بعد ذلك عن دور متميز له داخل الوفد اللهم إلا فيما ذكره بعض اليساريين اليهود من أنهم كانوا ينظمون المظاهرات المؤيدة لحزب الوفد بإيعاز من ليون كاسترو ، دون أن يذكروا لنا متى ؟ وكيف ؟ .

ونعتقد أن العداء لبريطانيا بسبب تسويفها في تنفيذ وعدها لليهود ، والرغبة في إخراجها من فلسطين حتى يمكن إنشاء الدولة اليهودية ، كانا هما الدافع الحقيقي وراء تعاطف كاسترو مع الوفد وانضمامه إليه ؛ لأنه كان أقوى الأحزاب المصرية التي تقود النضال ضد بريطانيا العدو المشترك ، والتي كانت تعرقل – من وجهة نظره – إقامة الأسس الاقتصادية التي حددها هرتزل في استراتيجيته ليقوم عليها الوطن القومي في فلسطين ، ولهذا فإن ليون كاسترو الذي كان يترسم خطى هرتزل ووعى كل دروسه ، وربما كان يتوسم في نفسه الزعامة ويبحث لنفسه عن دور بعد خلافه مع اللجنة المركزية الصهيونية في مصر ، التي عارضت هجومه على وايزمان وزملائه ، وجد الفرصة سانحة لتنفيذ ما اختطه أستاذه هرتزل من قبل بالانضمام إلى الوفد ، والعمل معه على إخراج بريطانيا من مصر ، حتى لا تجد أمامها سوى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين لحماية مصالحها في المنطقة .

وكما كان هرتزل يتطلع إلى امتلاك صحيفة كبيرة يستطيع من خلالها تقرير سياسة ، وأداء خدمات ، وإقامة علاقات ، فإن امتلاك كاسترو صحيفة كبيرة مثل « لاليبرتيه » – إلى جانب أنه يتيح له المساهمة في تقرير سياسة إخراج بريطانيا من مصر – كان يسمح له بإقامة علاقات مع كبار المسئولين والسياسيين المصريين والأجانب مما كان يتيح له التعرف إلى دقائق السياسة المصرية ، والسياسة البريطانية

في الشرق ، وهو ماكانت تفيد منه الحركة الصهيونية بلا أدنى شك .

من ناحية أخرى ربما اعتقد كاسترو - وهو معروف كصهيوني - أن انخراطه في سلك الحركة الوطنية المصرية للدفاع عن حق مصر في الاستقلال ، كان يكفل له كسب ثقة سعد زغلول أبرز الزعماء الوطنيين في مصر ، الذين تجاوز تأثيرهم حدود بلادهم خلال تلك الفترة ، وهذا في حد ذاته مكسب كبير يمكن استخدامه في تأكيد صدق ادعاءات الصهيونية أنها حركة وطنية تناضل ضد الاستعمار ، وتعمل على تحرير فلسطين من الاحتلال البريطاني ، كما كان يمكن استخدامه أيضا كجواز مرور إلى الحركات الوطنية في الدول العربية المجاورة التي كانت تتأثر بمصر وتتعاطف مع حركتها الوطنية ، وفي إضفاء شيء من المنطقية على دعوة الصهيونية إلى تحقيق التفاهم والتعاون مع العرب .

وإذا كان كاسترو قد وجد أن دفاعه عن القضية المصرية يمكن أن يكسبه تعاطف الرأي العام العربي والمصري ، فإن دفاعه عن الأجانب المقيمين في مصر وسعيه إلى التوفيق بينهم وبين المصريين ، بما يضمن مصالحهم ، كان كفيلا أيضا بأن يكسبه في الوقت نفسه تعاطف الرأي العام الأجنبي في مصر ، وبذلك يكون كاسترو قد ضرب عصفورين بحجر واحد .

تلك هي أهم الأسباب والدوافع التي نرجح أنها كانت وراء انضمام كاسترو إلى الوفد ، بعد أن تبين له أن الدفاع عن القضية المصرية لايتناقض والأهداف الصهيونية التي نذر نفسه لها .

ولكن إذا كان قد ثبت لنا أن صحيفة « لاليبرتيه » كانت صحيفة وفدية ، وأن صاحبها كان أحد الكوادر الصهيونية في مصر . هنا يثور أكثر من تساؤل : كيف يقبل الوفد وسعد زغلول بالذات التعاون مع ليون كاسترو ؟ وهل معنى ذلك أن الوفد كان يدرك أبعاد المخطط الصهيوني ويوافق عليها ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال نود أن نوضح منذ البداية أن محاولة تطبيق المقاييس

الحالية للحكم على وطنية الوفد وعروبته في ذلك الوقت ، هي محاولة خاطئة لأسباب كثيرة ، لعل من أهمها اختلاف الظروف واختلاف بعض المفاهيم السائدة .

وسوف نحاول فيما يلي تقديم تفسير للأسباب التي دعت إلى قيام تلك العلاقة بين الوفد وليون كاسترو .

1 ـ حاجة الوفد إلى الصحافة :

جاء صدور صحيفة « لاليبرتيه » في فترة كان حزب الوفد يعاني فيها حاجة ماسة لعرض وجهة نظره والدفاع عن قضيته في مصر والخارج بعد أن اتضحت أهمية الرأي العام وقوة تأثيره في الدول الديمقراطية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبعد إنشاء عصبة الأمم لحل النزاعات الدولية عن طريق التحكيم وبالوسائل السلمية ، ولذلك كان هذا دافعا لحزب الوفد من أجل السعي إلى الحصول على تأييد الرأي العام العالمي .

من ناحية أخرى كانت مصر تشهد في ذلك الوقت أول وأخطر حملات التشهير والخلافات الشخصية بين سعد زغلول وحكومة عدلي يكن كما أشرنا من قبل ، و لم يكتف سعد بأن تكون مصر أرض المعركة فقط ، وإنما شاء أن ينقلها إلى أوروبا حيث ذهب عدلي يكن للتفاوض مع الحكومة البريطانية ، فبعث بمندوبيه ليعبروا للرأي العام الأوروبي عامة والإنجليز خاصة عن عدم ثقة الأمة بعدلي وتمسكها بقيادته[107] .

في أثناء ذلك خرج أمين الرافعي وجريدتّه « الأخبار » على سعد زغلول ، وقد حاول الوفد مرارا الحصول على تراخيص لإصدار صحيفة وفدية ، ولكن هذه المحاولات كانت تقابل بالرفض من عبد الخالق ثروت وزير الداخلية ، ولهذا اضطر الوفد إلى دعم بعض الصحف ومساندة بعض الصحفيين ماديا للاستمرار في تأييده والتصدي للوزارة[108] .

ومن المرجح أن يكون كاسترو قد تقدم للوفد في ظل تلك الظروف عارضا

خدماته وإمكاناته الصحفية ، فاستطاع أن يحصل على رخصة صحيفة « لاليبرتيه » بفضل علاقاته الواسعة سواء بالمسئولين في الحكومة المصرية أو في دار المندوب السامي . ولاشك في أن إخفاءه هوية الصحيفة الوفدية مهد له الطريق للحصول على الرخصة ، وخصوصا أنه كان معروفا للجميع بأنه صهيوني متحمس .

وإذا كان الوفد وسعد زغلول قد عانيا في تلك الفترة الحاجة الماسة إلى الصحافة ، ووجدا في « لاليبرتيه » الفرنسية منبرا ممتازا لمخاطبة الرأي العام المصري والأجنبي على حد وسواء ، فإن ذلك لم يكن ليبرر لسعد زغلول أو الوفد الاستعانة بنائب رئيس المنظمة الصهيونية في مصر لسد تلك الحاجة ، وخصوصا أنه حينما بدأ إصدار « لاليبرتيه » لم يكن قد قدم استقالته من المنظمة الصهيونية ، ولم يعلن تلك الاستقالة إلا في منتصف عام 1922 [109] ، أي بعد صدور « لاليبرتيه » بتسعة أشهر ونصف تقريبا ، كما أنه شارك في حضور الاجتماع السنوي للمنظمة الصهيونية في مايو من العام نفسه[110] ولكننا نعتقد أنه كانت هناك أسباب أخرى هيأت المناخ لقيام تلك العلاقة منها : غيبة الوعي القومي العربي في مصر ، وعدم إدراك الوفد خطورة أبعاد المخطط الصهيوني في ذلك الوقت .

غيبة الوعي القومي العربي :

إذا ماحاولنا التعرف إلى المناخ الأيديولوجي السائد في مصر في أوائل العشرينيات فسنجد أن أيديولوجيتا القومية المصرية والرابطة الإسلامية كانتا تتنازعان السيطرة خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[111] .

وقد ترتب على غيبة الوعي القومي العربي في مصر خلال العقدين الأول والثاني من هذا القرن ، وانغماس الوفد تماما في القضية المصرية ، أن أفلحت الدعايات البريطانية والصهيونية في تضليل القوى السياسية في مصر ، ومن بينها الوفد إزاء ماكان يجري تدبيره لفلسطين ، ولهذا فإن الحس المصري الذي جرى تخديره خلال تلك الفترة وشغله في قضاياه الوطنية المحلية عجز عن إدراك الأهداف الحقيقية للحركة

الصهيونية التي كان يجري تصويرها في بعض الأحيان على أنها جمعية خيرية هدفها ترقية فلسطين وإنهاضها ولهذا فإنه في ظل الجهل بحقيقة الصهيونية كان من الممكن أن تقوم بعض العلاقات بين قادة الحركة الوطنية وقادة الحركة الصهيونية كتلك العلاقة التي قامت بين الوفد وكاسترو .

و لم تكن القوى المصرية وحدها فحسب هي التي تم تخديرها خلال تلك الفترة ، وإنما شاركتها في عدم الوعى قوى عربية أخرى مثل الشريف حسين أمير مكة ، وزعيم الثورة العربية ضد الترك الذي بعث إلى أتباعه يبلغهم أنه تلقى تأكيدات من بريطانيا تفيد بأن استيطان اليهود في فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها ، كما أوصى بنشر مقال في جريدته الرسمية « القبلة » عام 1918 يطلب فيه من السكان العرب الترحيب باليهود كإخوة لهم[112] .

وإذا أضفنا إلى العوامل السابقة المفاهيم الليبرالية التي جاء بها الوفد ، وحرصه على الوحدة الوطنية بنبذه التفرقة بين عناصر الأمة على أساس الدين ، أدركنا كيف كان من السهل على ليون كاسترو – الذي كان عضوا في الطائفة اليهودية – وغيره من اليهود التسلل إلى داخل صفوف الوفد في ظل شعار الوحدة الوطنية .

* * *

وإذا عدنا إلى صحيفة « لاليبرتيه » فسنجد أنها كانت من الحجم العادي (60 سم طولاً و $46^1/_2$ سم عرضاً) وقد صدرت في بادئ الأمر في أربع صفحات وأشتملت الصفحة الواحدة على ستة أعمدة ، وكانت تباع النسخة منها بعشرة مليمات .

وقد خصصت « لاليبرتيه » صفحتها الأولى للأخبار العالمية والمقال الافتتاحي الذي كثيرا ماكان يتناول بالتعليق المسائل المصرية ، أو القضايا والأزمات الدولية في بعض الأحيان .

وعلى الصفحة الثانية كانت تنشر بابا بعنوان Le Monde أي العالم ، وكانت تخصصه لأخبار الاستقبالات ، في القصر الملكي ومجلس الوزراء وأخبار القنصليات والمفوضيات الأجنبية في مصر .

وعلى الصفحة نفسها كانت « لاليبرتيه » تقدم لقرائها بابا بعنوان المال والتجارة

Finance et Commerce ، وكان يشتمل على أخبار سوق الأوراق المالية بالقاهرة وبورصة القطن بالإسكندرية ، وبالإضافة إلى بعض المعلومات والأخبار التجارية الأخرى .

ومن أبرز الأبواب التي نشرتها على الصفحة الثانية باب بعنوان Revue de la presse كانت تنشر فيه مقتطفات من أقوال الصحافة المصرية والعربية والأجنبية مع إعطاء فكرة عن كل صحيفة واتجاهاتها .

وقد أعطت « لاليبرتيه » الصحافة العربية الأفضلية في هذا الباب – كما يقول – لأنها كانت ترمي إلى إحاطة الأجانب علما « بمصر الجديدة » التي ولدت بعد الحرب ، وبعقليتها وتفكيرها حتي تجعلهم على اتصال بالروح المصرية الحقيقية ، وقد وعدت بأن تجعل من هذا الباب ساحة أو معرضا للأحزاب السياسية الكبري ، يتعرف منه القارئ إلى مبادئ تلك الأحزاب من خلال أقوال صحافتها .

أما الصفحة الثالثة فقد حملت عنوان « لاليبرتيه » أيضا ، ولكن ببنط أصغر بكثير من البنط الذي كان يكتب به اسم الصحيفة ، وقد خصصت هذه الصفحة للأخبار المحلية ، بالإضافة إلى نشر باب دائم بعنوان « قصة الليبرتيه المسلسلة » Feuilleton de la Liberté ، وكانت تخصصه لنشر بعض القصص الأدبية ، في حين خصصت الصفحة الرابعة بكاملها للإعلانات .

ولقد كانت الإعلانات أحد المصادر الرئيسية لتمويل هذه الصحيفة فقد أقبل المعلنون على نشر إعلاناتهم فيها ، وكانت أغلب هذه الإعلانات ترد من كبرى المصارف والمتاجر والمؤسسات المالية والصناعية والتجارية في مصر ، وفي بعض الأحيان من باريس وبخاصة في مواسم « الأوكازيونات » ونستطيع أن نذكر من بين هؤلاء المعلنين شملا وشيكوريل والبنك التجاري المصري ، وبنك الإنجلو إجيبشيان ، والبنك الأهلي المصري ، ومصنع المعصرة للأسمنت وغيرها ، وكان معظم هؤلاء المعلنين من اليهود المقيمين في مصر ، بالإضافة إلى بعض الإعلانات القليلة التي كانت تروج لبعض الصناعات الصهيونية مثل نبيذ « ريشون لوزيون » الذي كان يتم إنتاجه في فلسطين .

ولا شك في أن الوفد أيضا كان أحد مصادر التمويل الأساسية للصحيفة فقد أغدق عليها الحزب ، ولذلك تمكنت من توفير جميع الإمكانات اللازمة لتقدمها من مطابع وخلافه .

ومما يدلنا على أنه كانت لصحيفة « لاليبرتيه » مطبعتها الخاصة أنها اعتذرت لقرائها في عددها الأول عن عدم وصول ماكيناتها الخاصة ، مما اضطرها لطبعه في مطبعة بول باربي Paul Barbey ، ولذلك جاء العدد دون المستوى المرغوب فيه من الإخراج – على حد قول الصحيفة – ولكنها أكدت لقرائها أن تأخيرا بسيطا قد حدث ، وأنها تتوقع وصول المطابع قريبا حتى تتمكن من تقديم الخدمة اللائقة بقرائها .

وقد مضت « لاليبرتيه » في مسيرتها الصحفية بنجاح كبير ، فعلى الرغم من تعطيلها بقرار وزاري في 30 يوليو 1922 بسبب الحملة العنيفة التي شنتها على وزارة عبد الخالق ثروت ، وبخاصة في أعقاب اعتقال بعض قادة الوفد خلال تلك الفترة ، فإنها تمكنت من معاودة الصدور يوم 21 أغسطس من العام نفسه – أي بعد توقف استغرق ثلاثة أسابيع – بالاسم نفسه وبالسياسة نفسها وبالإدارة والتحرير أنفسهما ، وبدون أدنى قيد أو شرط ، فقد أعلنت الصحيفة في عددها الأول الصادر بعد التعطيل ، أنها ستدافع عن السياسة التي تبنتها بالأمس .

وقد انعكس التطوير الذي تم إدخاله على « لاليبرتيه » في التقدم الذي أحرزته خلال سنوات صدورها ، فمع بداية مطلع العام الثاني لإنشاء الصحيفة تم تخفيض سعر النسخة إلى خمسة مليمات حتى تكون في متناول أكبر عدد ممكن من القراء ، كما أنه تم تحقيق أمنية كاسترو بإصدارها في ست صفحات اعتبارا من يوم 15 أكتوبر 1923 . ويبدو أنه تم زيادة عدد الصفحات مع قرب إجراء الانتخابات البرلمانية ، ولكنها ظلت تصدر بهذا الحجم بعد الانتخابات أيضا مما يدلنا على أن الوفد وفر لها الإمكانات المادية اللازمة لتخوض المعركة إلى جانبه وقد ترتب على زيادة الصفحات أن زادت مساحة الإعلانات ، كما تم تطوير الصفحات الداخلية والأبواب الثابتة .

وبعد فوز الوفد ووصوله إلى كرسي السلطة في يناير 1924 ، حصلت « لاليبرتيه » على المساعدة الدائمة والمستمرة للمحامين : جعفر فخري ، وعزيز أنطون ، نائبي الوفد في البرلمان عن مدينة الإسكندرية ليقوما بمتابعة المناقشات البرلمانية وعرض المسائل السياسية التي تشغل البرلمان على صفحاتها وقد تم اختيار هذين النائبين بالذات للدفاع عن القضية المصرية أمام قراء الصحيفة من الأجانب .

وتجدر الإشارة إلى أن صحيفة « لاليبرتيه » وكانت تباع في باريس بشارع Chaussée d'Antin رقم 4 على مقربة من ميدان الأوبرا .

وخلال مايزيد على ثلاث سنوات بقليل أمضتها صحيفة « لاليبرتيه » تحت إدارة ليون كاسترو وصلت هذه الصحيفة وصاحبها إلى مكانة لم يصل إليها غيرهما في تلك الفترة القصيرة ، فقد استطاع كاسترو بفضل مواهبه المتعددة أن يجعل منها واحدة من أكثر الصحف الفرنسية توزيعا في مصر خلال أقل من عام ، ويرجع ذلك إلى أنه اختار أن يكون ناطقا بلسان الوفد المصري الذي برز بعد الحرب العالمية الأولى كأكبر الأحزاب المصرية وأقواها ، التي تقود النضال ضد الإنجليز ، مما جعل صحيفته محل اهتمام الرأي العام المصري ، والأجنبي على السواء ، ومحل اهتمام المراقبين السياسيين المكلفين بمتابعة الموقف السياسي في البلاد بوجه خاص .

ولقد أعطت علاقة كاسترو بسعد زغلول وزعماء الوفد من ناحية ، وبدار المندوب السامي البريطاني ، وبعض كبار رجال الجاليات الأجنبية في مصر من ناحية أخرى ، أعطت صحيفة « لاليبرتيه » وزنا خاصة بفضل ماكانت تنشره من معلومات وأخبار مستقاة من مصادر موثوقة ، وبفضل ماكانت تحققه من سبق صحفي ، مما جعلها مصدرا لبعض ماكانت تنشره الصحف العربية في مصر ، بل وللصحف الوفدية أيضا التي كانت تنقل عن صحيفة « لاليبرتيه » في كثير من الأحيان ، ولذلك كان ليون كاسترو يتمتع باحترام تلك الصحف التي كانت تشير إليه بكل احترام وتقدير ، ولاتذكر اسمه إلا مسبوقا بكلمة « الأستاذ » أو « المسيو » كاسترو .

من ناحية أخرى كانت صحيفة « لاليبرتيه » المصدر الأساسي للمعلومات التي كان يرسلها المندوب السامي البريطاني إلى حكومته عن اتجاهات حزب الوفد

وسياساته . يتضح لنا ذلك من التبرير الذي قدمه كلارك كيرلرامسي ماكدونالد ، حينما أفاض في النقل عن صحيفة « لاليبرتيه » في أحد تقاريره ؛ إذ كتب يقول : « إذا كنت قد أفضت في نقل آراء « لاليبرتيه » فما ذلك إلا أنها الصحيفة القريبة جدا من مستشاري الحزب الزغلولي ، كما أن لديها موهبة خاصة في حشد المغالطات والمشاعر بطريقة تستحوذ على قطاع كبير من القراء ، وفي الحقيقة هذه الصحيفة ليست غريبة تماما على أساليب زغلول باشا نفسه » .

وبالإضافة إلى اتصالاته وعلاقاته الواسعة استطاع ليون كاسترو – بفضل حرصه الشديد على أن يوفر لصحيفته كل عناصر النجاح – أن يحيط نفسه بمجموعة من أبرز كتاب الفرنسية من الصحفيين الأجانب في مصر ، حتى لقد بلغ عدد المعاونين له في عام 1922 أربعة رؤساء تحرير سابقين لصحف فرنسية – على حد قول صحيفة « لاليبرتيه » – وكان من أبرز هؤلاء المعاونين جورج دوماني السكرتير الفرنسي السابق لحزب الوفد ومدير التحرير السابق لصحيفة « نوفيل دالكسندري » Nouvelles d'Alexandrie ، ومدير تحرير صحيفة « لارفيو اجيبسيين » ، La Revue Egyptienne ، وجوزيه كانري المحامي صاحب جريدة « ليجيبت نوفيل » L'Egypte Nouvelle ، وادجار جلاد صاحب جريدة « لوجرنال ديجيبت » فيما بعد ، ومسيو دورتال Durtal وغيرهم ، وكان هؤلاء مسئولين عن إدارة الصحيفة وتوجيهها مع كاسترو في أثناء غيابه أو انشغاله بأعماله الأخرى ، بالإضافة إلى كتابة المقالات الافتتاحية التي كانت تعبر عن رأي الجريدة وسياستها .

وإلى جانب هذا الفريق من المعاونين كان هناك فريق آخر من الصحفيين والفنيين الذين يتولون أعمال الترجمة والتحرير والإخراج الفني للصحيفة .

ويبدو أن صحيفة « لاليبرتيه » لم تكن مجرد صحيفة يمتلكها يهودي فقط ، وإنما كانت صحيفة يسيطر على العمل فيها أغلبية من اليهود ، يدلنا على ذلك أنها كانت تغلق مطابعها وتتوقف عن الصدور في بعض الأعياد والمناسبات اليهودية كما حدث في « يوم كيبور » – عيد الغفران – عام 1924 بمناسبة الصوم الكبير عند الإسرائيليين .

من ناحية أخرى استطاع ليون كاسترو أن يجتذب بعض كبار الشخصيات المصرية للكتابة في « لاليبرتيه » مثل أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي سابقا .

وتذكر الصحيفة أن أحمد شفيق باشا كان أحد الرجال الأوائل الذين قدموا مساعدتهم الكبيرة للصحيفة في المهمة التي اضطلعت بها ، ولذلك بدأ في نشر سلسلة من المقالات تحت عنوان « مصر الحديثة والنفوذ الأجنبي » L'Egypte Moderne et les influences étrangers منذ صدور العدد الأول منها .

وهكذا استطاع ليون كاسترو بفضل مواهبه المتعددة ، أن يوفر لصحيفته كل العوامل التي جعلت منها واحدة من أبرز الصحف الأجنبية في مصر خلال الفترة القصيرة التي عاشتها .

* * *

L'AURORE

« لـــــورور »

1924

في عام 1921 وفد على مصر قادما من فلسطين صحفي صهيوني يدعى لوسيان شوتو(*) Lucien Sciuto .

كان شوتو قبل مجيئه إلى مصر يقيم في تركيا ، وكان واحدا من أوائل الصهيونيين المتحمسين الذين لبوا نداء هرتزل ، فأصدر في الآستانة عام 1908 صحيفة صهيونية ناطقة باللغة الفرنسية أطلق عليها اسم « لورور » L'Aurore – أي الفجر – في وقت كانت فيه حركة تركيا الفتاة في أوج مجدها وعظمتها ، وفي وقت لم تكن توجد فيه صحيفة يهودية أخرى في الشرق كله – على حد قول شوتو – تستطيع أن تتجرأ وترفع صوتها لصالح الهدف القومي »[113] ، ولكن لأن الحرب العالمية الأولى جاءت نذير شؤم عليها – كما يقول موريس فرجون – فقد توقفت صحيفة (لورور) في عام 1919[114] ، بعد عمر يزيد على عشر سنوات .

(*) ولد لوسيان شوتو في سالونيك بتركيا عام 1886 ، ثم غادر تركيا عام 1900 إلى فرنسا حيث عمل في بعض المجلات هناك ، ولدى عودته إلى تركيا أسهم في إنشاء « جورنال دي سالونيك » Journal de Salonique وأصبح أحد الكتاب المعتمدين فيه .

هاجر إلى مصر عام 1921 بعد إقامة قصيرة في فلسطين حيث أعاد إصدار صحيفة (لورور) في القاهرة عام 1924 . في يوليو عام 1931 . ترك الصحيفة لجاك مالح ليعمل مدرسا للغة الفرنسية في المدارس الثانوية الحكومية . في عام 1939 عمل في الرقابة على الصحف ، ومكث فيها عاما واحدا ، ثم تركها لتعيينه مديرا لمدرسة الليسيه اليهودية بالإبراهيمية بالإسكندرية عام 1941 .

كان يكتب الشعر ، ومن أشهر قصائده ديوان بعنوان Le Peuple du Messie « شعب المسيح » . (نقلا عن Annvaire des Juifs d'Egypte) .

شرع شوتو لدى وصوله إلى مصر في الاتصال بالدوائر الصهيونية بالقاهرة ، وانخرط في سلك العمل الصهيوني ، ولذلك وقع عليه الاختيار عام 1922 لرياسة تحرير « لارفيو سيونيست » خلفا لليون كاسترو ، وقد اقتضى ذلك تعيينه سكرتيرا عاما للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر ، التي أصبح نائبا لرئيسها عام 1924 ، ثم عين سكرتيرا عاما للصندوق القومي اليهودي بمصر عام 1925 ، واضطلع بمهمة الدعاية والإعلام له .

وعلى الرغم من نشاطه الصهيوني فقد نجح لوسيان في عهد الوزارة الدستورية الأولى في تاريخ مصر برياسة سعد زغلول(*) (28 يناير – 24 فبراير 1924) في الحصول على ترخيص لإعادة إصدار صحيفة « لورور » مرة أخرى في القاهرة ، وظهر العدد الأول منها بشكلها القديم في 19 فبراير 1924 حاملا برنامج صحيفة « داي فلت » Die Welt – العالم – التي كان يصدرها هرتزل كشعار لها :

« Ce Journal est un Journal Juif,nous acceptonr cette épithéte qui pour d'aucune signifie une injure,est nous voulouns en faire un titre de gloire . « theodore Herzl (programme de Die Welt) » .

إن هذه الصحيفة يهودية ، ونحن نقبل هذه الصفة التي يعتبرها البعض مسبة ، ونريد أن نجعلها لقبا من ألقاب المجد ، تيودور هرتزل (برنامج داي فلت) .

ونظرا لأن شوتو احتسب السنوات الماضية من عمر الجريدة ، فقد صدرت « لورور » وقد كتب عليها السنة الرابعة عشرة .

وعن السبب في عودة « لورور » إلى الصدور يقول موريس فرجون : إن مشتركيها القدامى ألحوا على شوتو لكي يصدرها من جديد ، ولذلك عادت « لورور » بعد ثلاث سنوات من التوقف إلى الظهور في ثوبها القديم[115] ، أما لوسيان شوتو فيذكر أنه حينما وصل إلى مصر وجد كثيرا من اليهود يشتركون في

(*) كان سعد زغلول يشغل منصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

صحف معادية للسامية ، في حين أنه لم يجد شخصا واحدا معاديا للسامية يشترك في صحيفة يهودية ، ولذلك فكر في إصدار (لورور) ليهود مصر الذين يساندون بأموالهم الصحف المعادية للسامية متوقعا أن تحظى صحيفته بدعم مماثل ، ولكن يبدو أن أمل شوتو في الحصول على الدعم والتأييد اللذين كان يتوقعهما قد خاب ، فعلى الرغم من أنه يزغم في العدد الثاني من (لورور) أن استقبال الجمهور للصحيفة عزز آماله وأن الاشتراكات وصلت بأعداد تكفي طمأنته على مستقبل الصحيفة ، وعلى الرغم من أنه يدعي أن استقبال الطائفة اليهودية المصرية لصحيفته فاق كا ماهو معروف عن هذه الطائفة من اللامبالاة بالنسبة للمسائل اليهودية[116] فإنه سرعان ما يكشف عن تجاهل مجلس الطائفة لها ، ويشكو عدم إقبال الجمهور اليهودي عليها وعزوفه عن دفع الاشتراكات .

ففي العدد رقم (13) تنشر (لورور) بيانا عن اجتماعات مجلس الطائفة نقلا عن صحيفة (جورنال دي كير) ، ويشير شوتو إلى أن هذا دليل على استمرار المجلس في تجاهله وجود الصحيفة واستيائه منها بسبب إثارتها موضوع السرقات في معبد Rab Zambre ، ثم يشكو للحاخام حايم ناحوم أفندي العذاب الذي يعانيه الصحفي في طبع صحيفة أسبوعية يهودية محلية ، ويروي له ردود فعل بعض المشتركين في اللحظة التي يقدم لهم فيها الإيصال[117] ، ولذلك فإننا نعتقد أن (لورور) لم تلق الشعبية التي يحدثنا عنها شوتو ، فهو يزعم أنها كانت تطبع عند بدء صدورها 2000 نسخة يقابلها عشرة آلاف قارئ ، ولكننا نعتقد أن ذلك كان من قبيل الدعاية للصحيفة وربما أيضا لجذب المعلنين .

وقد كشفت صحيفة (لورور) منذ عددها الأول عن الهدف الرئيسي وراء إصدارها ألا وهو الدعاية للصهيونية بلغة معتدلة بعيدة عن الحماس والمبالغات ، فقد كان شوتو يرى أن الصهيونية في تلك المرحلة لم تعد بحاجة إلى قرع الطبول ، ولم تعد بحاجة إلى الكلمات الرنانة الطنانة ، وإنما أصبحت بحاجة إلى مكان على موائد المفاوضات المتعقلة والمناقشات المتزنة ، ولذلك فقد وضع شوتو صحيفته في خدمة الهيئات الصهيونية بمصر ، فبعد أن توقفت « لارفيو سيونيست » عن الصدور

عام 1923 قامت (لورور) بمهمة المتحدث بلسان المنظمة الصهيونية في القاهرة ، فكانت تنشر بياناتها ونداءاتها إلى الجمهور اليهودي ، كما قامت بدور كبير في الدعاية للكيرن كايمت ، والكيرن هايسود وشجعت أعمالهما .

وكما فتحت (إسرائيل) صفحاتها لدكتور بوشميل مندوب الكيرن هايسود في مصر ، فتحت (لورور) صفحاتها له أيضا بل إنه أصبح احد معاوني شوتو ، ولذلك كان يتخلي له أحيانا عن المقال الافتتاحي ليقوم هو بكتابته - كما سنرى فيما بعد .

والإضافة إلى ذلك فتحت (لورور) صدرها للمقالات التي كان يرسلها إليها بعض رؤساء التنظيمات الصهيونية الدولية أمثال إيمي باليير Aimé Palliére رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الدولي للشبيبة اليهودية الذي بعث بمقال كتب خصيصا لقراء مصر عشية انعقاد المؤتمر الدولي الثاني للاتحاد في ستراسبورج عام 1928 ، وقد كتب باليير إلى (لورور) قائلا : « يسرني أن أقرا صحيفتكم الشجاعة دائما ، وأن أستخدمها دائما » ، وقد ردت (لورور) شاكرة باليير على معاونته القيمة ، وأكدت له أن الشباب اليهودي بمصر سيعرف كيف يستفيد من مقاله .

وتماشيا مع المنهج المعتدل الذي تبنته الصحيفة ، قامت (لورور) بنشر العديد من الأبواب التي اعتمدت على الدراسات التاريخية الهادئة مثل : Feuilleton de L'Aurore أي حلقات (لورور) و Poussiére de Bibliothéque أي غبار المكتبة .

وقد اهتمت (لورور) بالأخبار شأنها في ذلك شأن باقي الصحف الصهيونية التي صدرت في مصر ، فللأخبار المحلية خصصت بابا تحت عنوان Chronique Locala المحليات ، لأخبار اليهود في الخارج نشرت بابا بعنوان Israél Chez Les Nations إي إسرائيل لدى الأمم ، أما أخبار فلسطين فكانت تنشرها أحيانا تحت عنوان Ephémérides Palestiniennes الأحداث اليومية الفلسطينية ، وأحيانا أخرى تحت عنوان Israél chez Lui أي إسرائيل في وطنه .

ولإبراز النبوغ والتفوق اليهودي نشرت بابا بعنوان Le vie Intellectuelle أي الحياة

الثقافية خصته بأخبار الفنانين والكتاب اليهود في فلسطين والخارج ، وكانت تنشر فيه أيضا أخبار المسارح ودور النشر العبرية وما يصدر عنها من صحف أو مؤلفات جديدة .

ويبدو أن (لورور) ظلت طوال حياتها تعاني أزمات مالية طاحنة هددت وجودها ، إذ يذكر لنا موريس فرجون أنه على الرغم من تكاتف قوى معينة لتحمل خسائرها توقفت الصحيفة خلال عام 1931 مرتين عن الصدور وكانت المرة الثانية أطول من الأولى ، مما أثار استياء القراء الذين وجدوا فيها منبرا حرا كانت الطائفة في حاجة إليه لتحقيق الإصلاح المنشود بداخلها – على حد قوله .

ويضيف فرجون أن (لورور) انتقلت في العام نفسه إلى جاك مالح الذي كان يشترك وشوتو في تحريرها ، وقد حاول مالح بعد أن انتقلت إليه الصحيفة أن يقوم بإصدارها بمفرده بعض الوقت ، ولكن مع استمرار عجزها المالي وجه مالح نداء إلى بعض أخوة محفل بني بريت لإنقاذ الصحيفة قبل توقفها ، وقد تشكلت لجنة رعاية تحت رياسة سيمون ماني لدعم (لورور)[117] .

وكان من بين الأعضاء الذين يعدون أكثر تأثيرا في هذه اللجنة ليون باسان Léon Bassan وماركو فيتش Marcovitch اللذان نجحا مع زملائهما في إقالتها من عثرتها .

ويقول موريس فرجون : إن أحداث ألمانيا وتشكيل رابطة مكافحة معاداة السامية في مصر أعطيا صحيفة (لورور) انطلاقة كبيرة أتاحت لجاك مالح أن يتحرر من وصاية لجنة الرعاية خصوصا بعد أن اتخذت الرابطة (لورور) لسانا لحالها .

وقد ظلت (لورور) في عهد جاك مالح على ماكان معروفا عنها من جرأة وشجاعة في تناولها المسائل الصهيونية ، بل إنها أصبحت أكثر تشددا في مطالبتها بحق اليهود في الوطن القومي إذ تقول في مقال بعنوان « لن يخيفونا » :

« الوطن القومي هو للشعب اليهودي بموجب موافقة 52 دولة ... وعرب البلاد الذين كانوا في الماضي البعيد بدوا رحلا جاءوا من بلاد بعيدة ، عليهم أن يقبلوا ذلك إن شاءوا العيش في سلام مع أبناء صهيون ... إن اليهود في وطنهم فلسطين ،

وهذا مايجب أن يفهمه ويسلم به جميع سكان البلاد[118] .

كانت (لورور) تصدر في القاهرة صباح الثلاثاء من كل أسبوع في أربع صفحات وثمن النسخة قرش واحد ، وكانت تباع في الآستانة في مكتبة كارون Caron وقد حظيت هذه الصحيفة بدعم العديد من المتاجر اليهودية ، فقد احتلت إعلانات هذه المتاجر صفحتها الرابعة كاملة ، وكان من أبرز المعلنين فيها المحلات « سنجر » التي كان يديرها إبرافانيل Abravanel رئيس محفل القاهرة ، ومحلات شيكوريل ، وبنك أوريون وغيرها .

ونظرا لعدم وجود ملف للصحيفة بإدارة المطبوعات ، وعدم توافر أعدادها كاملة فى دار الكتب ، لم نتمكن من معرفة الوقت الذي توقفت فيه عن الصدور علاوة على أن بعض الدراسات التي تناولت تاريخ الصحافة اليهودية في مصر مثل كتاب موريس فرجون « اليهود في مصر » Les Juifs en Egypte ، لم تتطرق إلى هذه النقطة وعلى ذلك فإن التاريخ الذي توقفت فيه يظل مجهولا بالنسبة لنا ، ولكن من الثابت أن (لورور) ظلت تصدر حتى عام 1936 ، حيث كانت تنقل عنها مجلة « كاديما » بعض أقوالها كما هو مثبت في الصفحات السابقة ، وحيث شاركت في الحملة التي شنتها الصحافة اليهودية في ذلك الوقت على ألمانيا ، الأمر الذي جعل المفوضية الألمانية في القاهرة تطلب من مكتب الصحافة التدخل لدى هذه الصحيفة لوقف حملتها .

* * *

وقد تميزت الفترة من عام 1924 حتى عام 1930 بصدور الكثير من الصحف اليهودية الناطقة بالفرنسية التي يبدو أنها لم تعمر طويلا ، ولذلك فإننا لم نوفق في العثور على أي منها .

ومن أبرز الصحف التي ظهرت خلال تلك الفترة صحيفة باسم « فلسطين » Palestine عام 1924 ، وأخرى تحمل الاسم نفسه عام 1927 ، كما شهد عام 1928 ظهور مجموعة من الصحف اليهودية من أهمها : « كورييه جويف » Courrier Juif

أي البريد اليهودي ، و« نوميرو جويف » Numéro Juif – العدد اليهودي – و « لافي جويف » La Vie Juif الحياة اليهودية وL'ILLustration juive الصورة اليهودية ، وهي المجلة التي تحولت فيما بعد إلى « كاييه جويف » Cahiers Juifs الكراسات اليهودية – كما سنرى فيما بعد .

ولا شك في أن السبب في ظهور هذا العدد الكبير من الصحف اليهودية خلال تلك الفترة القصيرة – نسبيا – يرجع إلى صدور قرارات سان ريمو التي اعترفت بتصريح بلفور ، وأسندت الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا ، وقد أعطى هذا دفعة إلى العمل الصهيوني والمهتمين به ممن وجدوا في الصحافة خير وسيلة لحشد الجهود اليهودية من أجل بناء الوطن القومي ، الذي حظي باعتراف القوى العظمى ومساندتها .

La Voix Juive

« لافــــوا جويـــف »

1931

في عام 1931 ، وفي عهد وزارة إسماعيل صدقي الأولى ، أصدر صحفي يهودي يدعى ألبير ستراسلسكي Albert Straselski صحيفة صهيونية في مدينة القاهرة أطلق عليها اسم « لافوا جويف » La Voix Juive أي الصوت اليهودي .

وكان ستراسلسكي – وهو يهودي من أصل روسي – قد « ولد في القاهرة عام 1903 ، وتلقى تعليمه في مدارس الطائفة الإسرائيلية حتى حصل منها على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، ولكنه ترك الدراسة وعمره ثلاثة عشر عاما ، واتجه إلى الكتابة والعمل الصحفي[*] .

(*) يذكر الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى عام 1942 أن ستراسلسكي عمل في عدد من الصحف الفرنسية في مصر من أهمها « لوجورنال دي كير » و « لابورص إجيبسيين » « ولاباتري » و « لوجورنال ديجيبت » ، كما تشير صحيفة « الشمس » إلى أنه كان يرأس تحرير صحيفة « جورنال دالكسندري » ، ولكنه تركه في مارس عام 1944 .

وفي عام 1923 غادر ستراسلسكي مصر إلى باريس لاستكمال دراسته فالتقى هناك وفلاديمير جابوتنسكي(*) ، فانبهر بشخصيته ، وأعجب بأفكاره ، فقرر تكريس نفسه للعمل معه من أجل القضية الصهيونية »[119] .

وحينما أسس جابوتنسكي حزب التصحيحيين Parti des Révisionnistes في باريس عام 1925 داخل المنظمة الصهيونية العالمية ، « كان ستراسلسكي من أبرز أعضائه ، ومن أخلصهم ولاء لأستاذه جابوتنسكي وأشدهم التصاقا به ، وإعجابا بأفكاره .

« وبعد ست سنوات من النشاط الصهيوني المتواصل مع جابوتنسكي عاد ستراسلسكي إلى مصر عام 1926(**) ليؤسس فرعا لحزب التصحيحيين بالقاهرة يبشر بمبادئ الحزب بين اليهود المصريين ويحمل لواء المعارضة داخل صفوف المنظمة الصهيونية في مصر ، فقد أدرك جابوتنسكي وستراسلسكي - كما أدرك وايزمان وهرتزل من قبلهما - أهمية مصر وأهمية الطائفة الإسرائيلية بها فيما يتعلق بدعم الحركة الصهيونية من الناحيتين المادية والسياسية ، ولذلك ركز ستراسلسكي على جذب بعض أفراد الرأسمالية اليهودية في مصر إلى حركته ، وبالفعل انضم إليه رالف جرين أحد كبار الملاك العقاريين ، وبعض أفراد من عائلة موصيري بالإضافة إلى فيكتور حزان المحامي ، ورافاييل صادوفسكي(***) الذي كان عضوا عاملا في التنظيم

(*) فلاديمير جابوتنسكي يهودي روسي برز في مجال العمل الصهيوني في روسيا ثم انتقل إلى استانبول حيث أصبح مسئولا بصفة رسمية عن شبكة الصحافة الصهيونية بين عامي 1909 و1911 ، ويعد من أهم مؤسسي الصندوق اليهودي ، والفيلق اليهودي وحركة بيطار ، والهستدروت .

وقد أسس جابوتنسكي حزب التصحيحيين في باريس عام 1925 داخل المنظمة الصهيونية العالمية ثم انفصل عنها عام 1935 مكونا المنظمة الصهيونية الجديدة بسبب رفض المنظمة الصهيونية العالمية جعل الدولة الصهيونية الهدف المعلن للحركة ولرغبته في تغليب الجانب القومي على الجانب الديني .

(**) كان ذلك في أواخر وزارة محمد محمود الأولى وأوائل عهد وزارة عدلي يكن الثالثة .

(***) كان طالبا بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب جامعة فؤاد في آواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات .

الذي يتبع عصابة « شتيرن » مباشرة في فلسطين وكان همزة الوصل أو الأمين العام لفرع « شتيرن » في القاهرة الذي نفذ عملية اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط عام 1944 ، كذلك حظي ستراسلسكي بدعم وتأييد دافيد براتو الحاخام الأكبر لمدينة الإسكندرية[120] .

وكانت البداية الأولى لنشاط حزب التصحيحيين في مصر هي إصدار مجموعة من النشرات باللغة الفرنسية ، توضح موقف الحزب من مسألة الوطن القومي اليهودي ، وتنطوي على هجوم عنيف ضد السياسة التي كان يتبعها حاييم وايزمان ، ولكن في عام 1931 ، رأى حزب التصحيحيين أن يصدر جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية لتعبر عن آرائه وتنشر دعوته ، فكان أن أصدر ستراسلسكي جريدة سياسية أسبوعية هي « لافواجويف »[*] La Voix Juive أي الصوت اليهودي ، واتخذ لها مقرا في شارع « أبو السباع » (جواد حسني الآن) بالقاهرة ، حيث كانت الحركة تعقد اجتماعات وندوات أسبوعية ؛ للاستماع إلى أخبار الحركة الصهيونية تتلوها مناقشات سياسية[121] .

وكان لنشاط التصحيحيين رد فعل واضح على الحركة الصهيونية في مصر التي لم تكن حتى ذلك الوقت قد بلغت درجة واضحة من النضج ، فقد ألهب التصحيحيون حماس الحركة الصهيونية بوجه عام ، مما دفعها إلى التحرك والانطلاق وقد بدأ التصحيحيون يحققون شعبية وتأثيرا في أوساط الصهيونيين ، وتجلى ذلك حينما دعت المنظمة الصهيونية العالمية الهيئات الصهيونية في مصر لانتخاب مندوب يمثلها في المؤتمر الصهيوني العالمي في زيورخ عام 1931 [**] ، فرشح التصحيحيون جابوتنسكي لتمثيل مصر ، وتقدمت مدام أجيون كمنافسة له ولكن التصحيحيين اكتسحوا المعركة الانتخابية ، وفاز مرشحهم بـ 700 صوت في حين لم تحصل مدام أجيون على أكثر من 300 صوت[122] .

(*) لم تعثر الباحثة على أي من نسخ هذه الصحيفة في مصر .

(**) في عهد وزارة إسماعيل صدقي .

وقد ظلت صحيفة التصحيحيين تصدر في القاهرة بانتظام ثم انتقلت إلى الإسكندرية ، وقد رحبت بها سائر الصحف الصهيونية في مصر ونقلت عنها ، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة Cahiers Juifs عام 1933 إعلانا يروج لها قالت فيه :

حتى نكون على علم بالأصوات اليهودية المتنوعة اقرأ :

« لافوا جويف » La Voix Juive

Crange Indépendant du Judaisme Intégral

لسان حال اليهودية المستقل

الاشتراكـات : فلسطين والبلاد الأخرى : 60 فرنكا في العام

: مصر 40 قرشا في السنة

المكاتبـات على : 158 شارع الملكة نازلي الإسكندرية ـ مصر .

أما مجلة (كاديما) KADIMA فقد أشادت بنشاط هذه الصحيفة فكتبت تقول : « منذ بضعة شهور يبدي تجمع المنظمة الصهيونية الجديدة بالقاهرة نشاطا حيا ، يبدو بصفة ملحوظة من خلال الصحيفة الأسبوعية التي تصدر كل ثلاثاء ، وتضم خلاصة ما يدور في الجلسات التي تعقدها هذه المنظمة في 17 ش المدابغ (عبد الخالق ثروت اليوم) .. » ثم نشرت (كاديما) مقالا لألبير ستراسلسكي رئيس تحرير La Voix Juive أعطى فيه لمحة عن الأسلوب والطريقة التي تتبعها جماعته في متابعة الموقف و تعليقها عليه[123] .

وفي عام 1933 توقفت الصحيفة عن الصدور بسبب سفر ستراسلسكي إلى باريس بناء على طلب جابوتنسكي ، وفي باريس عمل ستراسلسكي سكرتيرا باللجنة التنفيذية لحزب التصحيحيين ، وكلفه جابوتنسكي في العام نفسه بإصدار صحيفة لحزبهم في باريس تحت اسم (صوتنا) Notre Voix ، وقد تولى ستراسلسكي رياسة تحرير هذه الصحيفة التي حملت لواء معارضة وايزمان ، ونددت بسياسته الرامية إلى الاعتماد على بريطانيا على الرغم من تسويفها في تنفيذ نصوص وعد بلفور ، وقد اتخذت هذه الصحيفـة موقفا عدائيـا من العـرب ، ففي عددها الصادر يوم 4 سبتمبر 1934

دعا ستراسلسكي على صفحاتها إلى اجتماع بدار الحزب ، لسماع خطاب عما أسماه « الخطر الناجم عن موقف العرب إزاء الصهيونية »[124] .

واستطاع ستراسلسكي أن يحقق شعبية كبيرة في أوساط الصهيونيين في مصر ، فقد تم انتخابه عام 1933 مندوبا عن حزب التصحيحيين في مصر إلى المؤتمر الصهيوني العالمي ، الذي انعقد في مدينة براج في العام نفسه ، كما وصفه « الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى » بأنه « مناضل من أجل القضية الصهيونية ، وبأنه الزعيم الأساسي للتصحيحيين بمصر » .

وعندما انفصل جابوتنسكي عن المنظمة الصهيونية العالمية ، وأسس المنظمة الصهيونية الجديدة عام 1935 ، عاد ستراسلسكي إلى مصر من جديد ليستأنف نشاطه في تنظيم حركة التصحيحيين ، بحيث تصبح فرعا تابعا للمنظمة الجديدة ، وقد رحبت مجلة (كاديما) بعودته قائلة : « زميلنا ستراسلسكي بيننا من جديد .. صاحب « لافوا جويف » La Voix Juive و« نوترنوا » Notre Voix ، يعود من باريس حيث أمضى عامين ، نتمنى له حظا سعيدا .

ثم كتبت في عدد أغسطس 1936 تقول : « إنه بفضل صديقنا وزميلنا ألبير ستراسلسكي ، والذي أعلنا عن عودته من أوروبا أخيرا استعادت المنظمة الصهيونية الجديدة نشاطها ، إن صحيفة La voix Juive كانت أحد الابتكارات التي لاقت نجاحا كبيرا ، والتي يرجع الفضل في وجودها إلى صاحب (صوتنا) Notre Voixسابقا ... » واستطردت المجلة تحث ستراسلسكي وحزب التصحيحيين على إصدار صحيفة لهم ، حتى تجد أفكارهم رواجا وانتشارا بين الجمهور اليهودي ، فكتبت تقول : « إن الدراسات القيمة التي تتلى في اجتماعات هذه الجماعة تستحق توزيعا أكبر ، ونحن لانشك في أن الرؤساء الجدد للمنظمة الصهيونية الجديدة ، سيجدون الأموال اللازمة لإصدار صحيفة لحركتهم تكون جديرة بالفكر الذي يحرك ملهميها » ، ويبدو أن هذه الدعوات لاقت استجابة التصحيحيين فأعيد إصدار الجريدة باسمها السابق نفسه .

« وفي يوليو عام 1940 توفي فلاديمير جابوتنسكي في مدينة نيويورك وبوفاته لم تستطيع المنظمة الصهيونية الجديدة أن تنتخب خلفا له ، وذلك لتعذر انعقاد مؤتمر صهيوني عالمي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ، واقتصرت المنظمة على إنشاء مكاتب رئيسية لها في كل من فلسطين وبريطانيا والولايات المتحدة وجنوبي أفريقيا ..

وفي هذا التنظيم أصبح فرع المنظمة في مصر تابعا من الناحية التنظيمية لمكتب القدس ، وللتوجيه الشخصي لرئيسه الدكتور ألتمان[125] .

وفي بداية عام 1944 ، كانت تطورات الحرب العالمية الثانية تشير إلى قرب انتصار الحلفاء واندحار دول المحور ، ولهذا بدأت المنظمة الصهيونية الجديدة تتحرك بدرجة عالية من التنظيم والتكتيك لاتخاذ الخطوات الكفيلة بإعلان الوطن القومي غداة الحرب ، ومن أجل ذلك رأى الدكتور ألتمان وجوب دعم نشاط المنظمة في مصر ، وإضفاء صفة الشرعية عليها بالحصول على اعتراف رسمي من الحكومة المصرية بتأسيسها وشرعيتها ، فأصدر بوصفه رئيسا لفرع المنظمة قرارا بتعيين ألبير ستراسلسكي ممثلا للمكتب السياسي لرياسة المنظمة الصهيونية العالمية الجديدة بالقدس ، وعهد إليه بتنظيم وإدارة جميع شئونها في البلاد ، وعلى أثر ذلك شرع ستراسلسكي في إعادة تشكيل فرع القاهرة ، ودعا إلى اجتماع في مكتبه يوم 25 يونيو 1944 ، اقترح فيه تشكيل هيئة الفرع ، وحرر محضرا بهذا الاجتماع بعث به إلى الحاكم العسكري العام في مصر يطلب موافقته على تكوين الفرع .

« وفي أوائل يوليو 1944 استدعى رفعت باشا[*] وكيل وزارة الداخلية ألبير ستراسلسكي وثلاثة من أعضاء الهيئة ، وأبلغهم عدم موافقة الحكومة المصرية على إنشاء هذا الفرع في البلاد ، وبالتالي فإن عليهم أن يوقفوا نشاطهم تماما .
« وعلى الرغم من تحذير الداخلية المصرية ، ظل ستراسلسكي وباقي الأعضاء يمارسون نشاطهم إلى أن صدرت الأوامر بطرد ستراسلسكي من البلاد في 28 مايو 1945[126] ، ولكن لم يعرف أي شيء عن مصير « لافوا جويف » أو عن تاريخ توقفها عن الصدور .

(*) في عهد وزارة مصطفى النحاس باشا السادسة (26 مايو 1942 – 8 أكتوبر 1944) .

CAHIERS JUIFS

« كاييـــه جويـــف »

1933

تقدم صحيفة « كاييه جويف » Cahiers Juifs دليلا حيا وملموسا على تورط رجال الدين اليهودي في مصر في أعمال الدعاية الصهيوينة ، فعلى الرغم من محاولات الفصل المزعومة بين الصهيونية كحركة سياسية ، واليهودية كعقيدة دينية ، والتي تستر وراها رجال الدين اليهودي والمسئولون عن الطائفة اليهودية في مصر ، نجد أن مؤسس هذه الصحيفة التي كشفت عن اتجاهاتها الصهيونية ، واحد من كبار رجال الدين اليهودي في مصر هو الحاخام دافيد براتو حاخام الإسكندرية الأكبر[127] .

ويستفاد من الأعداد التي عثرنا عليها في بعض المكتبات الخاصة أن تاريخ هذه الدورية يرجع إلى عام 1929 حينما صدرت تحت اسم Illustration Juive ، في حين نجد صورة للصفحة الأولى من العدد الخامس لصحيفة Illustration بتاريخ مارس 1930 تشير إلى أن الصحيفة في عامها الثالث[128] ، وإذا لم يكن قد وقع خطأ مطبعي في هذا الرقم فمعنى ذلك أن « كاييه جويف » يرجع تاريخها إلى نوفمبر عام 1927 ، وأنها كانت تصدر مرة كل شهر .

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على أية أعداد من Illustration Juive فإنه يبدو مما نشرته « كاييه جويف » أن القائمين عليها كانوا يتطلعون إلى الوصول بها إلى آفاق دولية ، ولذلك قاموا بإدخال بعض التغييرات التي تمثلت في تغيير اسمها وشكلها ، وإصدارها مرة كل شهرين ، وقد تولى رياسة تحريرها ليون بالومبو Léon Palombo في حين تم تعيين ماكسيم بيحا Maxime Piha سكرتيرا عاما للصحيفة في أوربا ــ حيث كان يتخذ من باريس مقرا له ــ ثم تولى رياسة تحريرها عام 1936 ، وبذلك كانت Cahiers Juifs هي أول صحيفة صهيونية لليهود في مصر تصدر في مدينتي الإسكندرية وباريس في وقت واحد .





N° 1 JANVIER 1933
(TEVETH 5693)

صورة رقم (11)

غلاف العدد الأول من « كاييه جويف » يناير 1933

وتذكر «كاييه جويف » أنها استطاعت الوصول إلى هذا المستوى بفضل رصيدها من النجاح الذي حققته Illustration Juive والتي تمكنت بالرغم من مصادرها المتواضعة أن تصبح في وقت وجيز جدا واحدة من أهم المطبوعات المكرسة لخدمة « الفكر اليهودي » الناطق بالفرنسية ، كما تشير أيضا إلى أنه بفضل روح التآلف والانسجام التي سادت المعاونين في إصدارها ، لم تقتصر الصحيفة على مجرد كونها ناطقة بلسان « المفكرين اليهود » في مصر والبلاد الناطقة بالفرنسية ، بل أصبحت أيضا المنبر الذي التقى عليه ممثلو الاتجاهات المتنوعة في الثقافة اليهودية المعاصرة .

وعلى الرغم من حديث الصحيفة في افتتاحيتها عن « الفكر اليهودي » و« المفكرين اليهود » و « الثقافات اليهودية » فإنها سرعان ماتكشف عن الاتجاه الصهيوني الكامن وراءها ، إذ لاتلبث أن تتحدث في الافتتاحية عن « القيم اليهودية الدائمة والمتجددة » التي تسهم في إنشاء الوطن على أرضه المفقودة والمستردة استجابة لنداء الصهيونية المعاصرة ، ثم تكشف صراحة عن اهتمامها بإعادة البناء الفلسطيني من الناحيتين الاقتصادية والثقافية ، وحرصها على مساعدة يهود حوض البحر المتوسط الذين يقع عليهم عبء وشرف الحفاظ على شعلة إسرائيل عالية على مر العصور .

وقد ادعت « كاييه جويف » الاستقلال فهي تذكر أنها لا تنطق بلسان أي من المنظمات الصهيونية ، وأن فريقا من المتطوعين يتولى إصدارها ، ولكنها مع ذلك أعلنت انحيازها التام إلى حاييم وايزمان وناحوم سولوكوف ، وهما من زعماء الحركة الصهيونية العالمية بقولها : إنه بدون وايزمان وسوكولوف ما أمكن تحقيق الأماني اليهودية ، وما كان هناك تصريح بلفور ولاضمانات دولية . كذلك فتحت صفحاتها لبعض الشخصيات الصهيونية للمساهمة في تحريرها ، وكان من بين هؤلاء ناحوم جولدمان ، وهانز كوهين ، وبرودتسكي ، بالإضافة إلى جان لوجول رئيس تحرير « لابورص إجيبسيين » المتعاطف مع الصهيونية .

وقد تميزت الصحيفة بدراستها الوثائقية والتاريخية والدينية ، فقد كانت معظم الموضوعات التي نشرتها تتناول بعض السير والتراجم مثل الموضوعات التي نشرتها عن ناحوم سوكولوف ، وفرويد والفرويدية ، وإدموند روتشليد(*) هذا بالإضافة

(*) إدموند روتشيلد اقتصادي ورجل أعمال يهودي ، ساهم في تمويل عمليات الاستيطان اليهودي في فلسطين ، ولذلك أطلق عليه « أبو اليشوف » .

إلى الباب الذي كانت تنشره بعنوان « وثائق » Documents ، والذي أعلنت أنها ستضمنه – بروح موضوعية محضة – كل الكتابات والوثائق والتقارير التي تحدد خطوات التنمية اليهودية في فلسطين ، ومن هذا المنطلق كانت أولى الوثائق التي نشرتها الصحيفة في هذا الباب ملخصا للخطبة التي ألقاها المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، في جلسة لجنة الانتدابات يوم 3 نوفمبر 1932 ، والتي تناول فيها المسائل المتعلقة بالأمن والهجرة والمستعمرات اليهودية ، والزراعة وخطة التنمية والمجلس التشريعي .

وقد أتبعت « كاييه جويف » خطبة المندوب السامي بمقتطفات من الخطاب الذي ألقاه ناحوم سوكولوف رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في المجلس البلدي بتل أبيب ، وكلمات غيره من الشخصيات الصهيونية .

وبالإضافة إلى ذلك نشرت موضوعات أخرى بعنوان : الحركة القومية ، والصهيونية العمومية ، نحو الوحدة اليهودية ، اليهود والاكتشافات الجغرافية الإسبانية والبرتغالية ، كما نشرت أشعار ايديشيه ، وهكذا حاولت المجلة أن تغطي نشاط اليهود في كل فروع المعرفة : من علوم ، وأدب ، وفن ، وجيولوجيا ، وآثار ، وتاريخ ، وغيرها بهدف إظهار فضل اليهود على الحضارة من ناحية ، وبث المفاهيم الصهيونية في أذهان قرائها من ناحية أخرى .

وكانت « كاييه جويف » أشبه بالكتاب في حجمها وإخراجها ، فقد بلغ عدد صفحات عددها الأول ثمانين صفحة طول الصفحة 25سم ، وعرضها 18سم ، وكان لها غلاف يشبه أغلفة الكتب المدرسية ، وكان يصدر بألوان مختلفة ، أحياناً باللون الأصفر ، وأحياناً آخرى باللون الأزرق أو الأحمر .

وفيما يتعلق بالإعلانات يعدو أنها لم تكن من مصادر التمويل الأساسية التي اعتمدت عليها المجلة ، فقد كانت الإعلانات تحتل ، صفحات فقط من المجلة التي كان يصل عدد صفحاتها في بعض الأحيان إلى 138 صفحة ، وقد تم توزيع هذه الإعلانات على صفحتين في بداية المجلة ، وأربع صفحات في نهايتها ، وكان معظم هذه الإعلانات عن تعليم اللغات الأجنبية بالجرامافون ، أو نبيذ وكونياك ريشون لوزيون المقطر في فلسطين أو صدور كتب يهودية ، أو عن العروض التي سيقدمها المسرح العبري في القاهرة ، أو معارض لبعض الرسامين اليهود من فلسطين ... الخ .

كانت قيمة الاشتراك السنوي في المجلة عند بدء صدورها أربعين قرشا في مصر ،

وستين فرنكا فرنسيا في فرنسا والخارج ، ولكن في عام 1933 تم رفع قيمة الاشتراك فأصبح ستين قرشا في مصر ، و 72 فرنكا في فرنسا والخارج وذلك عن ستة أعداد من المجلة مع كتاب يختار من القائمة التي نشرتها الصحيفة ، أو مائة قرش لمصر ، و110 فرنك لفرنسا والخارج مقابل الاشتراك في ستة أعداد من المجلة وخمسة كتب من القائمة ، وكانت معظم الكتب المنشورة في القائمة تتناول مسائل يهودية وصهيونية ، ومعنى ذلك أن المجلة استهدفت ترويج بعض المؤلفات في الفكر الصهيوني ؛ حتي يحصل القارئ على جرعة مكثفة خلال الشهرين اللذين يفصلان بين صدور عدد وآخر .

وفي عام 1936 غادر الحاخام دافيد براتو(*) الإسكندرية لتعيينه حاخاما أكبر في روما[129] ، ولذلك تساءلت مجلة (كاديما) عن المستقبل الذي ينتظر هذه المجلة بعد رحيل مؤسسها ، ولكنها لم تلبث أن أجابت بأن هذه المجلة ستبقى لأنها تحمل في داخلها كل عناصر البقاء ، وخصوصا عنصر الاستقلال الذي سمح بأن تعيش طوال السنوات الماضية .

ونظرا لعدم توافر مجموعة كاملة من أعداد « كاييه جويف » أو الملف الخاص بها في إدارة المطبوعات ، فإننا لم نتمكن من أن نحدد بالضبط متى توقفت عن الصدور ، أو الخط الذي سارت عليه بعد رحيل براتو ، ولكن فهرس الدوريات الأجنبية بإدارة المطبوعات بالهيئة العامة للاستعلامات يشير إلى أنه تم تعطيل هذه الصحيفة في 4 / 6 / 1940 لعدم صدورها بانتظام ، وأنها كانت تصدر كل خمسة عشر يوما بمدينة الإسكندرية وأن صاحبها هو المسيو ليون بالومبو ، الذي كان يشغل منصب رئيس التحرير فيها عام 1933 ، ويبدو أن ملكية الصحيفة آلت إليه بعد رحيل دافيد براتو مؤسسها .

(*) بدأت صحيفة « الشمس » حملة عنيفة ضد الحاخام دافيد براتو في أغسطس عام 1936 بسبب إلقاء مواعظه باللغة الفرنسية ، وتقول الصحيفة إن كلماتها لاقت ترحيبا في الدوائر الإسرائيلية بالإسكندرية ، ويبدو أن براتو استقال من منصبه بسبب هذه الحملة ، ثم هاجر فيما بعد إلى فلسطين .

KADIMA

« كـــاديمـــا »

1937 - 1935

في سبتمبر عام 1935 أصدر سعد يعقوب مالكي صاحب جريدة « الشمس » العربية ورئيس تحريرها مجلة شهرية مصورة ناطقة باللغة الفرنسية عرفت باسم « كاديما » Kadima (130) ومعناها في العبرية « إلى الأمام » ، وقد أسند رياسة تحريرها إلى شاب صهيوني متحمس عمل سنوات طويلة في حقل الصحافة الفرنسية في مصر هو موريس فرجون(*) .

كان الجمهور الذي يسعى مالكي إلى مخاطبته من خلال هذه المجلة هو جمهور الشباب ، فكما رأينا فى دراستنا السابقة عن صحافة اليهود العربية كان مالكي يؤمن بأن بناء الوطن القومي لن يقوم إلا على سواعد الشباب الفتية ، ولذلك أولى الشباب اليهود جل عنايته سواء على صفحات جريدته « الشمس » أو من خلال مجهوداته الخاصة التي توجت بإنشاء جمعية للشبان اليهود المصريين في الثالث من يوليو عام 1935 ، فقد كان مالكي يدرك أن توحيد جهود الشباب وحشدهم وراء الهدف الصهيوني لن يتحقق إلا بتقوية الشعور القومي اليهودي في نفوسهم وإقناعهم بالأهداف والمبادئ الصهيونية ، ولكن تبين له أن قطاعا من هؤلاء الشبان ممن يتلقون تعليمهم في مدارس الإرساليات الدينية المسيحية وينتمون إلى الطبقة الاستقراطية اليهودية ، ليسوا في متناول صحيفته أو في متناول المؤسسات الطائفية ، ولذلك فكر في إصدار هذه المجلة ليخاطبهم من خلالها بلغتهم التي يجيدونها هم وغيرهم من أبناء الطائفة ، واختار موريس فرجون – وهو شاب مثلهم – ليتولى رياسة تحريرها .

(*) ولد موريس فرجون في القاهرة عام 1906 وحصل على دبلوم تجاري سنة 1928 ، ثم ليسانس الحقوق عام 1933 . عرف بتعصبه الشديد للصهيونية منذ الصغر ، فقد كان عضوا في جمعية Hatehiah الصهيونية ، وعمل سكرتيرا لها ، ثم مثلها في المؤتمر الدولي للشبيبة اليهودية في باريس عام 1933 . وضع عدة مؤلفات عن القضايا اليهودية والصهيونية ، كما عمل مراسلا لصحيفة « لورور » وسكرتيرا لتحرير جريدة « إسرائيل » عام 1934 - 1935 ، وله عديد من المقالات التي ظهرت في الصحف اليهودية المحلية والأجنبية ، نقلا عن (Annuaire des Juifs d'Egypte)

ونظرا لأن هذه المجلة كانت تستهدف جمهور الشباب ـ كما رأينا ـ فقد حرص صاحبها على أن يوفر لها كل عناصر النجاح ، ويبدو ذلك من إصداره لها كمجلة مصورة ، فلا شك أن مالكي كان يدرك أهمية الصورة وقدرتها على تحقيق الأثر المطلوب على القارئ من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان يدرك قدرتها أيضا على جذب القارئ وخصوصا إذا كان من الشباب ، ونعتقد أن مالكي كان موفقا إلى حد كبير في اختياره موريس فرجون لرياسة تحريرها ، فإلى جانب أنه كان يجيد الفرنسية ، وينتمي إلى جيل الشباب الذي سيخاطبه ـ مما يجعله أقدر على معاملته وفهم عقليته ، وكان فرجون يؤمن إيمانا قويا بالصهيونية ويعمل من أجلها ، وإلى جانب ذلك كان ـ يجيد فن الرسم أيضا ولذلك احتكر إصدار مجلة « كاديما » رسما وتحريرا دون معاونة من أحد .

ولأن « كاديما » كانت شهرية ومن القطع الصغير (29,3 سم طولا و 21,3 سم عرضا) فقد رأى مالكي أن يصدرها في 36 صفحة ؛ حتي تتسع لأكبر عدد ممكن من الموضوعات والصور ، كما حدد سعرها بقرش صاغ واحد ؛ حتى تكون في متناول الجميع .

حظيت (كاديما) لدى صدورها بتأييد كبار رجال الدين اليهودي في مصر ، فقد أعرب حايم ناحوم أفندي الحاخام الأكبر بالقاهرة عن سروره الحقيقي بها في رسالة بعث بها إلى فرجون بمناسبة مرور عام على صدور المجلة ، قال فيها : «إن (كاديما) دفعة طيبة للشباب وبرنامج عمل له ! إنها صيحة قائد ينتزع النصر ، وصيحة جندي أقسم على التضحية من أجل الهدف .. »

وقال دافيد براتو حاخام أكبر الإسكندرية في رسالة مماثلة إلى رئيس التحرير : يجب أن نحني رءوسنا أمام التضحيات التي تقدمها لنشر الروح اليهودية خصوصا بين الشباب ، ولتأكيد القيم اليهودية الخالدة وتعميقها ..

« إن الطريقة الفنية التي تقدمون بها الحياة اليهودية هي الوسيلة الوحيدة التي لها

أثر فعال في إثارة عواطف القراء ، كما أنها تثري مجلتكم وتضفي عليها خفة الروح »[130] .

وبعث إبراهيم المالح(*) رئيس تحرير صحيفة « دوار هايوم » العبرية من فلسطين رسالة قال فيها : « إن صدور مجلتكم الممتازة ملأ كاتب هذه السطور سرورا غامرا ، ليس لأنه رئيس تحرير سابق لكثير من الدوريات اليهودية ، وإنما – وأقولها لكم بصراحة – لأني سفارادي تمنى دائما من كل قلبه أن يرى إخوانه على درجة من الثقافة ، وتمنى أن يراهم وقد قاموا بدور فعال في بناء وطننا التاريخي الذي علق أهمية كبيرة على تقدم اليهودية المصرية ، وتابع باهتمام كبير تطور كل الهيئات الروحية ، التي تعمل على تحقيق نهضتها القومية والفكرية .. » .

وعن الرسالة التي ينبغي أن تتبناها المجلة قال إبراهيم المالح : « إن مجلتكم مثل شقيقاتها (لورور) و (إسرائيل) و(الشمس) ، يجب أن تكون كالقائد الذي يقف أمام جنوده .. فتشع لهم بنور اليهودية الذي هو نور الصهيونية .. إنها يجب أن تمضي أمامهم في الطريق الذي يؤدي إلى صهيون .. يجب أن تتحدث ليل نهار إلى إخواننا في مصر عن الدور الكبير الذي ينبغي عليهم – بمقتضى أنهم جيران لأرض أجدادهم – القيام به في إطار الحركة الصهيونية التي ترمي إلى تخليص شعبنا من أغلال غربة الجسد ، وغربة الروح .

إن مجلتكم يجب أن تجتهد في جعل تيار الحياة الجديدة يجري في أوساط اليهودية المصرية .. إن أخبار العالم اليهودي يجب أن تحتل مكانا مشرفا في (كاديما) .

هذه المجلة يجب أن تشجع على نشر اللغة العبرية التي هي من أهم الروابط القومية ، التي تجمع الطوائف اليهودية المنتشرة في العالم[131] .

(*) كان إبراهيم المالح يشغل منصب رئيس مجلس إدارة المجلس الملي بالقدس ، وعضو المجلس القومي ليهود فلسطين أعلى مجلس يهودي فلسطيني . وعهدت إليه الوكالة اليهودية بإدارة مكتب الصحافة فيها . كان يكتب إلى الصحف اليهودية في جميع العالم ومنها مصر .

ومن يطلع على (كاديما) يلاحظ أنها أولت التاريخ اليهودي عناية خاصة ، وربما يرجع ذلك إلى أن رئيس تحريرها كان مولعا بكتابة التاريخ اليهودي في مصر ، فمعظم مؤلفاته تؤرخ للوجود اليهودي على هذه الأرض ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى ، فقد كان هذا الاتجاه صدى لاتجاه الصهيونية العالمية نحو إعادة كتابة التاريخ اليهودي ، بهدف تنظيف الطابع القومي اليهودي من السمات السلبية والمشينة التي علقت به ، ولذلك كان فرجون يقدم في مجلته فصولا مصورة من التاريخ اليهودي والقصص الديني تحت عنوان : L'Histoire Juive Illustrée التاريخ اليهودي المصور ، ومن أهم الموضوعات التي نشرها في هذا الباب قصة سيدنا يوسف وإخوته كما روتها التوراة ، وقصة عيد الفصح وخروج اليهود من مصر ، وقد لاقت هذه القصص نجاحا كبيرا ؛ لأن كاتبها قدمها مصحوبة بالصور - كما أشرنا إلى ذلك - مما شجع المجلة على الاستمرار في هذا الأسلوب ؛ لأنها وجدت فيه وسيلة لتعليم الشباب تاريخ آبائهم وأجدادهم بطريقة مبسطة جدا ، وقد ناشدت (كاديما) الآباء المهتمين بمستقبل أبنائهم أن ينتهزوا الفرصة لإثارة اهتمام أطفالهم بكل مايمس حياة اليهود القومية .

وفي معرض اهتمام المجلة بالتاريخ اليهودي قدمت لمحات من تاريخ اليهود تحت الحكم العربي في مصر ، ونبذة عن الحركة الفكرية لدى اليهود خلال العصور الوسطى ، وتاريخ الطائفة اليهودية في مصر في القرن السادس الميلادي ، وكان الهدف من وراء ذلك إبراز سمو المكانة التي احتلها اليهود لدى حكام مصر ، بسبب تفوقهم وتفانيهم في خدمة البلاد ، وكان مما ذكرته في هذا الشأن أن الإسكندر الأكبر الفاتح المقدوني انحنى أمام الحاخام الأكبر لليهود في مصر .

ولم يقتصر اهتمام (كاديما) على تاريخ اليهود في مصر فقط ، وإنما اتخذت ذلك مدخلا لتسليط الأضواء على تاريخ الحركة الصهيونية ، وحتمية عودة اليهود إلى أرض الأجداد التي وعدهم الله بها ، ولذلك حاولت ربط كل حادث يمر باليهود في أي أمة بالأرض الموعودة .

وعلى الرغم من أن (كاديما) كانت مجلة شهرية فإن ذلك لم يمنعها من الاهتمام

بأخبار اليهود في مصر وفلسطين والخارج ، فخصصت مساحة كبيرة لنشر أخبار طائفتي القاهرة والإسكندرية بوصفهما أكبر الطائفتين لليهود في مصر ، وكانت هذه الأخبار تدور حول آخر تطورات نشاط اليهود في مدينتي القاهرة والإسكندرية ، وفي الوقت نفسه كانت تخصص جزءا آخر لأخبار الطوائف اليهودية في المدن المصرية الأخرى تحت عنوان Israél en Province إسرائيل في الأقاليم ، ولكن من الملاحظ أن (كاديما) أوردت أخبار الطائفة اليهودية في السودان ضمن هذا الباب ، فكانت بذلك أول صحيفة صهيونية في مصر تهتم بالطائفة اليهودية في هذا القطر .

وإلى جانب ذلك كانت تنشر أخبار النشاط الصهيوني في فلسطين تحت عنوان En Eretz Israél في أرض إسرائيل ، وأخبار اليهود في العالم تحت عنوان : Israél chez les Nations أي إسرائيل عند الأمم .

ومن ناحية أخرى كانت (كاديما) تنقل عن الصحف اليهودية الأخرى التي تصدر في مصر تعليقاتها على تطورات الأحداث في فلسطين وغيرها من الموضوعات وذلك في باب بعنوان Revue de la Presse Juive d'Egypte ، وكان من أبرز الصحف التي تنقل عنها : (لورور) و (إسرائيل) و (لافوا جويف) .

وعلى الرغم من أن سعد يعقوب مالكي أصدر (كاديما) ؛ لتكون ملحقا شهريا ناطقا بالفرنسية لأولئك الذين لايقرءون العربية ، فإنها كانت مستقلة تماما في تحريرها عن (الشمس) ، ولم تكن تحمل مايشير إلى أنها ملحق لها .

وعن الاتجاه الصهيوني للمجلة يقول جميل شالوم أحد قرائها : إنها « لاتصحيحية ولا عملية » ، وإنما كانت محايدة بين الاتجاهين اللذين ظهرا داخل الحركة الصهيونية خلال الثلاثينيات بعد انفصال جابوتنسكي ، ولذلك فتحت (كاديما) صفحاتها خلال عامها الثاني أمام جميع الاتجاهات وكل الجماعات لتعبر عن نفسها ، وتعرض برامجها في صراحة تامة شريطة أن تكون مخلصة ، وألا تلحق أضرارا بأي طرف ، وكان من نتيجة ذلك أن استحدثت بابا جديدا باسم La Tribune des Militants منبر المجاهدين – احتل ثلاث صفحات من صفحات المجلة خصصت صفحته الأولى

للمنظمة الصهيونية بالقاهرة والإسكندرية ، في حين خصصت صفحته الثانية للمنظمة الصهيونية الجديدة بالقاهرة .

وبعد أن كان فرجون يتولى تحرير المجلة بمفرده فيما عدا صفحة الرياضة التي كان يحررها الخبير سلامة ، بدأت تظهر توقيعات أخرى مع إشارة إلى أن أصحابها يتحملون المسئولية عما يكتبون .

ومن مظاهر التجديد في (كاديما) في عامها الثاني قيامها بنشر ملحق سياسي مالي احتل ثماني صفحات ، كان الهدف منه هو جعل يهود مصر على علم تام بما يدور في البلاد على الصعيدين السياسي والمالي ، بعد أن دخلت مصر مرحلة جديدة بتوقيع معاهدة 1936 ، ويبدو مما نشرته (كاديما) أن الحركة الصهيونية ، كانت تتطلع إلى أن يلعب اليهود دورا فعالا في الاقتصاد والسياسة في مصر بعد الاستقلال ، ولذلك تقول في افتتاحية هذا الملحق ، نظرا لدخول مصر في مرحلة جديدة ، فقد رأينا من الضروري أن نضع إخواننا على علم بما يدور حولهم .. إن اليهود ينبغي أن يقوموا من الآن فصاعدا بدور فعال في انطلاقة البلاد من الناحيتين الاقتصادية والمالية ، فقد أثبت اليهود أنهم عملاء أوفياء وعناصر مهمة للرخاء والتقدم .

« لقد فضل إخواننا طوال الفترة الماضية وحتى الآن اتخاذ دور سلبي في مجال السياسة الأمر الذي جعلهم بعيدين عن الحركة الوطنية المصرية ، وحتى يكونوا على علم برأي مضيفينا ، ولإعدادهم للتغيرات التي تحدث في مصر ، أنشأنا هذا الملحق ، حتى يستطيع إخواننا أن يحصلوا منه على معلومات صحيحة عن خفايا الأحداث السياسية التي تدور وراء الكواليس » .

وعلى الرغم مما يزعمه موريس فرجون من أن توزيع (كاديما) وصل في وقت من الأوقات بين 3500 و4000 نسخة بسبب قيمتها الوثائقية وعرضها الفني ، فإن هذا النجاح لم يكن كافيا ليضمن لها البقاء فترة طويلة ، فتوقفت عن الصدور في أغسطس عام 1937 ، بعد أن كلفت ناشرها ورئيس تحريرها تضحيات كبيرة وخيبة أمل عميقة[132] .

ويشير فهرس الدوريات بإدارة المطبوعات بالهيئة العامة للاستعلامات إلى وجود صحيفة تدعى (كاديما) Kadima ، وأن صاحبها ورئيس تحريرها هو Abaldo Venture ، وأن هذه الصحيفة قد تم سحب رخصتها بقرار وزاري في 2 / 12/ 1939 لعدم صدورها بانتظام .

ومن المرجح أنه كانت هناك صحيفة أخرى تصدر بالاسم نفسه ، ونظرا لعدم وجود ملف للصحيفتين في إدارة المطبوعات لايمكننا إصدار حكم قاطع في هذا الشأن ، ولكن الثابت لدينا هو أن (كاديما) كانت تصدر وهي تحمل اسم سعد يعقوب مالكي كمالك لها ، وموريس فرجون كرئيس للتحرير .

HATEKVAH

هـــاتكفــــــــا

1939 - 1936

في أواخر شهر سبتمبر 1935 نوهت صحيفة « الشمس » عن قرب صدور صحيفة يهودية شهرية باللغة الفرنسية تسمى « هاتكفا » Hatekvah ومعناها في العبرية الأمل « تبحث في شئون اليهود .. مزينة بالصور المطبوعة بالزنكوغراف والرسوم الكاريكاتورية ، ومدبجة بأعظم أقلام كتاب الثغر » وتصدر عن دار « المساجير جويف » Messager Juif إدارة الخواجه إيلي يتاح ، وناشدت الجمهور أن يترقب صدورها لأنها تهم كل متتبع لحركة اليهود .

وقد أكدت مجلة (كاديما) نبأ مولد هذه الصحيفة ، فقد ذكرت في عدد فبراير 1936 أنها تلقت العددين الأولين من زميلة جديدة صدرت حديثا بمدينة الإسكندرية تحت اسم « هاتكفاه » Hatekvah .

ولسوء الحظ ، لم نعثر على أي من أعداد هذه الصحيفة أو على الملف الخاص بها في إدارة المطبواعات ؛ لنتمكن من التعرف إلى اتجاهها ، ولكن من المرجح أنها كانت

ذات اتجاه صهيوني ، فقد أشارت « الشمس » إلى أنها تهم كل متتبع حركة اليهود ، أما مجلة (كاديما) فقالت : إنه يكفي قراءة العددين الأولين حتى نتيقن من أن زميلتنا لن تمضي بعيدا ، ثم تمنت لمؤسسيها السيدين فيلكس وايزمان Felix Ouizman وإيلي يتاح Elie Yettah المعروفين جيدا في الأوساط الصحفية طول العمر ، وازدهار صحيفتهما .

أما فهرس الدوريات الأجنبية التي توقفت عن الصدور بإدارة المطبوعات فيشير إلى أن صاحب هذه الصحيفة هو الياهو جوزيف موسي يتاح ، ورئيس تحريرها هو فيلكس وايزمان ، وأن الصحيفة فرنسية شهرية توقفت عن الصدور في 27/ 1 / 1939 ، ومعنى ذلك أن « هاتكفاه » لم تعش إلا ثلاث سنوات تقريبا .

Le Révéil Juif

« لوريفـــي جويـــف »

1936

في يوليو عام 1936 أعلنت صحيفة « الشمس » عن مولد صحيفة صهيونية جديدة تصدر كل خمسة عشر يوما بمدينة الإسكندرية هي Le Révéil Juif لصاحبها حضرة الأديب إيلي يتاح ، وقد رحبت « الشمس » بهذه الصحيفة لدى صدورها فكتبت تقول : « .. وقد تصفحنا العدد الأول فألفيناه طافحا بالمقالات المفيدة والأخبار الشيقة ، والصور البديعة » ، ثم تمنت للصحيفة الجديدة الشيوع والانتشار .

ومن المرجح أن هذه الصحيفة كانت تصدر أيضا عن دار « المساجير جويف » التي كان يتولى إدارتها إيلي يتاح صاحب هذه الجريدة ، ويبدو أن هذه الدار تأسست في الأصل بهدف إصدار مجموعة من الصحف والمؤلفات اليهودية التي تعنى بإيقاظ الوعي القومي اليهودي ، ولهذا فإنها بعد أن أصدرت « هاتكفاه » لم تلبث أن أتبعتها بصحيفة أخرى هي « لوريفي جويف » .

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على أي من نسخ هذه الصحيفة ، أو على الملف الخاص بها في إدارة المطبوعات ، فإنه يستفاد مما نشرته صحيفة « الشمس » أن هذه الصحيفة خرجت بالفعل إلى حيز الوجود ، وأغلب الظن أنها لم تعش طويلا لأنه لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر .

LA TRIBUNE JUIVE

« لاتربيـــون جويـــف »

1948 - 1936

لعل أهم ما في تاريخ صحيفة « لاتربيون جويف » La Tribune Juive أنها تقدم نموذجا واضحا لأساليب التحايل على القانون المصري التي مارسها الصهيونيون من أجل إصدار صحفهم وبث دعايتهم في البلاد .

ففي الخامس عشر من شهر فبراير عام 1936 تقدم الخواجة مندل كلكشتين Mendel Kalkestein – وهو يهودي رعية بولندية – بإخطار إلى مديرية الإسكندرية طالبا فيه التصريح له بإصدار صحيفة أسبوعبة ناطقة باللغة الفرنسية لنشر الموضوعات المتعلقة بالشئون الإسرائيلية تحت اسم « لاتربيون جويف » La Tribune Juive أي المنبر اليهودي ، وقد دفع الضمان المالي لهذه الصحيفة – وقدره مائة وخمسون جنيها مصريا – ساعاتي إسرائيلي من رعايا حكومة السوفيت يدعى ماير رابين[133] .

وقد جاء بالاستعلام الخاص بهذه الصحيفة أن مندل كلكشتين – وكان يعمل مدرسا للموسيقى بمدارس الحكومة بمدينة السويس ، وفصل لانتهاء عقد استخدامه – من دعاة الصهيونية ويميل إلى نشرها بين أبناء جنسه ، ومع ذلك فقد حصل على تصريح بإصدار جريدة سياسية فرنسية أسبوعية باسم « لاتربيون جويف » في الثامن والعشرين من مارس من العام نفسه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحكومة المصرية(*) لم تكن قد بدأت حتى ذلك الوقت باتخاذ إجراءات

(*) كان ذلك في عهد وزارة على ماهر الأولى (30 يناير – 9 مايو 1936) وكان يشغل فيها منصب وزير الداخلية والخارجية أيضا .

لحظر النشاط الصهيوني في البلاد ، على الرغم من أن حقيقة الأهداف الصهيونية ومخاطرها كانت قد بدأت تتضح خلال الثلاثينيات .

وقد سعى مندل كلكشتين قبل حصوله على الترخيص إلى استخراج بطاقة صحفية لكل من جاك رابين مدير الصحيفة ، وجاك شوارتز مراسلها من مكتب الصحافة في القاهرة .

صدرت صحيفة (لاتريبيون جويف) وسارت الأمور سيرها الطبيعي بالنسبة لها حتى إذا ماحل عام 1939 وتقدمت المفوضية الإيطالية بالقاهرة بشكوى إلى وزارة الخارجية المصرية ضد هذه الصحيفة بسبب حملتها الضارية على إيطاليا وأحيل الموضوع إلى وزارة الداخلية(*) لاتخاذ اللازم ، وقعت المفاجأة فحينما قامت الوزارة باستدعاء مندل كلكشتين للتحقيق معه في هذه الشكوى بوصفه رئيس التحرير المسئول ، تبين لها أنه غادر البلاد منذ فترة طويلة تاركا إدارة الجريدة إلى جاك رابين دون إخطارها بهذا التغيير .

وحينما تم اكتشاف أمر مغادرة كلكشتين البلاد قام بإرسال خطاب من تل أبيب إلى وزارة الداخلية المصرية بتاريخ 29 / 3 / 1939 يبلغها فيه أنه مصاب بمرض خطير ، وأنه لايعرف متى سيتمكن من العودة إلى مصر ، ولذلك فإنه قرر تعيين جاك رابين رئيسا مسئولا للتحرير ، بالإضافة إلى عمله مديرا للجريدة ، إلا أن السلطات المصرية رفضت الموافقة على هذا التعيين ، لأن رابين لم يكن معروفا لديها لأنه بلا هوية ، فاضطر كلكشتين إلى طلب تعيين موريس ليزبونا – المحامي أمام المحاكم المختلطة ، وهو رعية مصرية ، – رئيسا للتحرير ، وبالرغم من ذلك فقد ظل رابين – كما سنرى فيما بعد – هو الشخص المسئول عن هذه الجريدة .

مما تقدم نستطيع القول أن مندل كلكشتين سعى أساسا إلى استخراج رخصة (لاتريبيون جويف) ؛ كي يتولى جاك رابين مهمة إصدارها ، ولعل في الدلائل التي نسوقها مايعزز هذا الادعاء :

أولا : أنه منذ اكتشاف رحيل مندل كلكشتين عن مصر في عام 1939 وحتى

(*) وقعت الأحداث في عهد وزارة محمد محمود الرابعة ، وكان يشغل منصب وزير الداخلية محمود فهمي النقراشي .

توقفت هذه الصحيفة عن الصدور عام 1948 لم يعد كلكشتين إلى مصر على الرغم من استدعائه للحضور عدة مرات من جانب وزارة الداخلية ؛ نظرا لأنه كان قد هاجر إلى فلسطين بصفة نهائية .

ثانيا :

يتبين لنا من الاستعلام عن هذه الصحيفة أن مندل كلكشتين كان رجلا لاعلاقة له بالعمل الصحفي ، وكانت كل علاقته به أنه كتب عدة مقالات عن الموسيقى في الصحف المصرية ، في حين أن جاك رابين مارس العمل الصحفي في عدة صحف ناطقة بالفرنسية هي : « لورور » و « لابورص اجيبسيين » و « لاريفورم » و « إسرائيل » و « لاباتري » كما عمل سكرتيرا لرابطة الصحفيين Association Des Journalistes .

ثالثا :

كان ماير رابين الساعاتي الذي دفع الضمان لصحيفة (لاتريبون جويف) رجلا كل رأس ماله 450 جنيها مصريا ، ولكنه كان في الوقت نفسه شقيق جاك رابين مدير الجريدة .

رابعا :

كان من الصعب على جاك رابين استصدار ترخيص باسمه لأنه كان بلا هوية ، إذ تشير تقارير إدارة المطبوعات إلى أن ملفه في إدارة الجوازات يفيد بأنه فلسطيني النشأة ، وأنه هاجر إلى مصر عام 1915 مع أشقائه ، وحصل على جواز سفر مؤقت من القنصلية المصرية في مدينة القدس عام 1935 ، إلا أنه لم يتمكن من إثبات نشأته الفلسطينية ، ولذلك لم يتم البت في طلبه الحصول على الجنسية المصرية ، فطلب معاملة من لاجنسية لهم .

خامسا :

كانت السلطات المصرية تعترف اعترافا ضمنيا بأن جاك رابين صاحب الجريدة أو الشخص المسئول عنها ، فعلى الرغم من تعيين موريس ليزبونا رئيسا مسئولا

للتحرير ، كان جاك رابين هو الشخص الذي يتم استدعاؤه والتحقيق معه في كل الأمور ، التي تتعلق بالصحيفة وليس موريس ليزبونا ، فعلى سبيل المثال حينما استمرت (لاتربيون جويف) في حملتها على إيطاليا وألمانيا ، ودعت إلى مقاطعة الفاشيين والهتلريين ، تم استدعاء صاحب الجريدة في أعقاب الشكاوى التي تقدمت بها مفوضية كل من ألمانيا وإيطاليا ؛ للتحقيق معه في إدارة المطبوعات بالقاهرة ، وكان الشخص الذي حضر للتحقيق هو جاك رابين وليس موريس ليزبونا أو مندل كلكشتين ..

ومن الغريب أن شخصا في مثل وضع جاك رابين : بلا هوية ، و ليس لديه سند قانوني رسمي يخوله حق إصدار صحيفة في مصر كان متطرفا في كتاباته ، وكان قادرا على تحدي السلطات ومعارضتها ، فحينما تم استدعاؤه إلى وزارة الداخلية وتم توجيه نظره إلى مايترتب على ماتنشره (لاتربيون جويف) من أثر سيئ على علاقات مصر الودية مع إيطاليا وألمانيا ، وجرى إفهامه بأن مصر لاتود أن تكون ميدانا للمطاعن المتبادلة ، وأنها تؤثر الاحتفاظ بصداقتها مع الجميع ، ورجاه رئيس قسم الصحافة الأجنبية أن يراعي الاعتدال فيما يكتب ، أجاب بأنه قد علم بما تقدم ، ولكنه لايستطيع الوعد بشيء في هذا الشأن .

وثمة مظهر آخر من مظاهر تحدي السلطات والتحايل على القانون وهو ماسبق أن أشرنا إليه فيما يتعلق باندماج صحيفتي (لاتربيون جويف) و (إسرائيل) فقد تم إبلاغ رابين بمعارضة الوزارة هذا الاندماج ، ومع ذلك لم يذعن لهذه المعارضة ، بل رفض تقديم إقرار كتابي بالامتناع عن المضي في مشروع الاندماج وكانت حجته في ذلك أن الاندماج غير مخالف للقانون ، لأنه أخطر عن التغيير قبل الإصدار بالمدة القانونية ، ولكن يبدو أن جاك رابين تراجع عن مشروع الاندماج عندما علم بصدور أمر بسرعة ضبط الصحيفة إذا ماصدرت بالشكل الجديد ولكنه عاد مرة أخرى إلى التحايل عندما صدرت الصحيفة وعلى إحدى صفحاتها الداخلية عنوان يبين أن صحيفة (إسرائيل) الفرنسية الأسبوعية الموقوف صدورها بالقاهرة لسحب ضمانها مندمجة في (لاتربيون جويف) ، ولذلك تم التنبيه على القائمين بإصدار

الجريدة بأنه في حالة المخالفة ستضبط أعداد الجريدة إداريا طبقا لما أشارت به الوزارة ، وقد رد رابين بأن اسم (إسرائيل) مكتوب داخل الجريدة وليس في العنوان ، وأنه يذكر اسمها في الداخل لأن زبائنها تحولوا إلى (لاتربيون جويف) ، فجرى إفهامه بأن إعطاء هذا الاسم ليس من حقه طالما أنه تم إيقاف الصحيفة عن الصدور .

ولا شك في أن سر القوة التي كان يتمتع بها جاك رابين في مواجهة السلطات يرجع في رأينا إلى عدة عوامل :

أولا :

أن رابين عرف كيف يستفيد من الثغرات الموجودة في قانون المطبوعات في ذلك الوقت فوفقا لما جاء في رد إدارة الرأي بمجلس الدولة لم ينص القانون على اعتبار الإخطار المقدم عن أي صحيفة كأن لم يكن إلا في حالتين :

ا – عدم ظهور الصحيفة في مدى الشهور الثلاثة التالية على تقديم الإخطار .

ب – عدم صدورها بانتظام خلال ستة أشهر .

وبناء على ذلك فإنه حينما طلب رئيس قسم الصحافة الأجنبية منع صحيفة (لاتربيون جويف) من الصدور ؛ لأنها تصدر بطريقة مخالفة للقانون لم يجب إلى طلبه ، إذ لم يكن من حق وزارة الداخلية اعتبار إخطارها كأنه لم يكن لمجرد أن صاحبها ليس موجودا في البلاد .

ثانيا :

لاجدال في أن بريطانيا الدولة التي كانت تحتل مصر في ذلك الوقت ، كانت ترحب بأي هجوم ضد خصومها من دول المحور ، ولذلك فإننا نعتقد أنه لم يكن باستطاعة مصر – بوصفها دولة تحت الاحتلال – أن تتخذ أي إجراء ضد رابين في أمر ترضى عنه سلطات الاحتلال ، أضف إلى ذلك أن رابين كان يعتمد في معظم هجومه على ألمانيا وعلى إيطاليا على النقل من الصحف المصرية مثل (الحوادث) و (آخر ساعة) ، علاوة على أن باقي الصحف اليهودية في مصر كانت تكتب جميعا باللهجة نفسها وأشد منها – كما أشارت مذكرة لمدير المطبوعات ؛ ولذلك كان من

الصعب اتخاذ قرار ضده أو ضد الصحيفة .

ثالثا :

يبدو أنه كان لدى رابين بعض النفوذ في وزارة الداخلية إذ تشير مسودة مكتوبة بخط اليد في ملف الصحيفة بالهيئة العامة للاستعلامات إلى أن « أفروتك » كان قد عرض على معالي الوزير إخطارا تقدم به رابين لإصدار جريدة باسم L'Avenir أي (المستقبل) فأشار بعدم المعارضة تحت فكرة أن رابين ثابت الجنسية وله حق الإقامة في مصر .

وعلى الرغم من كل هذه المشكلات أشادت مجلة (كاديما) بالمستوى الذي وصلت إليه (لاتربيون جويف) ، فقد كتبت تحت عنوان « نموذج يحتذى » « يسعدنا أن نسجل التقدم الملحوظ الذي سجلته زميلتنا « لاتربيون جويف » في الفترة الأخيرة .. إن المساعدات الثمينة التي يقدمها فيلكس بنزاقين المحامي مضافة إلى الإصلاحات المستمرة التي لايتوقف صديقنا جاك رابين عن تقديمها إلى التحرير في دوريته ، جعلت منها لسانا حيا وثائقيا قويا ومتنوعا .

إن الجمهور الذي يشعر بالجهود المخلصة لن يتوانى عن ملاحظة التضحيات التي تقدمها إدارة المجلة لإرضائه مسيو بنزاقين يستحق تهنئتنا القلبية ، فمنذ وقت طويل لم نر محاميا بارزا يترك مصالحه وأعماله رافضا الحجج الباطلة التي يتمسك بها إخواننا البارزون حتى الآن للنزول إلى الميدان .. ونحن لانشك في أن الصحيفة ستكون بداية عهد جديد من التطوير في الصحافة اليهودية في مصر .. » .

وخلال الحرب العالمية الثانية عانت « لاتربيون جويف » كثيرا بسبب ارتفاع أسعار الورق وقلة الإعلانات ، ومع ذلك كان حرصها شديدا على مواصلة الصدور خصوصا بعد أن رأت الصحف اليهودية تتلاشى الواحدة بعد الأخرى في وقت وجدت فيه أن اليهود أحوج مايكونون إلى الصحافة ، ولكن الأزمات التي أوجدتها الحرب اضطرتها إلى تصغير حجمها عما كان عليه ، وقد أعربت صحيفة « الشمس » عن أمنياتها للزميلة بالتغلب على الصعاب المذكورة ، وأن تنعم بطول العمر .

وعلى الرغم من المشكلات التي أثارها جاك رابين أمام وزارة الداخلية طوال فترة صدور الصحيفة فإنها لم تتمكن من اتخاذ أي إجراء ضده إلا في عام 1948 حينما صدر قرار الرقيب العام في الرابع عشر من مايو من العام نفسه بوقف صحيفة (لاتربيون جويف) اعتبارا من ذلك التاريخ(*) ، وقد بعث جاك رابين بخطاب إلى مدير مكتب الصحافة بمحافظة الإسكندرية عليه خاتم معتقل أبي قير ، يطلب رد الضمان الصادر من بنك مصر حيث إن الصحيفة توقفت منذ عشرة أشهر .

وبتوقف (لاتربيون جويف) طويت صفحة حافلة بالنشاط الدعائي الصهيوني من أجل إنشاء الدولة اليهودية .

Annuaire des Juifs d'Egypte et du Proche Orient

الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى

1942

في عام 1938 أسس موريس فرجون رئيس تحرير مجلة (كاديما) (1935 - 1937) دارا للنشر تخصصت في إصدار الدراسات المتعلقة بتاريخ اليهود في مصر أطلق عليها اسم « شركة المطبوعات التاريخية اليهودية بمصر » « Société des Editions Historiques Juives d'Egypte » وكان من أهم الأعمال التي أخرجتها هذه الدار مجموعة من الكتب الناطقة باللغة الفرنسية ، وضع مادتها العلمية موريس فرجون نفسه ، وهي Les Juifs en Egypte (اليهود في مصر) عام 1938 ، وكتاب Les Rélations Entre Egyptiens et Juifs (العلاقات بين المصريين واليهود) الذي نشره عام 1939 بتوقيع مستعار هو توفيق سليمان أبو هيف ، وأخيرا كتاب Médecins Juifs d'Egypte (أطباء يهود بمصر) عام 1940[133] .

(*) انظر ملحق رقم (23) .

ANNUAIRE des JUIFS d'EGYPTE

et du PROCHE - ORIENT

1942

5702 - 5703

Société des Editions
Historiques Juives
d'Egypte

صورة رقم (14)
غلاف الكتاب السنوي
ليهود مصر والشرق الأدنى عام 1942

وفي عام 1942 بدأت هذه الدار في إصدار أول عدد من « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » Annuaire de Juifs d'Egypte et du Proche Orient ليكون لسان حال سنوي للطائفة الإسرائيلية بمصر ، وقد جاء صدور هذا الكتاب بعد تعيين موريس فرجون سكرتيرا للجنة الضرائب الطائفية عام 1940 ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد في صحة ماذكره فرجون من أن الكتاب صدر ليكون لسان حال سنوي للطائفة .

ويبدو مما نشر في هذا الكتاب أنه صدر مجاراة للتقليد الذي اتبعته الطوائف اليهودية في بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وجنوبي أفريقيا ، بإصدار كتب سنوية لها تضم معلومات عامة أو خاصة في شكل دليل يمكن بواسطته تحقيق نوع من الترابط بين يهود داخل الدولة التي يصدر فيها الكتاب من ناحية ، وإخوانهم في الدول الأجنبية من ناحية أخرى[134] .

وفضلا عن ذلك فقد أراد ناشرو الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى أن يجعلوا منه نواة لدائرة معارف شعبية يهودية ، تكون في متناول كل فرد من أفراد الطائفة من خلال الاحتفاظ بكل عدد من أعداده ، ولذلك راعى ناشروه أن يشتمل علي كل فروع المعرفة اليهودية : التاريخ ، العلوم ، الآداب ، الفنون ، بشرط أن يكون كل عدد مختلفا عن الآخر ؛ حتى يفي بالغرض المطلوب منه .

كما أراد الناشرون من وراء هذا الكتاب تحقيق هدف آخر ، وهو رفع هيبة الطائفة اليهودية في مصر أمام الطوائف الإسرائيلية في البلدان الشرقية المجاورة ؛ حتى تستطيع تحقيق نوع من التقارب معها بهدف تنسيق الجهود المشتركة وتوحيدها من أجل « خلاص الأمة اليهودية » .

ولقد جاء صدور الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى في فترة من أحرج الفترات ، إذ كانت الحرب العالمية الثانية لاتزال مشتعلة في مناطق كثيرة من العالم ، وكانت لاتزال تلقي بظلالها على كل شيء في الحياة اليومية ففي مجال الطباعة والنشر عانت الصحافة من أزمة في ورق الصحف وأحبار الطباعة وقد تأثرت المطبوعات

اليهودية في كل مكان في العالم بهذه الأزمة ، ولكن في الوقت الذي نجد فيه أن الكتاب السنوي اليهودي في بريطانيا يتوقف عن الصدور بسبب ظروف الحرب ، ويضطر الكتاب السنوي اليهودي الأمريكي إلى تخفيض عدد صفحاته ، نجد الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى يصدر في عنفوان هذه الحرب ويواصل مسيرته نحو الأمام ، وهذا يعني أنه كان يحظى بدعم كبير من الطائفة اليهودية في مصر التي اعتبرت صدوره في ذلك الوقت برنامجا في حد ذاته ـ على حد قول الكتاب نفسه .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الحرب العالمية الثانية كانت تطغى بأخبارها على ماعداها من أمور وأخبار ، في الوقت الذي كان يمر فيه اليهود بفترة من أحرج الفترات في تاريخهم ، حيث كان الوطن القومي يحتاج إلى المهاجرين والأموال ، وحيث كان اليهود في ألمانيا وأوروبا يحتاجون إلى المساعدة والإنقاذ أدركنا على الفور لماذا اعتبر يهود مصر صدور الكتاب السنوي في ذلك الوقت برنامجا في حد ذاته .

« وعلى الرغم من أنه تم إعداد المجلد الأول من الكتاب السنوي في عجالة شابته ببعض أوجه القصور والنقص ، فإن الاستقبال الحماسي الذي لاقاه من الجمهور شجع القائمين عليه على الاستمرار في إصداره ، بل وفي تطويره بما يتلاءم هو وروح العصر الذي يعيشونه ، فبينما جاء العدد الأول خلوا من الإعلانات والصور فيما عدا صورة الملك فاروق « ملك مصر والسودان » وجدنا العدد الثاني الذي صدر عام 1943 حافلا بالإعلانات والصور والرسوم » .

لقد أدرك ناشرو الكتاب ماللصورة من أهمية في جذب الانتباه وتحقيق الأثر المطلوب على القارئ ، في وقت انهمك فيه أفراد الطائفة في كفاحهم اليومي من أجل لقمة العيش بسبب ظروف الحرب ، حتى أنه لم يعد لديهم الوقت الكافي لقراءة مقال قصير قد يتطلب منهم بضع دقائق ، ولذلك لجئوا إلى استخدام الصور التي لايستغرق النظر إليها سوى ثوان ، ولكن بإمكانها أن تؤتي الثمار التي قد يؤتيها قراءة مقال طويل ، فبعد أن أدوا فروض الولاء نحو مليك البلاد بنشر صورته في صدر

الكتاب ، توالت بعد ذلك الصور لكبار الزعماء الصهيونيين ، وللضباط والجنود اليهود في الجيش البريطاني ، ولوحدة من الفرق اليهودية في فلسطين ، وللجامعة العبرية في القدس ، ولفتاة ترفع علم إسرائيل .. الخ .

أما الإعلانات فقد تقاطرت عليه وساهمت في تدعيمه في مواجهة الظروف الصعبة المحيطة ، وكان معظم هذه الإعلانات من المحلات التجارية اليهودية الكبرى مثل داود عدس ، وشيكوريل ، وأورزدي باك (عمر أفندي) ، وغير اليهود مثل صيدناوي وغيرها من المحلات والشركات .

ونظرا لأن الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى كان يرمي إلى تحقيق الترابط بين اليهود في مصر وإخوانهم المقيمين في الخارج من خلال نشر أخبارهم ، وتقديم معلومات عنهم ، نجده قد اهتم في عدده الأول بتقديم باب خاص عن اليهود في العالم ، ضمنه لمحة سريعة عن أوضاع اليهود في قارات العالم الخمس ، وتعدادهم والمنظمات الدولية اليهودية والصهيونية لديهم ، كما تحدث عن كبار الحاخامات اليهود في العواصم الأوروبية الكبرى ، ثم انتقل بعد ذلك إلى جزء خاص عن فلسطين اشتمل على لمحة تاريخية عن الحركة العسكرية للسكان اليهود في فلسطين ، ثم عرض لأهم الأحداث والإنجازات التي شهدتها فلسطين خلال عام 5701 وفقا للتقويم العبري ، ونبذة عن أهم المؤسسات الاقتصادية والمنظمات القومية وعن الطوائف اليهودية هناك وكبار حاخاماتها .

ولأن هذا الكتاب صدر في مصر ، ولأنه كان يرمي إلى رفع هيبة الطائفة المصرية أمام غيرها من الطوائف اليهودية في الشرق ، نجده يقدم بابا خاصا عن يهود مصر يبدأه بلمحة تاريخية عنهم ، يصل في نهايتها إلى الحديث عن الوضع الراهن ، ثم يعرض لأهم الأحداث والإنجازات التي شهدتها الطائفة خلال عام 5701 العبري ، وأرفع المراتب والوظائف التي حصل عليها يهود مصر بهدف إبراز مكانتهم داخل المجتمع المصري ؛ حتى لاتجابه محاولاتهم للهيمنة على يهود الشرق بالرفض أو الامتعاض .

وفي نهاية الكتاب نجد قسما خاصا للتراجم والسير يقدم لمحة سريعة عن حياة أبرز الشخصيات اليهودية في مصر والشرق ، ممن كان لهم دور بارز في مجالات

العمل : التجاري والمالي والطائفي والديني والصهيوني .

وإذا كان ناشرو الكتاب لم يعترفوا صراحة بأن هدفهم الأساسي من صدوره هو خدمة الصهيونية وأهدافها ، فإننا نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح من المادة التي يضمها بين صفحاته .

لقد حرص الكتاب في كل عدد من أعداده على تعريف القراء بالمنظمات الصهيونية العالمية ، وأهدافها ، ومقارها الرئيسية في الخارج ، ومقارها الفرعية في مصر وفلسطين ، ومن يتولى رياستها ، فنجده يتحدث عن المنظمة الصهيونية بالقاهرة على سبيل المثال فيقول :

أسست سنة : 1917

الأهـــداف : نشر الأهداف الصهيونية بين الجماهير اليهودية في مصر ، المساعدة في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين .

العنـــوان : 17 شارع أبو السباع ـ القاهرة .

الرئـــيس : يعقوب وايزمان .

السكرتيرالعام: م . س شاؤول .

وحينا يتحدث عن مكتب الصندوق القومي اليهودي في الإسكندرية يقول :

المقـــر : 54 شارع النبي دانيال ـ الإسكندرية .

الأهـــداف : إعادة شراء الأرض في فلسطين للشعب اليهودي .

القـــومسيير : M .Avinoan Hourvitz

وخلال مسيرته تعرض الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى لكثير من التطوير والتغيير ، حتى لقد أصبح كل عدد من أعداده مستقلا بذاته في الموضوعات التي يقدمها ، ومن أهم معالم التطوير التي يجدر بنا أن نذكرها اهتمامه بالطوائف اليهودية في الشرق ، التي خصص لها مساحة لا بأس بها بين صفحاته ، لابل إنه استعان ببعض الكتاب والصحفيين من أبناء هذه الطوائف ليكتبوا عن أحوال طوائفهم ، باعتبارهم أكثر الناس علما ودراية بأوضاعها ، فكتب سليم المن رئيس

تحرير جريدة « العالم الإسرائيلي » L'Univers Israélite البيروتية عن اليهود في سوريا ، في حين كتب ألبرت كوهين رئيس تحرير صحيفة La Boz de Turkye التي كانت تصدر في استانبول بالتعاون مع مارسيل شالوم عن أوضاع اليهود في تركيا وكتب أدولف براسور Brasseur المستشار السابق في السفارة الفرنسية بأصفهان عن يهود إيران ، كما كتب خضر الشوا عن اليهود في العراق .

ولم يعرف متى توقف الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى عن الصدور ، فقد كان آخر عدد عثرنا عليه هو عدد عام 1946 ، ولاندري إن كان قد استمر في الصدور بعد ذلك أم لا ، ولكننا نود أن نذكر أنه وردت بهذا العدد بعض الدلائل التي تشير إلى وقوع خلاف بين موريس فرجون ومجلس الطائفة في مصر ، مما يمكن أن يكون قد أدى إلى توقف الكتاب عن الصدور فيما بعد ، فهذا الكتاب الذي لم يتعرض لمجلس الطائفة بأي سوء في أعداده السابقة ، نجده في هذا العدد يشن حملة على المجلس بقوله : إن « هناك مؤامرة صمت على المستوى الطائفي حتى لا يعلم إخواننا بكل مايجري عمله باسمهم ، فهناك ممثلون – غير أكفاء – ينظمون أموال الطائفة وأعمالها دون استشارة ، ودون تقديم أي حسابات كما لو كانوا المستفيدين الوحيدين منها .. إن هذا الصمت لن يستمر كثيرا .. » .

ثم يمضي الكتاب، معلنا استقلاله عن المسئولين في الطائفة فيقول :

« إن الأفكار التي سندافع عنها ستكون هي أفكارنا ، ولن نتلقى أبدا أوامر من هنا أو من هناك ، ولن نترك أنفسنا لقيادة الشيوخ أصحاب العمامات أو لقيادة ذوي القبعات القديمة الذين لايفكرون إلا في إحاطتنا بعنايتهم الزائفة .

وبناء على هذا الهجوم فمن المرجح أن يكون الكتاب الذي تولى موريس فرجون إصداره كلسان حال للطائفة ، قد توقف عن الصدور بعد الخلاف الذي نشب بينه وبين أعضاء المجلس ، والذي نرجح أنه يرجع إلى اصطدام الصهيونيين – في محاولاتهم للهيمنة على مجلس الطائفة – ببعض أعضائه المحافظين .

REVUE
de
L'Histoire Juive En Egypte
مجلة تاريخ الإسرائيليين في مصر
1947

من الملاحظ أن مخططي الدعاية الصهيونية اهتموا اهتماما خاصا بالأدب والتاريخ ، فإذا كان الأدب هو الوسيلة لخلق الشحنة العاطفية ، فإن التاريخ عندهم لم يقتصر على محاولة بث الإعجاب بالنفس أو تشويه الخصم بل يتعدى ذلك إلى إبراز الحاضر بلغة الماضي ، فالتاريخ هو السياسة الماضية بلغة الحاضر ، وهو مشكلة الحاضر بمنطق الماضي ، والالتقاء بين الماضي والحاضر يجعل من هذه الأداة الثقافية منطلقا لخلق عملية التجاذب الحضاري ، والتكتيل القومي ، والثقة في النفس ، ولعل ذلك يفسر لنا – كما يقول حامد ربيع : لماذا عكف الكتاب اليهود على إعادة كتابة التاريخ ، ليس اليهودي فقط ، وإنما التاريخ الإسلامي والعربي بمختلف جزئياته وخلال فتراته المختلفة[135] .

ويقول حامد ربيع : إن القادة الذين تولوا وضع أصول الحركة الصهيونية استفادوا من الخبرة الأوروبية ، التي اتجهت إلى التاريخ كأداة من أدوات البث الدعائي خلال العصر الروماني ، وإلى الانطلاق من الماضي كما حدث خلال عصر النهضة ، ولذلك فقد جعل هؤلاء القادة نقطة التأصيل الفكري للحركة وبناء منطلقاتها الحركية ، العودة إلى التراث القومي من خلال إعادة كتابة التاريخ ، بل إنهم استخدموا التاريخ كأداة من أدوات الدعوة العَقَديَّة .

ونظرا لأن الحركة الصهيونية في مصر لم تكن بمعزل عن الحركة الصهيونية العالمية ، فقد سايرت هذا الاتجاه و لم تتخلف عنه ، وقد تجلى اهتمامها بالتاريخ اليهودي فيما كانت تنشره الصحف الصهيونية في مصر من بحوث ودراسات تاريخية ، ثم في إنشاء « جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية » عام 1925 تحت رياسة يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة بهدف دراسة مختلف العلوم والفنون المتصلة بتاريخ اليهود في مصر بصفة خاصة ، ويهود الشرق بصفة عامة .

نشطت هذه الجمعية فور تأسيسها إلى تكوين لجنة من الباحثين اليهود تحت رياسة الحاخام حايم ناحوم أفندي الرئيس الشرقي للجمعية لدراسة ما يقرب من 450 مخطوطا ، جمعها قطاوي باشا من مختلف المعابد اليهودية في مصر ، كما أصدرت العديد من النشرات ، ونظمت الكثير من المحاضرات والاحتفالات لتكريم بعض الشخصيات البارزة في تاريخ اليهود في مصر أمثال موسى بن ميمون(*) ، الذي أقامت الطائفة اليهودية بمصر احتفالا ضخما عام 1935 بمناسبة مرور 800 عام على مولده أشرفت عليه الحكومة المصرية ، وكلية طب قصر العيني وساهمتا في نفقاته[136] .

وعلى الرغم من هذا النشاط الواسع فقد « شعر المشتغلون بتاريخ الإسرائيليين في مصر بالحاجة إلى أداة لنشر بحوثهم وآرائهم حتى تكتمل الفائدة ، ولذلك قامت « جمعية البحوث التاريخية الإسرائيلية » في مصر بلتبية رغبات أعضائها وأصدقائها العديدين في مصر والخارج ، فقررت في جلستها العمومية المنعقدة في يونيو 1945 إصدار « مجلة تاريخ الإسرائيليين في مصر » **Revue de I'Histoire Juive en Egypte** مجلة سنوية . بعد أن حددت طابعها ومنهاجها تحديدا دقيقا .

وعلى الرغم من اتخاذ القرار بإصدار هذه المجلة في يونيو 1945 فإن العدد الأول منها صدر عام 1947 وجاء في افتتاحيته التي كتبها رينيه قطاوي رئيس الجمعية في ذلك الوقت تحت عنوان « تنبيه » : « إن تضافر جهود العلماء الإخصائيين سيؤدي يوما بعد يوم إلى زيادة الاهتمام بمادة غزيرة صعبة مواضيعها ، بعيدة عن مشاغلنا اليومية ، لكنها شائقة نظرا إلى ماستفتحه من الآفاق الواسعة المدي ، عندما تطلع الطوائف الإسرائيلية بانتظام على رسائل تاريخية صحيحة لماضيهم وحياتهم بين ظهراني الشعب المصري ، وهي رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادي النيل الذي يرجع إلى الآف السنين » .

(*) موسى بن ميمون حاخام ومفكر يهودي ولد في قرطبة بالأندلس عام 1135 ، ثم هاجر إلى فلسطين — ولكنه تركها حيث أقام في مصر وعمل طبيبا خاصا لنور الدين ؛ أكبر أبناء صلاح الدين الأيوبي . وقد ترك فكر ابن ميمون أثرا عميقا على الحركات العقلانية في اليهودية وعلى حركة الاستنارة اليهودية أيضا . (نقلا عن موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل) .

« وسترمي مجلتنا قبل كل شيء إلى العلم الصحيح فتنشر البحوث الأصلية للعلماء الذين يستقونها من مصادرها ، ولن تحوي إلا الرسائل العلمية المحضة التي ينقلها أخصائيون قادرون على استخلاص معاني الوقائع ومراميها من آثار الماضي مباشرة . وهكذا ستكون جل مقالاتها متخصصة فنية مكتوبة للقارئ الملم بالأمور ، ولكل المنصرفين إلى كشف النقاب عن المشاكل التاريخية . وعلى كل سنراعي أن يتضمن كل عدد سنوي أكثر من مقال لإخصائيٍ عن مواضيع عامة ؛ حتى تكون في متناول القراء الذين لايهتمون إلا بالوجوه الشاملة لتاريخ اليهود في مصر ، وسننشر أيضا ـ استكمالا للفائدة ـ خلاصات مختصرة لما يستحدث من المصنفات الداخلة في مضمارنا » .

وحتى تتيح المجلة الفرصة لاشتراك علماء مصر والخارج في تحريرها ، صدرت متعددة اللغات ، بمعنى أنها تركت لكل منهم حرية اختيار اللغة التي يكتب بها ، ولكنها في الوقت نفسه قامت بنشر ترجمة موجزة لجميع الموضوعات باللغة العربية ؛ حتى تكون في متناول « عامة الشعب المصري » ـ على حد قول رينيه قطاوي .

أما عن منهج المجلة فيقول رئيس « جمعية البحوث التاريخية الإسرائيلية في مصر » : « إنه يمتد إلى أقصى حدود تاريخ اليهود في مصر زمانا ومكانا : نشوء الطوائف اليهودية المختلفة على ضفاف النيل ، ومصيرها منذ ظهورها الأول في عهد آباء بني إسرائيل حتى العصر الحديث » .

وقد تم إسناد إعداد العدد الأول إلى ناشر المجلة مسيو برنهارد جرزلوف ، في حين تولى الدكتو ألفريد يلوز كتابة موجز المقالات باللغة العربية ، أما مسيو شارل كوينتز(*) مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، فقد تولى مسئولية طبعها في مطابع المعهد بالقاهرة .

ومن أبرز الموضوعات التي نشرت في العدد الأول من المجلة مقال بقلم

(*) فرنسي مسيحي وافق على طبع المجلة في مطبعة المعهد مقابل أجر دفعه أصحابها .

ف . تشرينكوفر بعنوان « يهود مصر خلال العصر اليوناني الروماني في ضوء أوراق البردي » ، ومقال بقلم مايزلر عن « فلسطين في عصر المملكة المصرية الوسطى » ، ومقال لمراد كامل(*) باسم « نبذة عن أوراق بردي آرامية مكتشفة في تونة الجبل » ، ومقال بتوقيع توركزينر بعنوان « أفكار وأسماء مصرية في كنعان وفي الكتاب المقدس .. »

وفيما يتعلق بمصير هذه المجلة فإننا لم نعثر على مايدلنا على أنها قد واصلت الصدور أو لا ، وأغلب الظن أنها توقفت في العام التالي عن الصدور بعد إعلان قيام إسرائيل علم 1948 .

وإذا كانت تلك هي بعض الصحف الطائفية أو العامة التي أصدرها اليهود في مصر ، والتي حصلنا عليها أو على معلومات بشأنها ، فإنه تبقى مجموعة أخرى من الصحف التي عثرنا على أسمائها في فهرس الدوريات التي توقفت عن الصدوز بإدارة المطبوعات بالهيئة العامة للاستعلامات ، ومما يؤسف له أننا لم نعثر على هذه الصحف نفسها ، أو على ملفاتها ، ومن أهم هذه الصحف التي ورد ذكرها صحيفة L'Informateur لصاحبها ورئيس تحريرها إيلي بوليتي(**) ، وقد صدرت هذه الصحيفة عام 1929 بمدينة الإسكندرية صحيفة « أسبوعية تجارية اقتصادية صناعية »[137] .

وكان من بين الصحف الفرنسية التي أصدرها اليهود و لم نعثر عليها مجلة « مكابي » Maccabi الناطقة بلسان نادي المكابي الرياضي اليهودي لصاحبها ألبير بوسناك Albert Busnac ، والتي توقفت عن الصدور عام 1939 ، ومجلة « مصر القضائية »

(*) هو الدكتور مراد كامل أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة فؤاد .

(**) إيلي بوليتي عمل متعهدا لصحيفة « المصري » بالإسكندرية ، وقد أصدر مجموعة من المطبوعات التجارية باللغة الفرنسية من أهمها : الدليل السنوي للشركات المصرية المساهمة ، ومخبر التأمينات ، ومجموعة قوانين الشركات المصرية المساهمة ، ودليل القطن في مصر . وكان بوليتي عضوا في محفل الياهو حنابي بالإسكندرية منذ عام 1918 ، ثم تولى رياسته عام 1938 كما ساهم في إنشاء جماعة هاعفيري هاتسعير الصهيونية عام 1916 ، ودائرة الشبيبة اليهودية عام 1937 ، ونادي هاتيكفا للجنود اليهود عام 1942 .

L'Egypte Judiciaire ، التي رأس تحريرها ليون كاسترو . وصحيفة « لاباتري » La Patrie ، التي أصدرها كاسترو أيضا ، وصحيفة L'Hebdomadaire لصاحبها هنري شاؤول «ومجلتي » Mon Magasine لصاحبها إيلي شماع ، ولم يعرف على وجه التحديد متى صدرت هذه الصحف ومتى توقفت عن الصدور .

ويذكر كتاب Juifs d'Egypte أن كارلو سوارس ابن إدجار سوارس رئيس الطائفة اليهودية في الإسكندرية أسس بالاشتراك مع اليان فينبرت Elian Finbert مجلة Messages d'Orient رسائل الشرق – ثم Cahiers de I'Etoile . وإلى جانب الصحف التي أصدرها أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، استطاع اليهود التغلغل داخل الصحف الأجنبية في البلاد عن طريق إجادتهم اللغات الأجنبية ، وخصوصا الفرنسية ، مما كان يفتح أبواب العمل أمامهم في تلك الصحف ، كذلك استطاع اليهود التغلغل داخل واحدة من أكبر المؤسسات الإعلامية في البلاد ، وهي شركة الإعلانات الشرقية التي كانت تتحكم في مقدرات الصحف المصرية عن طريق الإعلان ، وبهذا تمكن اليهود من السيطرة على الصحف التي لم تكن مملوكة لهم أيضا .

فعلى الرغم من أن هذه الشركة كانت مملوكة لرجل تركي يدعى فيني ، ثم آلت ملكيتها لزوجته من بعده ، فإنهما استعانا في تسيير أعمالها بكثير من اليهود الذين كان منهم مندوبون للإعلان ، وكتاب في الصحف الأجنبية التي أصدرتها الدار مثل « البروجرية » و « لابورص اجيبسين » ، و« الديلي ميل » و « الإجيبشيان جازيت » ، و« سفنكس » .. وغيرها .

وقد ظل اليهود يرتقون المناصب الرئيسية في الشركة ، حتى أصبحت الشركة يهودية مائة في المائة – على حد قول عبد الحميد حمروش عضو مجلس الإدارة المنتدب في دار التحرير[138] ، وأصبح أحدهم وهو هنري حايم مديرا عاما لهذه الدار .

وبالإضافة إلى تغلغل اليهود داخل الصحف الفرنسية التي أصدرتها شركة الإعلانات الشرقية ، كانت لهم السيطرة المباشرة على بعض هذه الصحف مثل

« لابورص إجيبسين دي ديمانش » La Bourse Egyptienne du Dimanche التي أصدرتها الشركة عام 1940 ، وتولى رياسة تحريرها ألبير ستراسلسكي ، وصحيفة « ميدل ايست كونفوي » Middle East Convoy التي كان يمتلكها هنري حاييم نيابة عن شركة الإعلانات الشرقية منذ صدورها عام 1946 .

وهكذا استطاع اليهود إحكام قبضتهم على الصحف الأجنبية ، التي تصدر في مصر سواء بطريق مباشر من خلال امتلاك هذه الصحف ، أو بطريق غير مباشر عن طريق التغلغل داخل مؤسساتها أو التحكم في مقدراتها بواسطة الإعلانات ، وقد نجح اليهود من خلال هذه الأساليب في أن يجعلوا معظم الصحف الأجنبية في مصر تتعاطف نحوهم كما وجدنا بعض رؤساء التحرير من غير اليهود أكثر تعاطفا نحو الأماني اليهودية من بعض اليهود أنفسهم ، وتستطيع أن نشير في هذا الشأن إلى جان لوجول Jean Lugol الذي كان يعمل في الصحافة الفرنسية بمصر ، وتولى رياسة تحرير صحيفة « لوجورنال دي كير » عام 1939 ، وصحيفة « لابورص اجيبسين » وألف كتابا بعنوان Israel et la Civilisation وأندريه دي لوموا رئيس تحرير صحيفة « لابورص إجيبسين » ، الذي خصه ليون كاسترو بالشكر في الاحتفال الذي أقيم في جمعية نقطة اللبن في مارس عام 1933 ، وذلك لدفاعه عن اليهود في كثير من المناسبات والظروف ، وقد وقف لوموا لتوجيه الشكر إلى الحاضرين الذين هتفوا بحياته وقال : إنه كان ولازال شديد الميل نحو الشعب الإسرائيلي ، وأن هذا الميل الذي يشعر به يرجع إلى عهد دريفوس[139] .

و لم يقتصر اطلاع الجمهور اليهودي في مصر على الصحف الفرنسية التي كانت تصدر داخل البلاد فقط ، وإنما كان المجال مفتوحا أمامهم للاطلاع على الصحف الصهيونية التي تصدر في الخارج والتي كان مسموحا لها بدخول مصر ، ونستيطع أن نذكر من بين هذه الصحف مجلة « ارتز يسرائيل » Ertz Israél أي أرض إسرائيل التي كان يصدرها المكتب المركزي للصندوق القومي اليهودي في لاهاي ، وقد رحبت « لارفيو سيونيست » في مصر بتلك المجلة التي قالت : إنه طال انتظارها ؛ لأنها مجلة فرنسية متخصصة في مسائل الاستيطان اليهودي في فلسطين ، ولذلك قامت بالإعلان عنها في كل شهر ، كما تناولت الأعمال المنشورة فيها بالتعليق والتحليل .

وكان هناك أيضا صحيفة « مينوراه » Menorah التي كانت تصدر في فرنسا ، وقد تولت صحيفة « إسرائيل » مهمة الإعلان عنها لمن يرغب في الاشتراك فيها ، أما مجلة « هاتكفاه » Hatikvah لسان حال الاتحاد الصهيوني البلجيكي التي تصدر كل خمسة عشر يوما ، فقد أعلنت عنها « لاريفيو سيونيست » ، وناشدت المصريين الاشتراك فيها ، كذلك حثت المجلة أبناء الطائفة على قراءة صحيفة « ذا بالستين ويكلي » The Palestine Weekly التي كانت تصدر في فلسطين حتى يكونوا على علم بما يدور في أرض إسرائيل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ..

مما سبق نستطيع القول إن الحركة الصهيونية استطاعت أن تحكم الحصار حول الجمهور اليهودي الذي يتحدث الفرنسية فيما يشبه الإغراق الإعلامي سواء من خلال الصحف التي أصدرتها ، أو من خلال الصحف الأخرى التي أصدرتها الطائفة ، أو من خلال الصحف التي كانت تأتي من الخارج ، وسوف يتضح لنا مدى تأثير تلك الصحف ودرجة استجابة اليهود لها خلال الفصول التالية من هذه الدارسة .

* * *

مواهش الباب الأول

الفصـــل الأول

المبحث الأول

1 ــ علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية : يهود البلاد العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، يونيه (حزيران) 1971 ص 159 .

2 ــ Cohen,J.Hayym : The Jews of the the Middle East 1860 - 1972 Johm Wiley and Sons, New York, Toonto, Israel universities Press - Jerusalem 1973, P 10 .

3 ــ Ibid .

4 ــ Fargeon, Maurice :Les Juifs en Egypte, Paul Barbey, le Caire 1938, P 154 - 160 .

5 ــ أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية في مصر ــ الأهرام الاقتصادي في 23 مارس 1981 العدد 636 ص 19 .

6 ــ محمد فؤاد شكري (وآخرون) : بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية) ، دار الفكر العربي 1948 ص 305 .

7 ــ مارلو ، جون : تاريخ النهب الاستعماري لمصر 1798 - 1882 ، ترجمة عبدالعظيم رمضان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976 ص 125 .

8 ــ وزارة المالية ، إدارة عموم الإحصاء الأميرية : الإحصاء السنوي لسنة 1907 ، المطبعة الأميرية بمصر 1971 ، الجدول الثالث ص 46 .

9 ــ علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية : مرجع سابق ص 162 .

10 – Cohen : op . cit,P 49 .

11 – وزارة المالية ، مصلحة عموم الإحصاء الأميرية : الإحصاء السنوي العام للقطر المصري 1921 - 1922 ، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1923 ص 14 و539 .

12 – La liberté 3 - 6 -1922 No 218 .

13 – وزارة المالية والاقتصاد ، مصلحة الإحصاء والتعداد : الإحصاء السنوي العام 1951 — 1954 ، المطبعة بالقاهرة 1956 ، الجدول الثالث ص 18 .

14 – Hourani,A.H : Minorities in the Arab World The Royal Institute of International Affairs, London, New york, Toronto, 1947, P 10 - 50 .

15 – Fargeon : oq . cit 189 .

16 – فؤاد كرم : الأجانب في مصر ، مكتب عبد الله وهبة بمصر (د . ت) ص 78 .

17 – Fargeon : op . cit P 230

18 – علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية : مرجع سابق ص 169 .

المبحث الثاني

1 – مارلو : مرجع سابق ص 125 .

2 – شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين ، مطبعة المقتطف بمصر 1904 ص 240 .

3 – مارلو : مرجع سابق ص 137 .

4 – لاندز ، دافيد .س : بنوك وباشوات ، ترجمة عبد العظيم أنيس ، دار المعارف المصرية 1966 ص 147 .

5 – مارلو : مرجع سابق ص 145 ، 146 .

6 – المرجع السابق ص 133 .

7 – المرجع السابق ص 138 - 139 .

8 ـ لاندز مرجع سابق ص 147 .

9 ـ راشد البراوي : التطور الاقتصادي في مصر في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية 1944 ص 69 .

10 ـ عبد الرحمن الرافعي : جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق 1838 - 1897 ، الدار المصرية للتأليف والنشر 1967 ص 32 - 33 .

11 ـ شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص ث .

12 ـ علي الجريتلي : تطور النظام المصرفي في مصر - الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع ، بحوث العيد الخمسيني 1909 - 1959 ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة 1960 ص215 .

13 ـ المرجع السابق .

14 ـ محمود متولي : الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها ، الهيئة المصرية للكتاب 1974 ص 242 .

15 ـ نبيل عبد الحميد : الأجانب وأثرهم في المجتمع المصري من سنة 1882 إلى سنة 1922 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب جامعة عين شمس سنة . ص 78 - 92 .

16 ـ محمود متولي : مرجع سابق ص 86 .

17 ـ نبيل عبد الحميد : مصدر سابق ص 84 .

18 ـ شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص ث و ج .

19 ـ عبدالرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، الطبعة الأولى ، مطبعة الشرق 1939 ص 317 .

20 ـ نبيل عبد الحميد سيد أحمد : النشاط الاقتصادي للأجانب وأثره في المجتمع المصري من سنة 1922 إلى سنة 1952 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1952 ص 147 ، 153 .

21 ـ المرجع السابق ص 150، 155 .

22 ـ محمود متولي : مرجع سابق ص 75 .

23 – نبيل عبد الحميد : مصدر سابق ص 30 .

Abou Heif, Tewfik Soliman : Les Relations Entre Egyptiens et Juifs, – 24
Jmprimerie Salah El Dine, Aleacandrie 1939, P 34 .

25 – نبيل عبد الحميد سيد أحمد : مرجع سابق ص 92 .

26 – مصطفى أحمد الرفاعي اللبان : خطر اليهود في مصر (د . ت) ص 4 .

27 – أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية في مصر – الحلقة الخامسة – الأهرام الاقتصادي في 20 أبريل 1981 العدد 640 ص 16 .

28 – نبيل عبد الحميد : مرجع سابق ص 151 .

29 – وزارة المالية ، مصلحة عموم الإحصاء والتعداد : إحصاء الشركات المساهمة التي يوجد استغلالها الرئيسي في مصر ، يونيه 1945 ص 40 - 67 .

30 – الشمس في 19 أبريل 1940 العدد 290 .

Porath, yehoshua : The Palestinian Arab National Movement, Frank Caso – 31
and Company Limited, London, New Jersey 1977,Vol 2, P 176 .

32 – أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية في مصر ، الأهرام الاقتصادي في 6 مارس 1981 ، العدد 638 ص 23 - 24 .

33 – نبيل عبد الحميد : مرجع سابق ص 151 .

34 – يونان لبيب رزق : الوزارات المصرية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، وحدة الوثائق والبحوث التاريخية 1975 ص 354 .

35 – نبيل عبد الحميد : مرجع سابق ص 147 .

36 – إحصاء الشركات المساهمة ص 40 ، 67 .

37 – صحيفة الشمس في 31 مايو 1935 العدد 37 .

38 – المصدر السابق نفسه في 19 / 4 / 1940 العدد 290 .

39 – المصدر السابق في 12/ 9 / 1941 العدد 363 .

Porath, yehoshua The Palestinian Arab National Movement, Frank Caso – 40
and Company Ltd, London, New Jersey 1977 Vol 2 . P 176 .

41 – أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية في مصر ، الأهرام الاقتصادي في 6/ 3 / 1981 العدد 638 ص 23 - 24 .

المبحث الثالث

1 – إيلي ليفي أبو عسل : يقظة العالم اليهودي ، مطبعة النظام ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1934ص 162 .

2 – Israél, 20 - 7 - 1924 No 29 .

3 – La Revue Sioniste, 4 - 1 - 1918 No 1 .

4 – علي شلش : اليهود والماسون في مصر ، دار الزهراء للإعلام العربي الطبعة الأولى 1986 ص 64 .

5 – La Revue Sioniste, Ibidem .

6 – Supplement de la Revue sioniste, 19 - 4 - 1918. No 16 .

7 – Eban Aba : Aba Eban, An Autobiography, Random Havse, New york 1977, P 39 .

8 – La Revue Sioniste 17 - 12 - 1920. No 26 .

9 – Herzl, Theodore : The Complete Diaries of Theodore Herzl, Potai, Rophael (editor),Herzl Press and Thomas Yoraloff, London 1960, Vol 2, P 711 .

10 — Cromer : Modern Egypt, Macmillan and CO . Limited, London 1906, Val2, P 276 .

11 – كامل زهيري : النيل في خطر ، العربي للنشر والتوزيع (د . ت) ص 63 - 46 .

12 – London, M. Jacob : Jews in Nineteenth Century Egypt, New York university press, University of London press 1969, P 115, 116 , 261

13 – أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية في مصر ، الحلقة الثالثة ، الأهرام

الاقتصادي في 6 مارس 1981 العدد 238 ص 18 .

14 – Patai, Raphael, Encyclopedia of Zionism ane Israel, Herzl press, New york 1971, Vol1,, P 278 .

15 – سعيدة محمد حسني أحمد : اليهود في مصر 1882 - 1942 ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس عام 1984 ص 186 .

16 – خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت 1973 ص 327 .

17 – محمد عبدالرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة 1897 - 1918 ، القسم الثاني ، معهد البحوث والدراسات العربية ، والقاهرة 1974 ص 207 .

18 – La Revue Sioniste 20 - 8 - 1921 no11 .

19 – Revue Israélite d'Egypte, 20 - 9 - 1917. No 16 - 17.

20 – صحيفة الشمس في 27 أغسطس 1943 العدد 457 .

21 – L'Aurore, 27 - 7 - 1928 No 227Revue Israèlite d'Egypte 1 - 18 Janvier 1916. No 1 .

22 – La Revue Sioniste 5 - 6 - 1921. No .6 .

23 – صحيفة إسرائيل في 12 مايو 1933 العدد 19 .

24 – صحيفة الشمس في 15 مارس 1943 العدد 435 .

25 – المصدر السابق في 2 يناير 1936 العدد 68 .

26 – Eisenberg D'ennis (and others) : The Massad, Paddington Press ltd, New York, London 1978, p 72 .

المبحث الرابع

1 – شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص 231 .

2 – Abou Heif : op. cit P 51 .

3 ــ مجلة المجلة العدد 286 ص 25 .

4 ــ محمد علي علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة 1982 ص 233 .

5 ــ La Liberté 21 - 1 - 1924 .

6 ــ عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر سنة 1918 - 1936 ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1938 ص 569 .

7 ــ صحيفة الشمس في 12 ديسمبر 1925 العدد 65 .

8 ــ المصدر السابق في 19 ديسمبر 1935 العدد 66 .

9 ــ المصدر السابق في 16 يناير 1936 العدد 70 .

10 ــ Kadima, Mai 1936 No 9 .

11 ــ الشمس في 23 أبريل 1936 العدد 82 .

12 ــ المصدر السابق في 30 أبريل 1936 العدد 83 .

13 ــ المصدر السابق في 14 مايو 1936 العدد 85 .

14 ــ المصدر السابق في 23 مارس 1942 العدد 783.

15 ــ طارق البشري : الحركة السياسية في مصر 1945 - 1952 ، الطبعة الثانية ، دار الشروق 1983 ص 41 ، 238 .

16 ــ عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة 1937 - 1948 الجزء الثاني ، الوطن العربي (د . ت) ص 354 - 356 .

المبحث الخامس

1 ــ رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية 1940 - 1950 ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة 1976 ص 118 .

2 ــ رفعت السعيد : اليسار المصري والقضية الفلسطينية ، دار الفارابي ، بيروت 1974 ص 158 .

3 – عبد القادر ياسين : القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري ، دار ابن خلدون ، الطبعة الأولى ، بيروت 1981ص 87 .

4 – رفعت السعيد : اليسار المصري والقضية الفلسطينية ص 292 .

5 – المرجع السابق نفسه ص 36 .

6 – رفعت السعيد : اليسار المصري 1925 - 1940 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت 1972 ص 249 .

7 – عبد القادر ياسين : مرجع سابق ص 81 .

8 – أحمد صادق سعد : صفحات من اليسار المصري في أعقاب الحرب العالمية الثانية 1945 - 1946 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1976 ص 41 .

9 – عبد الغني سعيد : أسرار السياسة المصرية في ربع قرن ، دار الحرية ، العدد الخامس ، أكتوبر 1985 ص 186- 1960 .

10 – عبد القادر ياسين : مرجع سابق ص 83 .

11 – رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية المصرية 1940 - 1950 ص 192 .

12 – المرجع السابق ص 193 .

13 – المرجع السابق ص 194 ، عبد القادر ياسين : مرجع سابق ص 92 .

14 – رفعت السعيد : اليسار المصري والقضية الفلسطينية ص 60 .

15 – المرجع السابق ص 319 .

16 – المرجع السابق ص 238 ، 247 ، 320 .

المبحث السادس

1 – جريدة النظام في 28 أكتوبر 1922 العدد 856 ص 3 .

2 – نجدة فتحي صفوة : الماسونية في الوطن العربي ، سلسلة أوراق عربية رقم 4 ، مركز الدراسات العربية ، لندن ، سبتمبر 1980 ص 4 .

3 – صابر عبد الرحمن طعيمة : الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا ، دار

الفكر العربي 1978 ص 15 .

4 ـ عبد الرحمن سامي عصمت : الصهيونية والماسونية ، بدون اسم الناشر ، الطبعة الأولى 1949 ص 36 .

5 ـ مجلة الاتحاد الإسرائيلي في 18 مايو 1924 العدد الثالث .

6 ـ شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص 236 .

7 ـ إبراهيم عبده : أبو نظارة إمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر 1839 - 1912 ، مكتبة الآداب بالجماميز ، الطبعة الأولى ، القاهرة 19ص .

8 ـ سعيد محمد السيد أحمد : الصحافة العربية في عصر إسماعيل ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة 1973 ص 210- 211 .

9 ـ المصدر السابق ص 208 .

10 ـ دار الوثائق القومية ، وثائق عابدين ، المحفل الماسوني محفظة رقم (1) و (2) .

11 ـ المصدر السابق نفسه .

12 ـ صحيفة النظام في 19 أبريل 1922 العدد 697 ص 3 .

13 ـ المصدر السابق في 21 أبريل 1922 العدد 699 ص 3 .

14 ـ المصدر السابق في 28 أبريل 1922 العدد 705 ص 3 .

15 ـ مجلة الميثاق الماسونية في 15 ديسمبر 1924 العدد الثامن ص 283 .

16 ـ دار الوثائق القومية المصرية ، وثائق عابدين ، المحفل الماسوني ، محفظة رقم (2) .

17 ـ محمد علي الطاهر : معتقل هاكستيب مذكرات ومفكرات ، المطبعة العالمية بمصر 1950 ، حاشية ص 49 .

هوامش الفصل الثاني

1 – Herzl : op . cit, Vol 2, P 624 .

2 – Ibid, Vol 1, P 88 .

3 – فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية ، مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، سلسلة دراسات فلسطينية رقم 13 ، بيروت ، مايو 1967 ص 131 .

4 – Herzl a op. cit, vol 2, P 549 .

5 – Ibid : Vol 3, P 962, 963 .

6 – نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطاني والصحف الفرنسية من 1882 - 1904 ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1953 ص 4 .

7 – Corneilhan, Georges : Les Juifs et apportunstes, Le Judaisme en Egypte et an Syrie, L.Sauvoitre. Paris 1889, P 177 .

8 – إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية 1798 - 1981 ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة 1982 ص 135 .

9 – نجيب أبو الليل : مرجع سابق ص 229 .

10 – المرجع السابق نفسه ص 183 .

11 – المرجع السابق ص 143 .

12 – إبراهيم عبده : أبو نظارة ص 40 .

13 – London : op. cit, P 248 .

14 – Ibid, P 249 .

15 – سامي عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطاني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1968 ص 194 .

16 – The Jewish Encyclopedia : op. cit. Vol 5, P 67, Forgeon : op . cit, P 268 .

London : op. cit P 102 .

إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ص 258 .

أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية في مصر - 1947
1897 ، كتاب الهلال ، العدد 219 ، دار الهلال ، القاهرة 1969 ص 46 .

La Revue Sioniste, 1 - 2 - 1923 No 21, P 701 .

Fargeon a op. cit P 226 .

Juifs d'Egypte : op . cit P 237 .

La Revue Sioniste, 15 - 5 - 1922 No4, P 100 .

Israél, 25 - 5 - 1924 No21 .

يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام 1975 ص 194 .

La Revue Sioniste 4 - 1 - 1918 No 1 .

Ibid, 18 - 1 - 1918 No 3 .

Ibidem .

Ibid, 20 - 10 - 1920 No 15 .

Ibid, 20 - 4 - 1924 No 3 .

Israél, 25 - 5 - 1924 No 21 .

Ibid, 1 - 6 - 1924 No 22 .

La Revue Sioniste, 1 - 6 , 1923 No 5 .

L'Aurore, 2 - 5 - 1924 No 11 .

Ibid, 28 - 3 - 1924 No 7 .

Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4 .

سهام عبد الرازق عشري نصار : صحافة اليهود العربية في مصر ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإعلام جامعة القاهرة عام 1979 ص 30 .

صحيفة إسرائيلي في 1 / 12 / 1933 العدد الأول .

39 – المصدر السابق في 24/ 11 / 1922 العدد 47 .

40 – Israél, 20 - 3 - 1925 No 12 .

41 – شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص 232 .

42 – Israél 20 - 7 - 1924 No 29 .

43 – عبدالوهاب المسيري : موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل ص 261 .

44 – Israél, 4 - 1 - 1925 No 1 .

45 – Ibid, 18 - 1 - 1925 No 3 .

46 – صحيفة إسرائيل في 1 ديسمبر 1933 العدد 48 .

47 – الهيئة العامة للاستعلامات بمصر ، إدارة المطبوعات ، ملف صحيفة إسرائيل رقم (11- 2/ 47) .

48 – علي إبرايهم عبده وخيرية قاسمية : مرجع سابق ص 176 .

49 – رفعت السعيد : اليسار المصري ص 238 .

50 – رفعت السعيد : اليسار المصري والقضية الفلسطينية ص 38 - 39 .

51 – عبد القادر ياسين : مرجع سابق ص 99 .

52 – صحيفة الأخبار في 19 فبراير 1985 العدد 10220 ص 16 .

53 – علي شلش : مرجع سابق ص 55 .

54 – La Liberté, 15 - 9 - 1921 No 1 .

55 – F,O,407 1848, General Situation in Egypt From 15 - 12 September 1921 No 10 .

56 – La Liberté 11 - 10 - 1921 No 23 .

57 – La Revue Sioniste, 20 - 11 - 1921 No 17 .

58 – صحيفة الشمس في 5 يوليه 1935 العدد 42 ص 3 .

59 – دار الوثائق القومية ، مذكرات سعد زغلول ، كراسة رقم 36 ص 113 .

60 – انظر : محمد كامل سليم : صراع سعد في أوروبا ، كتاب اليوم ، العدد 96 ، يونيو 1975 ص 93 ، 96 .

61 – المرجع السابق نفسه ص 117 ومحمد علي علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ص 120 .

62 – F.O 407 / 199, Mr. Kear to Mr. Macdonald, October 5, 1924 No 31 .

63 – صحيفة المحروسة في 11 نوفمبر 1924 العدد 4229 .

64 – عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ص 402.

65 – دار الوثائق القومية ، مذكرات سعد زغلول ، كراسة رقم 47 ص 3 .

66 – صحيفة الوطن في 8 سبتمبر 1923 العدد 8609 .

67 – La Liberté, 1 - 9 - 1923 No 583 .

68 – Ibid, 28 - 3 - 1923 No 451 .

69 – عبدالخالق لاشين : مرجع سابق ص 342 .

70 – عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر 1918 - 1936 ص 354 .

71 – La Liberté, 29 - 8 - 1923 No580 .

72 – Ibid, 31 - 8 - 1923 No 582 .

73 – دار الوثائق القومية ، مذكرات سعد زغلول ، كراسة رقم 47 ص 3 .

74 – La liberté, 17 - 1 - 1924 No 697 .

75 – Ibid, 10 - 5 , 17 - 6 -1924 No 793, 825 .

76 – عبدالعظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر 1918 - 1936 ص 436 - 442 .

77 – المرجع السابق ص 445 .

78 – La Liberté, 30 - 6 - 1924 No 836 .

79 – Ibid, 20 - 9 - 1924 No 906 .

80 – Ibid, 8 - 7 - 1924 No 843 .

81 — Ibid, 23 - 7 - 1924 No 855 .

82 — Ibid, 23 - 15 - 1924 No 933 .

83 — F.O.407 / 199 Mr. Keer to Mr. Macdonald . Sep 7, 1924 No30 .

84 – عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر 1918 - 1936 ص 455 .

85 — La Liberté, 6 - 11 - 1924 No 945 .

86 — Ibid, 10 - 11 - 1924 No 948 .

87 – كوكب الشرق في 10 نوفمبر 1924 العدد 44 ص 5 .

88 – صحيفة المحروسة في 11 نوفمبر 1924 العدد 4221 ص 1 .

89 — La Liberté, 10 - 11 - 1924 No 948 .

90 – عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ص 414 .

91 – عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر 1918 - 1936 ص 453 .

92 — F.O.407 / 199 Field - Marshal Viscount Allanly To MR . Austen Chamberlan . Dec 7, 1924 No 468 .

93 – عبد الخالق لاشين : مرجع سابق ص 419 .

94 — F.O.407 / 199 . Field - Marshal Viscount Allenby to Mr. Austen chanberlain, Dec 14, 1924 .

95 — F.O.407 / 199. Sep 7, 1924 No 30 .

96 — La Liberté, 26 - 2 - 1924 No731 .

97 – صحيفة الوطن في 8 سبتمبر 1923 العدد 8609 .

98 – رفعت السعيد : اليسار المصري والقضية الفلسطينية ص 390 .

99 – عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية 1947 ، ص 213 .

100 – La Liberté, 9 - 1 - 1925 No 998 .

101 – صحيفة المحروسة في 10 و 11 يناير 1925 العددان 4372 ، 4373 .

102 – صحيفة كوكب الشرق في 10 يناير 1925 العدد 97 .

103 – صحيفة السياسة في 11 يناير 1925 العدد 684 .

104 – دار الوثائق القومية ، مذكرات سعد زغلول ، كراسة رقم 15 ص 1 = 2893 .

105 – المصدار السابق ، كراسة رقم 52 ص 10 = 2909 .

106 – Israél, 12 - 6 - 1925 No 24 .

107 – عبدالخالق لاشين : مرجع سابق ص 337 - 339 .

108 – المرجع السابق نفسه ص 340 .

109 – La Revue Sioniste, 2 - 7 - 1922 No7 .

110 – Ibid, 15 - 5 - 1922 .

111 – عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر 1937 - 1948 ، الجزء الثاني ص 326 .

112 – عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من 1917 - 1936 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 ص 23 .

113 – L'Aurare, 19 - 2 - 1924. No 1 .

114 – Fargon : op. cit P 227 .

115 – Ibidem .

116 – L'Aurore 26 - 2 - 1924. No 2 .

117 – Fargeon : op. cit P 227 .

118 – Kadima, Mai 1936 No 9 .

119 – أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : مرجع سابق ص 100 .

120 – المرجع السابق ص 101 - 118 .

121 – المرجع السابق ص 103 .

122 ــ المرجع السابق .

123 — Kadima, Novembre 1936. No 19 .

124 ــ أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : مرجع سابق ص 104 .

125 ــ المرجع السابق ص 108 .

126 ــ المرجع السابق ص 111 - 113 .

127 — Cahiers Juifs, Janvier 193.3 No 1 .

128 — Juife d'Egypte : op. cit P 237 .

129 — Kadima, Navembre, Decembre 193.6 P 6 -9 .

130 — Ibid : Novèmbre 1936. No 14 .

131 — Ibid : Février 1936. No 6 .

132 — Fargeon op cit p 226 .

133 — Ammaire des Juifs d'Egypte .. 1944 ..

134 — Ibid, 1942 .

135 ــ حامد عبدالله ربيع : الدعاية الصهيونية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1975 ص 21 و 39 .

136 — Communauté Irsaelite D'Alexandrie : Huitieme Centenaire de Maimondie- Grand Ralbinat, Decembre 1935 . P 7 .

137 — Annuaire des Juifs d'Egypte et du Proche Orient 1943 . P 311 .

138 ــ مقابلة شخصية مع عبدالحميد محروس في 7 / 6 / 1983 بمكتبة بدار التحرير للطباعة والنشر .

139 ــ صحيفة إسرائيل في 31 مارس 1933 .

الباب الثاني

الدعايـــة الصهيونيـــة

وسائلهـا وأساليبـها

الفصل الثالث

الدعاية الصهيونية في مصر ووسائل الاتصال

أهمية الدعاية :

إذا ألقينا نظرة فاحصة على تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، فسنجد أن الدعاية كانت واحدة من أهم الأدوات التي تسلحت بها الحركة في سعيها من أجل الوصل إلى غايتها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولاجدال في أن كتاب « الدولة اليهودية » الذي نشره تيودور هرتزل عام 1896 – وهو من قبيل الأعمال الدعائية الصهيونية – كان الشرارة التي ألهبت حماس الجماهير اليهودية في معظم أنحاء العالم ، وأدى في نهاية الأمر إلى اجتماع بازل الشهير عام 1897 ، الذي تم فيه تبني البرنامج الصهيوني الذي ينص على « إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام » .

وفي الحقيقة كان هرتزل قد فكر في أثناء مفاوضاته مع هيرش[*] عام 1895 ، في تكوين جيش يفتح به البلد الذي يريدة وطنا لليهود ، ولكنه وجد أن تحقيق هذه الفكرة يتطلب منه أولا أن يقوم بدعاية ضخمة ، وأن يقوم بنشر الفكرة من خلال الصحف والكتب والنشرات والمحاضرات التي يلقيها محاضرون متجولون ،

(*) موريس دي هيرش (1831 - 1896) مليونير يهودي ألماني ومؤسس جماعة « الاستعمار اليهودي » الإستيطاني . كان من أوائل من فكروا في توطين اليهود على مستوى واسع ، وقد حاولت جمعية « أحباء صهيون » وهرتزل أن يطلبوا منه العون لمشروعاتهم ، ولكنه اعتبر محاولة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين وهمًا كبيرا ، ومع ذلك ظل على اعتقاده في إمكان تحويل يهود الجيتو في شرقي أوربا إلى شعب زراعي .

ومن خلال الصور والأناشيد[1] ، ولذلك فإنه بدلا من اقتحام فلسطين بجيش مسلح ، اتخذ مؤتمر بازل القرارات التالية لبلوغ الهدف الصهيوني[2] :

1 – ترقية استيطان العمال الصناعيين والزراعيين اليهود لفلسطين .

2 – تنظيم اليهود وربطهم من خلال مؤسسات تتفق والقوانين الدولية المحلية لكل بلد .

3 – إيقاظ الوعي القومي اليهودي .

4 – البدء في اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة دول أوربية لتحقيق الهدف الصهيوني .

ولاشك في أن تنفيذ هذه القرارات كان يعتمد في معظمه على الجماهير اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء العالم ، فهذه الجماهير كان ينبغي عليها أن تهاجر إلى فلسطين لتغيير موازين القوى هناك ، وهي التي كان يتوقف عليها القيام بأعمال الاستيطان وأعمال البناء وتمويلها لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية ، وفوق ذلك كانت هي التي ستقوم بدور جماعات الضغط لانتزاع موافقة الدول الأوربية على المشروع الصهيوني ومساندته ، وحتى تسهم الجماهير اليهودية بالدور المطلوب منها ، وجدت الحركة الصهيونية أن الطريق إلى هذه المساهمة يمر عبر إيقاظ الوعي القومي اليهودي ، ثم تبين لها أن هذا الإيقاظ لن يتحقق إلا من خلال القيام بجهد دعائي منظم لخلق رأي عام يهودي يؤمن بالأهداف التي رسمتها ويعمل من أجل تحقيقها ، ولذلك وضع المؤتمر الصهيوني الأول الأساس لتنظيم صهيوني على مستوى العالم كله يتكون من اتحادات وجمعيات محلية ، تقوم بدعاية منظمة لكسب تأييد اليهود وتعاطفهم مع الحركة الصهيونية[3] .

كانت الدعاية Propaganda إذن ، والدعاية بالذات – كما ورد ذكرها في يوميات هرتزل – هي وحدها المقصودة من بين فنون الاتصال الأخرى التي تم استدعاؤها لتكون في خدمة النشاط الصهيوني .

ولكن لماذا الدعاية بالذات ؟

تبين من متابعتنا لكل التعريفات المقدمة للدعاية أنها تقوم على أساس التلاعب بعواطف الجماهير ، « وخلق حالة من حالات التوتر الفكري التي تؤدي إلى تشويه التتابع المنطقي للذات الفردية ، وبالتالي الوصول إلى موقف ما كان من الممكن أن يصل إليه الفرد بمنطقه العادي » ومعنى ذلك باختصار شديد « أنها تقود إلى تشويه

الحقيقة بأسلوب أو بآخر ؛ سعيا إلى غاية واحدة هي تغيير مظاهر الاستجابة في موقف الفرد بالنسبة لمشكلة معينة »[4] .

إذن فالدعاية باعتمادها على أسلوب إثارة العواطف والانفعالات الذي يؤدي إلى استجابة سريعة ، وباعتمادها على منطق تشويه الحقائق الذي لايتورع عن اللجوء إلى الكذب أحيانا ، كانت هي الأسلوب الأمثل بالنسبة للحركة الصهيونية المتلهفة إلى حشد الجماهير اليهودية وراءها بأسرع وقت ممكن ، وهو ما لم يكن يتسنى لها تحقيقه لو أنها لجأت إلى أسلوب الإقناع بالحجة والمنطق الذي ينطوي عليه مفهوم الإعلام ، ولذلك فإن الدعاية وحدها هي التي كان بإمكانها إلهاب حماس الجماهير اليهودية ، وهي وحدها التي كان بإمكانها إظهار الجوانب المشرقة في المشروع الصهيوني وتغطية الجوانب السيئة فيه ، ولهذا كانت الدعاية Propaganda هي المصطلح الذي أطلق دون غيره من المصطلحات على النشاط الاتصالي الذي قامت به الحركة الصهيونية خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ولقد كانت مصر وطائفتها اليهودية من بين الدول التي كانت هدفا للدعاية الصهيونية خلال تلك الفترة ، إذ تشير التقارير المتبادلة بين المنظمات الصهيونية في مصر والمكتب الصهيوني في فيينا في أوائل القرن العشرين ، إلى أن نشاط هذه المنظمات كان يتلخص في كلمة واحدة هي الدعاية .

وقد مرت الدعاية الصهيونية في مصر بمراحل متعددة اختلفت فيها الأساليب وتنوعت الأهداف ، ولكن الشيء الذي لاشك فيه هو أن الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية التي شهدتها البلاد صدرت أساسا للقيام بدعاية للفكرة الصهيونية ضمن الإطار الذي حدده هرتزل ، ولذلك نرى لزاما علينا أن نتتبع جوانب النشاط الدعائي الصهيوني في مصر بشيء من التفصيل لكشف كثير من أبعاده التي ما زالت خافية على الكثيرين منا حتى الآن .

الدعاية الصهيونية ووسائل الاتصال :

اتفق خبراء الدعاية والإعلام على أن أقوى أساليب التأثير هي التي تجمع

بين الاتصال الجماهيري والاتصال المباشر سواء الرسمي منها أو غير الرسمي ، فقد أكد ليرنر Lerner وراو Rao وغيرهما أن ربط الاتصال الجماهيري بالاتصال المواجهي هو خير طريقة لضمان التأثير القوى والإقناع السريع[5] ولقد كانت الدعاية الصهيونية أكثر وعيا بهذه الحقيقة ولذلك سنجد أنها اعتمدت خلال مراحل نشاطها المختلفة على هذين الأسلوبين في الاتصال بجماهيرها المختلفة .

1 ـ الاتصال المباشر :

من الملاحظ أن الدعاية الصهيونية في مصر اعتمدت خلال الفترة السابقة على صدور تصريح بلفور على الاتصال الشخصي ، وعلى الرغم من أنها لجأت فيما بعد إلى استخدام وسائل الاتصال الجماهيري متمثلة في الصحافة والسينما والمطبوعات بمختلف أنواعها ، فإن الاتصال الشخصي ظل يعمل جنبا إلى جنب مع الاتصال الجماهيري خلال فترة نشاطها في مصر ، وحتي إعلان قيام دولة إسرائيل .

ولاشك في أن السبب في اعتماد الحركة الصهيونية على أسلوب الاتصال المباشر خصوصا في المرحلة السابقة على صدور تصريح بلفور يرجع إلى عدة عوامل ، نذكر منها أن المبشرين وأصحاب الدعوات الجديدة لايجرؤون دائما على إعلان دعوتهم على الملأ خصوصا في مراحلها المبكرة خوفا من إجهاضها قبل ولادتها أو وأدها بعد الميلاد ، أضف إلى ذلك أن التبشير بالأهداف والمبادئ الصهيونية في مصر ـ جارة فلسطين ـ بصورة علنية واستفزازية ، كان من شأنه أن يثير مشاعر المصريين والعرب المقيمين في البلاد ضد الحركة الصهيونية ، مما كان يمكن أن يؤدي إلى رد فعل عنيف ضدها وفي غير صالحها .

وبالإضافة إلى ذلك كانت تركيبة المجتمع اليهودي في مصر في ذلك الوقت لاتسمح بممارسة أي نوع من أنواع الاتصال الجماهيري الأخرى فكما سبق أن أشرنا ، كانت الطائفة اليهودية تتألف من خليط غير متجانس من اليهود كانت هناك الرأسمالية والبورجوازية اليهودية الكبيرة التي تتحدث الفرنسية ، وكان هناك اليهود القراءون وفقراء السفارديم الذين لايعرفون سوى العربية ، كما كان هناك اليهود الإشكنازيم الذين

يجيدون اليديشية(*) والألمانية وغيرها من اللغات الأوربية ، وإزاء ذلك كان من الصعب التوجه إلى كل هؤلاء بوسيلة اتصال جماهيرية واحدة تعتمد على لغة واحدة ، أو حتى على عدة لغات وخصوصا أن إمكانات الحركة الصهيونية ومواردها المالية المخصصة للدعاية كانت محدودة جدا .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الاتصال المباشر هو أداة أكثر فعالية في تحويل وجهة النظر من المعارضة إلى التأييد أو النقيض وإذا أخذنا في اعتبارنا أن أحد أهداف الدعاية الصهيونية في تلك المرحلة كان تحويل اليهود المصريين من موقف المعارضة للحركة الصهيونية إلى موقف التأييد ، وجدنا الاتصال الجماهيري لايستطيع بمفرده القيام بهذه المهمة ، بل إنه يصبح هنا وسيلة تابعة لأخرى أصيلة هي الاتصال المباشر(6) .

وإذا كانت الدعاية الصهيونية قد استمرت في اعتمادها على أسلوب الاتصال المباشر بعد صدور تصريح بلفور ، فما ذلك إلا لأن هذا الأسلوب كان يسمح لها بمخاطبة مراكز القوى وقادة الرأي في المجتمع ، كما أنه وحده الأسلوب الذي يسمح لها بإعلان أشياء لاتستطيع قولها عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري الواسعة الانتشار في مرحلة التخطيط والإعداد التي كانت تتطلب شيئا من السرية .

وعلاوة على ما سبق كانت قدرة الاتصال الشخصي على الوقوف كحجر عثرة في وجه التأثير الدعائي لوسائل الاتصال الجماهيري(**) أحد الأسباب التي دفعت الدعاية الصهيونية إلى الاعتماد على الاتصال الشخصي طوال مراحل نشاطها في التأثير على قادة الرأي وصانعي القرار في المجتمع المصري ، ولعل ذلك يبرر لنا امتناع المسئولين المصريين والبريطانيين عن اتخاذ أي قرار لقمع النشاط الصهيوني في

(*) لهجة ألمانية يستخدمها يهود شرق أوربا ، وهي عبارة عن خليط من المفردات الألمانية وبعض الكلمات السلافية والعبرية ، وقد اشتق اسمها من كلمة يهود .

(**) أثبت الباحث الأمريكي لازرسفيلد وآخرون أن وسائل الاتصال الجماهيري لم يكن لها أدنى تأثير على أسلوب الناخبين في الولايات المتحدة عام 1940 ، فعلى الرغم من أن وسائل الإعلام كانت ضد إعادة انتخاب الرئيس روزفلت ، فقد أعيد انتخابه ، وكان الفيصل النهائي في ذلك يرجع إلى الاتصال الشخصي الذي أعاق عمل هذه الوسائل .

مصر أو مراقبته على الأقل بالرغم من التحذيرات والدعايات التي أطلقتها بعض الصحف المصرية والعربية ضد هذا النشاط .

وفضلا عن ذلك كان الاتصال المباشر بوصفه اتصالا ذا اتجاهين ، Communication Two-Way ، وله رجع صدي Feed back ، يسمح للقائمين بالدعاية الصهيونية بمراقبة رد فعل الجمهور ، واكتشاف ما قد يعترض طريق الاتصال المباشر من عوائق فيتم تجنبها على الفور .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن قطاعا من اليهودية المصرية كان قد رفض الصهيونية وسخر منها ، وأنه لو ترك هؤلاء لوسائل الاتصال الجماهيرية ، فإن عوامل التعرض الانتقائية كانت ستلعب دورها معهم ، وخصوصا أن هؤلاء كانوا يرفضون الاشتراك في الصحف الصهيونية أو قراءتها ، ولذلك كان يتعين على الحركة الصهيونية أن تذهب إلى هؤلاء أينما كانوا ، وأن تحدثهم باللغة التي يفهمونها حتى تستيقن وصول رسالتها إليهم ، وماكان ذلك ليتسني لها إلا من خلال الاتصال الشخصي المباشر .

وإضافة إلى ماسبق كان أسلوب الاتصال الشخصي يسمح للداعية بأن يحقق أهدافه من خلال تصرفه الشخصي النموذجي دون حاجة إلى استخدام أسلوب التحريض المباشر الذي قد ينفر منه الناس[7] ، ولهذا وجدنا قادة الحركة الصهيونية يبادرون إلى دفع التبرعات في كل اجتماع أو محاضرة تعقد من أجل الجباية لأي من الصناديق أو المشروعات الصهيونية ، وكان هؤلاء القادة يحرصون على أن يضربوا القدوة أو المثل في حجم هذه التبرعات التي كانوا يدفعونها ، فعلى سبيل المثال نجد جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية في مصر يتبرع بمبلغ 1600 جنيه مصري لصالح الجامعة العبرية ، ومنحة سنوية قدرها ستون جنيها لواحد من الطلبة الذين يتم إيفادهم إليها .

ومن حسن حظ الحركة الصهيونية أن ظهر بين كوادرها بعض الأشخاص الذين كانوا يتمتعون بالمواصفات التي يجب توافرها في الداعية الناجح ومن هؤلاء هرتزل ووايزمان وسوكولوف في المنظمة العالمية ، وليون كاسترو وجوزيف شيكوريل في المنظمة المحلية بمصر .

وتبدو أهمية الاتصال الشخصي بالنسبة للحركة الصهيونية فيما كتبته مجلة « كاييه جويف » Chiers Juifs عن ناحوم سوكولوف حيث تقول « كان سوكولوف رئيس الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ورئيس صندوق الإنشاء اليهودي « الكيرن هايسود » صحفيًّا وكاتبا وخطيبا وسياسيا وفيلسوفا وناقدا .. كان رحالة كبيرا يدرك أن الحديث الناطق والاتصال المباشر من رجل إلى رجل يحتوي كل منهما على دينامية اتصالية هامة .

لقد استمع الناس إلى كلام سوكولوف في كل مكان ؛ في الصالونات ، في الساحات في الفاتيكان بدون وايزمان وسوكولوف ما كان هناك تصريح بلفور ولاضمانات دولية ، لقد كان علينا أن ننتظر لو أنهما لم يتصرفا في اللحظة المناسبة[8] .

ومن منطلق إدراك الحركة الصهيونية لأهمية الاتصال المباشر نجد أنها استخدمت هذا الأسلوب على نطاق واسع ، وكانت لها في هذا الشأن أجهزتها وأدواتها المتعددة التي نتناولها بالتفصيل فيما يلي :

الجمعيات والمنظمات الصهيونية :

رأينا في الفصل الأول أنه تأسست في مصر العديد من المنظمات والجمعيات الصهيونية التي اعتمدت على الدعاية في إنجاز أهدافها ، وتحقيق نشاطها .

وكان من أهم هذه التنظيمات المنظمة الصهيونية بمصر التي أسسها ليون كاسترو عام 1917 كفرع للمنظمة الصهيونية العالمية لتتولى مسئولية النشاط الصهيوني في البلاد ، وكانت لجنة الدعاية الخاصة بهذه المنظمة تعد واحدة من أهم أقسامها ، فقد كانت تضم الجانب الأكبر من أنشطتها المتعددة فيما عدا فرع الصندوق القومي اليهودي بالقاهرة ، ومجلة « لارفيو سيونيست » الناطقة بلسان هذه المنظمة .

وكما هو واضح اعتمدت هذه اللجنة على الاتصال المباشر ، ولذلك أعيد تشكليها عام 1921 ، حتى تكون قادرة على ممارسة هذا الاتصال ، فأسندت رياستها إلى

د . بيلبول الذي استعان في تسيير أعمالها بتسعة وأربعين معاونا ، كان 39 منهم في القاهرة والباقي في الأقاليم .

وكانت لجنة الدعاية بالمنظمة الصهيونية بالقاهرة تتألف من عدة لجان مستقلة في عملها الداخلي ، ولكنها كانت تابعة للجنة الأم التي كانت مسئولة عن أعمالها أمام اللجنة المركزية ، وهذه اللجان هي[9] :

1 ـ **لجنة الانضمام والعضوية** : ومهمتها جذب أعضاء جدد للانضمام إلى عضوية المنظمة .

2 ـ **لجنة الشكيل** : وكانت تتولى مسئولية بيع الشكاليم والدعاية لها بين أفراد الطائفة ، وقد بذلت هذه اللجنة مجهودات كبيرة للوصول بحجم بيع الشكاليم إلى المستوى الذي يسمح لمصر بالاشتراك في المؤتمرات الصهيونية العالمية .

3 ـ **لجنة الاحتفالات** : وكانت هذه اللجنة ـ كما هو واضح من اسمها ـ تختص بتنظيم الاحتفالات التي تقيمها المنظمة في المناسبات الخاصة ، كما كانت تتولى إقامة الأمسيات الراقصة والحفلات الترفيهية ، التي استخدمت كوسيلة لجلب الأعضاء الجدد إلى المنظمة ، وكفرصة لبيع الشكاليم وجمع التبرعات ، وإقامة اتصال وثيق ومستمر بين المنظمة الصهيونية والعناصر اليهودية .

4 ـ **الاتحاد النسائي الصهيوني** : ويرجع الفضل في إنشائه عام 1921 إلى لجنة الدعاية وإلى الجهود المخلصة لكل من ليلى بيرلو Lely Berleau وصوفي ميشنبرج Sophi Mechenberg ، وكان الهدف من إنشائه إثارة اهتمام المرأة اليهودية بالعمل الصهيوني .

5 ـ **لجنة الدعاية للعبرية** : وكان هدفها نشر اللغة العبرية وتعليمها .

6 ـ **لجنة المكابي** : وكانت هذه اللجنة تتولى الإشراف على نشاط أندية المكابي الرياضة التي كانت تضم الشباب اليهودي في عضويتها بهدف توجيهها نحو خدمة الأهداف الصهيونية .

7 ـ **الجماعة الفكرية اليهودية** : وكانت تقوم بتنظيم المحاضرات في مختلف الأحياء التي يقطنها اليهود في القاهرة .

يتضح لنا من التقسيم السابق لأعمال لجنة الدعاية أنها اعتمدت أساسا على الاتصال المباشر في ممارسة أنشطتها ، ولتسهيل إنجاز هذه اللجنة للمهام التي اضطلعت بها ، قامت بتقسيم مدينة القاهرة عدة أقسام ، وعينت لكل قسم مندوبا يكون مسئولا عن أعمال الدعاية في دائرته .

ويبدو أن لجنة الدعاية وجدت أن الاتصال الشخصي غير كاف لانجاز مهمامها على النحو الذي كانت ترجوه ، لهذا تطلعت إلى استخدام واحدة من وسائل الاتصال الجماهيري للمساعدة في بث دعايتها ، وقد تم بالفعل الموافقة على إنشاء صحيفة صهيونية أسبوعية ناطقة باللغة العربية ، وذلك في الاجتماع الذي عقدته اللجنة في أكتوبر عام 1921 ، كما أعربت اللجنة عن رغبتها في أن تقوم مجلة « لارفيو سيونيست » بإصدار صفحتين دعائيتين من صفحاتها باللغة العربية أيضا ، ولكن يبدو أن كلا الاقتراحين لم يخرجا إلى حيز التنفيذ ، إذ لم نعثر على ما يفيد قيام المنظمة الصهيونية بإصدار صحف ناطقة باللغة العربية ، أو حتى إصدار بعض الصفحات المعبرة عن لسان حالها باللغة العربية .

الحاخام :

من المعروف أن الزعماء الدينيين من أي عقيدة يتمتعون بتأثير بالغ على جماهيرهم ، فهم بما يمتازون به من قوة المنطق والبلاغة ، والأخلاق الحميدة والصفاء الذهني والبعد عن المطامع الشخصية قادرون على كسب ثقة الجماهير ومحبتها ، وقادرون أيضا على حشد الرأي العام وراءهم[10] ، ولذلك وجدنا كثيرًا من الحركات السياسية والقومية تلجأ إلى الاستعانة برجال الدين كلما استشعرت الحاجة إليهم لتوصيل أفكارها إلى الجماهير ، أو لحشدهم وراء هذه الأفكار .

ولقد كانت الحركة الصهيونية واحدة من الحركات التي نجحت في استغلال الدين لخدمة أهدافها ، ولكن لم يقف استغلالها الدين عند استخدام نصوص التوراة ونبوءاتها فقط ، وإنما وصل إلى استغلال رجال الدين وتكريسهم لخدمتها أيضا ، فلقد

كان واضحا منذ البداية أن تيودور هرتزل يعلق أهمية كبيرة على الدور الذي يمكن أن يلعبه الحاخام في إنشاء الدولة اليهودية ، التي كان يحلم بها .

وعلى الرغم من أن هرتزل لم يكن متدينا ، ولم يكن متحيزا ليهوديته – كما يقول – كان يعتقد أن الدولة اليهودية التي يسعى إلى إقامتها يمكن أن تصبح أمرا واقعا إذا ما اعتمد على عنصرين أساسيين – من وجهة نظره – هما : الرأسمالية اليهودية العالمية أولا ، ورجال الدين ثانيا ولذلك نجده يكتب عن رجال الدين من مذكراته قائلا : « سيكون الحاخاميم دعائم لمنظمتي ، وسوف أكرمهم لذلك . إنهم سيوقظون الناس ويعلمونهم في القوارب (أثناء الرحلة إلى فلسطين) ، وسيهدونهم على الجانب الآخر ، وكمكافأة لهم سوف ينتظمون في هيئة كهنوتية لها وضعها المتميز ، ولكنها ستظل دائما تابعة للدولة »[11] .

وفي موقع آخر يقول هرتزل : « ومما يدل على أنني لا أخطط شيئا يعارض الدين ، أنني أريد أن أعمل مع الحاخامات كل الحاخامات .. سوف نوجه نداء خاصا من أجل مشاركة رجال ديننا ، وسوف يكون لكل جماعة حاخامها الذي سيسافر معها .. إن الحاخام سيكون بمثابة النواة في جماعته ، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخاميم . إن الحاخامات سيكونون أول من يفهمنا ويتحمس لقضيتنا ، وسينقلون حماسهم بالتالي إلى الآخرين من فوق منابرهم .. تخيل بأي حماس سوف تتردد مقولتنا القديمة : » العام القادم في الأرض الموعودة[12] .

ويتضح مما كتبه هرتزل أن هذا الزعيم الصهيوني كان يريد للحاخام أن يكون داعية وقائدا للرأي في جماعته ، وفي الواقع كان الحاخام مؤهلا للقيام بهذا الدور ، فعلى الرغم من أن الحاخام « لايلعب في الديانة اليهودية دور الكاهن التقليدي ، لأنه لايقوم بالوساطة بين الخالق والمخلوق ، كان يشغل مركزا قياديا في الجماعة لأن الديانة اليهودية بتشابك طقوسها وتداخلها في صميم الحياة اليومية – كما هو الحال بالنسبة لقوانين الطعام – كانت تثير كثيرا من المشكلات لليهودي فيضطر إلى اللجوء إلى الحاخام بشكل متكرر .

ومن ناحيةٍ أخرى « كان الحاخامات اليهود يتلقون تعليما دينيا صرفا تلموديا ثم قباليا(*) في معظمه ، ولذلك كانوا يشكلون طبقة من مثقفي الجيتو ، وقد أهلهم ذلك للقيام بدور قادة الرأي بين أفراد مجتمعاتهم ، فاتسعت بذلك وظيفة الحاخام في العصر الحديث بحيث تخطت حدود المعبد اليهودي والأمور الدينية التقليدية »[13] .

ولقد استطاعت الأيديولوجية الصهيونية بتحقيقها التماثل البنيوي مع الدين نتيجة لاستقائها معظم أفكارها ورموزها القومية من التراث الديني اليهودي[14] ، أن تنجح في جذب الحاخامات إلى صفوفها ، ولذلك لم يكن غريبا أن نعرف أن سيلفر الذي قاد الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان واحدا من كبار الحاخامات اليهود[15] .

ونظرا لأن الحركة الصهيونية في مصر لم تكن بمعزل عن الحركة الصهيونية العالمية ، بل كانت امتدادا لها نجدها تولي الحاخام بوصفه زعيما دينيا وقائدا للرأي اهتماما كبيرا ، وقد ترجم هذا الاهتمام في عملية اختيار الشخص الذي سيشغل منصب الزعيم الروحي للطائفة .

كان تعيين الحاخاميم اليهود في مصر يتم بفرمان سلطاني من الآستانة ، ولكن بعد إلغاء السيادة العثمانية على مصر عام 1914 ، أصبح تعيين الحاخامات الجدد يتم بموافقة الحكومة المصرية ، ولذلك أصبحت لدى اليهود فرصة كبيرة في التدخل لاختيار الحاخام الجديد ، وقد ظهر ذلك بوضوح عند اختيار حايم ناحوم أفندي حاخاما أكبر للطائفة اليهودية في مصر ، فلدى تقاعد الحاخام الأكبر بن سيمون عام 1921 لفتت « لارفيو سيونيست » - بوصفها ناطقا بلسان المنظمة الصهيونية في مصر - نظر الطائفة اليهودية إلى أن اختيار الحاخام الجديد أصبح واحدة من المهام

(*) القبالة هي علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود ، وكان يقصد به أصلا التراث الشفوي المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم الشريعة الشفهية .

اختيارا مدروسا تم بناء على اعتبارات كثيرة ، أولها أن هذا الرجل كانت له اهتمامات بالفكرة الصهيونية ، إذ يذكر إيلي ليفي أبو عسل ، أنه تمكن من الحصول على الترخيص بإتمام مباني المهندسخانة الإسرائيلية بمدينة حيفا ، ونجح في رفع القيود التي كانت عقبة كأداء في سبيل المعاملات المتعلقة بالشئون العقارية بين الإسرائيليين والأجانب وذلك بفضل نفوذه ومكانته لدى الحكام الأتراك .

كذلك فإن قيام الحاخام بتمثيل تركيا في مؤتمر لوزان ، وفي مدينة لاهاي أتاح الفرصة أمامه لإقامة علاقات وثيقة مع بعض الدوائر السياسية الأجنبية من أهمها الدوائر الفرنسية والأمريكية ، وكانت الحكومة التركية قد اختارته سفيرا لها في واشنطون ، وكان على وشك السفر للقيام بمهام منصبه الجديد إلا أنه تنازل في اللحظة الأخيرة عن هذا المنصب لقضاء بعض الأمور المهمة التي تتعلق بنقابة الاستعمار الإسرائيلية في أنقرة[17] .

ومن ناحية أخرى أبدى حايم ناحوم منذ وقت مبكر اهتماما بالعمل اليهودي في فلسطين في أثناء لقاءاته وحاييم وايزمان في لندن وباريس ، ولذلك منحه رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ثقته ، وأعرب عن اعتقاده أنه سيمنح العمل الصهيوني (في مصر) كل مساعدة منتظرة منه ، كما علق أملا كبيرا في أن تتمكن الحركة الصهيونية في القاهرة من اجتذاب أعيان الطائفة بفضل جهود الحاخام الأكبر ونفوذه[18] .

وبالإضافة إلى ذلك كان ناحوم أفندي يمتلك عددا من المؤهلات التي تؤهله سفيرا من الدرجة الأولى لدى الشعوب العربية والإسلامية ، فلقد كان الرجل متفقها في العلوم الإسلامية ، ومجيدا للغة العربية – إلى جانب غيرها من اللغات الأخرى – مما أكسبه إعجاب واحترام كثير من الشخصيات المصرية الإسلامية ، وكان هذا الرجل بخبرته بالعقلية الشرقية قادرا على التعامل مع جميع الناس ، فحظي بتقدير ذوي النفوذ والسلطان وعامة الناس .

وقد كشف اليهود وصحافتهم في مصر عن الأسباب التي دعت الحركة الصهيونية إلى الموافقة على اختيار حايم ناحوم أفندي ، فتقول صحيفة (لاليبرتيه) عن الحاخام

الجديد « أن فهمه العميق للمسائل العبرية واليهودية أكسبه ثقة العالم الإسلامي ، علاوة على أنه رئيس ديني ذو سلطة واسعة بكل معنى الكلمة وذو ثقافة عامة ، وصديق مخلص للإسلام ، وحظي في أوربا بثقة كبيرة ، وفوق ذلك يعرف كيف يضع كل هذه المؤهلات في خدمة الطائفة ، وخدمة البلاد التي تؤلف هذه الطائفة جزءا منها »[19] .

أما ألبرت موصيري صاحب جريدة « إسرائيل » ورئيس تحريرها فقد نشر خطابا مفتوحا إلى ناحوم أفندي بمناسبة صدور المرسوم الملكي بتعيينه ، حدد فيه طبيعة المهمام التي ينبغي عليه القيام بها بقوله[20] : « إننا ننتهز وصولك إلى القاهرة ، كي نرجوك ألا تنسى أن تشرح في خطبك لرعيتك ما يجب عليهم تجاه فلسطين ، وواجب كل يهودي نحو المساهمة في بناء الوطن القومي اليهودي » إنك أقدر منا على وعظهم ببلاغتك المعروفة ... بكيفية آداء واجب مساعدة الضحايا من إخوانهم في بعض البلاد الأخرى لأنهم يهود . اشرح لإخواننا ، من فضلك ، كيف يمكن أن نكون وطنيين مخلصين للبلاد التي ولدنا فيها ، وكيف يمكن أن نكون في الوقت نفسه وطنيين يهودا تماما .. قل لهم : كيف كان ليون بلوم رئيس الحزب الاشتراكي في فرنسا لايخشى أن يعلن أنه صهيوني » .

« إن إعادة انتخابك صديقا مخلصًا للعالم الإسلامي قد سبقك إلى مصر منذ وقت طويل ، وهذا سبب كافٍ ؛ كي يجعل المسلمين واليهود يثقون في حكمك عندما توضح لهم أن الشقيقين اللذين تفرقا عبر القرون لديهما اهتمام مشترك بالاتحاد وبأن يضع كل منهما يده في يد الآخر من أجل إنهاض الشرق وفقا لما تفرضه علينا التقاليد التاريخية لأيام الإسلام القديمة » .

« إن حديثك بلا شك سيكون وسيسمعه الجميع ويفهمونه . إن الأسباب التي كانت تفرض عليك التزام الصمت قد زالت ولدينا أمل كبير في أن نراك وقد أخذت المبادرة بإنشاء منظمة قومية محلية مؤيدة لفلسطين ، توجهها بنصائحك لصالح أرض إسرائيل والإسلام والبشرية بصفة عامة .. وتيقن أن القاهرة أرض خصبة وممتازة لغرس اليهودية ، وليس عليك إلا زرعها بالطريقة العصرية وسيكون الحصاد وفيرا » .

لم تكن مسألة اختيار الحاخام تشغل اهتمام القوى الصهيونية في مصر فحسب ، بل حظيت أيضا باهتمام الدوائر الصهيونية خارجها ، نظرا لأهمية مصر بالنسبة للحركة من ناحية ، وخطورة الدور الذي يمكن أن يلعبه الحاخام من الناحية الأخرى ، ولذلك بعث ألبرت كوهين مدير « لارفيو جويف La Revue Juive » ، التي تصدر في باريس إلى ألبرت موصيري معبرا عن أمله بأن يقوم الحاخام حاييم ناحوم أفندي بتنفيذ ماجاء في الخطاب المفتوح الذي وجهه موصيري إليه من أجل صالح اليهودية المصرية[21] .

مما سبق نستطيع أن نحدد معالم الدور الذي رسمته الصحافة الصهيونية للحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندي في النقاط التالية :

– الاحتفاظ بعلاقات طيبة بين اليهود والمصريين .

– توضيح واجب اليهود المصريين نحو فلسطين ونحو المساهمة في بناء الوطن القومي ومساعدة إخوانهم من ضحايا الاضطهاد .

– إقناعهم بأن تأييد الصهيونية لا يناقض الانتماء الوطني للبلد الذي يعيشون فيه .

– اجتذاب أعيان الطائفة إلى دائرة العمل الصهيوني .

– العمل على توحيد الطوائف اليهودية في مصر في مجمع مركزي .

– رفع الروح المعنوية بين اليهود المصريين .

ولقد كان الحاخام الأكبر بمصر عند حسن ظن الصهيونيين به ، ففور توليه مهام منصبه الجديد ، ساهم على الفور في الجهود التي تبذلها الحركة الصهيوينة لإعادة كتابة التاريخ ، إذ قام بمبادرة لتأسيس جمعية يكون هدفها جمع كل المؤلفات اليهودية التي تمت في مصر في الماضي بحيث نشكل نواة لمكتبة يهودية ، كما أشرف على تنظيم الأعمال الأدبية والتاريخية المحفوظة في بدروم معبد الإسماعيلية لتكون تحت تصرف العلماء والمفكرين اليهود والأجانب ممن يرغبون في الاطلاع عليها أو يرغبون في المساهمة في إعادة كتابة التاريخ اليهودي .

وفي العالم التالي وافق ناحوم أفندي على المبادرة التي تقدم بها ج . هويفلر وجورج

قطاوي لإنشاء « جمعية الدراسات التاريخية اليهودية بمصر » على غرار الجمعية التي أسسها الحاخام الأكبر في باريس بهدف نشر دراسات عن تاريخ العلماء اليهود بمصر ، وقد تولى حايم ناحوم الرياسة الشرقية لتلك الجمعية .

ومما يسترعي الانتباه أن الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي استفاد من العلاقات الوثيقة التي أقامها مع السياسيين وقادة الرأي في المجتمع المصري في الترويج لما كانت تنشره بعض الصحف الصهيونية في مصر ، وفي الترويج لأعمال « جمعية الدراسات التاريخية اليهودية » لدي هؤلاء القادة السياسيين أنفسهم ؛ حتى يتحقق الهدف الذي كانت تسعي إليه بتحسين صورة اليهودي ، وكسب تعاطف المصريين وتقديرهم للهيود . ويبدو أن الحاخام الأكبر نجح إلى حد كبير في هذا الشأن ، يدلنا على ذلك صورة لأحد الخطابات المتبادلة بينه وبين توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء المصري يقول فيها الأخير موجها حديثه إلى الحاخام الأكبر[22] :

« تلقيت ببالغ السرور عدد صحيفة « لورور » ونشرة جمعية الدراسات التاريخية اللذين تكرمتم بإرسالهما إلّى ، ولكم مني خالص الشكر » .

« إن الدراسات التي قمتم بدراستها هي مساهمة قيمة في تاريخ مصر وتاريخ واحدة من طوائفها الأكثر ازدهارا والأكثر نشاطا . وإني لا يساورني أدنى شك في أن سعادتكم ستصلون إلى نهاية طيبة لهذه المهمة الصعبة جدا ، ولكنها هامة جدا كما هو معروف » .

ولم تقف جهود حايم ناحوم أفندي في خدمة الصهيونية عند مساهماته في إعادة كتابة التاريخ اليهودي بمصر فحسب وإنما امتدت إلى كل ما من شأنه المساهمة في بناء الوطن القومي اليهودي ، فعلى سبيل المثال نجده يساهم في جمع التبرعات وإرسالها إلى فلسطين تلبية لنداء يعقوب مائير حاخام أكبر القدس الذي ناشد فيه يهود القاهرة جمع الأموال اللازمة لتوزيع مازه Mazza على الفقراء اليهود ، كما أنه وجه بنفسه نداء إلى يهود القاهرة عام 1927 ، حثهم فيه على تقديم تبرعات لصالح فقراء الخليل الذين أوفدوا حاخامهم الأكبر فرانكو لهذا الهدف[23] .

وإذا كان البعض يمكن أن يدخل هذه الأعمال في عداد الأعمال الخيرية فإن هناك من الدلائل ما يشير إلى وقوف الحاخام الأكبر إلى جانب الحركة الصهيونية ، في الوقت الذي كان يحرص فيه بعض كبار رجال الطائفة على عدم المجاهرة بتأييدها ، ففي عام 1925 حضر حايم ناحوم أفندي حفل الشاي الذي أقيم تكريما لحاييم وايزمان عند زيارته للقاهرة ، وقد تحدث وايزمان في هذا الاحتفال عن واجب يهود مصر نحو الحركة الصهيونية ، ونوه بالمساعي المشكورة التي يبذلها الحاخام الأكبر ناحوم أفندي في سبيل الحصول على مؤازرة كبار أعيان يهود مصر للصهيونية ، ثم ألقى حايم ناحوم كلمة أعلن فيها عن رغبته القوية في الاشتغال لصالح الحركة الصهيونية في مصر[24] .

وعلاوة على ماسبق فقد ساهم الحاخام الأكبر في إلقاء المحاضرات في « النادي الصهيوني » بمصر الجديدة وفي جمعية الشبان اليهود المصريين ، وفي « محفل بني بريت » ، كما شارك في حضور بعض المحاضرات التي ألقيت هناك ولاشك في أن قيام الحاخام الأكبر بالظهور في تلك الأماكن التي كانت تمارس نشاطا صهيونيا كان يعد دعما لها ، وتأييدا لنشاطها .

وفي عام 1928 قام الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي بزيارة لفلسطين ، وعد خلالها رجال الدين اليهودي هناك بأنه لن يتوانى لدى عودته إلى مصر عن إفهام اليهود كل أبعاد المسألة ، كما وعد بأنه سيحثهم على حب فلسطين الجديدة واحترامها تماما ، كما يحبون فلسطين القديمة ويبجلونها ، ووعد أيضا بالسعي إلى التأثير على اليهود المصريين ؛ كي يقوموا بزيارة فلسطين بصورة مستمرة ، حتى يكونوا على علم بأعمال البناء التي يتم إنجازها هناك ، وبأن يشجع الروح القومية لدى يهود مصر[25] .

ولدى عودته إلى مصر تحدث ناحوم أفندي عن مشاهداته وانطباعاته عن فلسطين التي نشرتها « لورور » فقال : إنه حينما أطل من شرفة قصر البلدية في تل أبيب ورأى كل شيء من حوله يهوديا – حتى رجال البوليس – لم يتمالك نفسه وصاح قائلا[26] :

« كم هي جميلة خيامك يايعقوب » Que tes tentes sont belles O,Jacob وكانت هذه الكلمات هي نفسها التي سجلها في السجل الذهبي للمدينة .

وقد علقت صحيفة « لورور » على تلك العبارة بقولها : « إن هذه الاستعارة البسيطة تدل على أن الثقة التامة كانت هي الانطباع الذي خرج به الحاخام الأكبر من تلك الجولة ، خصوصا عندما صعد إلى جبل الكرمل ورأى تحت أقدامه ماكان صحراء بالأمس ، وقد أصبح مزروعا بالفيلات اليهودية » .

ومن منطلق الإيمان بالدور الذي كان ينبغي أن يقوم به رجل الدين اليهودي اقترح حايم ناحوم خلال زيارته لفلسطين إنشاء قسم للعلوم اليهودية في الجامعة العبرية لاستقبال حاخامات الدياسبورا - الشتات - الذين يأتون إلى فلسطين لإتمام دراساتهم ، لأن وجودهم على ارض إسرائيل ومعرفتهم بها سجعلانهم في وضع يمكنهم من القيام بوظائفهم على أكمل وجه لدى عودتهم إلى بلادهم المختارة .

وفي مدينة الإسكندرية لم يكن دور الحاخام داخل الطائفة هناك بأقل من الدور الذي قام به ناحوم أفندي في القاهرة ، بل إنه كان يتفوق عليه أحيانا ، فقد شهدت مدينة الإسكندرية حاخامين يهوديين أسهما بالكثير من أجل الأهداف الصهيونية ، هما الحاخام ديللا بيرجولا ، ومن بعده الحاخام دافيد براتو ، فقد أشرف الأول على عمليات إيواء المهاجرين اليهود الذين تدفقوا على مدينة الإسكندرية في أثناء الحرب العالمية الأولى قادمين من فلسطين ومن أماكن أخرى في العالم ، وقد أدى ديللا بيرجولا بذلك خدمة عظيمة للصهيونية ، إذ إن وجود هؤلاء اليهود في بقعة قريبة من فلسطين ، تعرضوا فيها لعمليات التعبئة المستمرة ، ساعدت إلى حد كبير في عودتهم مرة أخرى إليها .

وفي عام 1917 شارك الحاخام ديللا بيرجولا في الاحتفال الذي أقامته المنظمة الصهيونية بالإسكندرية بمناسبة صدور وعد بلفور ، ولاشك في أن حضور حاخام طائفة الثغر هذا الاحتفال ، كان من شأنه أن يسهم في إضفاء صفة الشرعية على الحركة الصهيوينة بمصر ، وعلى التصريح نفسه أمام اليهود المصريين الذين كان

معظمهم مازال مترددا في موقفه من تلك الحركة .

ومن ناحية أخرى ساهم ديللا بيرجولا بجهوده الخاصة في المساعي التي بذلتها الحركة الصهيونية لدى السلطات البريطانية والمصرية من أجل تسهيل عودة المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، ومن أجل الحصول على تأشيرات دخول وجوازات سفر للمهاجرين ، الذين كانوا يمرون بالإسكندرية في طريقهم إلى فلسطين ، أما الحاخام دافيد براتو ، فكان هو مؤسس مجلة « كاييه جويف » ـ كما رأينا ـ لتقوم بتعبئة اليهود من أجل الهدف القومي .

مما سبق نخلص إلى القول بأن المنظمة الصهيونية في مصر ـــ تدعمها صحافة الطائفة سعت إلى جعل الحاخام أداة من أدوات الإقناع العَقَدِيّ المباشر لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية .

ولقد كان الحاخامات الثلاثة ديللا بيرجولا ، وحايم ناحوم أفندي ، ودافيد براتو ، من أخطر الشخصيات الدينية التي لعبت دورا هاما في هذا المجال خلال واحدة من أحرج فترات الكفاح الصهيوني ، امتدت منذ عام 1917 وحتي عام 1948 .

المدرســـــة :

كانت المهمة الأساسية للتعليم ، ومازالت هي تربية النشء وإعداد المواطن الصالح جسميا ونفسيا وخلقيا وعقليا إعدادا يؤهله لخدمة الوطن في السلم والحرب .

ولما كان النشء هم أمل كل أمة ، ولما كانت المدرسة هي التي بإمكانها أن توقد جذوة الوطنية ، وتبذر بذور العزة والكرامة في نفوس هذا النشء ، نرى الأمم والحكومات تهتم بالسيطرة على وسائل التعليم ، وتضعها تحت إشرافها ورقابتها ؛ حتى تتمكن من خلق شخصية مواطنيها بالمواصفات التي تريدها ، وحتي ترسخ في أذهانهم ما تريد ترسيخه من المعتقدات ، وهكذا نجد أن التعليم الذي كان يفترض فيه الحيدة والنزاهة ، وتقديم كل وجهات النظر كاملة بعيدا عن أي حذف أو تشويه انقلب إلى وسيلة من وسائل الدعاية والإعلام[27] .

ولقد فطنت الحركة الصهيونية إلى أهمية استخدام التعليم كوسيلة من وسائل الدعاية وكأداة من أدوات الإقناع العَقَدِيّ ، ولذلك نجد أن التخطيط الصهيوني قام على أساس استخدام أداتين من أدوات الإقناع المباشر وهما : المدرسة اليهودية من جانب ، والحاخام من جانب آخر ، فالمدرسة اليهودية في تاريخ التقاليد العبرية هي بمثابة المعبد ، وإذا ماعدنا إلى تقاليد العصور الوسطى وجدنا أن الاهتمام بالنواحي الثقافية كان دائما أحد العناصر المسيطرة على جميع صور النشاط اليهودي ، ومن ثم كان من الطبعي أن يهتم الصهيوني بجعل الثقافة اليهودية منطلقه الحقيقي إلى العقل اليهودي ، وهو بذلك يحقق أكثر من فائدة ، فهو لايخلق فقط رأيا عاما مساندا للدعوة الصهيونية ، بل هو يتجه أيضا إلى ذلك القسم من الرأي العام الذي يمثل المستقبل وهو عنصر الشباب ، ثم هو باهتمامه بهذا العنصر يستطيع أن يخلق العناصر المتعصبة التي تصير ذات فاعلية خاصة بالنسبة للدعوة العقائدية ، ولذلك كان أحد أهداف مجلس الطوارئ الصهيوني في الولايات المتحدة هو تحويل الشباب اليهودي إلى شباب متعصب[28] .

وهنا في مصر احتلت المدرسة كأداة من أدوات الإقناع المباشر أهمية فاقت أهمية المعبد اليهودي ، فقد أوضح الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي أهمية المدرسة بقوله : « إن المدرسة يمكن أن تحل محل المعبد ، ولكن المعبد لايمكن أن يحل محل المدرسة »[29] . ولا عجب فقد تبين للمشتغلين بالنشاط الصهيوني في مصر أن تكوين طائفة يهودية قومية يجب أن يبدأ من المدرسة ، كما تبين لهم أيضا أن قوة أي حركة شعبية تكمن في مساندة الشباب ، ولذلك كانت الرغبة في جعل الحركة الصهوينة حركة شعبية قوية دافعا نحو الاهتمام بالمدرسة ، والتفكير في طلبة المدارس وقد عبر مسيو جارباتش أحد المشتغلين بالنشاط الصهيوني في مصر عن ذلك بقوله «إذا كنا نريد تكوين طائفة يهودية وطنية يجب أن نفكر أولا في طلبة المدارس . خمس سنوات تمر بسرعة ويصبح الطفل الذي في سن الثالثة عشرة شابا في الثامنة عشرة أو العشرين من عمره .. في هذه السن يكون الشباب مملوءا بالحماس والطموح . ولاشك في أن قوة أي حركة شعبية ، مثل الحركة الصهيونية في حاجة

إلى مساندة هؤلاء الشباب »[30] .

لقد كان يراد من الشباب أن يكونوا جنودا[31] – كما يقول هرتزل – وكان إعداد هؤلاء الجنود يحتاج إلى تعليم خاص لا يتوافر في مدارس الإرساليات أو مدارس الحكومة المصرية ، وعلى ذلك ينبغي أن يكون للطائفة اليهودية مدارسها الخاصة التي تمكنها من أن تقدم نوع التعليم الذي تحتاج إليه الحركة الصهيونية ، وكان هذا التعليم يعتمد أساسا على تدريس اللغة العبرية ، وتحويلها إلى لغة حية ، وعلى تدريس الدين اليهودي والتاريخ اليهودي أيضا .

وقد بدأت جمعية بركوخبا الصهيونية أولى هذه الخطوات عام 1900 ، حينما أنشأت المدرسة الصهيونية في القاهرة ، فحتى ذلك الوقت لم يكن هناك سوى مدرستين إسرائيليتين : الأولي مدرسة الطائفة السفارادية ، وكان برنامجها دون المستوى ؛ ولذلك عزف اليهود عن إرسال أولادهم إليها ، والثانية هي مدرسة الأليانس الإسرائيلي الدولي التي لم يكن برنامجها يروق لجمعية بركوخبا ، علاوة على أنها كانت ترفض قبول أطفال بالمجان ، ولذلك لم يكن هناك مفر أمام اليهود من الالتجاء إلى مدارس المسيحيين .

ولمعالجة هذا الوضع افتتحت جمعية بركوخبا في نوفمبر عام 1900 مدرسة تقبل الأطفال بالمجان ، يتعلمون فيها اللغة العبرية أولا وفقا للبرنامج الصهيوني ، ثم تأتي في المقام التالي اللغات الأخرى الإنجليزية والفرنسية والعربية وتدرس جميعها وفقا لبرنامج الحكومة المصرية .

وقد اختارت الجمعية رجلين معروفين بنشاطهما الصهيوني لإدارة هذه المدرسة هما ماكس موشلي Max Mouchly وهورنشتين Hornstein ، وبسبب نشاطهما الصهيوني عرفت المدرسة باسم « المدرسة الصهيونية » .

كانت ميزانية المدرسة تتطلب ثلاثين جنيها استرالينيا في الشهر على الأقل ، وقد أمكن تدبير جانب كبير من هذا المبلغ من الطائفة اليهودية ، كما ساهمت الجالية الألمانية

في القاهرة بمبلغ مائة فرنك شهريا ، وساعدت الجمعية نفسها بمبلغ كبير من الأموال المخصصة للدعاية ، ولكن لأن الدراسة كانت بالمجان ، فقد واجهت المدرسة صعوبات مالية أدت إلى إغلاقها بصورة نهائية عام 1903[32] ، وعلى الرغم من الفشل الذي مني به الصهيونيون في إدارة أول مدرسة خاصة بهم ، فقد واصلوا اهتمامهم بالمدارس الطائفية ، وبالتعليم الطائفي بصفة عامة ، تساندهم في ذلك الصحافة اليهودية التي استبسلت في مقاومة اتجاه أولياء الأمور من اليهود إلى إرسال أولادهم لتلقي العلم في مدارس الإرساليات الأجنبية ، واستماتت في الكفاح من أجل إنشاء المدارس الطائفية وتطويرها والحفاظ عليها رافعة شعار « تعليم يهودي للأطفال اليهود » ، ومع ذلك رفض اليهود الأغنياء إرسال أولادهم إلى المدارس اليهودية .

وإذا نظرنا إلى نوع التعليم الذي كانت تقدمه المدارس الطائفية اليهودية ، فسنجد أنه كان تعليما دينيا عقائديا محضا ، فهو يقدم المعارف اللازمة التي تساعد الطبقة العاملة على كسب العيش ، ولكنه في الوقت نفسه يفتح المجال أمام تعلم المبادئ الروحية والدينية ، التي « يعتقد أنها كانت مصدر قوة لليهود دائما ، وحافظت على وجودهم على الرغم من تقلبات الدهر »[33] .

ولقد حدد هرتزل معالم البرنامج التعليمي للشباب اليهود فقال « سأعلمهم جميعا أن يكونوا أحرارا أقوياء مستعدين أن يتطوعوا للخدمة عند الحاجة ، وسيكون التعليم عن طريق الأناشيد الحماسية والمكابيين ، والدين ، والمسرحيات البطولية وغيرها .. سأحمس الشبان الأغنياء المتأنقين على حب الرياضة وبهذه الطريقة أهيئهم للجيش »[34] .

وهكذا نرى أن المدرسة اليهودية لم يكن الهدف منها تقديم المعارف والعلوم العامة لتلاميذها بقدر ماكان الهدف من ورائها التلقين العقديّ وتخريج اليهودي المتعصب ؛ ولذلك اهتمت مجالس الطوائف اليهودية بنشر التعليم الديني اليهودي وتطويره باستمرار حتى في المدارس التي لم تكن تخضع لإشرافها ، فنجد مجلس طائفة الإسكندرية ، على سبيل المثال ، يأخذ على عاتقه مسئولية الإنفاق على دروس التعليم

الديني اليهودي ، التي تقدم للأطفال اليهود في المدرسة البريطانية للأولاد British Boys School بالإسكندرية ، ويكلف أحد المدرسين الذين يعملون بمدارس الطائفة بتقديم هذه الدروس ، أما في المدن المصرية الصغيرة التي لم يكن بها مدارس طائفية ، فقد تداركت الحركة الصهيونية هذا النقص من خلال إنشاء قاعات للقراءة وقاعات للمحاضرات أو الدروس ، ففي مدينة بور سعيد على سبيل المثال حيث لم يكن يوجد بها مدرسة إسرائيلية تم افتتاح قاعة « هرزليا » للمطالعة عام 1917 ، وألحقت بها قاعة أخرى للدروس المسائية ، حتى يتمكن الأطفال اليهود الذين حرموا وجود مدرسة إسرائيلية من تعلم اللغة العبرية وتنمية معارفهم عن اليهودية وعن تاريخ شعبهم[35] .

وقد ارتفعت بعض الأصوات التي عارضت هذا الاتجاه ، وطالبت بالاهتمام بتعليم اللغة العربية ، وإعداد الطالب للحصول على البكالوريا المصرية ؛ حتى يستطيع أن يعمل ويكسب عيشه في مصر ، وقد تولت صحيفة « إسرائيل » Israél الرد بأن إعداد الطالب لنيل البكالوريا ، « يجب أن يتم داخل مدارسنا الخاصة ؛ لأن الهدف الذي نسعى إليه هو إنهاض اليهود فكريا وروحيا ، وهذا لن يتحقق إلا داخل مؤسساتنا اليهودية »[36] .

وإذا كانت صحف اليهود العربية قد أبدت اهتماما بالمدارس الطائفية وبضرورة تطوير التعليم فيها بما يتلاءم واحتياجات اللحظة التي كانت تعيشها ، فإن صحف اليهود الناطقة بالفرنسية شاركتها الاهتمام نفسه ، وقد وقفت هذه الصحف إلى جانب العناصر الصهيونية التي استطاعت التغلغل داخل لجنة المدارس الطائفية ، حتى انتصرت وجهة نظرها في مواجهة العناصر المعتدلة ، ولقد أسفر ذلك عن اضطرار أصلان بك قطاوي إلى تقديم استقالته من لجنة المدارس بسبب الخلاف الذي نشب مع العناصر الصهيونية داخلها حول المدرسة الثانوية الطائفية عام 1942 .

وقد عكست صحيفة « إسرائيل » إيمان الصهيونيين بمقولة آحاد هاعام(*) من أنه

(*) عبارة عبرية معناها أحد العامة وهي اسم الشهرة لآشرجينز برج ، وهو من أهم الكتاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث ، وفيلسوف الصهيونية الثقافية .

لن يكون لليهود وطن قومي إلا إذا كان لديهم ضمير قومي ، ووجدت الصحيفة أن هذا الضمير القومي لن يستطيعوا اكتسابه إلا بالتعليم القومي الذي لم يكن متاحا ـ من وجهة نظرها ـ إلا في فلسطين ، وربما كانت هذه الدعوات وراء قيام « الاتحاد المصري لأصدقاء الدراسات العبرية » بإيفاد بعض المرشحين إلى فلسطين لوضعهم في القالب المطلوب ، والعودة للعمل مدرسين للغات العبرية ، وحاخامات في المعابد اليهودية .

الاجتماعات الحاشدة : Mass Meetings

الاجتماع عبارة عن اشتراك عدد كبير نسبيا من الأفراد في لقاء لتحقيق هدف أو أهداف معينة ، وقد يكون هذا الهدف هو دراسة مشكلة ما ، أو إثارة انتباه أعضاء الاجتماع واهتمامهم بمشكلة معينة بهدف الوصول إلى رأي فيها أو قرار معين بشأنها[37] .

وقد حظيت الاجتماعات كوسيلة للاتصال باهتمام علماء الاجتماع والباحثين في مجال الإعلام ، فقد تبين لهؤلاء أن الجماعة تلعب دورا هاما في التأثير على آراء الفرد وسلوكه ، فالفرد الذي ينشأ في إطار الجماعة يكون عرضة لأن يتشكل إلى حد بعيد بمنظورها الخاص[38] ، ولذلك وجدوا أن الاجتماعات ـ بما تتيحه للأعضاء المشتركين فيها من فرص للتفاعل الاجتماعي ، والتبادل الفكري الذي يساعد على تحقيق وحدة الفكر والشعور والسلوك بين الأعضاء ، يدفعهم إلى التفكير في المشكلات المطروحة وتقويم آرائهم الخاصة في ضوء الآراء الجديدة والحقائق المقدمة[39] ـ يمكن أن تكون واحدة من وسائل الاتصال المباشر المهمة .

وإذا أضفنا إلى ذلك قوة التأثير التي يتميز بها الاستماع الجماعي ، والتي ترجع إلى قدرة المتحدث في الاحتفاظ دائما بعلاقة التجاوب بينه وبين المستمعين ، ثم نجاحه في تحقيق استجابة الجماعة له ، هنا يتحول الاتصال من مجال الدعاية إلى مجال الاستهواء[40] ، وهذا ما يجعل الاجتماعات العامة أو الخاصة تحظى بتلك الدرجة من الأهمية بالنسبة للقائمين بالاتصال .

من ناحية أخرى يمكن استخدام وسائل مختلفة في أثناء الاجتماع لجذب انتباه المستمعين ـ وإثارة عواطفهم ، كعزف الموسيقى ، وعرض الأفلام القصيرة أو الشرائح ، ولجوء الداعية إلى استخدام الإشارات والتلويحات أو تنغيم صوته بانفعالات مؤثرة ، أو إطلاق حنجرته بالغناء أو الهتاف مع مرافقيه مما يترتب عليه في النهاية سريان تأثير تلك الدعاية في جمهور الحاضرين بفعل المحاكاة أو التقليد والعدوى ، فينتهي الأمر بمشاركة الحضور فيما يحدث إذ إنه من المستبعد أن يظل المستمعون ـ إلى ما يدور في الاجتماع ـــ في موقف سلبي بالنسبة للمتحدث كما هو الحال في الاتصال الجماهيري أو الاستماع الفردي .

ولعل « اجتماع الأحد » الشهير الذي نظمته جمعية « زئير زيون » بالإسكندرية يوم الأحد 11 نوفمبر تحت رعاية المنظمة الصهيوينة بمصر في أعقاب صدور تصريح بلفور عام 1917 يقدم أوضح مثال للاجتماعات الحاشدة التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية في ذلك الوقت ـ سواء في مصر أو في الخارج ـ لتحقيق أهدافها .

لقد انعقد هذا الاجتماع بناء على تعليمات وردت من حاييم وايزمان إلى جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية في مصر بهدف إظهار تأييد الطائفة اليهودية في مصر إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[41] ، وكان هذا الاجتماع واحدا في سلسلة من الاجتماعات المماثلة التي انعقدت في أنحاء كثيرة من العالم حيث توجد طوائف يهودية ، بهدف أن تظهر المنظمة الصهيونية لبريطانيا وحدة الجماهير اليهودية في جميع أنحاء العالم في وقوفها وراءها ، وتأييدها فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين الذي تناضل من أجله هذه المنظمة .

وحتى يحقق اجتماع الأحد أهدافه تم حشد جمهور غفير من اليهود قدره البعض بنحو خمسة الآف أو ثمانية الآف فرد لحضور الاجتماع وإحاطته بمظاهر التأثير اللازمة لإكسابه الصفة الشرعية المطلوبة ، وشارك في حضوره البروفسور ديللا بيرجولا حاخام الإسكندرية ، وأحمد زيور باشا محافظ الإسكندرية أيضا ، وأعضاء كثيرون من مجلس الطائفة في المدينة ، وممثلون عن عشرين منظمة ومؤسسة يهودية مختلفة في مصر

وفلسطين ، وأسندت مهمة المحافظة على النظام فيه إلى الشبان اليهود في فرق الكشافة الحشمويين والمكابي .

وتذكر مس لاندا والمشرفة على سير الدراسة في مدرسة إيفيلينا دي روتشيلد بفسلطين ، أنه ساد الاجتماع حماس منقطع النظير بسبب إعلان ماأطلق عليه هنا تصريح بلفور في اليوم السابق ، وعندما وقف مسيو فيلكس طوبي رئيس لجنة مساعدة لاجئي فلسطين – والذي تم انتخابه رئيسا للاجتماع بناء على اقتراح من جاك موصيري – ليفتتح الاجتماع ويرحب بالحاضرين ، ثم عرض عليهم نسخة من جريدة Reforms(*) الصادرة في ذلك اليوم حاملة نص التصريح الذي تلاه عليهم ، استقبل بعاصفة من التصفيق .

أما جوسيب ناكامولي Guiseppe Nacamuli فيقول في التقرير الذي نشرته مجلة « رفيو اسرائيليت ديجيبت » عن هذا الاجتماع :

« لقد قام الخطباء السادة أرونوفيتش Aronovitch وأرونسون Aronson بالتحدث بالعبرية ، وألكسندر وليون ناسميس Nacmias وجاك موصيري بالتحدث بالفرنسية ، حيث عرضوا الحجج المؤيدة لإنشاء مركز يهودي وتحقيق الهدف الصهيوني من خلال إلمام عميق بالقضية سيطرت عليه حماسة واضحة ، كما قاموا برسم صورة طيبة للحياة الجميلة التي تنتظر الإسرائيليين المشتتين منذ قرون عديدة على أرض أجدادهم السابقين[42] .

وفيما يتعلق بتأثير هذه الكلمات على جمهور الحاضرين يقول ناكامولي : إنهم أنصتوا باهتمام سيطرت عليه النزعة الدينية ، ثم بلغ الانفعال ذروته حينما أنشد هذا الحشد الكبير وقوفا النشيد الوطني اليهودي « هاتكفا » .

ويعترف جاك موصيري أنه في وسط مظاهر هذا الحماس الصاخب الذي لم تعرفه

(*) كانت تصدر في مصر في ذلك الوقت صحيفة فرنسية تدعى « لاريفورم » La Reforme ولكننا لم نوفق في العثور على الأعداد الصادرة منها خلال تلك الفترة .

حوليات اليهودية المصرية ، أمكن اتخاذ بعض القرارات كان من بينها قرار بإرسال برقيتين : برقية إلى للويدجورج رئيس الوزراء البريطاني تصف حماس ثمانية آلاف يهودي في هذا الاجتماع الحاشد الذي عقد بمدينة الإسكندرية في أثناء تلاوة تصريح بلفور ، وتعرب عن امتنانه العميق لحكومة صاحب الجلالة ، وبرقية أخرى إلى حاييم وايزمان ، تعلن تأييد أعضاء هذا الاجتماع بالإجماع لإعادة بناء فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي ، وتعرب عن أملهم في أن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتيسير إنجاز هذا المشروع .

وفي ختام الاجتماع خرج الحاضرون يرافقهم فتية وفتيات الكشافة اليهودية فيما يشبه المظاهرة على طول الطريق من شارع روزيت إلى شارع النبي دانيال ، ثم إلى البوليفار والرمل حتى مقر المكابي في شارع صلاح الدين .

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الاجتماع الحاشد اجتماعات جماهيرية أخرى لا تقل أهمية عنه من أبرزها الاحتفال الذي أقيم على مسرح الهمبرا بمدينة الإسكندرية يوم 4 سبتمبر سنة 1917 احتفالا بيوم الشيكل وحضره أحمد زيور باشا أيضا .

وقد بدأ هذا الاجتماع بألحان عبرية وعروض للكشافة المكابي ، وكان أبرز مافي هذا الاجتماع الخطاب المرتجل الذي ألقاه جاك موصيري ، وتناول فيه الخيوط الأولى للفكرة الصهيونية ، وماكان يعتبر يوتوبيا ثم أصبح حقيقة واقعة .

وقد عرضت في هذا الاحتفال مسرحية من فصل واحد باللغة الفرنسية أظهرت بوضوح معاناة اليهود في روسيا ، وانتهت بتصوير الحياة في أرض إسرائيل بما يتفق والمثل اليهودية .

وهناك أيضا الاجتماع الذي عقد في قاعة الطعام بالمدارس المجانية للطائفة اليهودية بالإسكندرية في مارس 1917 وحضره – وفقا لتقديرات الصحف اليهودية – نحو أربعة آلاف شخص تقريبا ، وذلك لإظهار مشاعر التضامن مع يهود فلسطين ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمساعدتهم . وقد استطاع إدجار سوارس رئيس الطائفة بالإسكندرية أن يدفع جمهور الحاضرين وسط مشاعر الحماس والانفعال التي

سيطرت عليهم إلى اتخاذ قرار بإرسال برقية إلى اللورد روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية في لندن تطالبه بالتدخل لدى القوى الحليفة لصالح يهود فلسطين هذا نصها[43] :

« عقد يهود الإسكندرية من جميع القوميات اجتماعا ضخما الليلة الماضية حضره مجلس الطائفة بكامل هيئته ، وقد تمت الموافقة بالإجماع خلال هذا الاجتماع على قرارات تعبر عن مشاعر القلق إزاء الأحداث الأخيرة في فلسطين ، وتعرب عن تعاطفها مع من يعانون بسبب هذه الأحداث ، وتطالبني أيضا بأن أنقل إليكم رغبة المجتمعين في أن تطالبوا من خلال مكاتبكم بتدخل القوى الحليفة من أجل إنهاء محنة سكان فلسطين . وقد بدأنا التبرع لإنشاء صندوق محلي سيكون مستعدا للقيام بأعمال الإغاثة في فلسطين عند أول فرصة سانحة » .

إدجار سوارس

رئيس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية

وقد رد روتشيلد على هذه البرقية بالبرقية التالية :[44]

« تلقينا برقيتكم ولانجد كلمات نعبر بها مثلكم عن قلقنا العميق إزاء الأحداث الأخيرة في فلسطين ، وعن تعاطفنا التام مع إخواننا اليهود التعساء . لقد اتخذنا بالفعل كل الخطوات الممكنة مع أصدقائنا هنا في لندن ، أما فيما يتعلق بالصندوق المحلي الذي تشيرون إليه ، فبإمكانكم أن تضعوا اسمنا في قائمتكم بمبلغ ألفي جنيه لتوزيعها بأسرع وقت ممكن » .

روتشيلد

ويكشف التقرير السنوي للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بالقاهرة عن أن المنظمة كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على تلك الاجتماعات الحاشدة التي كانت تطلق عليها اسم « المظاهرات » Manifestation ، ويشير التقرير إلى أن « لجنة الدعايات بالمنظمة قامت بدور هام وفعال في تنظيم « مظاهرات » عديدة في العام الماضي (1922)

تركت أثرا واضحا في حياة الجالية اليهودية بمصر ، وهذه « المظاهرات » تشمل بالترتيب الزمني الاحتفالات التي نظمها المحفل الصهيوني في أيام عيدي كيبور (الغفران) ، وروش هاشاناه (رأس السنة العبرية) ، والتي حققت نتائج سارة فيما يتعلق بتحقيق التقارب بين العناصر المتنوعة التي تتألف منها الطائفة اليهودية المحلية ، ثم الاجتماع المشهود الذي أقيم في القاهرة يوم 7 سبتمبر وشارك فيه ألفا شخص ينتمون إلى كل الطبقات الاجتماعية والفكرية بمناسبة إعلان الانتداب على فلسطين .. » .

ووصف التقرير هذا الاحتفال أنه « كان مظاهرة عظيمة لتعاطف اليهودية المحلية والقضية الصهيونية »[45] .

وكان هناك أيضا الاجتماعات الحاشدة التي أقيمت بمناسبة الاحتفال بالذكري السنوية لوفاة تيودور هرتزل ، واليعازر بن يهودا ، وماكس نوردو ، وحفل الاستقبال الكبير للدكتور حاييم وايزمان الذي شارك فيه جمهور غفير يقدر بنحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف شخص ، والذي لايمكن وصفه كما قالت « لارفيو سيونيست » « إلا بأنه هذيان شعب تعرضت روحه للقهر على مدي قرون ، وانفجر أخيرا كي يصبح ملكا لنفسه » ويأتي بعد ذلك الاجتماع الجماهيري الذي تم تنظيمه في مقر جمعية نقطة اللبن والمأدبة التي أقيمت على شرف الدكتور وايزمان بفندق الكونتننتال .

ومن ناحية أخرى دأبت البنوك الصهيونية التي كانت تقوم بجمع التبرعات لصالح الوطن القومي اليهودي على إقامة الاجتماعات الحاشدة التي كانت تتخذ فيها القرارات باسم اليهودية المصرية ، من ذلك الاجتماع الذي عقدته لجنة الكيرن هايسود بمعبد إلياهو حنابي بمدينة الإسكندرية في 27 أبريل 1926 ، والذي اتخذت فيه القرارات التالية :[46]

1 – أعلن الاجتماع تضامنه مع يهود العالم أجمع في جهودهم الرامية إلى إعادة بناء فلسطين اليهودية .

2 – أعرب عن مشاعر الإعجاب والعرفان لرؤساء الحركة القومية البواسل

وايزمان ، وسوكولوف على نشاطهم الشجاع الذي لايكل لصالح وطننا القومي .

3 ـ أعلن أن من واجب كل يهودي المساهمة بكل مايملك في الكيرن هايسود الذي يكرس نفسه لإعادة بناء فلسطين .

4 ـ يتعهد بالتعاون مع لجنة الكيرن هايسود في الإسكندرية ويأمل في أن يتصدر يهود مصر قائمة البلاد التي تساهم في النهضة الوطنية لشعب إسرائيل .

أيضا استخدمت الحركة الصهيونية الاجتماعات الحاشدة كوسيلة للتأثير على غير اليهود المؤيدين للصهيونية ممن أدوا خدمات إلى الحركة الصهيونية بهدف الحصول على مزيد من تلك الخدمات ، فعلى سبيل المثال نجد أن الحركة الصهيونية جعلت من يوم 2 نوفمبر عيدا قوميا تحتفل به كل عام لتظهر لبريطانيا وللورد بلفور عظمة العمل الذي أدياه لليهودية العالمية بإصدار ذلك الوعد الشهير المسمى بتصريح بلفور ، ففي 2 نوفمبر من كل عام كانت تقام الاحتفالات الحاشدة التي ترسل في نهايتها البرقيات التي تعبر عن مشاعر الامتنان إلى اللورد بلفور والمسئولين البريطانيين ، ففي 4 نوفمبر 1918 بعثت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر رسالة إلى السير ريجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني في مصر جاء فيها :[47]

« بالنيابة عن كل اليهود المصريين يسر اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية أن تبعث إليكم بالقرار الذي تم اتخاذه في الاجتماعات الجماهيرية التي أقيمت بمناسبة الذكرى الأولى لتصريح مستر بلفور التاريخي ، والذي يعرب من خلاله يهود القاهرة والإسكندرية وطنطا وبور سعيد والمنصورة عن مشاعر العرفان والإخلاص إلى الأمة البريطانية .

وفي 2نوفمبر 1926 بعثت المنظمة الصهيونية بالإسكندرية البرقية التالية إلى اللورد بلفور[*] :[48]

« إن الاجتماع الصهيوني الحاشد المنعقد بمسرح الهمبرا بمدينة الإسكندرية احتفالا بالذكرى العاشرة لتصريح بلفور ، الذي يحمل اسمكم العظيم ، كلفني بأن أنقل إليكم عرفاننا العميق مع أطيب تحياتنا » .

فيلكس جرين

عن رئيس المنظمة الصهيونية بالإسكندرية

وفيما بعد ظل الصهيونيون في مصر يعتمدون على الاجتماعات الحاشدة كإحدى الوسائل الهامة والفعالة في الاتصال بالجماهير اليهودية وتعبئتها حتى قيام إسرائيل عام 1948 . ففي الثلاثينيات من هذا القرن شهدت مدينة الإسكندرية عدة اجتماعات حاشدة تحدث فيها ناحوم سوكولوف ، ومسز أريل بنزايون ، وماير ديزنجوف ، وجروسمان ، ومستر ومسز إسرائيل موسى سيف Moses Sief Israél[49] وغيرهم .

ويبدو أن المصريين لم يدركوا خطورة الاجتماعات الصهيونية إلا في وقت متأخر جدا ، إذ تشير الوثائق البريطانية إلى أن الاتحاد الصهيوني في مصر أعد لعقد اجتماعين حاشدين في أواخر عام 1944 ، عقد أحدهما بالفعل في مدينة الإسكندرية في حين قامت السلطات المصرية بمنع عقد الاجتماع الثاني في القاهرة[50] .

ويشير رينيه قطاوي رئيس مجلس الطائفة إلى أن الاجتماع الأول كان ذا طابع سياسي ، وينتمي إلى الحركة الصهيونية ، في حين كان الاجتماع الثاني يرمي إلى اتخاذ الوسائل الكفيلة بإخضاع كل التنظيمات الشبابية اليهودية في مصر لسيطرة الاتحاد الصهيوني ، الأمر الذي يضفي على هذا البرنامج طابعا سياسيا في حالة تنفيذه .

وقد أرجع رينيه قطاوي السبب في إلغاء اجتماع القاهرة إلى ما أحدثه من اضطراب في الأوساط الرسمية والخاصة ، وإلى قيام الصحف المحلية باستغلال هذا الحدث بطريقة خلقت شعورا بالعداء تجاه الإسرائيليين بمصر ، بأن شككت في ولائهم للبلد الذين هم من رعاياه ، أو الذي منحهم ضيافته وضيافة حكومته .

مما سبق يتضح لنا أن الحركة الصهيونية لجأت إلى استخدام أسلوب الاجتماعات الحاشدة ليس كوسيلة للاتصال المباشر بالجماهير اليهودية فحسب ، وإنما كبرهان لايقبل الشك على تأييد اليهود في مصر جهودها الرامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكوسيلة لاتخاذ القرارات باسم اليهودية المصرية ، وقد ساعدها على ذلك أنه كان بالإمكان الحصول على ردود فعل واستجابات مباشرة في أثناء هذه الاجتماعات ، عن طريق استخدام الديناميات السيكولوجية لعملية الإقناع التي تتمثل

في إثارة مشاعر الخوف والقلق والخيلاء ، وإثارة الرغبة في التفوق الاجتماعي ، أو في حياة أفضل[51] ، وغيره من أساليب التعامل النفسي التي سنتناولها في الفصل التالي .

الخطاب الصهيوني :

أدى الجدل الذي أثير حول ظهور الحركة الصهيونية ، وحول شرعية العودة إلى صهيون ، وكذلك التناقضات التي برزت بين الصهيونيين وأعداء الصهيونية ، إلى اللجوء إلى الخطاب كوسيلة للإقناع والمحاجة المنطقية باتجاه الأعداء الأيديولوجيين ، وباتجاه المناصرين المحتملين أيضا .

ولأن حركة المعارضة للصهيونية في مصر لم تكن من القوة بمكان ، فقد استخدم الخطاب الصهيوني أساسا كوسيلة إقناعية تعبوية ، ثم كوسيلة لجباية المال . وقد احتل الخطاب أهمية خاصة كأداة للاتصال المباشر بجمهور الطائفة اليهودية ، لما كان يمكن إحاطته به من مؤثرات نفسية تتمثل في إلقائه في حفل أو مناسبة دينية أو قومية يهودية ، يمكن استغلالها في التأثير على مشاعر المستمعين ، أو تتمثل في شخصية المتحدث خصوصا إذا كان من ذوي المكانة أو ممن يتمتعون بالاحترام والتقدير ، أو ممن يتسمون بالاطلاع الغزير وبطلاقة اللسان والقدرة على المحاجة أو الإقناع ، ثم في إحاطة الاحتفال ببعض المظاهر التي تثير في النفس الحماس أو الرهبة كالموسيقى والرموز والشعارات ، أضف إلى ذلك تأثير الاستماع الجماعي الذي يجعل الفرد يتأثر بمواقف المستمعين الآخرين .

وكان من أول الخطابات الصهيونية التي حظيت باهتمام كبير من الطائفة اليهودية ذلك الخطاب الذي ألقاه حاييم وايزمان أمامها بالإسكندرية ، حين قدم مصر على رأس البعثة الصهيونية عام 1918 ، والذي قامت « لارفيو سيونسيت » بنشر نصه الكامل في ملحق منفصل باللغتين الإنجليزية والفرنسية ، في حين اكتفت مجلة « رڤيو إسرائيلت ديجيبت » بنشر ملخصه ؛ حتى يمكن وصول مضمونه إلى أكبر عدد ممكن من أبناء الطائفة .

وقد تميز أسلوب وايزمان في ذلك الخطاب بالواقعية والحذر وابتعد عن المبالغة والتهويل ، فقد حرص وايزمان على شرح حقائق الموقف في فلسطين ومايتنظر اليهود هناك من تضحيات قد لايجني ثمارها إلا أبناؤهم أو أحفادهم .

وعلى الرغم من أن وايزمان أوضح في خطابه أنهم لاينوون إقامة الوطن القومي على أكتاف العرب أو على حسابهم ، وأعرب عن رغبة الصهيونية في التعاون مع عرب فلسطين ، فإنه عاد وأكد أن هدفهم هو إقامة مركز كل شيء فيه يهودي .

وناشد وايزمان أبناء الطائفة أن يمدوا يد العون والمساعدة لعملية بناء الوطن القومي وللجامعة العبرية بالذات ، وأن يعطوا فلسطين الأولوية ؛ لأنها أهم من سالونيك وكيشنييف وغيرهما من البلاد التي مد يهود مصر يد المساعدة إلى إخوانهم المضطهدين فيها .

ومنذ ذلك الوقت أصبح الخطاب الصهيوني القاسم المشترك في جميع المناسبات والاجتماعات ، ونظرا لأن وايزمان كان حريصا على زيارة مصر في كل مرة يذهب فيها إلى فلسطين ، فقد كان ينتهز فرصة الاحتفالات التي تقام ترحيبا بمقدمه للتحدث إلى قادة النشاط الصهيوني في البلاد وإلى أبناء الطائفة ورؤسائها عن تطورات الموقف في فلسطين وعن واجبهم نحوها ، ونظرا لأن وايزمان كان واسع الاطلاع وعلى اتصال وثيق بالقوى الدولية التي تهتم بفلسطين ، حظيت خطاباته باهتمام كبير ، وحرصت الصحف اليهودية على نشرها .

ومن ناحية أخرى فقد استخدم الخطاب الصهيوني كوسيلة لجمع الأموال والتبرعات ، فقد كان بعض الجباة أمثال هوفين Hoofin رئيس البنك الإنجليزي الفلسطيني يتردد بين الحين والآخر على مصر لجمع التبرعات ، وكان يلجأ إلى الخطاب للتأثير على أبناء الطائفة ودفعهم إلى زيادة تبرعاتهم بأن يبالغ في وصف الموقف المادي المتردي الذي يعاني منه اليهود في فلسطين ، ويرسم صورة مشرقة للمستقبل الذي ينتظرهم فيها .

وكذلك كان وايزمان يعضد في خطاباته الأشخاص الذين يقومون بأعمال الجباية ، ففي الاحتفال الذي أقامه له البارون جاك منشة عام 1925 ناشد اليهود

المصريين حسن لقاء صديقه ومساعده د . بوشميل مندوب الكيرن هايسود إلى مصر ، ويقول البارون منشة : إن كلمات وايزمان أثارت حماس الحاضرين ، وأنه انتهز هذه الفرصة واقترح تعيين لجنة لجمع الأموال للكيرن هايسود[52] .

وفي حفل الشاي الذي أقامه له مسيو الكسندر بمنزله في الزمالك وحضره الحاخام الأكبر وأعيان الطائفة وممثلو الهيئات الصهيونية ، وجه وايزمان في كلمتة التي ألقاها في ذلك الحفل نداء إلى الطائفة لصالح إنشاء صندوق خاص للمنح الدراسية للطلبة اليهود ذوي المصادر المحدودة[53] .

وقد ظل الخطاب هو وسيلة الاتصال الرئيسية التي اعتمد عليها زعماء الحركة الصهيونية خلال فترة نشاطهم في مصر ؛ لتحريك الجماهير اليهودية ودفعها نحو العمل الصهيوني ، وقد كان باستطاعة أي من الزعماء الصهيونيين أو الكوادر الصهيونية خارج مصر المجيء إلى البلاد وإلقاء الخطب أمام جمهور الطائفة وزعمائها دون أية قيود أو اعتراضات .

المحاضرات :

كانت المحاضرة واحدة من أبرز وسائل الاتصال الشخصي المباشر التي اعتمدت عليها الدعاية الصهيونية منذ اليوم الأول لنشاطها في البلاد ، وحتى آخر يوم في هذا النشاط ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن المحاضرة كانت تتميز بأنها من أرخص وسائل الاتصال ، حيث إنها لاتتطلب سوى توفير محاضر متخصص في موضوع المحاضرة ، وحشد الجمهور لسماعها ، أضف إلى ذلك أن المحاضرات لاتتطلب مناسبة معينة – كما هو الحال بالنسبة للخطب التي يتطلب إلقاؤها مناسبة خاصة .

ومن ناحية أخرى كانت المحاضرة إحدى الوسائل التي تتيح للحركة الصهيونية توجيه دعايتها إلى الجمهور اليهودي فقط في بعض الموضوعات التي لاترغب في أن يطلع عليها غير اليهود ، وهو مالم يكن متاحا بالنسبة لوسائل الاتصال الجماهيري التي كان بإمكان أي فرد الاطلاع عليها .

وفضلا عما سبق فإن المحاضرة تجعل فرصة اشتراك المستقبلين في مناقشة المحاضر محدودة جدا ، حيث أنها تجعل الجمهور في وضع المتلقي للمعلومات فقط ، وبهذا كان يمكن تجنب إثارة الجدل أو المناقشات التي كان من المحتمل أن تؤدي إلى التشكيك أو المعارضة .

وقد استخدمت المحاضرات كوسيلة للاتصال بالجماهير اليهودية وغير اليهودية ، وكانت نوعية الجمهور الذي توجه إليه المحاضرة هي التي تحدد مكان إلقائها في معظم الأحيان ، فكانت المحاضرات التي توجه إلى الجمهور اليهودي على سبيل المثال تلقى بلغات متعددة في المعابد والمحافل اليهودية التي توجد في الأحياء التي يقطنها اليهود مثل درب البرابرة ، وحارة اليهود ، والعباسية ، والمنسي ، ومصر الجديدة ، وشارع عدلي ، ومصر القديمة ، كما كانت بعض هذه المحاضرات تلقى في مدارس الطائفة ، وفي مقار المنظمة الصهيونية بالقاهرة والإسكندرية ، وفي الأندية والجمعيات اليهودية الخيرية وغير الخيرية .. الخ .

أما المحاضرات التي كانت توجه إلى الجمهور غير اليهودي فكان يجرى إلقاؤها في هيئات غير يهودية في أغلب الأحيان ، ونستطيع أن نشير في هذا المجال على سبيل المثال إلى المحاضرة التي ألقاها الدكتور س . بروتسكي أستاذ الرياضيات بجامعة ليدز بإنجلترا – وهو يهودي صهيوني – في مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة يوم 14 أبريل 1925 وتحدث فيها عن الهدف من إنشاء الجامعة العبرية[54] في الوقت الذي ثار فيه الجدل حولها بمناسبة حفل افتتاحها ، والمحاضرة التي ألقاها نورمان بنتويش عضو مجلس إدارة الجامعة العبرية في قاعة الجمعية الملكية للاقتصاد والتشريع عام 1945 ، تحت عنوان « من يلتا إلى جنيف » ، وأفاض فيها في الحديث عن العلاقات السياسية وضمانات السلام ، وقد تم حشد عدد كبير من المصريين لسماعها . ممن أسمتهم صحيفة « الشمس » بأهل الفضل .

وكانت بعض الهيئات اليهودية الصهيونية مثل « جمعية الشبان اليهود المصريين » والنادي الصهيوني » بمصر الجديدة تنظم مواسم للمحاضرات ، وكان برنامج كل موسم

يتحدد وفقا للظروف والمتغيرات التي يمر بها اليهود سواء في فلسطين ، أو في دول أوربا ، كما كان يتم انتهاز فرص مرور بعض المفكرين الصهاينة على البلاد مثل ناحوم سولوكوف ، وحاييم وايزمان ، والبروفسور فرانز ، أوبنهايمر والدكتور هـ . ج . هايمن وغيرهم حيث كانوا يدعون إلى إلقاء المحاضرات ، وكان مضمون هذه المحاضرات يدور في إطار واحد هو إيقاظ الوعي القومي بهدف كسب الأنصار إلى الحركة الصهيونية .

وكان من أبرز الشخصيات اليهودية في مصر التي ساهمت في إلقاء المحاضرات الحاخام حاييم ناحوم أفندي ، الذي كان يشارك أيضا في حضور المحاضرات التي يدعى إليها ، أو يبعث إليها بمن ينوب عنه ، كذلك فإن ليون كاسترو الذي كان معروفا بطلاقة اللسان ، وقوة الحجة ، والاطلاع الغزير ، لم يكف عن إلقاء المحاضرات سواء في القاهرة أو في الإسكندرية ، وكان بحكم علاقته الوثيقة بالحركة الصهيونية العالمية قادرا على أن ينقل إلى الجماهير اليهودية في مصر متطلبات كل مرحلة من المراحل التي مر بها إنشاء الوطن القومي اليهودي ، وكان ليون كاسترو في نشاطه هذا يحظى بدعم الحاخام الأكبر وتأييده ، ففي عام 1943 كان الحاخام الأكبر مدعوا لسماع المحاضرة التي ألقاها ليون كاسترو في مدرسة الليسيه تحت عنوان « مارأيت وماسمعت في لندن » وعلى الرغم من أن ظروفه الصحية لم تسمح له بالحضور ، فإنه أوفد عوبديا سالم عضو مجلس الطائفة الذي اعتذر عن عدم حضور الحاخام قائلا « إن سعادته يعطف على الغرض الذي من أجله عقد هذا الاجتماع ويحث الجميع على اتباع نصائح الأستاذ كاسترو »[55] .

ومن ناحية أخرى استطاعت الطائفة اليهودية أن تستدرج بعض الشخصيات المصرية البارزة ، لإلقاء المحاضرات التي كانت تتناول العلاقات الودية التي ربطت بين العرب واليهود على مر التاريخ ، والخدمات التي أداها اليهود لبعض الحكومات العربية الإسلامية ، ونستطيع أن نشير في هذا الشأن إلى المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين في مدارس الطائفة بالإسكندرية في نوفمبر عام 1943 ، والمحاضرة التي ألقاها الدكتور محمد صداق فهمي بك المستشار بمحكمة النقض ورئيس جمعية مصر – أوربا في محفل بني بريت عام 1947 ، وتحدث فيها عن علاقات الأخوة التي

تربط بين العرب واليهود باعتبار أنهم أبناء عمومة ، وانحدروا من عنصر واحد ، كما تحدث عن جهوده في سبيل السعي إلى التوفيق بين اليهود والعرب في فلسطين ، وعن انطباعاته بعد زيارته الأخيرة لفلسطين فقال : إن العرب واليهود يعيشون في فلسطين أخوة متحابين ولايكدر صفو هذه الحياة الهادئة سوى رجال السياسة ومن يطمعون في الحصول على المغانم من وراء تعكير الجو .

كذلك كان جان لوجول رئيس تحرير « لابورص إجيبسيين » من بين من شاركوا في إلقاء المحاضرات في محفل بني بريت عن العلاقات التاريخية بين اليهود والعرب . وعن أصلهم السامي المشترك .

ويذكر أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق أن طه حسين رأس محاضرة ألقاها إيبان باللغتين العربية والإنجليزية في الاتحاد الإنجليزي المصري بالقاهرة عام 1943 حول مساهمة المستشرقين الأوربيين في تطوير الدراسات العربية وتنميتها[56] .

وهكذا نرى أن الصهيونيين في مصر لم يستخدموا المحاضرات كوسيلة للاتصال بالجمهور اليهودي فحسب ، وإنما استخدموها كأسلوب للاتصال بقادة الرأي في المجتمع المصري بهدف التأثير على مواقفهم لصالح اليهود ، ولاشك في أن الاستعانة ببعض المحاضرين المصريين في مخاطبة الرأي العام المصري وقادة رأيه ، كان يقربهم من تحقيق هذا الهدف .

وكانت الهيئات اليهودية والصهيونية تقوم بطبع بعض هذه المحاضرات وتوزيعها على شكل نشرات أو كتيبات ، أو تقوم بنشرها على صفحات الجرائد اليهودية ؛ حتى يمتد أثرها إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد .

الحفلات الراقصة :

وكانت الحفلات الراقصة إحدى الوسائل التي لجأت إليها الحركة الصهيونية في مصر خلال مساعيها المتعددة لضم الشباب اليهودي إلى صفوفها ، فقد تبين للمسئولين عن الدعاية منذ فترة مبكرة أن الشباب اليهودي ولع بارتياد الأندية وأماكن اللهو العامة ، ولذلك

وجدوا أنه يتعين عليهم إقامة مراكز جذب لهؤلاء الشباب تقدم التسلية التي ينشدونها ، وتسمح لهم في الوقت نفسه بممارسة عمليات الحشد والتجنيد التي يقومون بها .

ومن هذا المنطلق أدركت « جمعية بركوخبا » – وهي من أولى الجمعيات الصهيونية في مصر – أهمية تأسيس ناد صهيوني تلحق به قاعة للمحاضرات ، ومقهى عام يكون نقطة جذب للجمهور اليهودي الذي سيكون من السهل بعد ذلك جذبه إلى قاعة المحاضرات أو تلقينه المبادئ الصهيونية في أثناء سعيه إلى التسلية .

وقد استخدمت الحفلات الراقصة في خدمة أغراض صهيونية متعددة ، فمن ناحية كانت الحفلات الراقصة التي تقيمها جمعية بركوخبا تمثل إحدى الوسائل لجمع الأموال ، فقد كان إيراد هذه الحفلات من بيع التذاكر يخصص لتمويل أعمال الجمعية المختلفة ، ففي فبراير عام 1900 بلغت إيرادات حفل راقص أقامته هذه لجمعية 2150 فرنكا – وهو رقم لم تحققه إيرادات أي حفل آخر أقامته الطائفة ، في ذلك الوقت ، وقد خصص هذا الإيراد لصالح صندوق الجمعية[57] .

وحينما تأسست المنظمة الصهيونية بمصر أعلنت لجنة دعايتها عن عزمها على إنشاء جماعة تحمل اسم « التجمع اليهودي الترويحي والتثقيفي لطلبة المدارس » « Groupement Juif Recréatif Et Intellectuel Des Eléves Des Ecóles » ابتداء من سن الـ 13 سنة بهدف جمع الطلبة اليهود من المدارس اليهودية وغير اليهودية من أجل تعارف أفضل ، ومن أجل تنظيم احتفالات صغيرة للتسلية والترفيه ، وإتاحة الفرصة أمام كل شاب لتعلم التاريخ والأدب والفن اليهودي واللغة العبرية من خلال الاجتماعات والمناقشات والدروس والحفلات[58] .

ومع مرور الوقت تعددت الأهداف من وراء إقامة الحفلات الراقصة ، فقد استخدمت هذه الحفلات بصفة خاصة بعد إنشاء المنظمة الصهيونية كوسيلة لجذب أعضاء جدد للمنظمة .

ومن ناحية أخرى استخدمت هذه الحفلات أيضا كوسيلة للقضاء على النعرات

الطائفية التي كانت سائدة بين الطوائف اليهودية بهدف تحقيق التقارب بين أبناء الطائفة ، وفي هذا المجال يذكر تقرير لجنة الدعاية والعضوية التابعة للمنظمة الصهيونية « أن المنظمة بإنشائها للجنة الدعاية كانت ترمي إلى ضم كل الشبيبة اليهودية وتوحيدها تحت إشرافها ، وبذلك تتمكن من تكوين أسرة يهودية واحدة ، فقد كانت المنظمة ترى الشباب اليهودي بكل أسف في أوساط غير يهودية[59] .

وتنفيذا لهذه السياسة أخذت لجنة الدعاية زمام المبادرة بإقامة أمسيات أدبية تتبعها حفلات صغيرة يدعى إليها الجمهور اليهودي ، وتقام في مراكز يهودية متنوعة بالقاهرة .

وقد تحدث د . بيلبول رئيس اللجنة عن الهدف من إقامة هذه الأمسيات فوجه نداء حارا إلى الشباب اليهودي داعيا إياه إلى التجمع دون تمييز تحت العلم الصهيوني ، وأكد أن التسميات المختلفة للطوائف اليهودية (سفارديم وإشكنازيم وقرائين) يجب أن تختفي وأن يشكل الجميع طائفة يهودية واحدة تحت رعاية المنظمة الصهيونية »[60] .

وقد أشار التقرير السنوي للجنة الدعاية عن نشاطها لعام 1921 إلى أنها أقامت حفلة أدبية موسيقية راقصة نظمها قسم الموسكي في 25 فبراير 1921 ، أتبعتها بحفلة مماثلة في حي الإسماعيلية ، وأن هاتين الحفلتين حققتا نجاحا كبيرا ، وكانتا من أمجاد اللجنة التي تمكنت خلال تلك الحفلات من كسب تعاطف جميع السكان اليهود في القاهرة الذين جاءوها من مختلف الأعمار والطبقات ؛ لتقديم تهانيهم واعترافهم بنجاحها[61] .

ولم تقتصر إقامة الحفلات على الشبيبة اليهودية فقط ، وإنما قامت لجنة الدعاية بتنظيم حفلات مماثلة للجمهور اليهودي بصفة عامة في الأعياد والمناسبات اليهودية ، ونستطيع أن نذكر على سبيل المثال حفلات برويم التنكرية الراقصة التي كانت تقام كل عام ، ويشارك في إحيائها فنانون يهود من مصر وفلسطين ، وكانت إيرادات هذه الحفلات تخصص لأغراض مختلفة نذكر منها : الحالوصيم (الرواد) في فلسطين والصندوق القومي اليهودي ومكابي القاهرة .

ويذكر تقرير لجنة الدعاية والعضوية والشكاليم كيف كان يتم إدراج محاضرات خلال فترات الاستراحة في تلك الحفلات ، وكيف كان يتم استغلال هذه الحفلات في توزيع النشرات ومواد الدعاية بلغات متعددة على جمهور الحاضرين[62] ، كذلك كانت هذه الحفلات فرصة لعرض بعض المناظر المبهجة عن الحياة في فلسطين ، وعن التعاون بين العرب واليهود هناك على طلبة مدارس الليسيه الفرنسية الذين كانت تتطلع الحركة الصهيونية إلى تهجيرهم فيما بعد إلى فلسطين ، كما قام النادي الصهيوني بتنظيم حفلات راقصة كان يخصص إيرادها لصالح الصندوق القومي اليهودي .

الرحلات والزيارات :

تعد الرحلات أو الزيارات من وسائل الاتصال التي تتيح الفرصة للفرد لاكتساب الخبرات والمعارف من خلال مشاهدة الواقع ، والتعرف إلى الحقائق على الطبيعة ، ولذلك فإن الانطباعات والخبرات التي يكتسبها الفرد في أثناء الرحلة أو الزيارة تظل باقية الأثر[63] ، ومن هذا المنطلق يرى الدارس للصحافة اليهودية في مصر أن الحركة الصهيونية أعطت الزيارات اهتماما خاصا كواحدة من أدواتها الدعائية الفعالة والمؤثرة ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن أثر هذه الزيارات لم يكن ليقف عند الزائر فقط ، وإنما كان يمتد إلى غيره ممن لم يقوموا بالزيارة حينما يعود هؤلاء الزائرون ويتحدثون إلى معارفهم وذويهم عما شاهدوه ، وينقلون إليهم خبرتهم الخاصة سواء من خلال الأحاديث الشخصية أو عن طريق التصريحات التي تنشرها الصحف على لسانهم ، ولاشك في أن حديث شاهد عيان له أثر أوقع بكثير من عديد من المقالات التي تدبجها أقلام كبار الكتاب والصحفيين ، كما أنه يكون أفضل شهادة وأعظم دعاية في الوقت نفسه ، خصوصا إذا نشرت هذه التصريحات في صحيفة عربية وأجنبية غير يهودية . ويبدو من مطالعتنا الصحف اليهودية أن الحركة الصهيونية حرصت على تشجيع الرحلات والزيارات إلى فلسطين ، ولذلك وجدناها تفتح المكاتب السياحية التي تقوم بتنظيم الرحلات إلى هناك ، كما ساهمت الصحافة اليهودية في هذا الجهد من خلال قيامها بنشر إعلانات هذه المكاتب والشركات السياحية ، ومن

خلال نشرها تصريحات هؤلاء الزوار وانطباعاتهم .

ومما يسترعي الانتباه أن الصحف اليهودية الفرنسية كانت تفضل نشر هذه التصريحات نقلا عن صحيفة عربية أو أجنبية حتى لاتبدو في صورة الداعية من ذلك مانشرته مجلة « لارفيو سيونيست » نقلا عن مقابلة أجرتها صحيفة « السياسة »(*) ـ لسان حال الأحرار الدستوريين ـ مع السفير الأمريكي مورتون هاول عام 1938 حول انطباعاته عن زيارته الأخيرة لفلسطين وشرق الأردن ، وقد أعرب السفير الأمريكي في هذه المقابلة عن دهشته للتقدم الذي تم إحرازه في فلسطين منذ زيارته لها قبل 15 عاما وقال : إنه دهش لقلة عدد سكان شرق الأردن الذي يتميز بتربته الخصبة القادرة على تحقيق قدر كبير من التنمية ، ولاشك في أن هذا التصريح يعد إشارة واضحة إلى أن التقدم الذي تحقق في فلسطين دون شرق الأردن ـ كان بفضل المهاجرين اليهود .

ومن ناحية أخرى نشرت المجلة مقالا نقلا عن صحيفة « زيونيست ريفيو » Zionist Review الناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني ، عرض فيه السير ألفريد موند ـ وهو بريطاني مؤيد للصهيونية ـ انطباعاته عن رحلته الأخيرة إلى فلسطين ، فقال : إن العمل الذي تم إحرازه هناك يشير إلى أن المزارعين اليهود بالرغم من أنهم لم يعتادوا حياة العمل الزراعي فإنهم نجحوا في أن يتكيفوا مع ظروف الحياة الجديدة ، وأشار إلى أنه كلما كان هناك رجال يعملون في الزراعة تحققت التنمية في فلسطين ، كما أوضح لجمهور القراء أن فلسطين تتطلب مالا ورجالا ، وأن موقعها على البحر المتوسط يجعلها قابلة أن يسكنها عنصر أبيض مثل اليهود(64) .

وإلى جانب إنشاء الشركات السياحية التي تشجع على السفر إلى فلسطين قامت

(*) نشرت « السياسة » هذه المقابلة في 17 إبريل 1923 تحت عنوان حديث عن فلسطين مع وزير أمريكا المفوض الدكتور مورتن هول .

الحركة الصهيونية بتوجيه الدعوات إلى السياسيين وكبار الشخصيات ؛ لزيارة الوطن القومي اليهودي ، كما قامت بتبادل الزيارات وبعض الجهات والهيئات التي حرصت على كسب تأييدها .

ومن بين كبار الشخصيات المصرية التي زارت فلسطين وأشادت بنهضتها حافظ عفيفي باشا وزير الخارجية المصري السابق(*) ، الذي أدلى بتصريح لجريدة « هارتس » أعرب فيه عن إعجابه بالصناعة الفلسطينية عند زيارته للمعرض الصناعي الدائم في تل أبيب ، وقال : إنه زار تل أبيب عدة مرات وفي كل مرة يشاهد مظاهر التقدم واتساع العمران ، كما زار بعض القرى ، وشاهد النظم الزراعية والصحية المتبعة فيها ، وأبدى ارتياحه لما شاهده[65] . وقد نقلت الصحف اليهودية في مصر هذه التصريحات ؛ لأنها جاءت بمثابة شهادة من مصري على التقدم الذي يحرزه اليهود في فلسطين ، وعلى صدق ماكانت تردده الدعاية الصهيونية في هذا الشأن .

وإذا كانت الحركة الصهيونية قد أبدت اهتماما بزيارات العرب والأجانب غير اليهود لفلسطين ، فإنها اهتمت في الوقت نفسه بزيارات اليهود أيضا ، وقد تولت الأندية الصهيونية والهيئات اليهودية في مصر تنظيم الرحلات إلى فلسطين وتقديم تسهيلات خاصة لليهود للقيام بها ، حيث كان يتم اطلاعهم على ماتم إنجازه وعلى أوجه النقص التي كانت تعاني منها حركة العمران هناك ، وخصوصا ماكان بسبب نقص الأموال حتى تستحثهم على المساهمة في التبرعات ، وبذل قصارى جهدهم من أجل نهضة فلسطين الاقتصادية باستثمار أموالهم فيها . من ناحية أخرى استفادت الحركة الصهيونية في مصر من الزيارات التي كان يقوم بها بعض الزعماء الصهيونيين أمثال حاييم وايزمان في إعطاء دفعة للعمل الصهيوني في البلاد ، وقد عبرت عن ذلك

(*) شغل حافظ عفيفي منصب وزير الخارجية في وزارة محمد محمود الأولى (25 يونيو 1928- 2 أكتوبر 1929) ووزارة إسماعيل صدقي الأولى (19 يونية 1930 - 4 يناير 1933) .

صحيفة « لورور » عام 1924 بقولها : « إن وصول وايزمان إلى القاهرة في تلك اللحظة الحرجة من عملنا الصهيوني سيكون مناسبة سعيدة ، وحدثا نستطيع أن نستفيد منه لصالح حركتنا . إن الرئيس الذي يحظى بالاحترام ويملك القدرة على الإقناع والتأثير يجب أن يتحدث إلى مديري الطائفة اليهودية في مصر عن أن مجد اليهودية وشرفها يكمن في تقدمهم صفوف العاملين في الحقل الصهيوني[66] .

المسرح والموسيقي :

أثبت المسرح منذ زمن بعيد وجوده كأداة تعبير صادقة عن الرأي العام ، وكمؤثر قوي في اتجاهات الجماهير ، حتى لقد أصبح ضرورة من ضرورات التقدم والحضارة ، بل ضرورة من ضرورات الحياة عند الشعوب التي علقت عليه آمالها ، وعبرت من خلاله عن أحاسيسها وعن آرائها وعقائدها السياسية المتصارعة . ولأن المسرح يساير الأحداث ويواكب التغيرات الاجتماعية ، فإنه يعبر تعبيرا صادقا عن روح الأمة حيث يقوم اتجاهاتها ، ويعكس تيارات حياتها المتباينة[67] .

وبالإضافة إلى ذلك أثبت المسرح أيضا أنه قوة لايستهان بها في قيادة الجماهير والتعبير عن إرادتها ، فقد ثبت على مر التاريخ أن المسرح قادر على تكوين الرأي العام والتأثير فيه وتعديل اتجاهاته ، ولذلك اعتبر واحدا من أعمدة أجهزة الإعلام الأساسية .

وعلى الرغم من أن مصر عرفت المسرح على يد يهودي هو يعقوب بن صنوع عام 1870 فإن استقراء تاريخ الحركة الصهيونية في مصر لايشير إلى أنها أقامت مسرحا خاصا يعبر عن أيديولوجيتها ، ومع ذلك فإن الدعاية الصهيونية لم تهمل استخدام هذه الأداة المؤثرة في خلق الاتجاهات المرغوبة لدى الرأي العام اليهودي في حدود المتاح من إمكاناتها .

وكان استخدام الدعاية الصهيونية في مصر للمسرح كأداة من أدواتها ، تتمثل في عدم خلو الاحتفالات التي تقيمها المنظمة الصهيوينة من عرض إحدى المسرحيات

التي تخدم أهدافها ، فقد كان أحد المعالم البارزة للاحتفال بيوم الشيكل ، الذي أقيم في مسرح الهمبرا بالإسكندرية عام 1917 مسرحية من فصل واحد ناطقة بالفرنسية ، تدور أحداثها حول معاناة اليهود في روسيا في الفترة الأخيرة ، وفيها يثور طالب يهودي ضد خضوع شعبه وإذعانه ، ويحث والديه على أن يرفعا الرأس عاليا ، وتنتهي المسرحية بتحقيق المثل العليا اليهودية في أرض إسرائيل .

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك الفرق المسرحية داخل المدارس اليهودية ، كما كانت تفد على مصر فرق مسرحية من فلسطين لتقديم عروضها للجمهور اليهودي ففي عام 1923 على سبيل المثال جاءت إلى مصر « جماعة المحترفين المسرحية بأرض إسرائيل » حيث قدمت عرضا فريدا بمدينة الإسكندرية مترجما إلى العبرية تحت اسم « إسرائيل » ، ثم أعادت تقديم هذا العرض على مسرح حديقة الإزبكية بالقاهرة .

ومن أشهر الروايات اليهودية المسرحية التي عرضت في مصر رواية استير(*) وقد قدمت على مسرح الهمبرا بالإسكندرية عام 1946 ، وحضرها عبد الخالق حسونة محافظ الثغر في ذلك الوقت ، وقنصل فرنسا ، ورئيس مجلس الطائفة وغيرهم(68) .

وكانت معظم المسرحيات اليهودية تدور حول الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في مختلف العصور ، ولكنها كانت تنتهي بتحقيق النصر على مضطهديهم .

أما فيما يتعلق بالموسيقى ، فقد أدركت الدعاية الصهيونية ماللموسيقى من تأثير له فعل السحر على الجماهير ، فهي تستطيع أن تخاطبهم دون استخدام الكلمات فتؤثر في وجدانهم وعقولهم وتزودهم بالفن والمتعة ، وقد أثبتت الموسيقى أيضا قدرتها على

(*) استير بطلة دينية يهودية كانت خليلة مقربة للملك فارس استطاعت بتأثير فتنتها وجمالها أن تكسب الملك في صفها وتنفذ شعبها من مؤامرة حاكها هامان وزير الملك ضد اليهود . وقد حظيت قصة استير باهتمام من الصحافة اليهودية في مصر خلال المحاولات التي بذلت لإعادة كتابة التاريخ ، ولخلق أدب يهودي عربي حيث تم تقديم استير كمثل أعلى للمرأة اليهودية في مصر .

التأثير في الرأي العام هدوءا وانفعالا ، إثارة وتهدئة ، ولذلك لم يكن غريبا أن لجأت إليها الدول لإثارة الوعي القومي وتعبئة الجماهير خلف قياداتها عند اتخاذ القرارات المصيرية من خلال المارشات العسكرية والأغاني والأناشيد الوطنية[69] .

من هذا المنطلق كانت للمنظمة الصهيونية فرقتها الموسيقية التي كان يطلق عليها اسم « الجوقة اليهودية » ، وكان مقرها ضمن مقر المنظمة الصهيونية بالقاهرة ، وكانت هذه الجوقة تشترك باستمرار في الاحتفالات والاجتماعات التي تقيمها المنظمة الصهيونية ، كما كانت لنادي المكابي الرياضي فرقته الموسيقية الخاصة التي كانت تشارك أيضا في الاحتفالات والمناسبات اليهودية والصهيونية ، فقد شاركت هذه الفرقة في استقبال الفيلق اليهودي الذي جاء إلى مصر عام 1918 ، ورافقته في شوارع القاهرة من محطة مصر حتى مقر المندوب السامي البريطاني في قصر الدوبارة ، حيث عزفت نشيد « الله يحفظ الملك » ونشيد « هاتيكفا » الصهيوني .

ولقد كانت الموسيقى قاسما مشتركا في الاحتفالات الدينية ، وغيرها من الاحتفالات التي كانت تقيمها الطائفة اليهودية في مصر ، فعلى سبيل المثال حينما دعت طائفة الإسكندرية إلى إقامة الصلوات في جميع المعابد اليهودية من أجل انتصار الجيوش الحليفة ، من أجل السلام ، عزف أرغن معبد إلياهو حنابي – حيث اجتمع عدد كبير من الجنود والضباط الإنجليز – النشيد الوطني الإنجليزي مما أدهش العسكريين البريطانيين ونال إعجابهم .

كسب قادة الرأي :

إذا كان الباحثان الأمريكيان كاتز ولازرسفيلد قد أكتشفا نظرية سريان المعلومات على مرحلتين خلال حملة الانتخابات الأمريكية عام 1940 ، وكشفا عن أهمية دور قائد الرأي في التأثير على عملية اتخاذ القرار من جانب الجمهور[70] ، فإن الحركة الصهيونية كانت قد وعت أهمية هذا الدور قبل ذلك بوقت طويل ، إذتكشف دراسة الصحف اليهودية في مصر عن عدة محاولات للتأثير على قادة الرأي في المجتمع المصري ، قام بها أفراد من الطائفة اليهودية في مصر ممن وقعوا تحت تأثير الدعاية

الصهيونية ، أو ممن كانوا أعضاء في الحركة الصهيونية ، وقد استخدمت الحركة الصهيونية كثيرا من وسائل الاتصال المباشر في التأثير على قادة الرأي في المجتمع المصري ، كان من أبرزها المقابلات والمحاضرات والزيارت .

ففي عام 1926 نجحت الحركة الصهيونية في تبادل الزيارات بين المدرسين اليهود في فلسطين والمدرسين المصريين ، وقد بدأت هذه الزيارات بمجيء وفد يضم 95 شخصا من المعلمين والمعلمات اليهود في مدارس فلسطين ، بقصد زيارة المدارس المصرية والمتاحف ودور الآثار في مصر ، وقد نزل أعضاء هذا الوفد في مدرسة الأورمان الثانوية بالجيزة ضيوفا على وزارة المعارف العمومية ، وكان وزير المعارف في ذلك الوقت هو على ماهر باشا .

وقد أحاطت الحكومة المصرية أعضاء هذا الوفد برعايتها ، كما أقامت الطائفة الإسرائيلية بمصر حفل شاي بفندق الكونتننتال تكريما لأعضائه حضره وزير المعارف وكبار رجال التعليم في مصر ، كما حضره الدكتور حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وأعيان الطوائف الإسرائيلية في البلاد .

وقد قامت وزارة المعارف المصرية برد هذه الزيارة ، وذلك بإيفاد وفد يضم أكثر من مائة مدرس مصري برياسة محمد بك رشدي لزيارة مدارس فلسطين .

وقد أحاطت المنظمة الصهيونية في فلسطين الوفد المصري بكثير من مظاهر الحفاوة والرعاية ، وكما حرص حاييم وايزمان على وجوده في مصر في أثناء زيارة المعلمين اليهود للبلاد ، كان حريصا على وجوده في فلسطين في أثناء قيام وفد المعلمين المصريين بزيارتها ، حيث ألقى كلمة في حفل الوداع الذي أقامته المنظمة الصهيونية تكريما لهم ، أوضح فيها أهمية هذه الزيارات في تحقيق التقارب بين المصريين واليهود ، وفي نشر السلام بين فلسطين وجاراتها ولهذا لم يكن غريبا ، أن يعبر رشدي بك عن تأثر الوفد المصري بحسن الاستقبال الذي لاقاه ، ويعرب عن أسفه ؛ لأنه لا يتحدث العبرية على الرغم من أنها قريبة من العربية ، وعلى الرغم من أنها تدرس في الجامعة المصرية قبل عامين ، ثم يقدم أطيب أمنياته بالسعادة والرخاء للصهيونية وفلسطين[71] .

وهذا التحرك إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحركة الصهيونية كانت تعي تماما دور المعلم المصري كقائد للرأي ليس بالنسبة للطلبة فحسب ، وإنما بالنسبة لأفراد المجتمع المحيطين به بصفة عامة ، فقد كان ينظر إلى المدرسين المصريين في ذلك الوقت على أنهم الطبقة المستنيرة في وسط مجتمع تتفشى فيه الأمية والجهل بدرجة كبيرة ، ولذلك كان يقصدهم المحيطون بهم لأخذ المشورة ، أو للاستفادة بآرائهم

كلما استلزم الأمر .

ومن ناحية أخرى كانت الحركة الصهيونية تدرك ببعد بصيرتها تأثير هؤلاء المدرسين على الأجيال القادمة التي ستتلقى العلم على أيديهم ، وقد عبرت صحيفة « إسرائيل » الفرنسية عن وعيها بهذا الدور بقولها : « إن هؤلاء المدرسين هم الذين سيؤثرون في الطلبة رجال الغد ، ورجال المستقبل ، وهم الذين باستطاعتهم أن يبثوا الحب أو الحقد ضد اليهود وضد إنشاء الدولة اليهودية » ، ومن هنا كان حرص الحركة الصهيونية على الوصول إلى هذه الفئة المهمة من قادة الرأي المصريين .

ونظرا لأهمية الزيارة بالنسبة للحركة الصهيونية التي اعتبرتها حدثا جديرا بالاهتمام ، أفردت صحيفة « إسرائيل » الصحفة الأولى من عددها الصادر في 23 أبريل 1926 لهذا الحدث بل يبدو أن ألبرت موصيري صاحب هذه الجريدة رافق الوفد المصري في أثناء زيارته لفلسطين ، إذ إنه وافى جريدته من هناك بتفصيلات الزيارة والكلمات التي تبودلت ، وبعد عودته إلى مصر بدأ في كتابة سلسلة مقالات تحت عنوان « رحلتي الأخيرة إلى فلسطين » و « فلسطين ومستقبل الشرق » .

وقد تحدثت صحيفة « الشورى » الفلسطينية – التي كانت تصدر في القاهرة في ذلك الوقت – عن الأثر السيئ الذي أحدثته هذه الزيارة في نفوس الفلسطينيين ، كما نقلت عن صحيفة « كوكب الشرق » الوفدية قولها : إن الصحف السورية وجهت إلى المعلمين المصريين تهمة الدعاية للصهيونيين ، وأن وزير المعارف المصري اضطر أمام هذه الحملة إلى أن يبرق إلى رشدي بك رئيس الوفد يطلب منه القيام بزيارة مدارس العرب على الرغم من أنها لم تكن ضمن برنامج الزيارة .

وكانت زيارة وفد من الصحفيين المصريين لفلسطين عام 1942 من بين الزيارات التي أولتها الحركة الصهيونية اهتماما خاصا باعتبار أن هؤلاء من قادة الرأي والفكر في مصر أيضا ، ولذلك نظمت لهم الوكالة اليهودية في فلسطين سلسلة من المحاضرات انتدبت لها بعض كبار الأدباء والأساتذة اليهود في الجامعة العبرية ، كما نظمت لهم زيارات إلى مكاتب الصندوق القومي اليهودي في القدس وإلى الجامعة العبرية وغيرها

من المؤسسات الصهيونية التي كانت تفاخر بها ، وانتدبت بعض زملاء المهنة ممن كانوا يعملون في الصحافة بمصر أمثال ماتيلدا موصيري صاحبة جريدة « إسرائيل » – والتي هاجرت إلى فلسطين – لمرافقتهم طوال فترة إقامتهم هناك .

وقد حظي جان لوجول رئيس تحرير صحيفة « لابورص اجيبسيين » الذي كان ضمن أعضاء الوفد بترحيب خاص بوصفه صديقا لليهود .

وثمة محاولات أخرى كثيرة للتأثير على قادة الرأي في المجتمع المصري نذكر منها تلك المحاولة التي قامت بها الطائفة اليهودية عام 1943 بدعوتها الدكتور طه حسين لإلقاء محاضرة عن العلاقات بين العرب واليهود عبر التاريخ بقاعة الاحتفالات بمدرسة الطائفة اليهودية بمدينة الإسكندرية ، وقد عبر « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » عن تقديره لإنجاز هذه الخطوة بقوله :

« من حق مجلس الطائفة وكل الذين نظموا هذا الاحتفال بصفة عامة أن يفخروا ؛ لأنهم برهنوا على حسن بصيرتهم بدعوتهم مدير جامعة فاروق الأول للتعبير علانية عن رأيه في دور اليهود نحو العرب عبر القرون » .

« إن اختيار المستعمين الذين كانوا يتألفون من **صفوة المفكرين المصريين** والإسرائيليين يعطي هذا الاجتماع طابعا أكثر رقيا من اجتماع لايضم نخبة من هذا النوع » .

« فعن طريق مثل هذه الاجتماعات المتاحة لموجهي الرأي ، نستطيع التأثير بالإيجاب على تيار الأفكار ، وحمله على معرقتنا بطريقة أفضل[72] .

وقد سعي اليهود إلى التأثير على صانعي القرارات السياسية في البلاد من خلال اللقاءات المباشرة ، ومن خلال دعوتهم لحضور المحاضرات التي تلقى عن تاريخ اليهود في مصر ، والتي كانت تهدف إلى تحسين صورة اليهود وإبراز علاقاتهم الوثيقة بحكام مصر على مر العصور ، ولقد رأينا كيف استغل الحاخام حايم ناحوم أفندي صلاته بكبار المسئولين في الدولة في اجتذابهم لحضور مثل هذه المحاضرات ، أو في دفعهم إلى قراءة المطبوعات اليهودية التي كان يرسل بها إليهم ، والتي كانوا يقرءونها مجاملة له .

وتوجد بمحفوظات مجلس الوزراء بدار الوثائق القومية صورة لأحد الخطابات التي لاتحمل اسم المرسل والمرسل إليه ، وأغلب الظن أنه كان موجها إلى حايم ناحوم أفندي يقول نصه : « آسف شديد الأسف ؛ لأنني لم أتمكن بسبب ارتباط سابق من حضور المحاضرة التي ألقيتموها في 3 مايو 1930 عن اليهودية المصرية تحت حكم الفاطميين ، حالتها الدينية والفكرية والاجتماعية » ..

« وبعد أن فاتني شرف سماعها ، آمل على الأقل أن أحظى بشرف قراءتها ، وسيسعدني أيضا الحصول على نسخة منها في حالة إذا ماتم طبعها ، وتقبلوا خالص شكري وتحياتي الحارة » .

الاتصال الجماهيري :

كان الاتصال الجماهيري واحدا من أهم الأساليب التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية ، فقد كان إنشاء الدولة اليهودية يتطلب الحصول على أقصى مساهمة ممكنة من جميع أبناء الطائفة ، وهو ماكان يستلزم القيام بدعاية واسعة النطاق تشمل جميع اليهود المنتشرين في أنحاء القطر المصري ، الأمر الذي كان الاتصال الشخصي يعجز عن أدائه على الأقل نظرا لعدم وجود العدد الكافي من الأشخاص المؤهلين للقيام بتلك المهمة بصورة مستمرة .

ومن ناحية أخرى كان عزوف نسبة لايستهان بها من اليهود وخصوصا أعيان الطائفة – عن حضور الاجتماعات والمحاضرات التي كانت تعقدها الحركة الصهيونية إما بسبب مشاغل الحياة ، أو بسبب خوف هؤلاء وترددهم خاصة في الفترة التي سبقت إعلان وعد بلفور ، يقتضي من الحركة الصهيونية الوصول إليهم في عقر دارهم من خلال صحيفة أو مجلة ، أو كتيب أو منشور أو غيرها من المطبوعات التي كان يمكن إرسالها إليهم عن طريق البريد .

ولقد كانت الصحافة واحدة من أهم وسائل الاتصال الجماهيري التي استخدمتها الحركة الصهيونية – كما رأينا – ولكن إلى جانب الصحافة كان هناك عدد آخر من وسائل الاتصال الجماهيري التي استعانت بها نذكرها فيما يلي :

المطبوعات :

كانت المنشورات والكتب والنشرات من أهم وسائل الدعاية المطبوعة التي اعتمدت عليها الحركة الصهيونية خلال فترة نشاطها في مصر ، فمن المعروف أن المنشورات هي من أسرع وسائل الاتصال تأثيرا وأكثر قدرة على إثارة الرأي العام ولذلك اعتمدت عليها الحركة الصهيونية اعتمادا كبيرا خصوصا في السنوات الأولى من نشاطها لرغبتها في تحقيق استجابة سريعة من ناحية ، ولضعف إمكاناتها من الناحية الأخرى .

فعند بداية النشاط الصهيوني في مصر كانت جمعية بركوخبا الصهيونية تضم ستة أعضاء فقط ثم ارتفع هذا الرقم خلال السنوات التالية إلى ستين عضوا ثم إلى مائة وخمسين عضوا ، ومع ذلك فقد ظل هذا العدد قاصرا على أن يتيح للجمعية نشاطا دعائيا واسعا ، فقد كان جميع هؤلاء الأعضاء تقريبا من اليهود الاشكنازيم الذين يتحدثون لغات أجنبية في حين كانت الجمعية تسعى إلى بث دعايتها في أوساط اليهود السفارديم الذين يشكلون أغلبية اليهود في البلاد ، ونظرا لأن أعضاء الجمعية لم يكونوا مؤهلين لمخاطبة السفارديم باللغة التي يفهمونها ، لم يكن أمام بركوخبا سوى اللجوء إلى الكلمة المطبوعة ، وكانت المنشورات والكتيبات هي الحل الأمثل بالنسبة لإمكانات الحركة في ذلك الوقت .

وحتى بالنسبة لهاتين الوسيلتين أيضا ، واجهت هذه المنظمة الصهيونية صعوبات جمة في سبيل الحصول عليهما ، فنظرا لأنه لم يكن باستطاعة الجمعيات الصهيونية في تلك الفترة إعداد هذا النوع من مواد الدعاية نجدها تعتمد اعتمادا كليا على الكتيبات والمنشورات التي تأتيها من الخارج ، ولذلك كان يتعين عليها ترجمة هذه المواد ـ وكان معظمها باللغة الألمانية ـ إلى اللغات المعروفة محليا ، وكان هذا أيضا عملا مرهقا لإمكانات الجمعية ، ولهذا فقد حاولت الحصول على كتيبات باللغة الفرنسية والأسبانية والإيطالية من فيينا وباريس وإيطاليا ، وهي اللغات التي كان يتحدث بها اليهود الإشكنازيم والسفارديم في مصر ، ثم تقوم هي بترجمة بعضها إلى اللغة العربية فقط .

وتتضح لنا مدى أهمية المنشورات والكتيبات خلال تلك الفترة إذا علمنا أن جمعية بركوخبا كتبت إلى المكتب الصهيوني في فيينا عام 1900 تقول : لن يكون من الصعب كسب اليهود المصريين لصالح قضيتنا عندما يصبح لدينا كميات كبيرة من المطبوعات الصهيونية باللغات العربية والإيطالية والأسبانية والفرنسية ، ثم أوضحت أنه تأسست جمعيات في الإسكندرية وطنطا ، ولكن لأن هناك نقصا مستمرا في الكتيبات لم تعرف هذه الجمعيات كيف تقوم بالدعايات اللازمة مما أدى إلى انحلالها في نهاية الأمر .

وتشير المكاتبات المتبادلة بين جمعية بركوخبا والمكتب الصهيوني في فيينا إلى أن الأخير قام بتلبية طلبات الجمعية فيما يتعلق بإرسال الكتيبات والمنشورات ، إذ يذكر أحد تقارير الجمعية أنها قامت بترجمة كتيب بعنوان Der Judennoth Ender إلى اللغة العربية ، وطبعت منه ثلاثة آلاف نسخة وزعتها بالمجان ، فأحدثت دعاية ضخمة كان من نتيجتها أن اجتذبت الجمعية كثيرا من الأنصار ، ولذلك طلبت إرسال مزيد من النشرات باللغتين الفرنسية والإسبانية مع (موجز قوانين الحزب الصهيوني) ، وأوضحت أنها في حاجة إلى 300 نسخة من كل نوع على الأقل ، كما رحبت بإرسال أي كتيبات أخرى لديهم بالفرنسية والإسبانية[73] .

وبعد أن اشتد ساعد المنظمة الصهيونية في مصر ، وأصبحت لها وسائلها الدعائية المتنوعة ، ظلت المنشورات والكتيبات من أهم وسائل الاتصال بالجمهور ، فقد كانت بعض المؤسسات الصهيونية التي لم يكن لها لسان حال يعبر عنها مثل مكتب الكيرن كايمت ليسرائيل ، ومكتب الكيرن هايسود بالقاهرة ، والمنظمة الصهيونية بعد توقف مجلتها عن الصدور عام 1923 تعتمد على المنشورات والكتيبات في الاتصال بجمهورها ، وكانت هذه المطبوعات توزع في أثناء الاجتماعات والمحاضرات أو ترسل بالبريد على عناوين اليهود في جميع أنحاء مصر ، ففي عام 1921 قام الصندوق القومي اليهودي بإرسال 300 نشرة بالبريد تحت عنوان Clef de Voûte de reconstruction d'Eretz Israel (مفتاح عقد إعادة تعمير أرض إسرائيل) إلى بعض الأسر اليهودية في القاهرة والمديريات ، و25 تقريرا باللغة الانجليزية عن أعمال الصندوق القومي لعام 1920 .

وإلى جانب الكتيبات والمنشورات اعتمدت الحركة الصهيونية في مصر على الكتاب كوسيلة للدعاية ،فمن المعروف أن الكتب الدورية وكتب الموضوعات Topic Books التي يكتبها مؤلفون متخصصون تستطيع أن تقوم بالدور نفسه الذي تقوم به الصحف والمجلات من الناحية الدعائية ، بل إن الكتاب يتميز على الصحيفة من حيث إنه يمكن أن يظل سجلا منشورا ، ويعيش في المكتبات العامة ، والخاصة في حين تتعرض الصحيفة للإهمال والضياع بمجرد الفراغ من قراءتها .

وأقوى الكتب الدعائية تأثيرا في عقلية الجماهير ، وتوجيها للرأي العام هي تلك التي يكتبها الزعماء السياسيون ، ويشرحون فيها للناس بلغة سهلة ومبسطة تاريخ حياتهم وجهادهم الوطني ، ومبادئهم السياسية[74] ..

ولقد كان كتاب « الدولة اليهودية » الذي نشره هرتزل عام 1896 واحدا من أهم هذه الكتب الدعائية بالنسبة للحركة الصهيونية ، فقد ترجم إلى العديد من اللغات وأعيد طبعه مرات ومرات ، بل إنه وصل في كثير من الأحيان إلى مرحلة تقترب من التقديس لدى بعض الجماهير الصهيونية ، ويكفي أن نقول : إنه الكتاب الذي أحدث انقلابا في حياة الطوائف اليهودية في الشتات ، وكان من نتيجته تشريد شعب ، واغتصاب أرض لإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين .

لقد كان كتاب هرتزل بمثابة دستور العمل الصهيوني ، ولذلك وجد اهتماما خاصا هنا في مصر من جانب التنظيمات الصهيونية ، والصحافة اليهودية ، فقد رأينا كيف أن جمعية بركوخبا الصهيونية ، كتبت إلى هرتزل حال تأسيسها تطلب منه موافاتها بنسخة فرنسية من كتابه « الدولة اليهودية » ، أما الصحافة اليهودية فقد روجت له وأعلنت عن أماكن بيعه في المكتبات مرارا وتكرارا ، فقد كانت تريد له أن يكون في كل بيت من البيوت اليهودية إلى جانب التوراة والتلمود .

وتجدر الاشارة إلى أن الكتب كانت من المطبوعات اليهودية نادرة الوجود في مصر في أواخر القرن التاسع عشره وأوائل القرن العشرين ، ولكن مع تدفق أعداد كبيرة

من اليهود على مصر من فلسطين وغيرها من الدول ممن حملوا معهم الأفكار الصهيونية ، ازدياد النشاط الصهيوني في البلاد ، بدأت تظهر في أوساط اليهود نهضة ثقافية تمثلت في نشر العديد من الكتب خلال العقد الثاني من هذا القرن ، ولكن هذه الكتب في معظمها كانت ذات طابع ديني أو تاريخي أو كتب مدرسية أو تهذيبية وكانت تستهدف في معظمها خدمة الهدف الصهيوني .

وإلى جانب الكتب التي أصدرها اليهود في مصر كانت ترد إلى البلاد الكتب التي كانت تصدرها اليهود في الخارج ، وقد رأينا كيف عملت مجلة « كاييه جويف » على الترويج لهذه الكتب من خلال وضعها ضمن اشتراكها السنوي ، كذلك فإن باقي الصحف اليهودية الأخرى مثل « لارفيو سيونيست » و « إسرائيل » و« لورور » كانت تعلن عن هذه الكتب وأماكن بيعها في المكتبات .

وكان من بين الكتب اليهودية التي صدرت في الخارج ولاقت اهتماما في مصر كتاب سيسل روث Cecil Roth بعنوان The Jewish Contribution to Civilisation أي المساهمة اليهودية في الحضارة الذي كانت تنشره الصحف اليهودية في سلسلة منتظمة على صفحاتها لإبراز فضل اليهود على الحضارة الإنسانية وماينتظر فلسطين وبلاد الشرق من تقدم على أيدي اليهود ، إذا ما أقيمت دولتهم في هذه البقعة .

السينما :

تعتبر السينما من أدوات الثقافة والإعلام ذات التأثير الكبير على الجماهير ، فقد أصبحت السينما في العصر الحديث أداة لاتقل خطرا عن الصحافة ، بل إنها قد تبزها في بعض الأحيان ، ومما لاشك فيه أن مانراه على الشاشة يترك أثرا في النفس أشد من ذلك الذي تحدثه الصحيفة أو المجلة ، ولذلك كانت السينما واحدة من أخطر وسائل الدعاية في الداخل والخارج[75] .

وقد أمكن من خلال التقدم الذي تحرزه السينما كل يوم في مجال الاستخدامات العلمية من مؤثرات صوتية ، وحيل سينمائية وجودة في التمثيل والإخراج أن تحقق

نتائج ملموسة في مجالات التأثير على الرأي العام .

وعلى الرغم من أن السينما لم تكن قد بلغت هذه الدرجة من الأهمية في مطلع هذا القرن ، فإن الدعاية الصهيونية استخدمتها كأداة إعلامية ، وكوسيلة لجمع المال ، ففي عام 1923 قام فرع الصندوق القومي اليهودي بمصر بإحضار فيلم « فلسطين الجديدة اليهودية » La Nouvelle Palestine Juive أو العودة إلى صهيون Le Retour ASion حيث عرض مدة يوم واحد في سينما كليبر بالاس بالقاهرة وفي مسرح محمد علي بالإسكندرية ثم أعيد عرضه في القاهرة مرة أخرى بسينما أوليمبيا بشارع عبد العزيز .

وقد اهتمت مجلة « لارفيو سيونيست » لسان حال المنظمة الصهيونية بمصر بعمل دعاية واسعة لهذا الفيلم قبل عرضه ، فقد اعتبرت عرض هذا الفيلم في مصر حدثا فريدا من نوعه ، ولذلك أصدرت « عددا فلسطينيا خاصا » بتلك المناسبة ، وهنأت الصندوق القومي على نجاحه في إحضار هذا الفيلم إلى البلاد ، وكان من نتيجة تلك الدعاية أن بلغت إيرادات عرضه في سينما كليبر وحدها 173 جنيها ، خصصت لصالح الصندوق القومي .

وقد احتلت إعلانات فيلم « فلسطين الجديدة » صفحات الغلاف الخارجية لمجلة « لارفيو سيونيست » طوال فترة عرضه بمصر ، كما أرفقت المجلة بأعدادها الصادرة في ذلك الوقت إعلانات كبيرة الحجم(*) يمكن تعليقها داخل الهيئات اليهودية المختلفة لجذب انتباه الجمهور إليها ، وكنوع من التمويه أسقطت المجلة عن عمد كلمة « اليهودية » وعبارة « العودة إلى صهيون » من اسم الفيلم .

ولاشك أن الهدف من عرض هذا الفيلم وغيره من الأفلام الصهيونية الأخرى كان إتاحة الفرصة أمام اليهود الذين لم تسنح لهم فرصة الذهاب إلى فلسطين لمشاهدة

(*) انظر صورة رقم (15) .

الانجازات التي حققتها الحركة الصهيونية في فلسطين والتضحيات التي يقدمها الحالوصيم (الرواد) الذين نذروا أنفسهم لتحقيق الهدف الصهيوني « بإعادة بناء فلسطين اليهودية » ، وأهم من ذلك كان الهدف هو أن يتيقنوا من أن الصندوق القومي أحسن الاستفادة بأموال التبرعات التي كانوا يدفعونها ولتشجيعهم على تقديم مزيد من المساهمات .

ومن ناحية أخرى كان أحد أهداف عرض هذا الفيلم جمع الأموال للصندوق القومي سواء من إيرادات العرض أو بانتهاز الفرصة لحث اليهود المصريين على التبرع لتحرير الثرى الفلسطيني ـ على حد قول « لارفيو سيونيست »[76] .

وبعد عرض فيلم « فلسطين الجديدة اليهودية » في مصر توالى عرض الأفلام الصهيونية على الجمهور اليهودي ، فقد عرضت سينما كليبر بالاس في يونيو 1926 ماوصف بأنه دراما تاريخية لإعادة بناء الأرض التي تم التخلي عنها منذ 2000 عام ، وشملت ثلاث فقرات : واحدة بعنوان « فلسطين القديمة » ، وأخرى باسم « أرض فلسطين الجديدة » ، وثالثة شملت حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس والخطب التاريخية التي ألقاها كل من اللورد بلفور ، واللورد اللنبي ، وسيرهربرت صمويل المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وذلك لأول مرة في مصر .

وقد قامت لجنة الكيرن هايسود أيضا بجلب الأفلام وعرضها في مصر أسوة بالصندوق القومي اليهودي ، وكان من بين الأفلام التي عرضتها في القاهرة فيلم « فلسطين الفتاة » La Jeune Palestine ، وكان يهدف ـ كما قالت صحيفة « إسرائيل » ـ إلى إثارة اهتمام الأطفال اليهود وأولياء أمورهم بالتقدم المستمر الذي تحرزه المدارس الفلسطينية ، واطلاعهم على الحياة الجديدة التي تولد على أرض إسرائيل .

وفي مقابل هذا النشاط السينمائي الصهيوني في مصر لم يكن لفلسطين أي ذكر على الشاشة العربية أو على وجه الخصوص في السينما المصرية ، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى مجموعة من الأسباب بينها خضوع السينما المصرية بالكامل لسيطرة التجارة خصوصا في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية[77] .

الرموز والشعارات :

يرى المتخصصون في دراسة الرأي العام أن الرموز لها صلة وثيقة بتكوين الاتجاهات المرغوبة أو غير المرغوبة لدى الرأي العام ، فاستخدام الرموز غالبا مايثير استجابات عاطفية قوية لدى الجماهير .

وتعتبر الصور والنماذج غير الحقيقية التي يكونها الفرد أو يجسم بها الأشياء المجردة والجماعات وهي ما يعبر عنها بالصور الجامدة أو القوالب المصبوبة Stereotypes من أكثر الرموز استخداما بالنسبة لعملية الرأي الشعبي ، فالقوالب المصبوبة التي نكونها لأنفسنا تزودنا باتجاهات عملية دائمة تدفعنا لاتخاذ إجراءات معينة بالنسبة للأفكار والأشياء والناس ؛ ولذلك فإن بعض الكلمات أو الفقرات أو الحكم أو الأمثال أو الشعارات أو الأغاني ، أو الصور أو التماثيل أو الإعلام تصبح رموزا مشتركة بالنسبة للجماهير الكبيرة ، فكل الجماعات تنشيء لنفسها هذه الرموز التي تتمسك بها وتصر عليها[78] .

وتعتبر مقاطع الأغنيات الشعبية والكلمات المستخدمة شعارات Slogans ذات أهمية خاصة في مجالات السياسة والإعلام ، ولقد كانت الشعارات منذ الزمن القديم مادة أساسية في المجالات الدينية والسياسية ، واستخدمتها الإعلانات بدرجة كبيرة . أما في المجال السياسي فقد ارتبطت الشعارات بالحركات الشعبية الجماهيرية ، وكانت الشعارات المتعلقة بالاتجاهات السياسية مثل الشعارات الشهيرة كالحرية والمساواة والإخاء ذات أثر بالغ ودائم في التغيير السياسي والاجتماعي ؛ ولذلك يحاول الداعية الذي يتحدث إلى شعوب أخري أن يبحث في تراثها اللغوي عن الحكم والأمثال الشعبية ، التي تتفق هي وثقافة قومه ووطنه كأحد السبل التي تدعم عملية التقمص والتطابق والتقدم بين الشعبين[79] .

وقد استخدمت الرموز والشعارات في العصر الحديث بدرجة كبيرة ومازالت مستخدمة حتى الآن ، فمازلنا نذكر الصليب المعقوف شارة الحزب النازي الألماني والتحية النازية برفع الذراع والأعلام والنشيد الوطني المتميز والزي الموحد ، وغير

ذلك من الرموز والشعارات التي كان لها أثر كبير في دعم الاتجاهات لدى الرأي العام .

ولما كان تيودور هرتزل متأثرا إلى حد كبير بالدعاية الألمانية في عهد بسمارك وجدناه يعلق أهمية كبيرة على الشعارات والرموز في الدعاية من أجل نشر الفكرة الصهيونية بين اليهود ، فهو يتحدث إلى البارون هيرش عن الراية وأهميتها كرمز فيقول : « يجب أن أخبرك عن الراية التي سأرفعها وكيف ، وعندما تسألني ساخرا وماهي الراية ؟ إنها مجرد عصا عليها شريطة ! لاياسيدي .. الراية شيء أكبر من ذلك ، بالراية يمكننا قيادة الرجال أينما نريد ، حتى الأرض الموعودة . من أجل الراية يحيا رجال ويموت آخرون . إنها حقا الشيء الوحيد الذي يموتون من أجله جماعات إذا تم تدريبهم على ذلك . صدقني إن سياسة شعب بأكمله ، يمكن تحقيقها فقط بواسطة تلك الأشياء الرقيقة التي ترفرف في الهواء خصوصا إذا كان شعبا موزعا في جميع أنحاء العالم .

« هل تعرف ما الذي ساهم في إنشاء الإمبراطورية الألمانية ؟ الأحلام والأناشيد والخيالات ، وشرائط سوداء وحمراء ومذهبة . ولقد كان مافعله بسمارك هو أن قام بهز تلك الشجرة التي زرعها الحالمون »[80] .

من هنا جاء اهتمام الحركة الصهيونية بخلق الرموز والشعارات التي يمكن أن تقوم بتعزيز اتجاه اليهود نحو العودة إلى أرض فلسطين ، فكان نشيد « هاتيكفا »[*] أحد هذه الرموز هاتيكفاه كلمة عبرية معناها « الأمل » ، وهي اسم نشيد الحركة الصهيونية والنشيد القومي لإسرائيل بعد ذلك ، وقد كتبه نافتالي هرز أمبر عام 1886 ، وتصاحب النشيد موسيقى شعبية يرجع أصلها إلى أوربا الوسطى (ألمانيا ، بولندا ، رومانيا) . والنشيد يتحدث عن أمل عمره ألفا عام ـ أمل الشعب اليهودي في العودة إلى المدينة التي كان يقطنها داود وإلى أرض الآباء ، ليجد الحرية والسلام

(*) (نقلا عن : عبدالوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) .

هناك ، والنشيد تلخيص جيد للتعريف أو التبرير الصهيوني للقومية اليهودية ، فهي قومية لاتستند إلى أي واقع تاريخي أو جغرافي محسوس وإنما تستند إلى حلم وأمل أناس لا يتحدثون اللغة نفسها ، ولايقطنون الأرض نفسها ولاينتمون إلى التقاليد الحضارية نفسها ، ولايشاركون في صنع التاريخ نفسه ؛ لأنه انقطع منذ ألفي عام .

من ناحية أخرى كانت الراية الصهيونية ذات اللونين الأزرق والأبيض ونجمة داود(*) السداسية من أبرز الرموز التي استخدمتها الحركة الصهيونية ، ومن الواضح أنه لا النشيد الصهيوني ولا نجمة داود كانا من ابتكار الحركة الصهيونية ، وإنما اكتفت الحركة بهز الشجرة التي كان الحالمون قد زرعوها ، كما يقول هرتزل .

لقد كانت نجمة داود و العلم الصهيوني ونشيد هاتيكفا قاسما مشتركا في كل الاحتفالات والاجتماعات التي أقامتها الحركة الصهيونية في مصر ، إذ لم يخل حفل أو مناسبة من الرايات الصهيونية وماجن دافيدو هاتيكفا فقد كانت هذه الرموز الثلاثة هي أساس القومية اليهودية .

وإلى جانب هذه الرموز استخدمت الدعاية الصهيونية عددا كبيرا من الشعارات استقت بعضها من التراث الديني والبعض الآخر من الفكر الصهيوني ، فعلى سبيل المثال كانت مجلة « لارفيو سيونيست » في مصر تنشر ـ إلى جانب نجمة داود التي اتخذتها شعارا لها ـ مجموعة من الشعارات باللغة العبرية في رأس الصفحة الأولى من كل عدد ، وكانت هذه الشعارات تقول : « إذا نسيتك ياأورشليم أنسي يميني » و « ليس بالسلاح ولا بالقوة ، ولكن بالروح » .

(*) نجمة داود أو ماجن دافيد كما يطلقون عليها في العبرية معناها الحرفي درع داود ، وهذا الشكل الهندسي لاتوجد أية إشارة إليه في التوراة أو في التلمود . وعلى الرغم من أن هذه النجمة وجدت مرسومة على بعض المعابد في القرن الثالث الميلادي فإنها وجدت قبل ذلك وبصورة أكثر شيوعا في بيئات غير يهودية (في المعابد الرومانية ثم في الكنائس المسيحية) ، ولكن لم تستخدم النجمة كشعار لليهود ككل إلا في القرن السادس عشر تقريبا ، وقد استخدمتها الحركة الصهيونية شعارا لها ثم أصبحت شعارا لدولة إسرائيل يظهر على العلم الإسرائيلي الآن (نقلا عن عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية وإسرائيل) .

ومن ناحية أخرى كانت صحيفة « إسرائيل » الفرنسية تنشر في الآذن اليمني من صفحتها الأولى كما مر بنا _ الأقوال المأثورة للزعماء والمفكرين الصهانية في محاولة لجعلها شعارات لقرائها ، كذلك فعلت صحيفة « لورور » التي اتخذت من شعار مجلة « دي فلت » التي أصدرها هرتزل شعارا لها ، كما حاولت أيضا أن تجعل من تصريح وايزمان بأن « الوطن القومي سيكون حقيقة واقعة خلال جيلنا شعارا وهدفا في الوقت ذاته ، ولاشك في أن عبارة العام القادم في أورشليم » التي كان اليهود يتبادلونها في الأعياد والمناسبات قد أصبحت واحدة من أقوى هذه الشعارات .

النداءات :

اعتمدت الحركة الصهيونية أيضا على النداء Appel كوسيلة للتعبئة وجمع التبرعات ، وكان معظم النداءات الموجهة للجمهور اليهودي صادرة إما عن الصندوق القومي اليهودي ، أو عن المنظمة الصهيونية في مصر ، أو عن المنظمة الصهيونية العالمية ، وكانت الصحف اليهودية تقوم بنشرها ، أو يجري طبعها وتوزيعها على شكل المنشورات .

وقد تميزت لهجة النداءات الصادرة عن مكتب الصندوق القومي اليهودي أو المنظمة الصهيونية في مصر بأنها كانت تخاطب في معظمها _ اليهودي كفرد ، حتى يشعر بأنه وحده المقصود بهذا النداء ، وبأن الحديث موجه إليه شخصيا ، وكان لهذا الأسلوب مميزاته حيث إنه كان من شأنه أن يثير في اليهودي الإحساس بالمسئولية وبالذنب في الوقت نفسه _ إذا تقاعس عن تلبية هذا النداء .

من ناحية أخرى كان يتم توجيه نداءات التبرع إلى يهود مصر وليس إلى صهيونيي مصر ، فقد كان عدد الصهيونيين قليلا بالدرجة التي لا تسمح بالاعتماد عليهم وحدهم في تمويل ذلك المشروع الاستيطاني الصهيوني الكبير ، ولذلك نجد أن الصندوق القومي اليهودي وهو مؤسسة صهيونية يوجه نداءاته إلى يهود مصر محاولا أن يثير فيهم من خلال تلك النداءات الشعور بالواجب نحو المساهمة في إعادة شراء « أرض إسرائيل » والإحساس بالذنب إزاء ماكان ينزل بإخوانهم في أوكرانيا وبولندا

وغيرهما ممن أجبروا على مغادرة تلك البلاد بعد أن جردوا من كل شيء ، ولذلك نجد الصندوق القومي يقول في أحد نداءاته الموجهة إلى يهود مصر(82) :

« إن يهود مصر عليهم واجب واضح جدا ، إنهم الذين ظلوا بعيدا عن دمار الحرب العالمية (الأولى) ولم تمسسهم نتائجها ، عليهم واجب ملح بتقديم تضحية صغيرة على الأقل لصالح قضيتهم .

« إخواني ! مئات الآلاف من إخواننا في أوكرانيا وبولندا .. إلخ مجردون من كل شيء ، يرسلون من حدود إلى أخرى ، هؤلاء البائسون ينادوننا بأعلى صوت ، وكل يهودي مازالت لديه ومضة من الضمير يستطيع أن يستمع إلى هذا الصراخ : إخواني أعيدوا شراء أرض إسرائيل . إخواني ادفعوا نصيبيكم حتى نجد ملجأً في بلادنا . إخواني أنتم أيها الناعمون في البلاد الحرة أينما كنتم لاتنسونا » .

وكانت المنظمة الصهيونية في مصر تخص أعضاءها ببعض نداءاتها خصوصا فيما يتعلق بالنشاط الذي ينبغي عليهم أن يقوموا به إزاء تجنيد أعضاء جدد في المنظمة وبالنسبة للنشاط الدعائي الذي كان يتعين عليهم القيام به في أوساط اليهود في مصر ، كما دأبت مجالس الطوائف والمحافل اليهودية في فلسطين على توجيه نداءاتها إلى يهود مصر ؛ كي يخفوا إلى نجدتهم كلما شعروا بحاجة ملحة إلى الدعم المادي .

لقد كان النداء إحدى وسائل التعامل النفسي التي لجأت إليها الدعاية الصهيونية للتأثير على اليهود في مختلف الأعمار ومن مختلف الاتجاهات ، فقد كان النداء يخاطب دائما عواطف اليهود في محاولة تحقيق رد فعل سريع ، ولذلك كانت كلماته تصاغ في عبارات تستهدف إثارة مشاعر الخوف أو القلق ، والعطف والشفقة .

* * *

الفصل الرابع

الدعاية الصهيونية في مصر
وأساليب التأثير على الجمهور اليهودي

لاشك في أن الدعاية بالمفهوم الذي سبق أن قدمناه تعني نوعا من التعامل النفسي ، فنظرا لأنها تسعى إلى الحصول على استجابة فورية ورد فعل قوي ، نجدها تتجه إلى العواطف ، والانفعالات لا إلى العقل والمنطق ، ولاجدال في أن هذه العواطف والانفعالات تدخل في إطار الجانب السيكولوجي للإنسان .

وإذا كانت الدعاية الصهيونية قد حققت نجاحا سريعا مع يهود أوربا الذين كانوا مهيئين لتقبل عمليات الشحن العاطفي التي قام بها الصهيونيون بسبب الأحداث التي مروا بها فقد كان يتعين على هذه الدعاية أن تنشط بعض الشيء مع اليهود المصريين الذين كان وضعهم مختلفا ، فقد كان يهود مصر _ كما ذكرنا آنفا _ يعيشون في أمن تام ، ولم يتعرضوا لأي نوع من الاضطهاد أو التمييز على الأقل منذ عهد محمد على ، بل إنهم بدءوا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في تخطي حاجز العزلة التي كانوا يفرضونها على أنفسهم داخل الجيتو (حارة اليهود) ليلعبوا دورا في حياة مصر السياسية والاقتصادية .

وبينما كان يهود أوربا الشرقية يعانون الامتهان والتهديد والعزلة داخل الجيتو ، وكان أثرياء اليهود في مصر يعيشون في أحياء قصر النيل والزمالك وجاردن سيتي ومصر الجديدة ، ويعملون بأعداد كبيرة في بلاط حكام مصر من أعضاء أسرة محمد على .

خلاصة القول لم يكن اليهود المصريون في وضع يجعلهم مهيئين للتجاوب مع الحركة الصهيونية حال ظهورها ، فقد كانت حسابات العقل والمنطق تمنعهم من التضحية

بمصالحهم والمخاطرة بالوضع الممتاز الذي كانوا يتمتعون به في مصر ، جريا وراء أحلام كانت تبدو للكثيرين منهم صعبة التحقيق إن لم تكن مستحيلة المنال ، وإزاء ذلك كان على الصحافة الصهيونية أن تنحي العقل جانبا وتسلك الجانب النفسي سعيا إلى الحصول على تأييدهم للفكرة الصهيونية ودعمهم لها .

ومن أبرز أساليب التعامل النفسي التي مارستها الدعاية الصهيونية في مصر نذكر مايلي :

التنشئة الاجتماعية :

يعرف البعض عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تكييف الطفل لبيئته الاجتماعية وتشكيله على صورة مجتمعه ، وصياغته في القالب والشكل الذي يرتضيه ، فهي عملية تربية وتعليم تضطلع بها الأسرة والمربون بغية تعليم الطفل الامتثال لمطالب المجتمع ، والاندماج في ثقافته ، والخضوع لالتزاماته ، ومجاراة الآخرين بوجه عام .[1]

وتنطوي عملية التنشئة الاجتماعية على اكتساب تلك العادات والتقاليد والمعتقدات والاتجاهات ، والدوافع التي تمكن المرء من القيام بكفاءة بالأدوار التي يتوقعها منه المجتمع ، فالتنشئة الاجتماعية إذن هي تلك العملية التي تخلق للمجتمع صورته الموحدة من خلال تذويب الجيل المعاصر في المجتمع الذي يعيش فيه ، ثم قيام هذا الجيل بغرس ما يود غرسه من قيم وأفكار في الجيل التالي له[2] .

ونظرا لأن الدولة الصهيونية التي سعت الحركة الصهيونية إلى إقامتها على أرض فلسطين كان ينبغي أن تضم خليطا متنافرا من البشر ، لذلك فقد احتلت عملية التنشئة الاجتماعية أهمية خاصة بالنسبة لهذا المجتمع ، بل إننا نستطيع أن نقرر حقيقة واقعة ، وهي أن عمليات التنشئة الاجتماعية لهذا المجتمع بدأت قبل إنشائه بفترة طويلة ، وحيثما وجدت طائفة يهودية ، فقد كان من الحماقة انتظار تجميع هذا الخليط المتنافر من اليهود على أرض فلسطين للبدء في تنشئته الاجتماعية المطلوبة ، ولذلك

نجد أن عمليات التنشئة هذه بدأت فور انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 في كل مكان من العالم عاشت فيه طائفة يهودية ، فقد كان نجاح العمل الصهيوني في فلسطين يتوقف على مدى مايمكن غرسه من قيم واتجاهات في أطفال الدياسبورا (الشتات) وشبابها ، الذين كانت الحركة الصهيونية تتطلع إلى نقلهم إلى الوطن القومي ، وعلى مدى التجانس الذي يمكن تحقيقه بينهم .

وإذا كانت الأسرة هي من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع وإذا كانت السيطرة على تلك المؤسسة ليست بالأمر الهين ، فقد انعقد أمل القائمين على الحركة الصهيونية على المؤسسات الطائفية التي تساهم في عملية التنشئة ، والتي كان من السهل عليهم احتواؤها والسيطرة عليها ، وقد عبر لوسيان شوتو صاحب جريدة « لورور » عن ذلك بقوله : « إن العمل الصهيوني ينبغي تقسيمه قسمين : قسم للعمل الداخلي ، وآخر للعمل الخارجي . وفيما يتعلق بالعمل الداخلي – وهو ذو أهمية أكبر – سيسعى إلى الاستيلاء على إدارة الطائفة ، ثم على المدارس لأنه بواسطة المدرسة نستطيع أن نصل إلى خلق جيل يهوذي على وعي بواجباته نحو الشعب اليهودي ، وهذا العمل الطائفي الداخلي هو الذي سيمهد الطريق لعمل فلسطيني شامل »[3] .

كان الاستيلاء على إدارة الطائفة إذن هو السبيل إلى السيطرة على المدرسة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية – التي تخضع لإشراف مجلس الطائفة – والتي تقوم بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية ، ولذلك نجد صحيفة « إسرائيل » تدعو الصهيونيين في مصر بمناسبة الانتخابات الطائفية إلى منح المرشحين القوميين أصواتهم ، كما قام ألبرت موصيري رئيس تحريرها بتذكير أصدقائه الصهيونيين بأن هرتزل أوصاهم بالغزو .. » غزو الطوائف ، قبل إي شيء آخر ، إذا كانوا يريدون تحقيق هدفهم » ، ثم دعا الصهيونيين إلى التوجه إلى صناديق الاقتراع ليضعوا بطاقاتهم التي سيسجلون عليها أسماء صهيونية على أمل أن ينجحوا في توصيل مرشحيهم أو أحدهم إلى اللجنة الطائفية مثلما حدث في الإسكندرية[4] .

وقد أفلح بعض الصهيونيين في الوصول إلى مجلس الطائفة سواء في القاهرة أو في

الإسكندرية ففي القاهرة كان من بين أعضاء مجلس الطائفة عام 1917 إسحق بناريو وألبرت حاييم ، والاثنان كانا يمارسان العمل الصهيوني ، وقد انضم الأول إلى عضوية اللجنة المركزية الصهيونية عام 1923 في حين انتخب الثاني لعضوية اللجنة نفسها عام 1921.

أما في مدينة الإسكندرية فقد بدأت سيطرة الصهيونيين على مجلس الطائفة منذ فترة مبكرة ، ففي عام 1914 نجد إدجار سوارس أحد كبار الرأسماليين اليهود على رأس مجلس الطائفة ، وعلى رأس جمعية أنصار الثقافة الإسرائيلية ذات الميول الصهيونية .

وقد استمر تغلغل اليهود الصهيونيين داخل المجالس الطائفية فيما بعد ، الأمر الذي أتاح لهم فرصة النجاح في توجيه سياسة التعليم داخل مدارس الطائفة بما يتفق والأهداف الصهيونية .

وإلى جانب المدرسة الطائفية استخدمت الحركة الصهيونية المعابد والمحافل في عملية التنشئة الاجتماعية ، وقد ساعدهم على ذلك انتشار المعابد والمحافل في الأحياء التي يقطنها اليهود بأعداد مناسبة ، ووجود حاخامات متعاطفين والحركة القومية اليهودية أمثال ديللا بيرجولا ودافيد براتو في الإسكندرية ، وحاييم ناحوم أفندي في القاهرة .

وإلى جانب المدارس والمعابد والمحافل كانت هناك الجمعيات والأندية الطائفية والصهيونية التي استطاع الصهيونيون أن يقوموا من خلالها بدورهم في عملية التنشئة الاجتماعية للشباب اليهودي ، وكان من أبرز هذه المؤسسات الاجتماعية نادي المكابي الرياضي الذي كان يخضع مباشرة لاشراف المنظمة الصهيونية سواء في القاهرة أو الإسكندرية ، ولم يكن هدف نادي المكابي منذ تأسيسه مجرد الاهتمام بالرياضة وبناء أجساد الشباب فحسب بل أعلن أن برنامجه هو إيقاظ الوعي القومي اليهودي ، وتنمية الروح المعنوية وخلق إحساس التضامن في نفوسهم[5] .

وكانت الأندية والجمعيات الشبابية اليهودية هي المكان الذي سعى من خلاله

القائمون على الحركة الصهيونية إلى ممارسة تأثيرهم في عملية التنشئة الاجتماعية للشبان اليهود الذين كانوا يتلقون تعليمهم خارج المدارس الطائفية التي لم يكن لليهود أي سيطرة عليها ، يتضح لنا ذلك من الكلمة التي ألقاها سيمون ماني أحد مؤسسي جمعية الحشمونيين الرياضية الأدبية اليهودية بالإسكندرية حيث يقول :[6]

« لقد أردنا بإنشاء هذه الجمعية توحيد هؤلاء الأطفال المتفرقين داخل إخوة يهودية ، وفي ظل جو يهودي .. لقد أردنا أن نحيي بداخلهم هذه السلسلة الإسرائيلية الجذابة .. لقد أردنا تعليمهم حقوقهم وواجباتهم التي اختلت بسبب دخولهم مدارس مختلفة ، أو بسبب انتمائهم إلى طبقات متباينة ، لقد أردنا تنشئتهم جميعا على حب اسم اليهودي ، وتعريفهم كيفية رفع هذا الاسم عاليا بين الأمم .. لقد أردنا خلق نواة أسرة إسرائيل الكبيرة منذ الطفولة وتوثيق عرى التضامن التي تميل الثقافة الحالية إلى إهمالها شيئا فشيئا » .

ويمضي سيمون ماني قائلا .. « إننا نقوم بعمل مقدس .. وشيئا فشيئا سنغرس في هذا العقل الشاب حب شعبه ، إننا سنفهمه عظمة ماضيه بأن نشرح له تاريخه الذي يمتزج بتاريخ الإنسانية جمعاء . إننا نصحح شخصيته بالنظام ، ويوما في الأسبوع يتحد هؤلاء الأطفال دون أي نوع من التمييز الطبقي تحت زي واحد ، ويمتزجون ليشكلوا هيئة يهودية واحدة .. لقد بدأنا بالفعل بالقضاء على الفروق الاجتماعية التي تفصل بين أطفال الطائفة الواحدة .... إن أطفال الطبقة الميسورة سيحملون إلى إخوانهم شيئا من نبل الشخصية ، الآخرون سيقل إحساسهم بهوة الاختلاف الطبقي ، وسيسعون إلى إظهار أهليتهم لهذه الزمالة .

« هؤلاء الأطفال الذين ستحيط بأعناقهم الشابة الألوان الزرقاء التي تثير ذكريات ماضينا المجيد سيلعبون ويغنون ويضحكون معا ، وأمام أعينهم تخفق تلك الراية الألفية لماجن دافيد (نجمة داود) التي كانت شعارا لإسرائيل خلال قوته وعظمته ، والتي أمدت اليهود بالقوة عند انهيارهم ، وفي شتاتهم .. »

إن عملية التنشئة الاجتماعية لليهود استهدفت تحقيق ما يلي :

1 – تربية الشبيبة اليهودية على حب إسرائيل وأرض إسرائيل وشعب إسرائيل .

2 – إلغاء الفوارق الطائفية والطبقية والقضاء على التشيع بين اليهود بهدف خلق جيل يهودي يسوده الانسجام والتوافق والتضامن .

3 – نشر اللغة العبرية التي ستكون لغة التفاهم بين الخليط اليهودي غير المتجانس على أرض فلسطين .

4 – الاهتمام بالبناء الجسدي إلى جانب الاهتمام بالبناء الروحي للإنسان اليهودي حتى يكون قادرا على مواجهة التحديات التي ستواجهه إذا هاجر إلى فلسطين .

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية قد اعتمدت بصورة أكبر على الاتصال المباشر ، فإن الصحافة الصهيونية مهدت الطريق أمام الصهيونيين للاشتراك فيها ، كما قامت بتوجيهها وفقا لمتطلبات الحركة ، بل شاركت من خلال ماكانت تنشره لأبناء الطائفة شبابا وشيوخا .

خلق الاحساس بالقلق والذنب والعداء : Anexiety,Guilt and Hostility

ومن أبرز أساليب التأثير النفسي التي استخدمتها الدعاية الصهيونية في مصر أسلوب خلق الاحساس بالقلق والذنب والعداء الذي شاع استخدامه في النصف الأول من القرن العشرين من قبل الأنظمة الدكتاتورية ، وخاصة النظامين الشيوعي والفاشي ، بهدف تحقيق الوحدة الوطنية ، وحشد جماهير الأمة وراء القائد أو الزعيم ، ودفعها إلى التفكير بالطريقة التي تريدها الزعامة ولم تجد هذه الأنظمة أفضل من عدو مخيف قبيح لتهديد أمن أبناء الأمة ، ولم يكن هذا العدو بالضرورة رجلا أو أمة أو ظاهرة طبيعية، وإنما كان يمكن أن يكون فكرة أو شيئا من هذا القبيل(7) .

وقد وجد خبراء الدعاية أن الإنسان الذي يشعر بالخطر ولايستطيع التعامل والموقف الذي يثير قلقه ومخاوفه من المحتمل أن يتحول إلى العنف وقد يكون رد فعله عدوانيا ، أما إذا كان يعرف مسبقا أنه لايملك الوسائل التي تمكنه من التعامل والموقف ، أو كان يعرف أنه سيتعرض للعقاب جزاء تصرفه ، فإنه قد يضطر إلى

كبح مشاعره ، وقد يؤدي ذلك إلى إحساسه بالعجز أو الذنب .

وعند إحساس الإنسان بالعجز أو الضعف يظهر في تلك اللحظة ميكانيزم نفسي يعرف باسم النكوص أو الارتداد Regression ، وهي حالة يعود فيها الفرد إلى أنماط السلوك الطفولي ليجد من يحميه ويحل له مشكلاته ، وعندما يصبح عدد كبير من الناس في مثل تلك الحالة ، يجد الداعية فرصته ، فالجماهير في هذه الحالة ستصبح أطفالا مرة أخرى ، وسترحب بالحل الذي يقدمه لهم الداعية ، وستكون مستعدة للانقياد له .

ومن ناحية أخرى يمكن أن يتطور الإحساس بالقلق والخوف إلى ما يسمى بالنظرية النفسية للقلق والذنب Psycological Theory of Anxiety and guilt فالإنسان الذي يشعر بالأمن ويرى أبناءه أو إخوانه يتعرضون للخطر دون أن يتدخل ، ستطور إحساسه بالقلق إلى قدر من الشعور بالذنب ، وهنا فإنه يلجأ إلى الدين ، ويكون مستعدا للتكفير عن ذنبه[8] .

ونظرا لأن الدعاية الصهيونية تأثيرت بالدعايات المعاصرة لها إلى حد كبير ، نجد أن الصحافة اليهودية في مصر لجأت إلى استخدام هذا الأسلوب على نطاق واسع ، لحمل اليهود المصريين على تأييد الفكرة الصهيوينة وتقديم الدعم الذي تريده منهم .

ولقد كان العدو المخيف والوحش القبيح الذي استخدمته الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية ؛ لتهديد أمن اليهود المصريين وإشعارهم بالخطر هو « معاداة السامية » .

ولقد وجد القائمون على الصحافة اليهودية أن استخدام سلاح « معاداة السامية » في أوربا كان أمرا مقبولا ، أما في العالم العربي ، وفي مصر بالذات فإن شهر هذا السلاح لم يكن أمرا منطقيا ، أولا لأن مصر لم تعرف « معاداة السامية » وثانيا لأن المصريين عرب ينتمون إلى الجنس السامي الذي ينتمي اليه اليهود أنفسهم ، ولذلك وجدنا صحيفة « لورور » تقدم معاداة السامية على أنها نوع من الحقد المتبادل « Haine Réciproque بين الأجناس والشعوب والقبائل والجماعات الدينية و العقائدية ، وأنها ترجع إلى شعور عام بين البشر أكثر منه إلى كراهية اليهود .

وحتى تسوغ الدعاية الصهيونية مقولتها عن « الحقد المتبادل » نجد الدكتور جوزيه بوشميل مندوب الكيرن هايسود إلى مصر يكتب في مقال بعنوان « مستقبل الجنس اليهودي »[9] « أن هناك شبه قانون عام وهو أن يكره أي شعب كل ماهو ليس منه ، وكل مالا يتشابه معه في السمات الطبيعية واللغة والديانة وغيرها ، فالمسلمون يكرهون الديانات المسيحية واليهودية والبوذية ، والمسيحيون يحتقرون الديانات الأخرى ، وبالمثل فإن اللغة الانجليزية وقعها سيئ في أذن الفرنسي والألماني والروسي » .

ويخلص بوشميل من كل ذلك إلى أن « معاداة السامية » هي إحدى حالات الحقد المتبادل بين الشعوب ، وأنها بالنسبة لليهود أكثر سوءا من الحالات الأخر ، وماذلك إلا لأن الشعب اليهودي يختلف اختلافا كبيرا عن الشعوب الأخرى ، أكثر مما تختلف الشعوب الأخرى فيما بينها .

أما لوسيان شوتو صاحب جريدة « لورور » فقد صور « معاداة السامية » على أنها « وباء معاداة اليهود » La Peste antijuive وقال : « إن هذا هو ما يجب أن نطلقه على معاداة السامية ، لأنها مثل الوباء المخيف الذي ينتشر هنا وهناك دون سبب واضح ، فهو اليوم في الشمال وغدا في الجنوب فمن النمسا القديمة الموطن الأول لمعاداة السامية ، انتشرت في شرقي أوربا كلها ، ثم من فرنسا حيث تفجرت قضية دريفوس[*]إلى ألمانيا .. ثم هاهي ذي تنتقل من أوربا وأمريكا إلى أفريقيا حيث كانت تونس من أوائل الدول التي أصيبت بهذا الوباء والآن الجزائر »[10] .

مما سبق يتضح لنا أن الدعاية الصهيونية في مصر حاولت استخدام سلاح « معاداة السامية » تحت أسماء مختلفة لتهديد الأمن الذي كان يشعر به اليهود في البلاد ، بهدف إثارة مشاعر الخوف والقلق بداخلهم حتى يضطروا أمام شعورهم بالضعف والعجز

(*) ألفريد دريفوس ضابط يهودي فرنسي اتهم بالتجسس لحساب الألمان ، وحكم عليه بالنفي إلى جزيرة الشيطان ، ثم برئت ساحته وأعيد إلى فرنسا ، وقد بالغت الصهيونية في هذه القضية واستغلتها لاقناع اليهودية بحتمية الحل الصهيوني للمسألة اليهودية .

عن مواجهة هذا الوباء الخطير إلى تسليم قيادهم للحركة الصهيونية ، والقبول بالحل الذي تطرحه عليهم ، ولاشك في أن لوسيان شوتو كان موفقا إلى حد ما في استخدام كلمة وباء لنسف آخر أمل لليهود للعيش في أمان وسط المحيط السامي العربي في مصر ، خصوصا بعد أن وصل وباء معاداة السامية إلى بلدين عربيين ساميين هما الجزائر وتونس على حد قوله .

و لم تكن صحيفة « لورور » وحدها هي التي حاولت التشكيك في الأمن الذي كان يتمتع به اليهود في مصر ، وإنما دأبت باقي الصحف اليهودية على ترديد النغمة نفسها من خلال نشرها أخبار بعض حوادث الاعتداء على اليهود فالبلاد العربية الأخرى ، التي ينتمي أبناؤها إلى الجنس السامي أيضا ، فتذكر مجلة « لارفيو سيونيست » أنه يتم فرض الإسلام على اليهود في اليمن بالحديد والنار[11] ، وأن مشاعر اليهود في بغداد تتزايد .

وقد حاولت « لارفيو سيونسيت » أن تبث المخاوف في نفوس اليهود المصريين من قرب ظهور معاداة السامية في مصر ، فتذكر أنها علمت من مراسل صحيفة « دوار هايوم » التي تصدر في فلسطين ، أن الشيخ أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين وبصحبته مفتي القدس وسكرتيره يقومون بإثارة موجة معادية للسامية والصهيونية في كل الأوساط بالقاهرة ، كما تنشر نبأ عن إلقاء القبض على كامل الدجاني الكاتب الفلسطيني المعادي للصهيونية في القاهرة[12] .

وحتى تسد الصحافة الصهيونية جميع الطرق أمام اليهود ، كتب ألبرت كوهين يقول : إن حركة التحرير أو الانعتاق **emancipation** المدني والسياسي التي ظهرت في أوربا وأمريكا لم تحل المشكلة اليهودية ، وأن البلاد التي حررت اليهود لم تتجرد بعد من معاداة السامية ، ولذلك أصبح وضع الإسرائيليين فيها أكثر زيفا عن ذي قبل ، بل إن اليهود الذين آمنوا بالتحرر يتعرضون للوم بتهمة إفساد المجالات السياسية والمالية والفنية ، كما أنهم يتعرضون للوم بسبب قدرتهم على الاندماج ومرونتهم فيه[13] .

ومن الملاحظ أن الصحافة اليهودية في مصر اعتمدت على الأخبار أساسا كوسيلة لخلق الإحساس بالخوف والقلق والذنب لدي اليهود في مصر مستفيدة في ذلك بالخبرة المكتسبة من أساليب الدعاية ، التي مارستها كل من أطراف النزاع في الحرب العالمية الأولى ، إذ يذكر ويل إيروين Will Irwin في كتابه « الدعاية والأخبار - وما الذي يجعلك تعتقد هكذا ؟ » إن الأخبار كان لها أثر كبير في إنهاء حياد الولايات المتحدة ، ودخولها الحرب إلى جانب الحلفاء ، فقد عمدت بريطانيا إلى نشر سيل من الأخبار التي تتحدث عن الفظائع التي يرتكبها الألمان ضد الشعوب الأوربية المحايدة مثل بلجيكا ، وكيف أنهم انتهكوا حياد تلك الدولة الأوربية ، وقاموا بقطع أيدي الأطفال هناك ؛ كي لايحاربوهم في المستقبل ؛ حتى تبث الذعر والخوف في الدول المحايدة ، وخاصة الولايات المتحدة ، بهدف الحصول على عطفها وتأييدها ، وقد أثبتت هذه الخطة نجاحها حين خرجت الولايات المتحدة عن حيادها ، وأعلنت انضمامها إلى الحلفاء[14] .

من هذا المنطلق نجد الصحافة اليهودية قد خصصت نسبة كبيرة من مساحتها للأخبار ، ويتضح لنا ذلك إذا علمنا أن عدد الصفحات التي كانت مخصصة للأخبار في « لارفيو سيونيست » لسان حال المنظمة الصهيونية ، كانت تتردد بين سبع صفحات وعشرين صفحة من العدد الواحد الذي يبلغ عدد صفحاته 34صفحة فقط ، فيما عدا صفحات الإعلان .

وبحساب متوسط صفحات الأخبار بالنسبة لكل عدد من « لارفيو سيونيست » على مدى العام بأكمله كانت النتيجة 12 صفحة تقريبا خلال عام 1922 و13 صفحة تقريبا خلال عام 1923 ، ومعنى ذلك أن الأخبار كانت تحتل نحو ثلث مساحة المجلة تقريبا .

أما في صحيفة « إسرائيل » فكانت الأخبار تحتل نحو نصف المساحة المخصصة للتحرير في معظم الأحيان ، ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن باقي الصحف اليهودية الناطقة بالفرنسية . وكانت الأخبار في جميع الصحف اليهودية تنقسم ثلاثة أقسام :

قسم يتناول أخبار اليهود في جميع أنحاء العالم ، وقسم ثان يتناول أخبار اليهود في فلسطين ، وقسم ثالث يختص باخبار الطوائف اليهودية في مصر .

وقد اعتمدت الصحافة اليهودية على الحدث في أثناء اهتمامها بالأخبار ، فمن المعروف أن الرأي شديد الحساسية بالنسبة للأحداث المهمة ، كما أن الأحداث الخطيرة قادرة على تحويل الرأي العام إلى النقيض في فترة وجيزة ؛ ولهذا اعتمدت الدعاية الصهيونية على الأحداث في توجيه الرأي العام اليهودي هنا في مصر نحو اتخاذ مواقف إيجابية ، لاتقتصر على مجرد التعاطف أو التأييد ، وأنما تتجاوزهما إلى العمل الفعلي . وقد عبرت « صحيفة « لورور » عام 1925 عن أهمية الأحداث حينما تطلعت إلى حدث عالمي جديد يكون على مستوى تصريح بلفور أو قرارات سان ريمو يمكن به وقف التدهور في صفوف الحركة الصهيونية في مصر ، ويمكنها من الحصول على مزيد من الأنصار .

من هنا كانت الأخبار التي تنشرها الصحف اليهودية تنقل أنباء الأحداث التي تقع في العالم اليهودي بحلوها ومرها ، ولكن كانت أخبار الاضطهادات والمذابح تتفوق على ماعداها من أخبار ، فلم يخل أي عدد من أي صحيفة من أخبار تتحدث عن أطفال يموتون من الجوع في أوكرانيا مثلا ، أو حوادث اغتيال وقتل لليهودفي أوربا الشرقية ، أو مذابح في رومانيا وبولندا ، أو اضطهادات في تونس واليمن .. وغيرها ، وكانت هذه الأخبار تحدث أثرها على الرأي العام اليهودي في مصر ، ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى أن برقية لرويتر نشرتها مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » عام 1917 ، تنبئ عن أن يهود فلسطين يعانون من الجوع والعطش ومن الأمراض بسبب الجفاف ، وبأنه لم يبق في القدس إلا 24 ألف يهودي بعد أن كان عددهم 55 ألفا ، كانت السبب في اجتماع الأحد الذي عقده يهود الإسكندرية وقرروا فيه إنشاء صندوق لمساعدة اليهود في فلسطين ، وكتبوا إلى روتشليد ؛ كي يطلب إلى القوى الحليفة التدخل لإنقاذ يهود فلسطين .

من ناحية أخرى سعت الصحافة اليهودية إلى تعزيز الشعور بما يسمى بعقدة

الذنب لدى اليهود المصريين ، فهي تحاول تصوير المساعدة التي يجب أن يقدموها إلى يهود فلسطين على أنها واجب قومي ، أو فرض ديني يقع عليهم وزر التقاعس عن أدائه ، لأنهم بذلك يعرضون الوطن القومي وحياة إخوانهم فيه للخطر ، وهي تستغل الأمن والأمان الذي يعيشون فيه لخلق الإحساس لديهم بالذنب تجاه إخوانهم المضطهدين والمشتتين في أنحاء العالم ، فتتحدث عن أن اليهود المصريين الذين ينعمون بالأمن والسلام داخل بيوتهم ، ولم يعانوا مثل إخوانهم بسبب الحرب العالمية الأولى ، في حين يذهب إخوانهم إلى فلسطين للكفاح من أجلهم ومن أجل أنفسهم ، عليهم واجب تقديم العون لأولئك الذين يدافعون نيابة عنهم .. لأنهم بذلك يسهمون في إعادة الشعب اليهودي التائه منذ قرون إلى أرض وطنه المفقود[15] .

وأمعانا في زيادة الإحساس بالقلق والذنب أوضحت « لارفيو سيونيست » أن الشعب اليهودي يواجه بديلا مظلما ، فإما إعادة بناء وطن قومي ، أو الوقوع في العبودية وأكدت أن هذه هي اللحظة التاريخية لإنقاذه من الوقوع في العبودية ، لأن الفرصة الضائعة لاتعود ، ولهذا ناشدت يهود مصر القيام بواجبهم نحو آلاف اليهود الذين يقفون على أبواب فلسطين في انتظار مساهمتهم في إعادة بناء الوطن القومي[16] ، ودعتهم في النداءات التي كانت تنشرها إلى أن يتذكروا في أفراحهم إخوانهم الذين لن يفرحوا إلا في أرض إسرائيل[17] .

وقد أفلح أسلوب خلق الإحساس بالقلق والذنب والعداء في تحقيق الاستجابة المرجوة لدى القراء اليهود ، فنظرا لأنهم لم يكن بمقدورهم التصدي للأخطار المحدقة بهم وبإخوانهم ، كان عليهم أن يقبلوا الحل الذي اقترحته عليهم الصهيونية ، وهو المساهمة في بناء الوطن القومي ، وفي إغاثة اليهود الذين يتعرضون للمذابح في أوربا وإنقاذهم ، ولهذا ساهم يهود مصر بجهود ملموسة في إنقاذ يهود روسيا وأوكرانيا ، وفي تمويل عمليات الهجرة والاستيطان اليهودي ، وشراء الأراضي في فلسطين كما سنرى فيما بعد .

تنمية الشعور بالتمايز :

دأبت الصحافة اليهودية خلال فترة صدورها في مصر على تنمية إحساس اليهودي

بتميزه واختلافه عن الآخرين ، ويعني التمايز هنا الامتياز والتفوق ، والنقاء العنصري ، كما يشير إلى معنى أرحب يعني الإحساس بالاختلاف عن بقية البشر جميعا .

ومن الملاحظ أن هذه الصحافة اعتمدت خلال الفترة التي سبقت إعلان الدولة اليهودية على الترويج لفكرة « النقاء العنصري » لليهود مستهدفة تحقيق عدة أهداف ، من بينها مقاومة ميل بعض اليهود إلى الاندماج ، ومحاربة الزواج المختلط الذي بدأ يتفشى بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، وتأكيد صدق ادعاءتها لغير اليهود عن النبوغ والعبقرية ، اللذين يتميز بهما شعب الله المختار ، وعن فضل اليهود على الحضارة الإنسانية .

وفي معرض الحديث عن « النقاء العنصري » لليهود تقول مجلة « كاديما » : أنه من المستحيل تخيل ما كانت ستكون عليه المدنية الحديثة ، لو أنهم استطاعوا مزج الأبناء متعددي الألوان بالنسيج اليهودي .

وحاولت الصحيفة أن تبرز فضل « العنصر اليهودي » على الحضارة الإنسانية في مختلف العصور ، فقالت : إنه في الماضي كانت ديانتهم التي خرجت منها المسيحية والإسلام ، والتي قدمت التوراة ذلك الكتاب المقدس الذي مازال مستمرا من جيل إلى جيل ، أما في العصور الوسطى فأوضحت المجلة دور اليهود في نقل أفضل ما في الحضارة العربية إلى الغرب الذي أقام عليها نهضته ، وفي العصور الحديثة ذكرت أن اليهود تميزوا بإحرازهم نتائج ملحوظة في ميادين البحوث الاقتصادية والأدبية والعلمية .

وحتى لاتتهم مجلة « كاديما » بالتعصب وتشيجع النزعة العنصرية لدى اليهود حاولت أن تبرر دعوتها إلى الحفاظ على النقاء العنصري لليهود بحرصها على التراث الإنساني ، ورغبتها في قيام اليهود بدورهم في خدمة البشرية ، ولهذا فهي تدعي إنه لو لم يستمر اليهود في تكوين طائفة خاصة ، ولو أمكن استيعابهم في الأمم الأخرى ، لما أمكنهم صيانة التراث الإنساني والمحافظة عليه ونقله من جيل إلى جيل .

ومن ناحية أخرى حاولت الصحيفة تبرير محاربتها للزواج المختلط ، على أساس أن اليهود حينما يتزوجون فيما بينهم تنتقل إلى أطفالهم الخصائص العقلية لأجدادهم في حين أن الزواج من عناصر أخرى يقلل هذه الفرص ، كما أنه يسلب اليهود السمات الخاصة التي اكتسبوها خلال تاريخهم ، وبذلك تفقد الإنسانية أفضل عناصرها[18] .

ومن ناحية أخرى اتخذت مجلة « لارفيو سيونسيت » القول بتميز اليهود واختلافهم عن سائر البشر ، كمدخل لتأكيد أن اليهود يشكلون قومية ، وأن من حقهم أن تكون لهم دولتهم بعد أن فشلت حركات التحرر والاستنارة في دمجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها .

وحتي تدلل على صدق ما تقول نشرت المجلة مقالا للعالم اليهودي ألبرت أينشتين ، المشهود له بالنبوغ والتفوق في الدوائر العلمية تحت عنوان : « كيف أصبحت صهيونيا » أشار فيه إلى أن يهود ألمانيا كانوا يعتبرون أنفسهم – منذ جيل تقريبا – جزءا من الشعب الألماني ، وكانوا يشعرون بأنهم مجرد أعضاء في طائفة دينية ، وقال : إنه عندما اختار برلين مقرا لإقامته رأى بنفسه محنة الشباب اليهودي ، وحينما بحث عن السبب في ذلك وجده في النفوذ الذي يمارسه اليهود هناك على الحياة الثقافية والاقتصادية بدرجة تفوق عددهم ، وفي خوف الألمان الذين اعتبروا اليهود قومية مختلفة عن القومية الألمانية ، وشعروا بأنهم مهددون في قوميتهم بسبب النفوذ اليهودي المتزايد .

وقال أينشتين : إن هذه الأحداث وأخرى مشابهة أيقظت عنده الشعور القومي اليهودي وجعلته ينضم إلى الحركة الصهيونية ؛ لأنه رأى وجود القومية اليهودية حقيقة واقعة[19] .

وفضلا عن ذلك سعت الصحافة اليهودية من وراء تعزيز فكرة التمايز عند اليهودي إلى تنظيف صورته من الصفات الشائنة التي علقت به ، واسترداد اليهود ثقتهم بأنفسهم ، واعتدادهم بالانتساب إلى الديانة اليهودية ، التي اكتسب أصحابها كثيرا

من الصفات الممقوتة ، ففي مواجهة شخصية المرابي اليهودي المحتقر ، كان لابد من الترويج لفكرة النبوغ والعبقرية ، التي يتميز بها اليهود دون سائر البشر ، باعتبارهم شعب الله المختار . وذلك لاستعادة الثقة والاحترام المفقودين لدى أبناء الشعوب الأخرى نحو اليهودي ، وخلق الإحساس بالذنب لدى الشعوب التي تضطهد اليهود ، والشعوب التي تلتزم الصمت إزاء ما ينزل بهم ، حثها على اتخاذ موقف إيجابي لحل المسألة اليهودية بتأييد الأماني الصهيونية حتي يستأنف اليهود القيام بدورهم المزعزم في خدمة الإنسانية .

وكما سعت الحركة الصهيونية لإي تعزيز إحساس اليهود بالتمايز عن بقية البشر ، سعت في القوت نفسه إلى خلق الإحساس بالتمايز بين اليهود ، ولم يكن معيار التميز هنا هو التفوق في مجاولات العلوم أو الخدمات الإنسانية ، وإنما كان التفوق في ميدان العمل الصهيوني .

لقد وجد هرتزل أن اليهود كانوا دائما شعبا محتقرا ومردولا ، وأنهم لذلك يتوقون إلى الاحترام والتقدير الذي ظلوا يفتقدونه فترات طويلة ، كما وجد أن تغذية رغبتهم في الإحساس بالتميز والاحترام من خلال منحهم ألقاب الشرف ، سوف يدفعهم إلى المخاطرة بحياتهم ويجعهلم على استعداد لتقديم تضحيات ضخمة ، وسيجعل من السهل عليه توجيههم وقيادتهم إلى حيث يريد[20] .

ونظرا لأن نقطة الضعف لدى اليهودي المضطهد والمحتقر والمطارد بين الشعوب كانت تكمن في رغبته في الإحساس بأهميته ، وبأنه لايقل عن سائر البشر ، وخصوصا أنه يؤمن بانتمائه إلى الشعب الذي احتباه الله دون باقي الشعوب ، قدمت الصحافة اليهودية في مصر العمل الصهيوني كميدان للحصول على الاحترام المفقود ، بل أنها سعت إلى تكريم أولئك الذين يبلون بلاء حسنا فيه لتمييزهم على باقي اليهود ، ولحث المتقاعسين على أن يحذوا حذو إخوانهم تنفيذا للنظرية التي أرساها هرتزل .

وحتى يشعر اليهود الذين يعملون من أجل أهداف الحركة الصهيونية بالتميز والاحترام قامت الصحافة اليهودية بنشر ما كانت تسميه بقوائم الشرف التي تحتوى

على أسماء المتبرعين للمشروعات الصهيونية ، والمبالغ التي كان يتبرع كل منهم بها حتى يشعر الفرد الذي يقدم تضحيات كبيرة بتميزه على من هم دونه ، كما ابتكر الصندوق القومي اليهودي فكرة السجل الذهبي لتغذية الإحساس بالتميز عند المتعاطفين مع الصهيونية ، والحصول منهم في الوقت نفسه على أكبر قدر من المساهمات ؛ ولهذا نجده يصف السجل الذهبي في أحد نداءاته الموجهة إلى يهود العالم بمن فيهم يهود مصر بأنه لائحة شرف للشعب اليهودي ، ويقول : إن أسماء أفضل أبناء هذا الشعب وأبرز الأحداث في حياته منقوشة على صفحاته بالألم والعرفان[21] .

تعزيز مشاعر عدم الانتماء :

رأينا عند الحديث عن أوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية في مصر أن معظم أبناء الطائفة اليهودية كانوا غرباء عن الشعب المصري ، كما أن اشتغال نسبة كبيرة منهم في أعمال هامشية لاترتبط بالعملية الإنتاجية كان لها أثرها على الانتماء الحضاري والنفسي للأقليات اليهودية في مصر ، حيث بدأ ذوو الأصول المصرية منهم يفقدون طابعهم المحلي ، وينسون اللغة العربية ويكتسبون معرفة باللغة الفرنسية ، بوصفها لغة التجارة في ذلك الوقت ، هذا فضلا عن أن الصعود في السلم الاجتماعي وتوثيق العلاقات بالرأسماليين من الأجانب ، كان يتطلب هذه الخبرات اللغوية والحضارية[22] .

ومن ناحية أخرى كانت القوانين الدينية اليهودية المختلفة خاصة قوانين الطعام ، وتحريم الزواج المختلط ، والاحتفال بالختان وعادات الدفن لها أثر في تعميق عزلة اليهود ، فهم لايأكلون مع الأغيار ولا يصلون معهم ، ولايتزوجون منهم ، ولايدفنون معهم ، أي أنها كانت عزلة كاملة في الحياة والموت[23] .

كذلك فإن الوضع الاجتماعي لليهود كطائفة مستقلة لها نظامها الإداري الخاص ومؤسساتها الاجتماعية المستقلة ، وحصول نسبة كبيرة من أبنائها على جنسيات أجنبية ، إلى حد أن بعضهم كان يعمل سفيرا للدولة التي يحمل جنسيتها لدى مصر ، ضاعف من عزلتهم عن المجتمع المصري ، وساهم في إضعاف مشاعر الانتماء إلى البلد الذي يقيمون بأرضه .

وفي الواقع فإن استقراء تاريخ اليهود في مصر وكتاباتهم تدلنا على أن حياة الأقليات التي عاشها اليهود ، خلقت لديهم مايمكن أن نطلق عليه « ازدواجية الولاء » ، فعلى حين كان هناك ولاء كامن في أعماق النفس اليهودية نحو صهيون وأرض الميعاد ، كانت تغذيه دائما الأفكار الدينية اليهودية ، كان هناك – أيضا – ولاء ظاهر منحته الطائفة اليهودية الأشخاص الذين منحوها حمايتهم ، أو الذين ارتبطت مصالحها بمصالحهم ، وكان هذا الولاء أو بمعنى أصح الامتنان – يتجه نحو أشخاص معينين ، وليس نحو الأوطان التي عاشوا فيها ؛ لأن اعتقادهم في مجيء المسيح المنقذ الذي سيجمع شتاتهم ، ويعود بهم إلى أرض إسرائيل كان يجعلهم ينظرون إلى إقامتهم خارج الأرض الموعودة ، على أنها مجرد إقامة وقتية .

وتكشف كتابات اليهود خلال تلك الفترة عن مدى سيطرة هذا الاتجاه ، فالكاتب اليهودي إيلي ليفي أبو عسل يحاول تأكيد ولاء اليهود المصريين لفلسطين عبر العصور المختلفة ، فيذكر أن يوسف – عليه السلام – على الرغم من أنه جاء مصر صبيا ، وتوفي فيها وعمره مائة وعشر سنوات ، ناشد بني إسرائيل قبل أن يجود بالنفس الأخير ، وقطع عليهم عهدا ، أن تكون أرض فلسطين مأواه ، وجوانحها مقره الأبدي ومثواه[24] .

وفي موقع آخر يشير إلى أن اليهود تحالفوا وكسرى لطرد الغزاة ، وأن بنيامين الفاتح خرج على رأس جيش من مصر ، وفتح فلسطين بمساعدة ذلك الملك العظيم ، ثم يؤكد أن « اليهود مهما أخنى عليهم الدهر وأزرى بهم الزمان لايبعد بهم عن أورشليم بؤس ولاضنك ، ولايصرفهم عنها وهن ولا كلال ، بل تغذيهم الكوارث كلما زادت عليهم وطؤها فأصبحوا كلفين بها ، وراغبين فيها ، ولايحيون إلا لها ، ولايغتبطون إلا بها ، ولكن مهما تبذل من قوة النفس فليس إلى الغبطة بأورشليم وإلى ابتهاج العودة إلى الوطن من سبيل »[25] .

وفي مقابل مشاعر الانتماء والولاء لفلسطين التي طفحت بها كتابات الصهيونيين ، عبرت صحافة اليهود الفرنسية عن مشاعر عدم الانتماء أو الولاء لمصر ، ويتضح لنا

ذلك أولا من الإهمال الواضح من جانب تلك الصحف للشئون المصرية ، فلم يحدث أن تطرقت صحيفة يهودية ناطقة بالفرنسية ـ فيما عدا « لاليبرتية » ـ لمناقشة واحدة من القضايا المصرية المهمة ، أو حتى مجرد نشر أخبارها ، واقتصر تناولها للشئون المصرية على ماكانت تنشره في النادر من أخبار قصيرة عن عيد ميلاد الملك ، أو عيد جلوسه على العرش ، أو عن عودة سعد زغلول من المنفى .

من ناحية أخرى كانت صحف اليهود الفرنسية إذا تطرقت إلى الحديث عن مصر تقدم تعبيرات ومفاهيم تشير إلى عدم انتماء اليهود إلى الأمة المصرية ، من ذلك أن صحيفة « إسرائيل » حينما هنأت الأمة المصرية بمناسبة افتتاح أول برلمان مصري كتبت تقول : « نبعث إلى الأمة المصرية الشقيقة أخلص التهاني بمناسبة افتتاح أول برلمان مصري داعين الله أن يحفظ مليكنا جلالة الملك فؤاد الأول وولي العهد »[26] .

وكما رأينا فإن الصحيفة تصف الأمة المصرية بأنها « الأمة الشقيقة » ، ولم تقل أمتنا المصرية ، وماذلك إلا لأنها كانت ترى أن اليهود ينتمون إلى أمة أخرى هي الأمة اليهودية .

وفي مقابل هذه النزعة اللاانتمائية التي عبرت عنها صحيفة « إسرائيل » نجد مجلة « كاديما » تدعو اليهود إلى التشبث بمصر تماما ، كما ترتبط الشجرة بالأرض بكل جذورها ؛ حتى لايواجه اليهود اتهاما بأنهم دخلاء متطفلون وأجانب .

وعلى الرغم من أن الكاتب يقول عن مصر : « إنها روح روحنا مثل القدس » فإنه لم يصل إلى اعتبارها الوطن الأصلي لليهود الذين عاشوا فيها ، إنما وصفها بأنها « البلد المختار » Pays d'adoption بالنسبة لمن ولدوا فيها ، « والوطن المفضل » Patrie d'élection لأولئك الذين لم يولدوا على أرضها[27] ، كذلك فإنه كان يتحدث عن اليهود بقوله : « شعب التوراة » ، وعن المصريين بقوله : « مضيفينا »[28] .

وفي الواقع لم تكن دعوة « كاديما » اليهود إلى التثبت بمصر نابعة من إحساس حقيقي بالانتماء ، مع أن صاحبها كان ممن ولدوا على أرضها ، وإنما كان الدافع إليها

هو الرغبة في الظهور بمظهر وطني ، حتى يتمكن اليهود من إقناع حزب الوفد بترشيح أحد اليهود لدخول الانتخابات البرلمانية التي كانت على الأبواب ؛ حتى يتمكنوا من الوصول إلى البرلمان ، ومما يؤكد ذلك أن موريس فرجون رئيس تحرير هذه المجلة وصاحب تلك الدعوة كان هو الذي كتب بعد ذلك في الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى حينما شاهد مظاهرات المصريين تطالب بالجلاء : « لماذا لايكون لنا – أيضا – وطن ندافع عنه ... إنني أعاني من الظلم الذي يمنع شعبي من أن يكون له تراب يعمره ، وأرض يزرعها .. لماذا نحن من دون سكان العالم يجب علينا أن نحارب عن أوطان الآخرين .. من بين كل أجزاء الأرض ، فإن تلك البقعة الرائعة التي يسميها الناس عادة فلسطين ، والتي نسميها نحن أرض إسرائيل هي الأفضل والأغلى على قلوبنا »[29] .

وقد عبرت باقي الصحف اليهودية عن مفاهيم مماثلة ، فقد كانت « لارفيو سيونيست » تطلق على فلسطين « أرض وطننا القديم » أو « وطننا القومي » أو « بلادنا » وتتحدث عن عرب فلسطين فتقول : « أعداؤنا » .

لقد كان واضحا مدى ارتباط الصهيونيين في مصر وتعلقهم بأرض إسرائيل منذ نشوب الحرب العالمية الأولى ، حينما قاموا باستقبال اللاجئين اليهود الذين تدفقوا على البلاد قادمين من فلسطين ، وحينما تحالفوا مع بريطانيا ، واشتركوا في الفيلق اليهودي بكتيبة رافقت القوات البريطانية ، التي دخلت فلسطين عام 1918 ، وقد عبر الصهيونيون في مصر عن اغتباطهم بنجاح القوات البريطانية في دخول القدس بالبرقية التي أرسلها جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر إلى الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية وجاء بها :

« باسم اللجنة المركزية لصهيوني مصر يسعدني أن أعبر لكم عن تهانينا القلبية للمسيرة الظافرة للقوات البريطانية في فلسطين التي أدت إلى الاستيلاء على القدس .

« إن هذا الحدث المليء بالوعود الرائعة بالنسبة للمستقبل سوف يدخل السعادة على يهود العالم أجمع » .

« إن يوم دخولكم القدس يتصادف مع العيد القومي اليهودي العسكري الذي يحتفل بذكرى تحرير الشعب اليهودي تحت قيادة يهودا مكابي »[30] .

وحينما غادر مسيو جلوسكين Glouskin العضو المفوض من لجنة مساعدة اللاجئين الفلسطينيين بالإسكندرية حاملا المساعدات الضرورية إلى فلسطين بعد سقوط الحكم التركي هناك ، ودعته مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » قائلة : «تقبل أطيب تمنياتنا ، وانقل تحياتنا ودموعنا إلى بلادنا .. قل لها : إننا لم ننسها أبدا ، وإننا في المنفى (مصر) نربي أبناءها الأعزاء بناة المستقبل »[31] .

وحينما جاء وايزمان إلى مصر عام 1918 على رأس البعثة الصهيونية ، كانت المشكلة التي تؤرق الطائفة اليهودية هنا مثل غيرها من الطوائف اليهودية الأخرى ، هي الوضع السياسي لتلك الطوائف التي توجد خارج فلسطين ، وماسيحمله المستقبل بالنسبة للحقوق التي تتمتع بها في البلدان التي تعيش فيها ، ولذلك كان وايزمان حريصا في خطابه أمام الطائفة اليهودية بمصر على أن يجلو الغموض الذي يحيط بتلك المسألة ، وخصوصا ما أثير في أوروبا حول فكرة الولاء السياسي المزدوج ، فقال : إن الصهيونية لم تثر أي شيء فيما يتعلق بالولاء السياسي المزدوج ، وأنه ليست لديهم أية نية لإجبار أي يهودي على الذهاب إلى فلسطين ، ولا لأن يطلبوا ولاء سياسيا للوحدة السياسية الجديدة التي ستنشأ في فلسطين ، وقال : إن الشيء الوحيد الذي يطلبه منهم هو أن يكونوا كما يشاءون : إنجليزا مائة في المائة ، أو فرنسيين مائة في المائة ، ولكن يجب أن يكونوا يهودا مائة في المائة أيضا ، وألا ينسوا أن الإنجليزي الحقيقي أو الفرنسي الحقيقي ليس لديه أي اعتراض على البرنامج الصهيوني[32] .

التاريخ اليهودي :

نظرا لأن التاريخ المشترك يمثل عنصرا هاما من عناصر القومية ، شهد العالم مع مولد الحركة الصهيونية تحركات نشطة في صفوف السياسيين والمفكرين اليهود الصهيونيين ، ترمي إلى إحياء تاريخ اليهود وإعادة كتابته بما يخدم الأهداف الصهيونية ، فقد كانت الحركة الصهيونية في حاجة ماسة إلى حشد جميع الطوائف

اليهودية المنتشرة في العالم وراءها لإضفاء الشرعية على مساعيها الرامية إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وكان اقتناع اليهود بأنهم أمة واحدة تاريخها مشترك وآلامها وآمالها واحدة هو السبيل المؤدي بالصهيونية إلى الوصول إلى بغيتها .

وعلى الرغم من أن معارضي الصهيونية يرفضون الاعتراف بما يقال له : « التاريخ اليهودي » على أساس أنه لم يكن هناك واقع تاريخي مادي متصل منذ نشأة اليهودية إلى اليوم يجمع بين اليهود السوفيت واليهود الأمريكيين ، أو اليهود اليمنيين ، واليهود الألمان[33] ، فإن ذلك لم يمنع الدعاية الصهيونية من استخدام التاريخ كأسلوب للتعامل النفسي مع اليهود وغير اليهود ، وكانت الحجة التي لجأت إليها لتنفيذ ادعاءات معارضيها ، هي أن تشتيث اليهود – بعد تدمير دولتهم – كان بداية لمرحلة جديدة من التاريخ اليهودي تتسم بالضياع والتيه والاضطهاد ، ربط فيها بين اليهود الأمل في ظهور المسيح ليجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى أرض الميعاد لتبدأ مرحلة جديدة من التاريخ ، ولذلك نجد مجلة « كاديما » تصور التاريخ اليهودي منذ تدمير مملكة الشعب اليهودي على أنه « كفاح رهيب من أجل البقاء » ، وأن ماشجع اليهود على الاستمرار في هذا الكفاح هو الأمل في مستقبل أفضل تؤكده الطقوس الدينية التي جعلته يؤمن بقرب مجيء المسيح المنقذ ،[34] كما أن صحيفة « إسرائيل » تتحدث عن أن سلسلة كبيرة من التقاليد التاريخية تربط اليهود جميعا – على الرغم من شتاتهم – في حزمة واحدة ، وأن الماضي الرائع يجذبهم ويربطهم به تماما كما يفعل المغناطيس[35] .

وبغض النظر عن المحاولات التي شاركت فيها الصحافة اليهودية في مصر لإثبات وجود تاريخ يهودي مشترك يقوم على وحدة الآمال والآلام على الرغم من انعدام الواقع المادي المشترك ، فإن تلك الصحف انهمكت أيضا في المحاولات التي بذلت من أجل التأصيل التاريخي للصهيونية ، لإثبات أن اليهود لم يكفوا عن التطلع إلى العودة إلى صهيون منذ شتاتهم .

وإذا كان بعض المؤرخين والزعماء الصهاينة قد أرجعوا الأصول التاريخية للصهيونية إلى أيام هدم الهيكل ، ووقوع اليهود في أسر نبوخذ نصر ، فإن بعض الصحفيين

اليهود أمثال إيلي ليفي أبو عسل عادوا بها إلى فترات أبعد من ذلك إذ يقولون : « إن موسى كان هو أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ، وكان أول من تمخضت في ذهنه فكرة القومية اليهودية في غضون تلك الأحقاب والعصور تمخضا كبيرا ، فاستنكفت نفسه الأبية أن يرى أبناء جنسه عبيدا أرقاء ، وراعه ماوصلوا إليه من بؤس وهوان ؛ فثارت تائرته ، وطفق يكافح ويجاهد في سبيل إنقاذهم ، وماخمدت ثورة غضبه إلا عندما أطلق لهم عنان الحرية ، فظهرت منذ ذلك العهد فكرة الصهيونية السياسية بأسمى معانيها » .

وقارن أبو عسل بين موسى وهرتزل فقال : « إنهما كانا صنوين لايختلفان في المبدأ الذي كانا ينشدانه ، ولا في الهدف الذي كانا يرميان إليه ، وقد شاء الطالع أن يقود كل منهما شعبه إلى فلسطين ، ولكن أبى القدر الساخر إلا أن يقفا على بابها واجمين .. »[36] .

كذلك فإن مجلة « لارفيو سيونيست » كتبت تقول : « لاتصدق أن الصهيونية فكرة حديثة ، الذين يرجعونها إلى هرتزل مخطئون ، فقبل هرتزل كان هناك ليون بينسكر(*) ، وقبل بينسكر كان هناك هاليفي(**) الذي غنى قبل أربعة قرون صهيونياته الخالدة .

وتمضي المجلة قائلة : « وإذا كانت الصهيونية تحقق التطلع إلى الحرية ، فقد كانت هي الهدف اليهودي لميلاد شعب منذ الخلاص من عبودية مصرايم (مصر) . لقد جاءت الصهيونية إلى العالم في الوقت الذي التهبت فيه أرواح عبيد فرعون ، وتعرض فيه الضمير القومي للقهر . إن الظاهرة التي نعيشها اليوم والتي نتجت منذ قرن على طريق هرتزل هي نفسها التي أيقظت النفوس اليهودية وهزتها منذ ثلاثة آلاف عام على طريق موسى وحولت العبيد إلى أحرار[37] .

(*) ليون بينسكر (1821 - 1891) طبيب وسياسي صهيوني روسي دعا في كتابه « التحرر الذاتي » إلى إنشاء دولة صهيونية تضم اليهود باعتبارها الحل الوحيد للنجاة من معاداة السامية .

(**) يهودا هاليفي (1075 - 1141) شاعر وطبيب يهودي أندلسي تغنى بحب صهيون .

وقد وصفت المجلة موسى بأنه « أول الصهيونيين وأعظمهم » ؛ لأنه كان أول من اتجه بعينيه وقلبه نحو صهيون ، وخلصت من ذلك إلى القول بأن أول صيحة في العالم لتحرير اليهود خرجت من مصر ، واتجهت نحو فلسطين الحرة اليهودية ، وكما هو واضح لنا استهدفت عملية التأصيل التاريخي للصهيونية التأثير على اليهود المترددين في مصر وإقناعهم بضرورة تأييدها عن طريق الادعاء بأن موسى نبيهم كان أول الصهيونيين ، وبأن الصهونية ليست ابتكارا حديثا من مبتكرات هرتزل ، وإنما هي قديمة قدم التوراة ، ولاشك في أن مثل هذه الادعاءات كانت تستهدف التأثير النفسي على اليهود من خلال إضفاء شيء من القداسة على الفكرة الصهيونية لتسويغ قبولها ، ومن خلال تأييد أن اضطهاد اليهود قدم العالم ، وأن الحل الوحيد للنجاة منه هو العودة إلى صهيون .

ومما لاشك فيه أن عملية التأصيل التاريخي للحركة الصهيونية بربطها بمصر وموسي كانت تستهدف التأكيد على أن الطائفة اليهودية بمصر - وأثرياءها على وجه الخصوص - ينبغي أن يقوموا بدورهم التاريخي في أي حركة تسعى إلى إنقاذ اليهود أو إعادتهم إلى أرض فلسطين .

ومن ناحية أخرى انهمك اليهود المصريون في إحياء التاريخ اليهودي على ضفاف النيل ؛ لإبراز الصفحات المضيئة التي كانت فيها الطائفة اليهودية على علاقات طيبة ووثيقة ببعض الحكام البارزين في التاريخ المصري ، ولكن مع نمو الوعي القومي العربي فى مصر ازداد اهتمام اليهود بالتأصيل التاريخي للوجود اليهودي في مصر ، لمواجهة أية دعوة قد ترتفع مطالبة بطردهم من البلاد .

وخلال عملية إعادة كتابة التاريخ اليهودي في مصر اهتمت الصحافة اليهودية بتسليط الأضواء على بعض الشخصيات اليهودية التي برزت في ميدان الطب والأدب والفلسفة والحكم وغيرها ، وكان من بين الشخصيات التي اهتمت الطائفة اليهودية بإحياء تاريخها ، وشاركتها الصحافة اليهودية بتسليط الأضواء عليها موسى بن ميمون الذي اهتمت الطائفة بإبراز إنجازاته في مجال الطب والفلسفة ، وفي إبراز إخلاصه

لصلاح الدين الأيوبي الحاكم المصري الذي يحتل مكانة مرموقة في التاريخ المصري والعربي كبطل لمعركة حطين التي تم فيها طرد الصليبيين من فلسطين .

أما في التاريخ الحديث فقد اعتمدت الصحافة اليهودية عند الحديث عن دور الطائفة في الحياة المصرية على ابراز دور الرأسماليين اليهود في الاقتصاد المصري ، ودور الرأسمالية المصرية والصهونية في تحديث الشرق .

ومن الواضح أن محاولات التأصيل التاريخي للوجود اليهودي في مصر ، كانت تستهدف في المقام الأول كسب ثقة المصريين وتعاطفهم واليهود ، وتأكيد حقهم التاريخي أيضا في أرض فلسطين .

ولم تقصر الصحافة اليهودية جهودها على الاهتمام بتاريخ اليهود في مصر ، وإنما أولت تاريخ اليهود في العالم عنايتها أيضا ، ومن الملاحظ أن تلك الصحف ركزت على إبراز الدور الذي لعبه اليهود في خدمة الإنسانية من خلال التوراة التي كانت الفنار الذي أضاء للإنسانية طريقها ، ومن خلال مشاركتهم في الإنجازات العلمية عن طريق العلماء والمفكرين أمثال أينشتين وغيره ، ومساهمتهم في الكشوف الجغرافية كاكتشاف أمريكا الذي نسبوا لأنفسهم الفضل فيه بسبب تمويلهم رحلة كولومبس واشتراك بعض اليهود فيها .

وكان الهدف من كل ذلك هو استعادة اليهود الثقة في أنفسهم ، وتحسين صورة اليهودي التي ارتبطت في الأذهان بشخصية اليهودي التائه ، التي تجلب النحس والدمار ، والتي اتسمت بالانعزالية وعبادة المال فجلبت عليهم كراهية الشعوب .

استغلال الدين :

يرى بعض الباحثين أن علاقة الحركة الصهيونية باليهودية كدين هي علاقة مركبة إلى حد بعيد ، ويصنفون هذه العلاقة في مستويات ثلاثة مختلفة متناقضة إلى حد بعيد وهي :[38]

1 – موقف الرفض للدين اليهودي .

2 – موقف استغلال الدين اليهودي .

3 – استقاء الأفكار السياسية للأيديولوجية الصهيونية من العقيدة اليهودية ، ومماثلة تلك الأفكار – في بنائها بالأفكار والأساطير الدينية .

وفي مصر لم تكن الحركة الصهيونية في حاجة لإعلان رفضها الدين بسبب جو التسامح الذي ساد البلاد ، ولأن رفض الصهيونية من جانب بعض اليهود المصريين لم يكن نابعا من منطلقات فكرية دينية أو أيديولوجية ، بقدر ماكان نابعا من الخوف من الصهيونية كحركة وليدة ، وفرص الفشل أمامها أكثر من فرص النجاح ، وعلى العكس مما حدث في أوروبا ، شعرت الحركة الصهيونية في مصر بالحاجة الشديدة إلي إثبات نسبتها للدين لاكتساب الشرعية أمام السفارديم المتدينين والخائفين في الوقت نفسه ، بل إنها استعانت بالحاخامات اليهود واستخدمتهم ضمن أدواتها الدعائية .

ولعل في اهتمام الصحافة اليهودية في مصر بتشجيع دراسة التوراة ، والاهتمام بثقافة اليهود الدينية ما يشير إلى هذا الجانب من جوانب استغلال الصهيونية للدين اليهودي ، فقد وجدت مجلة « رفيو إسرائيليت ديجبيت » في المعبد العقبة الوحيدة أمام اختفاء اليهودية ، وأمام اندماج اليهود التام في المجتمعات التي يعيشون فيها[39] ، كذلك فإن د . بوشميل داعية الكيرن هايسود في مصر ، طالب في محاضرة ألقاها في بيت « هاعام » تحت عنوان « لماذا يجب أن يكون كل يهودي صهيونيا ؟ » ونشرتها صحيفتا – « لورور » و « إسرائيل » – بالاهتمام بالدين اليهودي ، ولم تكن دعوة بوشميل تنطوي على مجرد الاهتمام بالدين كعقيدة وتعاليم فقط ، وإنما كانت تنطوي علي الاهتمام به كتاريخ أيضا يمكن من خلاله إثارة مشاعر اليهود ، وترسيخ المفاهيم المرجوة في أذهانهم ، حتى يصبح من السهل بعد ذلك اقتيادهم إلى حظيرة الصهيونية ، يتضح لنا ذلك من قول بوشميل : « أعيدوا اليهود إلى اليهودية ، وسيكون لدينا صهيونيون بالطبع ، يجب أولا أن يتشبع الناس بعظمتها وجمالها بأن يتعلموا ماهي اليهودية وتاريخها ، والمراحل التي مرت بها ، والدور العظيم الذي لعبته في تاريخ البشرية ؛ حتى نستطيع أن نقول لماذا يجب أن يكون كل يهودي صهيونيا .
« إنكم تريدون تحويل هؤلاء الرجال إلى المعتقدات الصهيونية بين عشية وضحاها

أن تجعلوهم يمرون بالمرحلة الأولى .. يجب تعليم يهود الشرق حب اليهودية بعد
نها . إن هذا تعليم جديد يجب اتخاذه .

وفي بلد مثل مصر ، حيث اليهود في يسر يحسدون عليه ، فإن الإنسان الذي
ن يمس قلوبكم ويجعلهم يهتمون بقضية عظيمة مثل الصهيونية سوف ينجح
ِصول إلى هدفه إذا عرف كيف يستخدم التكتيك الضروري »[40] .

كذا كان الصهيونيون يرون أن انضمام اليهود إلى الصهيونية يجب أن يمر أولا
لدين اليهودي الذي ينبغي تدريسه لهم من وجهة النظر الصهيونية ، كما فطنوا
مية استخدام الدين في التأثير على عواطف يهود مصر الموسرين ، خصوصا بعد
ين لهم أن تبرعات اليهود كانت تتزايد بدرجة تسترعى الانتباه في الأعياد
سبات الدينية[41] .

كان النموذج الأمريكي أحد نماذج التعامل النفسي التي حاولت الدعاية الصهيونية
نداء بها ، فقد أدركت مجلة « كاديما » أن العنصر البَنَّاء في أي شعب هو معنوياته
الروحية ، فعلى مدى قرنين من الزمان أصبحت الولايات المتحدة من أقوى
، المتحضرة في العالم ليس بسبب ثروتها فقط ولكن لأن « الحالوصيم (الرواد)
يكيين » الذين أنشئوها كانوا من « الآباء المهاجرين » **Pilgrim Fathers** الذين
ا على العمل القومي الذي كانوا يقومون به حماسا دينيا مكنهم من الانتصار
العقبات الرهيبة التي واجهتهم سواء من الطبيعة أو من الهنود الحمر ، ولذلك
، المجلة الشعب اليهودي إلى أن يضع في ذهنه النموذج الأمريكي الذي سيردهم
مصدر الإلهام الأصيل بالنسبة لهم وهو التوراة[42] .

إذا كانت الصحافة اليهودية في مصر قد وجدت في الدين اليهودي أسلوبا للتعامل
ي واليهود ، ووسيلة للتنشئة الاجتماعية ، فقد كان يتعين عليها بعد ذلك إثبات
الصهيونية إلى اليهودية ، ونفي وجود أي تعارض بينهما ، وقد وجدت ضالتها
تأصيل التاريخي للصيهونية ، والرجوع إلى عهود موغلة في القدم ترجع إلى أيام
ى الذي قالت عنه : إنه كان « أول الصهيونيين وأعظمهم » ، حتى تكتسب

الشرعية الدينية باعتبار أن رائدها كان واحدا من الأنبياء الذين اصطفاهم الله وأنزل عليه توراته .

ولم يدع الصهيونيون فرصة تمر دون تأكيد الصلة بين اليهودية والصهيونية ، ففي الاحتفال الذي أقامته الطائفة اليهودية بمناسبة تعيين حايم ناحوم أفندي حاخاما لها عام 1925، وقدم ليون كاسترو الصهيونية على أنها « جزء مكمل لليهودية ، والخلية الأكثر حيوية والأكثر فعالية فيها » أما بوشميل فقد وصف الصهيونية بأنها التعبير عن اليهودية ، كذلك فإن مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » قالت عن هرتزل : إنه « أيقظ في الجماهير اليهودية مشاعر اليهودية التي خمدت طويلا بسبب الاندماج ، وكانت على وشك الاختفاء » ..

وقد تمثل استغلال الصهيونية للدين أيضا في التعريفات التي قدمتها عن : من هو اليهودي ؟ من هو الصهيوني ؟

كان موسى هسي(*) Moses Hess أول من دعا لتعريف الشخصية اليهودية على أساس بيولوجي أو عنصري ، ثم برز من بين صفوف الصهاينة كثير من العلماء المهتمين بإثبات أن اليهود عنصر متميز ، وعلى الرغم من أن كل هذه المحاولات الصهيونية لم تصمد طويلا ، نظرا لأن النظريات العنصرية ، ونظريات التفوق العنصري ليس لها سند علمي قوي[43] ، فإنها وجدت طريقها إلى صفحات الجرائد اليهودية ، فقد عرفت صحيفة « إسرائيل » اليهودي على أساس عرقي فقالت تحت عنوان « لماذا أنا يهودي ؟ » أن اليهودي هو الذي ولد من إسرائيل ، وأنه ذلك المخلوق الذي يجمع عددا من الصفات الإنسانية التي تنشر الخير للبشر جميعا ، ويتميز بذكائه ويندر أن يكون في عداد القتلة والمجرمين[44] .

أما فيما يتعلق بالصهيوني ، فكما حرصت الصحافة اليهودية على تأكيد انتماء الصهيونية إلى الدين اليهودي حتى تجد مبررا لاستغلاله في خدمة أهدافها وحتى تنفذ

(*) موسي هسي (1812 - 1875) ولد في ألمانيا ودرس الفلسفة والتاريخ . أصدر في عام 1862 كتابا باسم « روما والقدس » دعا فيه إلى إحياء القومية اليهودية . أيد مشروعات الاستيطان اليهودي لفلسطين وأسهم فيها بنفسه .

منه إلى قلوب اليهود وعقولهم ، كان يتعين عليها تقديم تعريف للصهيوني ينسجم مع هذا الخط أيضا ، ولذلك وجدنا مجلة « رفيو إسرائيليت ديجبيت » تعرف الصهيوني بأنه « يهودي .. يتحدث باحترام عن تاريخه ودينه وتقاليده .. يعارض الاندماج بشدة ويميل إلى الحفاظ على عنصرنا .. القضية اليهودية عزيزة عليه .. يدافع عنها بالوسائل التي تناسب الظروف التي يمر بها .. ويعتقد أن من حقه إقامة القومية اليهودية في الأرض المقدسة .. « ديناميكي » .. فهو لايقتصر على مجرد تأييد الفكرة القومية بالقول فقط ، وإنما هو عنصر فعال : « ينضم إلى الجمعيات التي يراها مفيدة لتقدم مثله الأعلى .. يسهم بكل قواه في الحفاظ على الصحافة اليهودية القومية وخاصة إذا كانت ناطقة بالعبرية .. الدعاية لهدفه تستغرقه .. ملم بمسيرة المؤسسات الطائفية والمدرسية يتلقى بكل سرور كل تطور يتفق مع مطالبنا ، لايبخل بماله من أجل تسهيل إنجاز هدفه .. ويدفع الشيكل سنويا[45] »

أما « لارفيو سيونيست » فتقدم تعريفا يتفق والتعريف الذي قدمته « رفيو إسرائيليت ديجبيت » ولكنها تفرق بين نوعين من الصهاينة : الصهاينة العاديون ، والصهاينة الحقيقيون ، وفيما يتعلق بالصهاينة العاديين تقول : « إنهم أولئك الذين حصلوا للشعب اليهودي على تصريح بلفور ، وعلى قرار سان ريمو .. إنهم أولئك الذين يكرسون كل جهودهم لإعادة بناء فلسطين وطنا قوميا يهوديا » .

أما عن الصهيونيين الحقيقيين فتقول : « إنهم ليسوا أولئك الذين يقتصرون على التعاطف والقضية ، ولكنهم أولئك الذين ينضمون إلى المنظمة الصهيونية ، فكل عضو ينضم إلى المنظمة يعجل بخلاص الشعب اليهودي وأرض إسرائيل ..

« إنه عضو في المنظمة الصهيونية يدفع 40 قرشا سنويا قيمة الاشتراك في المنظمة وتشمل قيمة الشيكل »[46] .

وإذا كانت الصهيونية قد خصت اليهود بدعوتها دون غيرهم من سائر البشر ، وإذا كانت الصحافة اليهودية قد عرفت الصهيوني بأنه يهودي يحترم دينه وتاريخه وتقاليده ويعارض الاندماج بقوة ، فقد كان من الطبيعي أن يكون اليهودي الحقيقي من وجهة النظر الصهيونية ، هو ذلك « الصهيوني النشط الذي يضحي بوقته وراحته

من أجل تحقيق أوامر التوراة بإعادة شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل .. أما أولئك الصهيونيون الأفلاطونيون وغيرهم ممن لايفعلون شيئا سوى اتباع التوراة بحروفها وليس بروحها ، فهم إذن مجرد مشركين » « Idolaîtres »[47] .

وهكذا وصلت الصحافة اليهودية في استغلالها للدين كأسلوب للتعامل النفسي إلى حد تكفير اليهود غير الصهيونيين ، أو اليهود المتعاطفين والصهيونية بالقول فقط ، وهو أسلوب من شأنه أن يثير في نفوس القراء أحاسيس مختلفة ، تتردد بين القلق والخوف والشعور بالذنب ، ولكن « لارفيو سيونيست » سرعان ماتقدم لقرائها الحل ، فتنصح لهم بالتكفير عن الماضي والتبرؤ منه ، وإثبات أنهم ليسوا وثنيين منافقين يخادعون الرب وذلك بأن يكونوا صهيونيين حقيقيين يلتفون حول المنظمة الصهيونية ويدفعون التبرعات للصندوق القومي اليهودي لإعادة شراء أرض إسرائيل لشعب إسرائيل ، وباختصار أن يكونوا صهيونيين نشيطين ومخلصين حتى يكونوا يهودا حقيقيين .

مخاطبة اليهود من مركز القوة :

حينما صدر تصريح بلفور عام 1917 لم تكن الحركة الصهيونية تتمتع بقاعدة عريضة بين الجماهير اليهودية في أي مكان من العالم حتي في بريطانيا نفسها التي منحت اليهود هذا التصريح . ونظرا لأنه كان يتعين على الحركة الصهيونية حشد الجماهير اليهودية وراءها ، وجد وايزمان أن ربط حل المشكلة اليهودية بالمصالح الامبريالية وشن الهجوم على اليهود « من أعلى »[48] يمكن أن يحقق له هذا الهدف ؛ ولذلك سعى إلى استغلال تأييد بريطانيا للصهيونية – وهي قوة عظمى غير يهودية – في التوجه إلى اليهود من مركز القوة لاكتساب الشرعية لدى الجماهير اليهودية حتى تتخلى عن معارضتها للحركة ، وتنهي ترددها باتخاذ موقف إلى جانبها .

وقد اتضحت أبعاد خطة الهجوم على اليهود من مركز القوة خلال الكلمة التي ألقاها وايزمان أمام زعماء الطائفة اليهودية بمصر في أول زيارة له للبلاد عام 1918 ، فقد قال بالحرف الواحد :[49]

« إننا نقول ـ ولدينا الحق في أن نقوله : إنكم لاتجرءون على مقاومتنا ، ولا على الوقوف في طريقنا . وإذا سألتموني عما في رأسي ، فسأقول لكم إذا لم تأتوا إلينا فسيأتي أولادكم » .

« إننا ذاهبون إلى فلسطين تحت إشراف الحكومة البريطانية . لقد قدمت لنا السلطات كل مساعدة ، وسيتركوننا ـ بقدر المستطاع ـ نبحث في الظروف ، ونتقصى الأوضاع ، ونستعد للتطور المقبل . إننا واثقون بأننا نستطيع القيام بالعمل ، ولكن عليكم أن تمدوا لنا يد العون ؛ حتى يكون هذا العمل ممكنا وناجحا » .

وقد قامت الصحافة اليهودية بدورها في الهجوم على اليهود ، وكان هذا الهجوم موجها بصفة أساسية إلى قادة الطائفة الذين اصطدمت بهم الحركة الصهيونية في أثناء محاولتها للهيمنة على مجلس الطائفة وتوجيهه الوجهة التي تريدها ، ولذلك نجد مجلة دولار فيوسيونيست » نصف أعضاء مجلس الطائفة بالجهل فتقول : « قادتنا المحليون جهلاء »[50] ، وصحيفة « الشمس » تري أنهم بلغوا من العمر أرذله « فالكثيرون منهم بلغوا السبعين أو الثمانين ، ومهما يكن مركزهم المالي فلن يكون باستطاعتهم أن يؤدوا الدور المطلوب منهم ؛ لأن أعمال الطائفة أصبحت كثيرة ومتسعة ، وهم بلغوا السن التي يحتاج فيها الإنسان إلى الراحة والهدوء »[51] أما « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » فقد أرجع عدم اشتراك اليهودية المصريين في المؤتمرات الدولية الصهيونية إلى انعدام بصيرة رؤسائهم الذين برهنوا في مناسبات مماثلة على قصر النظر الأبدي .. ووصف المجالس الطائفية بأنها لاتعدو أن تكون « تعبيرا كاريكاتوريا ساخرا للإرادة الشعبية » كم شكك في شرعية هذه المجالس وقال : شنها لاتمثل غالبية السكان ذوي العقيدة الإسرائيلية في المدن المصرية ؛ لأنها منتخبة من جانب أقلية من اليهود المحرومين من حق مراقبتها أو نقدها[52] .

على أن هجوم الحركة الصهيونية لم يقتصر على رؤساء الطائفة فحسب وإنما قامت الصحافة اليهودية بشن هجومها أيضا ضد أبناء الطائفة ، فقد وصفتهم « لارفية سيونيست » أيضا بالجهل لأنهم لايعرفون حقوقهم ، ولايؤدون واجباتهم[53] ، وألقت عليهم مسئولية القصور في إنجازات المنظمة الصهيونية لعدم تزويدهم إياها

بالأموال الكافية ، وحتى تشعرهم بفداحة الجرم الذي يرتكبونه في حق المنظمة الصهيونية صورتهم بمن يمتنع عن تقديم كسرة من الخبز إلى إنسان فقير ، ويتركه يموت جوعا[54] .

وقد خصت مجلة « كاديما » طائفتي السافارديم والقرائين بهجومها – فيما عدا الاشكنازيم الذين كانوا يسيطرون على العمل الصهيوني في مصر – واتهمتهما بالقصور والعجز لجهلهما بأن الطائفة اليهودية في مصر ليست – إلا قسما من وحدة أكبر تنتمي إليها هي اليهودية العالمية[55] .

مما سبق يتضح لنا أن الهجوم على اليهود ومخاطبتهم من مركز القوة ، كان جانبا من الحرب النفسية التي مارستها الدعاية الصهيونية ضد يهود مصر لتغيير الأوضاع الطائفية ، ولفرض هيمنة الصهيونية على مجلس الطائفة ؛ حتى تتمكن من توجيهه وفق مصالحها ، وبهدف زيادة تبرعات اليهود للأعمال الصهيونية في فلسطين .

الكذب في الدعاية الصهيونية :

إن الدعاية كفن تعتمد على التلاعب بالعواطف وإثارة الانفعالات ، ولا تتورع عن اللجوء إلى الكذب والمبالغة ، إذا وجدت فيهما الأسلوب الذي يمكن عن طريقه الوصول إلى بغيتها .

والمتتبع لتاريخ الدعاية الصهيونية سيجد أنها لجأت إلى استخدام الكذب على نطاق واسع ، وقد اتبعت الصحافة اليهودية في مصر الأسلوب نفسه ، فعلى سبيل المثال نشرت مجلة « لارفيو سيونيست » الكلمة التي ألقاها حاييم وايزمان في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر اليهودي عام 1921 ، والتي أعلن فيها « في كل اتصالاتنا بالعرب يجب أن يعترفوا بكل الحقوق التي يضمنها تصريح بلفور ، وفي مقابل ذلك فإننا نعلن أننا لانرغب في المساس بحقوق العرب المشروعة »[56] .

ومن ناحية أخرى أكد وايزمان في كلمة ألقاها في القاهرة « إننا لانريد أن نبني على ظهر العرب أو على حسابهم ، ولكننا بتعاوننا الوثيق وإياهم ؛ لأنه يوجد في

فلسطين مكان كاف للعرب واليهود »[57] .

وفي الوقت الذي كانت تردد فيه الدعاية الصهيونية على لسان المسئولين في الحركة تأكيدات عدم مساس الصهيونية بحقوق العرب ، ورغبتها في أن تقيم في فلسطين وطنا مشتركا للعرب واليهود ، كان تيودور هرتزل زعيم الحركة قد أرسى سياسة تفريغ فلسطين من سكانها العرب بإجبار الفقراء منهم على النزوح إلى البلدان العربية المجاورة ، وذلك بالامتناع عن إعطاء السكان العرب أي عمل في البلاد ، ثم باستخلاص الأراضي من أيدي ملاكها من العرب[58] . ولعل فيما ذكرته « لارفيو سيونيست » عام 1921 بعد وفاة هرتزل بنحو سبعة عشر عاما مايؤكد أن الحركة الصهيونية كانت تسير على السياسة التي رسمها زعيمها ، فعلى الرغم من ادعاءات المجلة عدم تهديد الهجرة اليهودية الوجود العربي في فلسطين ، كشفت عن حقيقة النوايا الصهيونية إزاء سكان فلسطين عند حديثها عن هجرة اليهود اليمنيين حينما قالت : « في عام 1910 بدأت هجرة يهود اليمن إلى أرض إسرائيل ، فقد كنا نأمل بأن يتمكن هؤلاء اليهود الذين تقترب ظروف حياتهم من حياة الفلاحين أن يحلوا محل الأيدي العاملة العربية في المستوطنات[59] » .

لقد كان حديث الصحافة اليهودية في مصر عن التعاون اليهودي العربي وعما ينتظر العرب من رخاء وتقدم على أيدي اليهود حديث خرافة ، قصد به إسكات معارضة جميع الأطراف العربية والأجنبية للهجرة اليهزدية إلى فلسطين ، فلم يلبث حاييم وايزمان أن كشف عن حقيقة الأطماع الصهيونية في فلسطين حينما أجاب عن سؤال وجهه إليه المستر لانسنج Lansing المندوب الأمريكي إلى مؤتمر السلام في باريس عام 1919 عما يعنيه بالوطن القومي اليهودي قائلا : « إنه يجب أن تكون فلسطين يهودية مثلما أمريكا أمريكية ، وإنجلترا إنجليزية »[60] .

لقد كان الحديث عن النوايا الصهيونية في فلسطين واحدا من المجالات التي برعت الدعاية الصهيونية في الكذب والتضليل فيها ، ناهيك عن ادعاءاتها أن المقاومة الفلسطينية للحركة الصهيونية لاتعدو كونها مجرد خلاف تثيره الدعايات المضادة ،

وبعض ذوي المصالح ، وادعاءاتها أن اليهود كانوا يقومون بشراء الأراضي القاحلة وتجفيف المستنقعات وإصلاح الصحراء ، في حين يعترف « الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى » بأن الصندوق القومي اليهودي كان يقوم بشراء الأراضي الزراعية إلى جانب امتلاكه الأراضي الحضرية ، وأنه كان للأرض الزراعية الأفضلية »[61] ، كذلك فإن هرتزل كان قد خطط لاستغلال عرب فلسطين في تجفيف المستنقعات وفي العمل في مناطق الأوبئة ، والمناطق التي تنتشر فيها الأفاعي والحيوانات البرية قبل إجبارهم على الرحيل من فلسطين[62] .

إن الصحف التي أصدرها اليهود في مصر سواء باللغة الفرنسية أو العربية مليئة بالأكاذيب والمتناقضات ، وعلى الرغم من أن الكذب في الدعاية يعد واحدا من المحاذير ؛ لأن الدعاية القائمة على الكذب مصيرها الفشل ، فإننا نجد أن الدعاية الصهيونية اعتمدت على اللجوء إلى الكذب خلال مراحل نشاطها المختلفة واستطاعت أن تنجح فيه إلى حد بعيد ، وما ذلك إلا لأنها لم تواجه بإعلام عربي واع ، فمشكلة العرب ـ كما هو معروف لليهود ـ أنهم لايقرءون .

* * *

هوامش الباب الثاني

الفصل الثالث

1 – تيودور هرتزل : مرجع سابق ص Herzl,Theodrore : op. cit Vol 1, P 350
. 29

2 ـ محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة 1897 - 1918 ،. القسم الأول ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية 1974 ص 27 .

3 ـ Cohen, Israel : Jewish Life in Modern Times, Second Edition, Metshum and Co. Ltd, London 1929, P 3404 .

4 ـ حامد عبد الله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، سلسلة دراسات فلسطينية رقم 72 ، بيروت ، تموز (يوليو) 1970 ص 39 - 40 .

5 ـ إبراهيم إمام : مرجع سابق ص 184 .

6 ـ انظر : حامد عبدالله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص 124 .

7 ـ مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ، الطبعة الأولى ، دار المعارف 1967 ص 140 .

8 ـ Cahiers Juifs, Juin - Juillt 1936 No 23 .

9 ـ La Revus Sioniste, 1 - 6 - 1923 No5 .

10 ـ سعيد سراج : الرأي العام .. مقدماته وأثره في النظم السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1978 ص 129 .

11 – Herzl : op. cit , P 100 .

12 – Ibid : P 109, 154 .

13 – عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص 163 .

14 – عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ، القسم الأول ص 224 .

15 – حامد ربيع : الدعاية الصهيونية ص 122 .

16 – Israél 18 - 12 - 1925 No51 .

17 – ايلي ليفي أبو عسل : يقظة العالم اليهودي ، الطبعة الأولى ، مطبعة النظام ، القاهرة 1934 ص 258 .

18 – L'Aurore 24 - 4 - 1925 No

19 – La Liberté 23 - 11 - 1923 No 652 .

20 – Israél 20 - 3 - 1925 No 12 .

21 – Ibid : 1 - 5 - 1925 No 17 .

22 – محفوظات مجلس الوزراء ، الطائفة الإسرائيلية ، محفظة رقم 4 .

23 – Israél 6 - 5 - 1927 No 18 .

24 – مجلة الاتحاد الإسرائيلي في 5 / 5 / 1925 العدد الثاني .

25 – Israél 6 - 7 - 1928 No 20 .

26 – L' Aurore 27 - 7 - 1928 No 227 .

27 – إبراهيم إمام : مرجع سابق ص 14 .

28 – حامد عبد الله ربيع : الدعاية الصهيونية ص 121 .

29 – L'Aurore 5 - 3 - 1928 No 106 .

30 – La Revue Sionist 2 - 4 - 1922 No1 .

31 – هرتزل : مرجع سابق ص 352 .

32 – Londan : op.cit P81,82,295 .

33 – Anmuaire des Jvifs d'Egypte .. 1943, p 236 .

34 – هرتزل : مرجع سابق ص 352 .

35 – Revue Isaélite d'Egypte 15 - 28 Fevriér 1917 No 1 .

36 – israél 10 - 6 - 1927 No 23 .

37 – محمد بهجت كشك : الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1984 ص 78 ، 79 .

38 – إبراهيم إمام : مرجع سابق ص 159 - 162 .

39 – محمد بهجت كشك : مرجع سابق ص 79 .

40 – حسنين عبدالقادر : الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1962 ص 161 .

41 – خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ص 277 .

42 – Revue Israelite d'Egypte 20 - 10 - 1917 .

43 – Ibid, 1 - 17 - mors 1917 No 7 .

44 – Ibid, 18 - 5 - 1917 .

45 – La Revue Sioniste, 1 - 5 - 1923 No 5 .

46 – Israél 30 - 4 - 1926 No 18 .

47 – F.O 141 / 803 Organisation Sioniste d'Egypte to Sir Reginald Wingate 4 th nov 1918 .

48 – L'Aurore 5 - 11 - 1926 No 139 .

49 – Patai, Rophael : op. cit Vol 1, P279 .

50 – F.O 371 / 45404, René By Cattaoui to Léon Castro 1-1 - 1945 .

51 – سامية محمد جابر : الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث ، النظرية والتطبيق ، الإسكندرية 1984 ص 151 .

52 – L'Aurore 1 - 5 - 1925 No 62 .

53 – Ibid, 24 - 4 - 1925 .

54 – صحيفة السياسة في 15أبريل 1925 .

55 – صحيفة الشمس في 22 أبريل 1943 العدد 441 .

56 – Eban, Abba : op.cit, P49 .

57 – Londou, op .cit, P276 .

58 – La Revue Sioniste 10 - 7 - 1925 No 28 .

59 – Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4 .

60 – Ibid, 15 - 3 - 1922 No 24 .

61 – Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4 .

62 – Ibid em .

63 – محمد بهجت كشك : مرجع سابق ص 121 .

64 – La Revue Sioniste 1 - 5 - 1923 No 3 .

65 – صحيفة الشمس في 19 سبتمبر 1941 . العدد 364 .

66 – L'Aurore, 17 - 10 - 1924 No 35 .

67 – سعيد سراج : مرجع سابق ص 196 .

68 – صحيفة الشمس في 16 مارس 1946 العدد 583 .

69 – سعيد سراج : مرجع سابق ص 194 ، 202 .

70 – شاهيناز محمد طلعت : وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو المصرية 1981 ص 27 .

71 – Israél 23 - 4 - 1926 No17 .

72 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1944,P 111 .

73 – London : op. cit P275 - 283 .

74 – حسنين عبد القادر : مرجع سابق ص 135 .

75 – سعيد سراج : مرجع سابق ص 194 . مصطفى الحفناوي : الدعاية السياسية والاستعلام ، مطبعة جريدة قناة السويس ، القاهرة 1954 ص 60 .

76 – La Revue Sioniste 15 - 3 - 1923, 15 - 4 - 1923 .

77 – فايزغالي : الانعكاس المباشر وغير المباشر لفلسطين روائيا في السينما العربية ، مجلة شئون فلسطين ، عدد مايو 1975 ص 98 .

78 – أحمد بدر : الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة ، مكتبة غريب ، القاهرة 1977 ص 121 .

79 – المرجع السابق ص 140 .

80 – Herzl : op. cit, Vol 1, P27 .

81 – عبدالوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص 407 .

82 – La Revue Sioniste 5 - 8 - 1921 No 10 .

هوامش الفصل الرابع

1 ـ فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1979 ص 114 .

2 ـ قدرى حفنى : الإسرائيليون .. من هم ؟ ، دراسات نفسية ، بدون اسم الناشر ، القاهرة 1983 ص 115 .

3 – L'Auroe 19 - 1 - 1928 No 21 .

4 – Iseaél 18 - 1 - 1925 No 3 .

5 ـ أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : مرجع سابق ص 43 .

6 – Revue Israélite d'Egypte & août - 18 Sep . 1917 No 14

7 – Blanco White, Anber : The New Propaganda, Victor Gallancy Ltd, London 1939, P 23 - 78 .

8 – Ibid, P 140 - 147 .

9 – L'Aurare 27 - 11 - 1925 . No 92 .

10 – Ibid, 12 - 12 - 1924 No 43 .

11 – La Revue Sioniste 1 - 4 - 1923 No 1 .

12 – Ibid, 15 - 3 - 1923 No 24 .

13 – Ibid, 5 - 5 -1921 No 4 .

14 – Irwin, Will : Proqag and a and News, or whot makes You think so ? Whittlescy Hovse, New york, London 1936, P 47 - 51 .

15 – La Revue Sioniste 5 - 25 decembre 1921 No . 18 - 19 - 20 - 8 - 1921 No 11 .

16 – Ibid, 15 - 1 . 1922 No 20 .

17 – Ibid, 1 - 3 - 1922 No 23 .

Kadima, novembre 1936 No 14 . — 18

La Revue Sionisté 20 - 8 - 1921 No 11 . — 19

Herzl : op.cit, Vol 1, P 64, 208 . — 20

Israél , 6 - 4 - 1924 No 14 .6 — 21

22 — عبد الوهاب محمد المسيري : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1975 ، ص 107 .

23 — عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ، القسم الأول ، عالم المعرفة ، الكويت ، ديسمبر 1982 ص 37 .

24 — إيلي ليفي أبو عسل : مرجع سابق ص 19 .

25 — المرجع السابق ص 41

Israel, 16 - 3 - 1924 No 11 . — 26

Kadima, Février 1936 . — 27

Ibid, décembre 1936 . — 28

Annuaire des Juifs d'Egypte -- 1946, P 103 - 106 . — 29

La Revue Sioniste 4 - 1- 1918 No 1 . — 30

Revue Israélite d'Egypte, 31 - 1 - 1918 No 2 . — 31

La Revue Sioniste 4 - 1 - 1918 No 16 . — 32

33 — قدري حفني : مرجع سابق ص 141 .

Kadima, novembre 1936 No 14 . — 34

Israél 14 - 1 - 1927 No 2 . — 35

36 — إيلي ليفي أبو عسل : مرجع سابق ص 23 - 24 .

La Revue sironiste 1 - 2 1922 . No 21 . — 37

38 — عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ، القسم الأول ، ص 214- 215 .

39 – Revue Israélite d'Egypte 15 - 18 Januier 1917 No 1 .

40 – Israél 28 - 5 - 1926 No 22 .

41 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1943 .

42 – Kadima, mai 1936 No 9 .

43 – عبد الوهاب محمد المسيري : الأيدلوجية الصهيونية ، القسم الأول ص 289 - 294 .

44 – صحيفة إسرائيل في 24 يوليو 1931 العدد 30 .

45 – Revue Israelite d'Egypte 30 - 6 - 1918 No 11 .

46 – La Revue Sioniste 15 - 2 - 1922 No 22 .

47 – Ibid, 1 - 11 - 1922 No 15 .

48 – عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية – القسم الأول ص 140 .

(49) La Revue Sioniste 19 - 4 - 1918 No 16 .

50 – Ibid, 15 - 8 - 1922 No 10 .

51 – صحيفة الشمس في 9 نوفمبر 1942 العدد 417 .

52 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1946. P10 - 11 .

53 – La Revue Sioniste 15 - 8 - 1922 No 10 .

54 – Ibid, 1 - 2 - 1922 No 21 .

55 – Kadima, aout 1936 No 12 .

56 – La Revue Sioniste 20 - 9 - 1921 No 13 .

57 – Ibid, 1 - 12 - 1922 No 17 .

58 – هرتزل : مرجع سابق ص 76 .

59 – La Revue Sioniste 5 - 20 decembre 1921 No 18 - 19 .

60 – Cohen, Israel : Jewish Life in Modern Times, Methum and co. Ltd, second edition, London 1929, P 307 .

61 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1943, P 129 - 131 .

62 – هرتزل : مرجع سابق ص 77 .

الباب الثالث

الصحافـة اليهوديـة في مصـر
والاستراتيجية الصهيونية

أبعاد الاستراتيجية الصهيونية :

كانت المشكلة الأساسية التي واجهت الحركة الصهيونية تتلخص فى تحويل فلسطين إلى وطن يهودي يضمنه القانون العام .

وإذا كانت الاستراتيجية هي الخطة أو المنهج الذي يحدده صاحبه لبلوغ أهدافه ، فإننا نستطيع القول بأن الاستراتيجية التي عبرت عنها الصحافة اليهودية في مصر فيما يتعلق بتحقيق الهدف الصهيوني كانت تنطوي على أربعة أبعاد هي :

1 – بُعْد سياسي وهو ذو شقين يتمثل الشق الأول في كسب تأييد القوى الدولية الكبرى للكيان المزمع إنشاؤه في فلسطين ، وضمانها لاستمرار وجوده أما الشق الثاني فكان يتمثل في القضاء على المعارضة العربية للمشروعات الصهيونية في فلسطين ، وكسب تأييد الحكومات العربية الأخرى أو تحييدها على الأقل خلال مرحلة الإنشاء .

2 – بعد اقتصادي ويتمثل في توفير التمويل اللازم لشراء الأراضى وإقامة مشروعات الاستيطان التي ترمي إلى تحويل فلسطين إلى دولة يهودية .

3 – بعد بَشَرِيّ ينطوي على تصدير مزيد من الرجال والنساء إلى فلسطين للعمل في المستوطنات التي يجري إنشاؤها ، حتي يتسنى لهم تفريغ فلسطين من سكانها العرب ليصبح اليهود أغلبية السكان . بالإضافة إلى ربط اليهود الذين لن يهاجروا إلى فلسطين المؤسسات تنفق والقوانين الدولية والمحلية لكل بلد .

4 – بعد عسكري وكان يعنى بتوفير ضمانات الأمن اليهودية اللازمة لحماية المستوطنات التي يجري إنشاؤها في فلسطين من الخطر العربي بإقامة تشكيل عسكري يهودي يكون نواة للقوات المسلحة اليهودية التي ستتولى حماية الوطن اليهودي ، شأنها شأن كل الجيوش التي تتولى حماية الوحدات السياسية الأخرى في العالم ، وقد عكست الصحافة اليهودية في مصر وعيا بهذه الأبعاد الأربعة وأولتها عنايتها ، ولكن كان البعد الاقتصادي هو الذي حظي بالاهتمام الأول ، وسوف نرى فيما يلي كيف تعاملت الصحافة اليهودية في مصر وأبعاد الاستراتيجية الصهيونية ، وكيف شاركت في تحقيقها ؟

الفصل الخامس

البعـد الاقتصـادي

مع صدور وعد بلفور عام 1917 رأى قادة النشاط الصهيوني في مصر أنه يتعين على الحركة الصهيونية العالمية الانتقال من المرحلة السياسية إلى المرحلة العملية ، التي تتولى خلالها إنشاء الأسس الاقتصادية للوطن القومي اليهودي ؛ حتى يمكن أن يقوم عليها النظام السياسي فيما بعد ، ولذلك نجد أن ليون كاسترو أحد قادة النشاط الصهيوني البارزين في مصر يؤيد الآراء الداعية إلى نقل الإدارة الصهيونية من لندن إلى فلسطين ؛ حتى تكرس نفسها للعمل الاقتصادي لإعداد « الكمنولث اليهودي »[1] .

وكان يقصد بالأسس الاقتصادية في ذلك الوقت توفير جميع العناصر التي تكفل للوطن القومي الاعتماد على نفسه ، وهي : الأرض والناس والمال والمنشآت حتى يمكن بعد ذلك فرض الأمر الواقع ، وإقامة النظام السياسي للكيان اليهودي الناشئ في فلسطين ، ولذلك أصبح شعار تلك المرحلة ـ كما حددته مجلة « كاييه جويف » : « مزيدا من الأرض ، مزيدا من الرجال ، مزيدا من المال »[2] ، وشيئا فشيئا أدركت المنظمة الصهيونية في مصر أن المال هو أهم هذه العناصر جميعا ، فبدونه « لن تخرج أفضل الدعايات والتوعيات في العالم عن كونها مجرد كلام أجوف .. فالمال هو الذي يبني ، والمال هو الذي يعلم ، وبدونه لن يمكن إنجاز أي بند من بنود البرنامج الصهيوني »[3] .

وقد عبرت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مصر عن أهمية المال بالنسبة لها بقولها : « إن أحد المشاهد الكوميدية في إحدى مسرحيات موليير كانت كلمة « تورتة بالكريمة » التي علمها موليير أحد الأشخاص الذي لم يكن يعرف النطق سوى بهذه العبارة فقط ، ونحن أيضا اللجنة المركزية ليس لدينا سوى كلمة وحيدة ننطق

بها إنها : المال .. »[4]

بهذه الكلمة عبرت اللجنة المركزية عن أن المال كان من أهم جوانب البعد الاقتصادي بالنسبة لنشاطها ، وبالنسبة للبرنامج الصهيوني ككل ، فبدون المال لادروس عبرية ، ولامؤتمرات للدعاية ، ولا مكتبات يهودية ، ولا مساعدات للمهاجرين اليهود المارين بمصر ، ولا مكان لانعقاد جلسات اللجنة نفسها .

ولأن المال يمثل كل هذه الأهمية بالنسبة للحركة الصهيونية ، لم يكن غريبا أن تكرس اللجنة المركزية نفسها وألسنة حالها لخدمة المؤسسات المالية الصهيونية والترويج لنشاطها . وسوف نتناول فيما يلي الجهود التي بذلتها الصحف اليهودية فى هذا الشأن :

أولا : الصحافة اليهودية والصندوق القومي اليهودي :

كان الصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت ليسرائيل) أحد البنوك الصهيونية المهمة التي أسند إليها مهمة شراء أراضي فلسطين « كملك للشعب اليهودي غير قابل للتصرف » سواء بالبيع أو بالرهن ، وكان مصدر تمويله هو التبرعات التي يدفعها اليهود في جميع أنحاء العالم ، وقد كان لهذا البنك فرعان في مصر ؛ أحدهما في القاهرة والآخر في الإسكندرية ، وكان يحمل اسم « مفوضين الكيرن كايمت ليسرائيل » أو « مكتب الكيرن كايمت ليسرائيل » .

وعلى الرغم من أن هذا المكتب كان يمثل أحد أقسام المنظمة الصهيونية في مصر فإنه كان يتمتع باستقلاله الذاتي في ممارسة نشاطه ، وكان له مدير ومستشار وأمين للصندوق ، بالإضافة إلى مجموعة من المفوضين أو المندوبين ، الذين يقومون بجمع التبرعات في الأحياء التي يقطنها اليهود ، وكان عدد المفوضين الأساسيين 45 مفوضا يعاونهم عدد غير محدود من المساعدين الموسميين ، الذين وصل عددهم في عام 1921 على سبيل المثال نحو 120 مندوبا[5]

ونظرا لأهمية الصندوق بوصفه الجهة المنوط بها شراء أراضي فلسطين من

أصحابها ، ونظرا لأن عملية تمويله كانت تعتمد أساسا على التبرعات ، لذلك نجد أن الصحافة الصهيونية في مصر كرست نفسها للدعاية لهذا الصندوق بهدف زيادة حصيلته من مساهمات اليهود المصريين ، وقد اتخذت هذه الدعاية خطا واضحا ومحددا تركز في التعريف بالصندوق القومي اليهودي وبأهدافه ونشاطاته المختلفة ، وسبل التبرع له على النحو التالي :

1 - التعريف بالصندوق القومي :

ساهمت الصحف اليهودية كلها تقريبا في التعريف بالصندوق القومي اليهودي ، ونستطيع أن نميز في التعريفات المقدمة بين اتجاهين : اتجاه موضوعي ، واتجاه دعائي .

وفيما يتعلق بالاتجاه الأول نجد « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » يتحدث عن الصندوق بوصفه من المنظمات الصهيونية العالمية ، فيقول إنه : تأسس في 23 ديسمبر عام 1901 ، واستطاع أن يقوم حتى 30 سبتمبر عام 1939 بجمع نحو 5,850,000 جنيه استرليني من المساهمات التطوعية ، أما عن أهدافه فيقدمها على النحو التالي :[6]

1 – توظيف المساهمات التطوعية التي يدفعها اليهود في استرداد أرض فلسطين ، بحيث تكون ملكا للشعب اليهودي غير قابل للتصرف .

2 – الاحتفاظ لليهود بحقوق البناء فوق هذه الأراضى دون غيرهم .

3 – المساعدة في تكوين طبقة عاملة يهودية .

4 – تشجيع الزراعة .

5 – محاربة المضاربة على الأراضى ومنعها .

وإذا كان « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » قد حدد أهداف الصندوق في موضوعية تامة تتفق وسياسته ككتاب وثائقي ، فإننا نجد بعض الصحف الأخرى وقد صاغت هذه الأهداف بأسلوب دعائي يرمي إلى إثارة انفعالات القراء وتحريك عواطفهم ؛ كي يقبلوا بحماس على التبرع له ، فمجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » . – على سبيل المثال – تذكر في مقال بعنوان « الأرض

والحرية » إن هاتين الكلمتين هما شعار لكل مضطهد ومغلوب على أمره وبدون إحداهما لاتكتمل الحياة الكريمة لأي شعب من الشعوب؛ ولذلك فإنه لتحقيق الشق الأول من الشعار أنشئ الصندوق القومي اليهودي « لاسترداد » أراضي فلسطين بالشراء لتظل ملكا غير قابل للتصرف للشعب اليهودي [7] ، ومعنى هذا أن الصندوق القومي يعني من وجهة نظر المجلة – الأرض ، ويعنى الوطن ، وبالتالي يعني الحرية .

أما مجلة « لارفيو سيونيست » ، فترى أن سياسة الاستعمار الوطني التي يسير عليها الصندوق القومي اليهودي تفرض عليه هدفين :[8] .

الأول :

ضمان الأرض للشعب اليهودي وتمكينه من العودة للعيش عليها ؛ ولهذا فإن الصندوق يعمل على تحقيق هذا الهدف من خلال مبدأ الإيجار الطويل الأجل .

والثاني :

خلق ظروف أفضل للزارع اليهودي .

وخوفا من أن يؤدي شراء الأرض في فلسطين كممتلكات عامة للشعب اليهودي إلى فتور حماس اليهود وتراجعهم عن تمويل الصندوق حرصت الصحافة اليهودية على شرح مزايا هذا النظام لقرائها ، فذكرت « لارفيو سيونيست » أن امتلاك الأراضي كممتلكات عامة لايتفق وما يدعو إليه المصلحون العقاريون المحدثون فقط ، ولكنه يتفق مع تقاليد القوانين الزراعية للتوراة[9] .

ومن الملاحظ أن الصحافة الصهيونية لجأت في هذا المجال إلى استغلال نصوص معينة من التوراة بهدف الإيحاء إلى يهود مصر بأن الجهود التي تبذلها الحركة الصهيونية في تلك الأيام بالذات للاستيلاء على فلسطين إنما هي تحقيق لنبوءة الرب بعودة اليهود إليها ، ثم اتخذت من ذلك مبررا ؛ كي تطالبهم بالقيام بواجبهم المقدس نحو دعم جهود الصندوق القومي ، فنجد « لارفيو سيونيست » تنشر في مقدمة أحد نداءاتها لليهود هذه العبارة من سفر « آراميا » :[10]

قال الرب : « ها هي ذي الأيام قد جاءت لكي أعيد أسرى شعب إسرائيل ويهودا ، وسآتي بهم إلى الأرض التي أعطيتها آباءهم وسوف يمتلكونها » ، وبعد أن نشرت المجلة هذه العبارة وجهت نداءها إلى اليهود في مصر قائلة :

إخواننا في مصر .. إن كلمة الرب تتحقق ، فالآلاف من إخواننا قادمون من جميع أنحاء العالم في طريقهم إلى فلسطين ..

« ساعدونا في إعداد فلسطين من أجل أولئك الذين كانوا أول من استجابوا للصوت المقدس ، وابعثوا بتبرعاتكم إلى الصندوق القومي .. » .

وسعت « لارفيو سيونيست » إلى تصوير الخيار المطروح أمام اليهود بدلا من إعادة بناء الوطن القومي على أنه الوقوع في العبوية والذل ، حتى تستثير مخاوفهم بالنسبة للمستقبل ، وتحثهم على العمل في الاتجاه الذي تحدده لهم ، ألا وهو التبرع للصندوق القومي ولذلك نجدها تتوجه في أحد نداءاتها إليهم بقولها : « يجب أن تتذكروا ما قاله أنبياؤنا منذ وقت طويل : « كل من لايعمل ولا يساهم في استرداد أرض إسرائيل وإعادة بنائها يجب اعتباره كما لو كان يعمل لتدمير نفسه .. » .

ساعدوا في إعادة بناء وطننا المفقود ، وابعثوا بتبرعاتكم إلى الصندوق القومي 5 شارع كمال ــ القاهرة .

وإلى جانب المقالات والنداءات التي كانت تستخدم في التعريف بأهداف الصندوق القومي اليهودي ، لجأت « لارفيو سيونيست » إلى استخدام الشعارات التي كانت توضع داخل براويز ، والتي كانت تتحدث عن أهداف الصندوق القومي ، وكان كل شعار ينشر في نهايات الصفحات ونستطيع أن نذكر من هذه الشعارات ما يلي :

- « الصندوق القومي اليهودي هو لسان حال السياسة » .
- « من يساعد الصندوق القومي اليهودي سواء بعطاياه أو بعمله يساعد في إعادة الشعب اليهودي التائه منذ قرون إلى أرض وطنه المفقود » .
- « هدف الصندوق القومي اليهودي امتلاك أرض إسرائيل شعب إسرائيل ،

وشعب إسرائيل أرض إسرائيل »[11] .

هكذا نجد أن جانبا من أعمال الدعاية التي قامت بها الصحافة اليهودية للصندوق القومي اليهودي يتركز كان على التعريف بالصندوق وبأهدافه ، فقد اكتشفت هذه الصحف أن عدم مبالاة الجمهور اليهودي بالبنوك القومية اليهودية ، يرجع في جانب منه إلى عدم إدراكه أهدافها ، وعدم معرفته بمصير الأموال التي يتم جمعها ، ولهذا فإنه لكي تنجح هذه البنوك في التأثير النفسي أكثر من استخدامها الأسلوب العلمي في التعريف بالصندوق القومي وأهدافه ؛ حتى تظفر ببغيتها بزيادة حصيلته من التبرعات التي يدفعها اليهود المصريون ، وربما لهذا السبب أيضا كان « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » يقوم بنشر دراسة وثائقية في كل عدد من أعداده عن واحدة من المنظمات اليهودية الرئيسية « في أرض إسرائيل » .

كان يبدؤها دائما بدراسة عن الصندوق القومي وإنجازاته خلال العام المنصرم[12] .

2 ـ التعريف بطرق تمويله :

لم تقف جهود الصحافة اليهودية في مجال الدعاية للصندوق القومي عند مجرد التعريف بأهدافه ، وإنما امتدت لتشمل تعريف الجمهور اليهودي بسبل التبرع له أيضا ، وفي الواقع كان الصندوق القومي قد ابتكر عددا من الوسائل والأساليب التي تمكنه من الوصول إلى جيوب اليهود المعروفين بحبهم لجمع المال ، وعدم استعدادهم للتفريط فيه ، وكان من أهم هذه الوسائل كما قدمتها الصحافة اليهودية ما يلي :

أ ـ صندوق التبرعات :

كان أحد المصادر الرئيسية بالنسبة للصندوق القومي في مصر وقد تم وضع 1200 صندوق منها حتى عام 1922 لدى 200 أسرة يهودية ، وذلك ضمن الصندوق مساهمة نحو عشرة آلاف يهودي ـ كان من المحتمل أن يظلوا بعيدين عن الحركة الصهيونية ـ في إعادة بناء الوطن القومي في أرض إسرائيل .[13]

ويشير الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى إلى أن « صندوق التبرعات » كان الرمز الشائع لتدعيم المساهمة اليومية لكل فرد في استرداد أرض إسرائيل بالشراء ، ولذلك نجد صحيفة « لورور » تنشر إعلانا احتل نصف صفحة من صفحاتها تحث فيه الأسر اليهودية على اقتناء « صندوق التبرعات » الذي أطلقت عليه « حصالة الكيرن كايمت ليسرائيل »[14]

ب ـ الضريبة التطوعية :

الضريبة التطوعية عبارة عن ضريبة يدفعها اليهودي كل عام بصفة منتظمة بما يتفق ودخله ، وقد ابتكر الصندوق القومي هذه الضريبة ، حتى يضمن مساهمة جميع اليهود : أثرياء وفقراء بصفة منتظمة ومستمرة في تمويله بمبالغ تتفاوت في حجمها حسب قدرات وإمكانات اليهود المختلفة .

كانت الضريبة التطوعية هي المصدر الثاني لعائدات الصندوق القومي في مصر ، وقد أدخل الصندوق هذا النظام إلى مصر لأول مرة عام 1921 ، ونظرا لأهمية المبلغ الذي تم جمعه في مصر من خلال الضرائب التطوعية توقع الصندوق القومي في تقرير عن نشاطه عام 1921 ، أن تصبح هذه الضريبة المصدر الأول لعائدات الصندوق في مصر ، فخلال وقت قصير وبقليل من الجهد ، دفع 280 شخصا ضريبتهم التطوعية التي بلغت 303 جنيهات مصرية ، ولذلك توقع المسئولون عن مكتب الصندوق القومي ألا يمر وقت طويل قبل أن تكون الضريبة التطوعية مقبولة من جانب جميع اليهود في مصر[15] .

وقد كتبت « لارفيو سيونيست » تحث يهود مصر على دفع ضريبة الدخل التطوعية فقالت :

« نحن الآن في منعطف تاريخي خطير » مئات الألوف من إخواننا في طريقهم إلى أرض إسرائيل ، ولكن دخولهم إليها أصبح مستحيلا ؛ لأن اليهود القادرين على المساهمة في خلاص شعبهم لم يقوموا بدورهم ، ولم يدفعوا الأموال الضرورية لإيجاد مخرج لوصول هؤلاء التعساء إلى فلسطين ..

« يجب ألا ننسى أنه لا يكفي إحضار عدد كبير من اليهود إلى فلسطين فمن

الضروري قبل ذلك أن نوفر لهم المأوى والعمل ؛ حتى يستطيعوا أن يكسبوا عيشهم بشرف ..

« ينبغي إذن على كل يهودي أن يدفع من تلقاء نفسه ضريبة تطوعية ، ليس بإعطاء الصندوق القومي صدقة من بضعة قروش ولكن بمساهمة محددة ومنتظمة تتفق ودخله .. »[16] .

حـ ـ السجل الذهبي :

كان السجل الذهبي للصندوق القومي هو المورد الثاني لعائداته على مستوى العالم ، وكان يتم التسجيل فيه تكريما لشخص أو مؤسسة أو حدث بارز مقابل دفع مبلغ من المال بحد أدنى قدره عشرون جنيها أو ما يساوي هذا المبلغ من العملات الأخرى ، وفي مقابل هذا يمنح كل شخص يسجل اسمه في السجل الذهبي شهادة تكريم .

وقد ساهمت الصحافة اليهودية في تشجيع أبناء الطائفة على المشاركة في تسجيل أسماء أبرز الشخصيات اليهودية ، سواء في مصر أو في الخارج ، وكان من بين أبرز الشخصيات اليهودية الأجنبية التي حثتهم على المساهمة في الاكتتاب لتسجيل أسمائهم : البارون بنيامين بن يعقوب دي روتشيلد الذي استصدر فور تعيينه مندوبا ساميا في فلسطين عام 1920 ـــ قانون الهجرة الذي سمح بدخول 16,500 يهودي إلى فلسطين ، والسير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى .

وتجدر الإشارة إلى أن يهود مصر ساهموا في تسجيل أسماء بعض أبناء الطائفة في السجل الذهبي أمثال ليون كاسترو ، وجوزيف بتشوتوبك ، ورينيه قطاوي ، وإبرامينو منشة وغيرهم .

د ـ هبات الأشجار :

برزت فكرة هبات الأشجار عام 1904 بعد وفاة هرتزل ، عندما دعا الصندوق القومي اليهودي الطوائف اليهودية في جميع أنحاء العالم إلى التبرع من أجل زرع غابة

تحمل اسم مؤسس الحركة الصهيونية تخليدا لذكراه ، وبالفعل بدأ تشجير غابة هرتزل ، وكانت قيمة الهبة الواحدة ستة شلنات أي 30 قرشا مصريا للشجرة الواحدة .

وقد طور الصندوق القومي منذ ذلك التاريخ فكرة هبات الأشجار بحيث لم تعد تقتصر على غابة هرتزل فقط ، إنما استغلها في إنشاء غابات أخرى تحمل أسماء يهود وأجانب ممن أدوا خدمات جليلة للحركة الصهيونية مثل اللورد بلفور تكريما لهم وتخليدا لذكراهم .

وفي الواقع فإن الهدف الحقيقي من إنشاء تلك الغابات لم يكن مجرد تكريم مشاهير اليهود والصهيونيين وغيرهم ، وإنما كان الهدف الحقيقي هو تشجير فلسطين ، إذ يكشف « الكتاب السنوي لليهود بمصر والشرق الأدنى » أنه نظرا لأن الغابات تلعب دورا كبيرا بالنسبة للاقتصاد الزراعي في أي بلد ، فضلا عن الدور الذي تقوم به لتلطيف حالة الجو ، وخصوصا أن بعض الأراضي التي يمتلكها الصندوق القومي تشتمل على مناطق جبلية لا تصلح إلا لغرس الأشجار لذلك فقد اقتضت خطة الصندوق القومي اليهودي غرس 2500 شجرة على مساحة عشرة آلاف دونم ، ولتنفيذ هذه الخطة ابتكر الصندوق القومي نوعا من الهبات الشعبية لتشجير فلسطين من خلال إنشاء عديد من الغابات أو الحدائق التي تحمل أسماء بازرة[17] .

وقد أقبل اليهود المصريون على الإسهام في هذا النوع من الهبات بدرجة كبيرة ، ويرجع السبب في ذلك إلى التطوير الذي أدخله الصندوق القومي على فكرة هذه الهبات بأن جعلها تنطوي على تكريم للمتبرع أو لشخصية عزيزة عليه ، أو لذكرى غالية ، وذلك بمنحه شهادة تفيد قيامه بالتبرع ، وقد كان بإمكان الفرد الواحد أن يتبرع بأكثر من شجرة تخليدا لذكرى والده أو والدته أو أبنائه أو أقربائه أو أصدقائه .. وزيادة في التكريم كان الصندوق القومي ينشر أسماء هؤلاء المتبرعين في قوائمه التي كانت تنشرها « لارفيو سيونيست » مع الإشارة إلى اسم الشخص أو المناسبة التي تبرع من أجلها .

وإلى جانب مساهمة يهود مصر في تشجير غابة هرتزل وغيرها ، نشرت صحيفة إسرائيل أن مكتب الصندوق القومي في مصر علم أن الإدارة العامة في القدس ستتخذ قرارا بتخصيص مكان لزرع الأشجار يحمل اسم « غابة يهود مصر » ، ولذلك ناشدت الصحيفة يهود مصر التبرع بهباتهم لتلك الغابة التي تحمل اسمهم[18] .

ومن ناحية أخرى فإن « الجمعية القومية » ، (الجمعية الصهيونية) في مصر اتخذت قرارا في عام 1942 بغرس غابة في فلسطين تخليدا لذكرى يوسف قطاوي باشا[19] ، وكما هو واضح لنا سعى الصندوق القومي اليهودي إلى الاستفادة بامكانات يهود مصر إلى أقصى حد ممكن في تشجير الأراضي التي استولي عليها في فلسطين .

ويبدو أن تيودور هرتزل كان قد وضع يده على مفتاح شخصية اليهودي حينما قال : إن اليهود كشعب محتقر يتحرقون شوقا إلى الاحترام ، وأنه بتكريمهم سوف يستطيع توجيههم حيثما شاء ، ويبدو أيضا أن الصندوق القومي اليهودي قد استفادمن أيديولوجية هرتزل فابتكر فكرة السجل الذهبي وفكرة هبات الأشجار لإشباع حاجة اليهودي إلى الشعور بالاحترام ، وإلى الإحساس بقيمته ، ولهذا لم يكن غريبا أن يحتل السجل الذهبي المركز الثاني بين عائدات الصندوق القومي اليهودي على مستوى العالم .

هـ ـ سجل الطفل ، وسجل بارمتيزفا :

هاتان الوسيلتان لجمع التبرعات لهما هدف مماثل لهدف السجل الذهبي ، ولكن الفارق بينهما هو أن « سجل الطفل » و« سجل بارمتيزفا » كانا مخصصين لتسجيل أسماء الأطفال حتى عمر 13 سنة ، وكان اسم الطفل الواحد يتم تسجيله مقابل جنيهين اثنين وترفق مع الاسم صورته ، والطفل الذي يسجل اسمه في سجل الأطفال كان يحصل على شهادة وشارة خاصة ، أما الطفل الذي يسجل اسمه في بار متيزفا فيحصل على ألبوم هدية .

وكان الهدف من هذين السجلين ـ كما حدده الصندوق القومي ـ أن يكونا

بمثابة الرابطة بين أرض إسرائيل وأطفال العالم أجمع[20] ، ولكنهما كان في الوقت نفسه وسيلة لجمع الأموال أيضا .

و – محفظة رأيمي :

وهي عبارة عن حصالة ورقية صغيرة يستطيع كل فرد حملها معه ، وقد تم إنشاؤها بهدف تجنيد كل صهيوني ، وكل صديق للصندوق القومي في العمل الجماعي ؛ حيث تسمح المحفظة لحاملها بأن يستخدمها في كل المناسبات التي تسنح له لجمع التبرعات للصندوق القومي .[21] .

ز – الطوابع والبرقيات :

كان الطابع الصغير ذو اللونين الأزرق والأبيض هو الوسيلة الأولى لجمع التبرعات للصندوق القومي ، وقد صدرت منذ بداية النشاط الصهيوني مجموعات عديدة من الطوابع التي تحمل مناظر فلسطينية وأشياء أخرى ، وهذه الطوابع كانت تلصق على الخطابات والدعوات والإيصالات ، أما برقيات الصندوق القومي فقد استخدمت في التهاني .

وقد حرصت لجنة الصندوق القومي اليهودي على توجيه التهنئة إلى جمعية Linath Hazedek التي كانت أول من استجاب لندائها في مصر من أجل استخدام طوابع الصندوق ، وقامت بلصق طابع على كل تذكرة للحفلة الموسيقية التي أقامتها في 20 مارس 1921[22] ، وقد ذهبت حصيلة هذه الطوابع إلى خزانة الصندوق .

ح – سجل الهبات :

كان الواجب على كل معاون للصندوق القومي اليهودي أن ينتهز كل مناسبة أو كل حادث يقع داخل الأسرة أو داخل المجتمع لصالح الصندوق القومي . وكان يحدث دائما في أثناء الاجتماعات أو الاحتفالات الحصول على اكتتابات للسجل الذهبي أو هبات الأشجار ، ولتسهيل العمل الفني المحلي تم إنشاء سجلات للهبات أثبتت فيما بعد وسائل فعالة لجمع التبرعات في معظم التجمعات اليهودية .[23] .

ط ـ الهبات :

ظلت الهبات الشعبية الصغيرة التي تسهم فيها كل الطبقات اليهودية أحد المصادر الرئيسية لعائدات الصندوق القومي ، وقد اجتهد الصندوق منذ بداية نشاطه في جذب الطبقات الميسورة ، ولذلك كان هناك بعض اليهود الذين تبرعوا بثرواتهم كلها مقابل ما يضمنه لهم الصندوق من دخل طوال حياتهم .[24] .

ى ـ المستوطنات :

جرى الصندوق القومي اليهودي على سياسة إنشاء مستوطنات في فلسطين تحمل أسماء الشخصيات اليهودية والصهيونية تكريما لهم من ناحية ، وكوسيلة للمساهمة في شراء أرض فلسطين وتعميرها ، وقد ساهمت الصحافة اليهودية في حث يهود مصر على الاكتتاب لإنشاء هذه المستوطنات .

ك ـ النذور :

دخلت النذور ـ أيضا كمصدر من مصادر تمويل الصندوق القومـي ، وأصبحت الصحافة اليهودية تشجع اليهود على تقديم نذورهم الي الصندوق القومي بدلا من المشايخ أو الفقراء ؛ حتى يستطيع الصندوق القيام بخطوة كبيرة نحو تحرير الشعب اليهودي على « أرض إسرائيل » .[25] .

ل ـ حملات الصندوق القومي اليهودي :

كان الصندوق القومي ينظم خمس حملات على مدار العام لجمع التبرعات أربع منها في مناسبات الأعياد الدينية والقومية ، وحملة واحدة موجهة إلى كل السكان اليهود في جميع البلدان .

وكانت حملة تشري التي تقام في شهر تشري (أكتوبر) من كل عام هي أوسع تلك الحملات وأهمها ، فقد كانت تلك الحملة تختتم العام المنصرم وتفتتح العام المقبل ، كما كان يجري خلالها جمع التبرعات من المنازل والمعابد والاجتماعات الخاصة .

تلك كانت أهم الوسائل التي اعتمد عليها الصندوق القومي اليهودي في جمع تبرعاته من مصر ، والتي حرصت الصحافة اليهودية على الترويج لها بين قرائها .

3 - التعريف بإنجازات الصندوق :

كان الشق الثالث والأخير وهو الذي يتعلق بإطلاع اليهود المصريين على إنجازات الصندوق في مجال جمع التبرعات ، ومصير الأموال التي يتبرعون بها يحظى باهتمام المسئولين في المنظمة الصهيونية ، وفي مكتب الصندوق القومي في مصر ، ولعل أحد مظاهر هذا الاهتمام تبدو في الاجتماع الذي عقده مكتب الصندوق القومي في القاهرة يومي الأول والثاني من شهر أكتوبر عام 1921 ، وكان هذا الاجتماع الأول من نوعه منذ بدأ الصندوق ممارسة نشاط في البلاد ، وقد دعي لحضور هذا الاجتماع مندوبو الصندوق والحاخام الأكبر بالقاهرة ، وأعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني بمصر ، ومندوبون عن كل الجمعيات والطوائف اليهودية بمصر ، وممثلون عن الصحافة المحلية والفلسطينية ، وقد عرض د . جيتلمان رئيس لجنة الصندوق تقريرا عن نشاط مكتب الكيرن كايمت خلال الشهور السبعة الأخيرة من ذلك العام ، وقد علقت « لارفيو سيونيست » على هذا التقرير بقولها : إن الصندوق أقام منظمة قوية ونشيطة من المندوبين الذين كرسوا أنفسهم للعمل لصالحة[26] .

وكان جانب من أعمال الدعاية التي تقوم بها الصحافة اليهودية للصندوق القومي ينطوي على نشر حصيلة ما يجمعه الصندوق في مصر وفي الخارج على مدى الشهر والفصل والعام حتي يطلع اليهود على مدى التقدم الذي يحرزه الصندوق وعلى ترتيبهم في قوائم التبرعات بالنسبة ليهود العالم ، فعلى سبيل المثال أشارت المنظمة الصهيونية في تقريرها السنوي - الذي نشرته .. « لارفيو سيونيست » عام 1922 - إلى أن مجموع التبرعات التي قدمها يهود مصر خلال الخمسة عشر شهرا الماضية بلغت 749 جنيها دفعها 3500 متبرع ، وقد أعربت المنظمة عن رضاها لتلك النتيجة ، ليس بسبب حجم المبلغ المدفوع ، ولكن بسبب عدد الذين تبرعوا ، فقد كان يعني من وجهة نظرها أن الصندوق القومي أصبح شعبيا في مصر[27] .

هكذا نجد أنه في الوقت الذي كانت تناضل فيه الأمة المصرية من أجل حريتها ، وفي الوقت الذي كان يوجد فيه عدلي يكن في لندن للتفاوض مع الحكومة البريطانية من أجل الجلاء والاستقلال ، كانت المنظمة الصهيونية تعقد اجتماعاتها في مصر لتقديم سبل استيلاء الصندوق القومي اليهودي على أراضي فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها .

وقد كرست « لارفيو سيونيست » صفحاتها لمتابعة نشاط الصندوق في مجال جمع التبرعات والاستيلاء على الأرض في فلسطين ، وقد لاقت جهود المجلة في هذا الصدد تقدير د . جيتلمان الذي أشار في تقريره الذي أشرنا إليه آنفا أن هذه المجلة تقدم خدمات كبيرة للصندوق ، من خلال نشرها لإعلاناته وقوائمه ، ومن خلال المقالات الدعائية له .

وإزاء هذا الاهتمام لاقى نشاط الصندوق القومي اليهودي في مصر ومأأحرزه من نتائج خلال ذلك العام الاستحسان في دوائر المنظمة الصهيونية العالمية أيضا ، فقد أعرب حاييم وايزمان خلال زيارته لمصر في شهر نوفمبر عام 1922 عن رضاه عن عمل الصندوق في البلاد ، وطلب من رئيس تحرير « لارفيو سيونيست » أن ينقل تهانيه إلى العاملين فيه وإلى أعضاء لجنة الدعاية[28] .

ويرجع السبب في ارتياح المنظمة الصهيونية العالمية إلى أن مصر احتلت بحصيلة التبرعات التي جمعها الصندوق عام 1921 والتي بلغت 531 جنيها استرلينيا المركز السابع والثلاثين بين 53 دولة على مستوى العالم ، ولم يتفوق عليها من البلاد العربية سوى العراق التي بلغت حصيلتها عن ذلك العام 15,947 جنيها استرلينيا ، كما أنه في عام 1923 بلغت حصيلة الصندوق في مصر 1462,441 جنيها ، وكان ذلك يعني أن نشاط الصندوق في تقدم مستمر .

وكانت إدارة الصندوق القومي تنشر كل شهر قائمة بإيراداتها وتشير إلى أنه تم إرسال المبلغ المتحصل شهريا إلى المكتب المركزي للصندوق القومي اليهودي في هولندا بعد خصم مصروفات مكتب القاهرة .

وكان من أبرز الشخصيات التي تولت إدارة مكتب الصندوق بالقاهرة جوزيف شيكوريل عام 1918 ود . جيتلمان ، ودانيل سابورتا .

وفي الإسكندرية وبعض المدن المصرية الأخرى كالمنصورة ، كان يوجد للصندوق القومي مكاتب مماثلة لمكتب القاهرة تمارس النشاط ذاته في جمع التبرعات والهبات .

ثانيا : الصحافة اليهودية والصندوق التأسيسي اليهودي :

أنشئ الصندوق التأسيسي اليهودي (الكيرن هايسود) عام 1920 إبان مواجهة الحركة الصهيونية لمشكلة تمويل مشروعها الاستيطاني في فلسطين بعد صدور وعد بلفور ، وقد تضمن قرار إنشائه التزام كل يهودي أيا كان موقفه من الصهيونية بدفع ضريبة سنوية بحد أدنى معين للمساهمة في إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وقد تم تخصيص أموال الكيرن هايسود لتمويل أنشطة الوكالة اليهودية في فلسطين في مجالات الاستيطان والتعليم والأمن والهجرة اليهودية غير الشرعية[29] .. وغيرها .

وعلى الرغم من أن هذا الصندوق لم يكن له مكتب دائم في القاهرة مثل الصندوق القومي اليهودي فإنه كان يتم إيفاد مندوبين من الخارج للقيام بأعمال الدعاية له وجمع التبرعات ، وكانت الصحافة اليهودية في مصر تشارك في أعمال الدعاية اللازمة في أثناء الحملات التي يقوم بها هؤلاء المندوبون .

وإذا كانت « لارفيو سيونيست » قد كرست نفسها للدعاية للصندوق القومي اليهودي ، فإن صحيفة « لورور » تخصصت في الدعاية للكيرن هايسود ، ولكن هذا لم يمنع الأولى من الدعاية للكيرن هايسود إلى جانب اهتمامها بالصندوق القومي ، فقد كانت هذه المجلة تدرك أن دعم نشاط الكيرن هايسود الذي يقوم بأعمال العمران المختلفة في فلسطين سوف يسهم في تسهيل استيلاء الصندوق القومي على أراضي فلسطين ، سواء بشرائها أو باحتلالها بموافقة السلطات « بأن تثبت لها أن لدينا الوسائل الكفيلة . بزرعها واستغلالها »[30] .

كذلك فإن صحيفة « لورور » استرعت انتباه اليهود المصريين إلى أن الكيرن

هايسود لايقل أهمية عن الصندوق القومي ، وأن كلا المصرفين يكمل أحدهما الآخر فيما يتعلق بهدف الوصول إلى فلسطين يهودية[31] .

وكما ذكرنا آنفا ، قام الكيرن هايسود بجمع التبرعات في مصر من خلال مندوبيه الذين كان يوفدهم إلى البلاد ، ففي عام 1922 جاء إلى مصر د . فيكتور جاكويسون Victor Jacobson بعد أن زار بلغاريا واليونان وسوريا وتركيا ، حيث قام بحملات لجمع الأموال هناك .

على أن أقوى الحملات التي قام بها الكيرن هايسود في مصر بعد تأسيسه ، تلك التي قام بها الدكتور جوزيه بوشميل José Buchmil أستاذ القانون ، الذي جاء إلى البلاد في أوائل شهر ديسمبر عام 1924 موفدا من قبل لجنة مديري الكيرن هايسود .

وفي الوقت الذي كان فيه الملك فؤاد وأحمد زيور باشا وإسماعيل صدقي وزير الداخلية مشغولين بالتفكير في الأساليب التي تكفل لهم إلحاق الهزيمة بحزب الوفد في الانتخابات البرلمانية التي كانوا يعتزمون إجراءها بعد استقالة وزارة سعد زغلول في أعقاب حادث السردار ، وفي الوقت الذي كانت فيه سلطات الأمن المصرية مشغولة بملاحقة رجال سعد زغلول ومطاردتهم ، ومراقبة حركاتهم وسكناتهم ، وتقوم بمنع اجتماعاتهم ، وصل الدكتور بوشميل ، وبدأ القيام بحملته لصالح الكيرن هايسود من خلال الاجتماعات التي كان يعقدها في القاهرة والإسكندرية في حرية تامة لشرح أهداف الصندوق وحث الطائفة اليهودية على التبرع له ، وقد ركز بوشميل دعايته في النقاط التالية :[32]

1 ـ تصوير النشاط الذي تقدم به الحركة الصهيونية لإنشاء الوطن القومي اليهودي على أنه نوع من العمل الإنساني .. ولكي يوجد بوشميل الدافع لدى اليهود على التضامن والاستجابة لدعايته قدم معاداة السامية في أوربا الشرقية على أنها آفة اجتماعية واقتصادية ودينية تتطلب من اليهود أن يتعاونوا لمواجهتها ، كما صور الكفاح من أجل حشد اليهود في وطن قومي يضم المضطهدين منهم ، على أنه كفاح ضد

كارثة أو نكبة شعبية لم تكف عن التهديد .

2 – حاول التأكيد على أن النضال اليهودي من أجل الاستيلاء على فلسطين هو نضال سلمي لا يمكن أن يترتب عليه أية أضرار بالنسبة للسكان العرب الفلسطينيين ، بل زعم أنهم يستطيعون الاستفادة من الاستيطان اليهودي فيها .

3 – إن الارتفاع في عدد الضحايا اليهود خلال السنوات الأخيرة إنما كان نتيجة لحياة الأقليات الصغيرة التي يعيشها اليهود بين أغلبيات ساحقة ، ولذلك كان الحل الوحيد الذي اقترحه لتلك المشكلة هو الوطن الذي يسمح لليهود بالتلاحم الشعبي .

4 – إن الحركة الصهيونية لم تطلب من اليهود أن يتركوا أوطانهم ويهاجروا إلى فلسطين ، وأن كل ماتطلبه منهم هو أن يساعدوا إخوانهم ماديا ومعنويا ، وألا ينسوا أصلهم اليهودي .

وقد سعى بوشميل خلال الاجتماعات التي عقدها في القاهرة إلى دفع اليهودية المصرية إلى اتخاذ قرارات تتعاطف والنشاط الصهيوني ، كان منها على سبيل المثال القرار الذي اتخذه المجتمعون في فندق الكونتننتال – بناء على اقتراحه – للإعراب عن تعاطفهم واليهود المضطهدين في كل البلدان ، وتوجيه التحية إلى الرواد الذين لم يبخلوا ببذل أية تضحيات في عملهم الرامي إلى إعادة تعمير « الوطن اليهودي القديم » ، ثم إعلانهم أن الواجب المقدس يحتم على كل يهودي أن يساعد إخوانه الشهداء وأن يؤيد بكل قواه إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين تضمنه عصبة الأمم[33]

وقد ساندت صحفيتا « لورور » و « إسرائيل » الحملة التي كان يقوم بها بوشميل من خلال الاتصال المباشر ، إذ قامت كل منها بنشر نص المحاضرات والكلمات التي كان يلقيها أثنا لقاءاته وأبناء الطائفة اليهودية حتى يمتد أثرها إلى أكبر عدد من القراء ، كذلك فإن « لورور » فتحت صفحاتها أمام بوشميل لينشر فيها ما يشاء من المقالات التي تدعم حملته ، بل إن الأمر وصل بها إلى حد تخليها عن المقال الافتتاحي ليكتبه بوشميل الذي انضم إلى هيئة تحريرها .

وقد أبدت « إسرائيل » و « لورور » نشاطا واضحا في متابعة الحملة التي كان يقوم بها بوشميل ، بل إنهما قامتا بنشر مواعيد المحاضرات التي كان يلقيها وحثتا الجمهور على عدم ضياع فرصة الاستماع إليها ، وانتهزت « لورور » فرصة هذه الحملة وقامت بنشر ملحق على صفحتين عن « الكيرن هايسود » أهدافه ومنجزاته »[34] كما قامت بحملة صحفية مساهمة منها في أعمال الدعاية التي يقوم بها بوشميل ، وقد شارك في هذه الحملة جاك هويلفر الذي كتب مستهدفا إثارة حماس الطائفة اليهودية ودفعها إلى التبرع لهذا الصندوق بقوله :

« إن مصر مازالت حتى اليوم لاتمثل شيئا في النشاط الذي يبذله الكيرن هايسود في حين حصلت طوائف أقل منها شأنا على شرف التسجيل في السجل الكبير للكيرن هايسود ، فالصحفة الوحيدة التي ينبغي أن يوضع عليها اسم مصر مازالت بيضاء ، فلماذا لاتنتهز الشخصيات اليهودية وصول الداعية جوزية بوشميل للبدء في التبرع لصالح الصندوق »[35] .

وبعد انتهاء حملته في القاهرة ، انتقل بوشميل إلى الإسكندرية حيث توجد طائفة يهودية كبيرة لتنظيم حملة أخرى هناك ، وقد استطاع بوشميل أن يحقق نجاحا كبيرا تم الاعتراف به في التقرير الذي قدمه المكتب المركزي للكيرن هايسود إلى المؤتمر الصهيوني العالمي الرابع عشر في فيينا عام 1925 عن نشاط الصندوق في مصر خلال عام 1924 - 1925 ، والذي جاء به أن الحملة كانت ناجحة جدا من وجهة النظر المادية والمعنوية[36] .

وقد جاء بالتقرير أن النتائج المالية للحملة تسمح لنا بأن نأمل بتصاعد أهمية مساهمة يهود مصر في إعادة تعمير فلسطين ، ففي القاهرة تبرع لنا 139 شخصا بمبلغ 1568 جنيها ، ووهب ليب فريدمان جزءا من ثروته يقدر بنحو 1500 جنيه للكيرن هايسود .

وأشار التقرير إلى أن أعمال الدعاية للصندوق تمت من خلال الاجتماعات العامة ، ومقالات صحيفتي « لورور » و« إسرائيل » ، وتوزيع النشرات المطبوعة بواسطة

المكتب المركزي .

وذكر التقرير أنه في الاجتماع الأول للجنة الصهيونية المحلية برياسة البارون جاك منشة الذي أقيم لافتتاح الحملة في الإسكندرية ألقى بوشميل محاضرة كان من نتيجتها أن تشكلت بالثغر لجنة خاصة للكيرن هايسود تولى رياستها البارون جاك منشة ، ثم حل محله فيما بعد البارون فيلكس منشة الذي كان يشغل منصب أمين الصندوق .

وبسبب النجاح الذي أحرزه بوشميل في رحلته الأولى إلى مصر تم ايفاده إلى مصر مرة أخرى في أكتوبر عام 1925 ؛ لتنظيم حملة جديدة لصالح الصندوق (*) .

وخلال تلك الحملة اتخذت لجنة الكيرن هايسود بالإسكندرية – بعد محاضرتين ألقاهما البارون فيلكس منشة ود . بوشميل – قرارا بإعلان تضامنهما التام ويهود العالم أجمع في جهودهم الرامية إلى إعادة بناء فلسطين يهودية ، كما أعربت عن مشاعر العرفان والإعجاب برئيس الحركة القومية وايزمان وسوكولوف بسبب نشاطهما الشجاع لصالح « وطننا القومي » . وأعلنت اللجنة أنه من واجب كل يهودي أن يساهم بأقصي ما يستطيع في الكيرن هايسود ، وأعربت عن أملها في أن يكون يهود مصر على رأس قائمة الدول المساهمة في النهضة القومية لشعب إسرائيل(36) .

ولم يقف دور يهود الإسكندرية عند مساهمتهم في خدمة الكيرن هايسود في مصر فقط ، وإنما امتد إلى خارج حدود البلاد ، فقد أوفدت طائفة الإسكندرية موريس ميساكا Maurice Messaca المحامي بمحكمة الاستئناف بالإسكندرية ونائب رئيس المنظمة الصهيونية بها للقيام بحملة لصالح الكيرن هايسود في المغرب وتونس وطرابلس .

وكما ابتكر الكيرن كايمت نظام الضريبة التطوعية لإيجاد مورد ثابت ومستمر للتمويل ، دعا الكيرن هايسود أيضا إلى دفع ضريبة دينية مشابهة عن المال والدخل تدعى « المعسر » Maasser للمساهمة في سد حاجته إلى 25 مليون جنيه استرليني لبناء

(*) كانت هذه الحملة في عهد وزارة زيور الثانية ، وكان إسماعيل صدقي يشغل فيها منصب وزير الداخلية .

الوطن القومي .

وقد تولت الصحف اليهودية مسئولية التعريف بهذه الضريبة المستمدة من تقاليد التوراة القديمة أملا في الفوز بدعم اليهود وتجاوبهم ، كما شجعتهم على دفع المعسر .

الدعاية للشيكل :(*)

نصت المادة 63 من القانون الأساسي للمنظمة الصهيونية العالمية على أن تتألف واردات المنظمة من رسوم الشيكل Shekel ، كما نصت المادة 64 من القانون نفسه على أن يكون الشيكل هو رسم الاشتراك السنوي للعضوية في المنظمة ، وتقوم بجمعه الجمعيات الصهيونية المحلية ولجان العمل لتغطية مصاريف المنظمة الصهيونية بكاملها ، وتسلمه غير منقوص إلى اللجنة التنفيذية خلال فترات يتم تحديدها .

وكانت قيمة الشيكل – كما حددها قانون المنظمة – شلنين ونصف الشلن سنويا أو مايعادلها من عملات البلدان الأخرى(37) .

وقد احتل الشيكل أهمية خاصة في تاريخ الحركة الصهيونية لعدة اعتبارات من أهمها :

1 – أنه كان المصدر الأساسي لتمويل المنظمة منذ إنشائها عام 1897 ، وحتى عام 1920 حينما أسس الصندوق التأسيسي اليهودي « الكيرن هايسود » .

2 – أنه استخدم من جانب المنظمة الصهيونية كوسيلة لإظهار قوتها ، وكبرهان على تمتعها بالشعبية والتأييد بين اليهود .

3 – أنه لم يسمح لأي يهودي بالاشتراك في انتخابات المندوبين إلى المؤتمرات

(*) الشيكل أو الشامل كلمة عبرية تعني وزن وهو القياس الوزني الذي كان يستخدم لوزن الذهب والفضة عند اليهود القدامى ويعادل حوالي 14 اجراما ، ثم تحول إلى عملة أيام المكابين ، وحينما كان موسى يحصر عدد الإسرائيليين أوصي إليه الله أن « كل من اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعدا يعطى تقدمه للرب » خروج 30/ 14 . وقد فرضت ضريبة مقدارها ثلث شاكل لبناء الهيكل الثاني . نقلا عن : موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل .

الصهيونية إلا بعد الدفع بالشيكل ، كما أن إيفاد المندوبين إلى تلك المؤتمرات كان يتوقف على عدد الشيكاليم:(*) المدفوعة .

فقد نصت المادة 30 من القانون الذي ينظم إيفاد الممثلين إلى المؤتمرات الصهيونية ، على أن كل اتحاد منفصل له الحق في تعيين ممثل إلى اللجنة المركزية عن كل عشرة آلاف شيكاليم ، أما الاتحادات التي يقل عدد ما حصلته عن 1500 شيكاليم فلديها الحق في إيفاد مندوب على الرغم من أن عدد العشرة آلاف ، لم يتم الوصول إليه ، كذلك يمكن اللاتحادات التي لم تصل إلى بيع 1500 شيكاليم أن تتحد مع اتحادات أخرى تعاني من الوضع نفسه بهدف الوصل إلى هذا العدد وتعيين ممثل مشترك[38] .

وقد بدأت المنظمة الصهيونية فى مصر نشاطا محموما في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وانتداب بريطانيا على فلسطين من أجل بيع الشيكل وزيادة حجم موارد المنظمة العالمية منه ، وقد بلغ عدد الكراسات التي أرسلت إلى مصر عام 1920 ألف كراسة ، كل كراسة بها عشرة شيكاليم ، ويعني ذلك أنه كان مطلوبا جمع عشرة آلاف شيكل في مصر ، وكانت قيمة الشيكل بالعملة المصرية في ذلك الوقت عشرة قروش ، ولذلك اتخذت المنظمة الصهيونية بمصر التدابير اللازمة للقيام بحملة الشيكل لعام 1920 - 1921 ، وقد اعتمدت في ذلك على الاتصال الشخصي بصفة أساسية ، فقامت بتعيين مندوبين لبيع الشيكاليم كان يتوجه كل اثنين منهم إلى البيوت اليهودية ، كما قامت بتنظيم الاجتماعات في الأحياء التي كان يقطنها اليهود لإلقاء محاضرات تتحدث عن الصهيونية ، ولتوجيه نداءات إلى الجمهور لشراء الشيكل وشرح مغزاه القديم والحالي ، وكانت هذه المحاضرات تلقى بلغات مختلفة في المعابد اليهودية ، التي توجد في درب البرابرة وحارة اليهود والعباسية والمنس وغيرها .

وقد لاحظت لجنة الشيكاليم بالمنظمة الصهيونية أن البيع كان يتم بصعوبة شديدة

(*) الشيكاليم جمع شيكل في اللغة العبرية

نظرا لأن عددا كبيرا من الأشخاص الذين تم الاتصال بهم كانوا لايعرفون ما هو الشيكل ، مما يشير إلى جهل تام بالمسألة الصهيونية ، ويدل على أن اللجنة لم تقم بالدعاية الكافية بين الجمهور وخصوصا في أوساط اليهود المصريين من أهل البلاد ، ولذلك وجد المندوبون أنفسهم في حاجة إلى أن يشرحوا مغزى الشيكل وقيمته في كل أسرة ، ولو فعلوا ذلك لأضاعوا كثيرا من الوقت والصبر ، ولهذا وجدت اللجنة أن تلجأ إلى ترجمة بعض النشرات – إلى اللغة العربية – التي تتناول بالشرح كل هذه الموضوعات ، على أن توزع بالمجان أو بأسعار رمزية ، كما أوصت بتوزيع نشرات تتحدث عن مسائل صهيونية عامة بين اليهود من أهل البلاد .

ونظرا لأنه تم بيع 1298 اشيكل فقط من بين العشرة آلاف التي أرسلتها اللجنة التنفيذية إلى مصر ، فقد اقترحت لجنة الشيكاليم على اللجنة المركزية إنشاء لجنة خاصة للدعاية للشيكل لأن العدد الذي بيع ضئيل بالنسبة إلى عدد سكان مصر من اليهود الذين قدر عددهم في ذلك الوقت بستين ألفا ، وقد رأت اللجنة أن مصر التي تقع على أبواب فلسطين ، يجب أن تدفع خمسة آلاف شيكل على الأقل سنويا[39] .

وقد وافقت اللجنة المركزية هنا على هذا الاقتراح ، وتم إنشاء لجنة للدعاية تولى رياستها د . بيلبول رئيس لجنة الشيكاليم ؛ كي تقوم بالدعاية للشيكل وإلى الانضمام إلى عضوية المنظمة الصهيونية في الوقت نفسه .

وقد قامت لجنة الدعاية للعضوية والشيكاليم فور تأسيسها بتوزيع نشرات تشرح مغزى الشيكل باللغتين العربية والفرنسية ، وقد بلغ عدد النشرات والنداءات التي وزعتها عام 1921 في جميع المدن المصرية سواء بالبريد أو باليد داخل المعابد اليهودية نحو ألف نشرة ونداء[40] .

وقد قامت الصحافة اليهودية في الوقت نفسه بدعم وسائل الاتصال المباشر التي اعتمدت عليها لجنة الدعاية للشيكل بأن قامت بنشر موضوعات هدفها التعريف بالشيكل وتاريخه ومغزاه .

وقد آتت هذه الدعاية ثمارها ، فقد تجاوز عدد الشيكاليم المبيعة في مصر عام 1920 الحد الأدنى ، وهكذا تمكنت المنظمة الصهيونية في مصر من الاشتراك في المؤتمر

الصهيوني العالمي الثاني عشر في كارلسباد عام 1921 وتم إيفاد البارون فيلكس منشه إليه ممثلا عن يهود مصر .

وفي العام التالي نشطت لجنة الشيكاليم للحصول على الحد الأدنى مرة أخرى حتى يتمكن الصهيونيون في مصر من المشاركة في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث عشر ولإظهار أن الحركة القومية اليهودية في مصر لم تتراخ ، وأنها تتطور بطريقة مرضية ، وقد نجحت حملة الشيكل التي قادها الرؤساء الجدد للجنة : د . موصيري ، وسلامون زوكرمان بتجاوز الحد الأدنى بدرجة كبيرة[41] .

صندوق الجؤلاه : Kern Hagueoula

أسس هذا الصندوق تحت اسم « كيرن هاها خاناه » Kern Haha khana عام 1918 ، ثم تغير اسمه في عام 1919 إلى « كيرن هاجؤلاه » أي صندوق التحرير ، وكان يعرف في الإنجليزية باسم صندوق استرداد فلسطين Palestine Restoration Fund .

كان الهدف الأساسي من إنشاء هذا الصندوق تغطية ميزانية المنظمة الصهيونية العالمية ، وتمويل أنشطة مقارها في لندن ، وقد قام الكيرن هاجؤلاه بالفعل بتوفير الاحتياجات المالية للمنظمة بالإضافة إلى دعم المستوطنات الزراعية ، والهجرة اليهودية من أوربا ، وأعمال التدريب السابق على الهجرة ، والبرامج التعليمية والثقافية في فلسطين ، كما قام بدعم قطاعات الصحة والعمل الاجتماعي والمستوطنات الحضرية والتجارة والحرف والإسكان والمنظمات القومية والدفاع ، كما تم استثمار أمواله في بنك العمال وغيرها[42] .

وفي أثر إنشاء الكيرن هاجؤلاه شهدت البلاد نشاطا واسعا للمساهمة في تمويله ، ففي الإسكندرية أسست عدة لجان تحت إشراف البارون فيلكس منشه للدعاية لهذا الصندوق ، وقد أسفرت هذه التحركات عن جمع مبلغ 13 ألف جنيه مصري خصص جزء منها لأعمال الهجرة اليهودية إلى فلسطين .[43] .

وقد شهدت القاهرة تحركات مماثلة ، إذ تشكلت لجنة صهيونية تضم

م . شيكوريل ، وليون كاسترو ، ألبرت بلاتش ، وجولدنبرج ، ود . موصيري ، وبرمان لجمع التبرعات لصندوق الجؤلاه ، وقد أسفرت أعمال هذه اللجنة عن جمع 102,69,845 جنيها مصريا حتى عام 1920[44] .

وكان أصحاب محلات شيكوريل بالقاهرة هم الذين يديرون أعمال هذه اللجنة ، إذ تشير « لارفيو سيونيست » إلى أن حسابات الجؤلاه ومتحصلاتها كانت توجد في محلات شيكوريل ، ولذلك فإنه حينما شب حريق في المحلات في أكتوبر عام 1920 كان على اللجنة الصهيونية بذل مزيد من الجهد لإعادة إنشاء هذه الحسابات مما ترتب عليه التأخير في نشرها .

وكان إنفاق هذه الأموال يخضع لتوجيه اللجنة التنفيذية الصهيونية في لندن ، ففي عام 1920 – على سبيل المثال – اجتمع يوليوس سيمون عضو هذه اللجنة خلال زيارته للقاهرة وأعضاء لجنة الجؤلاه في العاصمة المصرية حيث قدم إليهم مشروعا للاستفادة من الأموال التي تم جمعها في إنشاء صندوق باسم « صندوق المعدات » يقوم بتقديم القروض لعمال فلسطين ، وفي عام 1921 قدم حاييم وايزمان طلبا إلى المنظمة الصهيونية في مصر بتحويل أموال الجؤلاه الموجودة لديها إلى « صندوق المعدات » ، وقد تمت الموافقة على هذا الطلب في اجتماع المنظمة في الأول من فبراير عام 1921 .

وقد ظلت لجان الكيرن هاجؤلاه تمارس نشاطها في مصر حتى تمت تصفية هذا الصندوق ، وتحويل أمواله إلى الكيرن هايسود عام 1921 .

الصحافة وتشجيع الاستيطان الزراعي في فلسطين :

وإلى جانب مساندة عمل الصناديق اليهودية ، وحث اليهود على التبرع لها ، قامت الصحافة اليهودية بتشجيع اليهود المصريين على المساهمة في أعمال الاستيطان الزراعي لفلسطين ، فقد أدركت هذه الصحف أهمية قطاع الزراعة بالنسبة للمشروع الصهيوني بوصفها أحد المصادر الرئيسية لاقتصاد أي بلد ، وبوصفها أيضا الوسيلة الوحيدة التي تسمح لليهود بالاستيلاء على أرض فلسطين ، ولهذا السبب دعت

« لارفيو سيونيست » إلى الاستفادة من كل سنتيمتر مربع من أرض فلسطين في الإنتاج الزراعي وزيادة إنتاجية الجزء المزروع منها باستخدام الأساليب الحدثية[45] .

وحينما أنشأت اللجنة المركزية الصهيونية لفسطين عام 1922 مكتبا لإقامة Cités Jardins – أي مدن الحدائق – تطبيقا لقرار المؤتمر الصهيوني بحيث تكون فرعا من فروع الاستعمار الزراعي في فلسطين[46] ، تأسست في مصر على الفور جمعية لإنشاء مدينة من هذا الطراز لليهود المصريين في فلسطين تحت اسم « كيريات جوزيف » Kyriath Joseph ، وكانت هذه الجمعية فلسطين لكل مشترك فيها الحصول على قطعة أرض في تلك المدنية ليقيم عليها منزلا تحيطه حديقة صغيرة ، وقد تم تسجيل هذه الجمعية رسميا في المحكمة المختلطة بالقاهرة ، كما تم افتتاح حساب لصاحبها في البنك الأهلي المصري .

وفد تحدثت « رفيو سيونيست » عن هذه الجمعية فقالت : إن هدفها هو المساعدة في إعادة بناء فلسطين ، مع تقديم ربح للمساهمين وأعربت عن أملها بأن يتم اتباع هذا النموذج في مصر ، وأن تتشكل جمعيات أخرى على غرار « كيريات جوزيف » من أجل إعادة بناء الوطن القومي .

وقد بلغ عدد المشتركين في هذه الجمعية عند تأسيسها مائة عضو ، وكانوا جميعا أعضاء في اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر ، وقد كشفت « لارفيو سيونيست » عن أن أعضاء اللجنة المركزية هم الذين قاموا بتأسيس هذه الجمعية لتضيف حجرا مهما في صرح بناء فلسطين اليهودية ، وكانت قيمة الاشتراك للعضو 50 جنيها .

ولدى تأسيس جمعية كيريات جوزيف تم إيفاد مسيوبندرلي : Benderl أمين صندوق المنظمة الصهيونية بمصر إلى فلسطين بشراء قطعة أرض من تلك المخصصة لمدن الحدائق – وتم دفع مبلغ ألف جنيه كقسط أول .

وفي 12 نوفمبر 1922 أوفدت الجمعية د . جيتلمان إلى فلسطين لإتمام شراء قطعة

أرض مساحتها 80 دونمًا تقع بالقرب من تل أبيب ثمنها 2000 جنيه ، وكانت هذه المدينة هي أول مشروع من هذا النوع يقوم به اليهود المصريون ،[47] وقد علق د . بيلبول على أهمية هذا المشروع بالنسبة لشراء أراضي فلسطين فقال : « لو أنشئت جمعيات أخرى مماثلة لجمعيتنا تقوم بإرسال مبلغ 2600 ليرة إسرائيلية إلى فلسطين لشراء الأراضى ، لأصبحت مسألة إعادة شراء أرض إسرائيل أمرا واقعا »[48] .

ونظرا لأن الهدف من إنشاء هذه الجمعية كان شراء أراضٍ في فلسطين من العرب لصالح اليهود ضمن الخطة الرامية إلى جعل فلسطين يهودية ، لذلك نجد « لارفيو سيونيست » تتابع نشاط هذه الجمعية ، وتشجع اليهود على الانضمام إليها ، ليس من خلال ماكتبته عنها فحسب ، بل من خلال توزيع طلبات الاشتراك في عضويتها ضمن إعدادها .

وقد تابعت الصحف اليهودية النشر عن الجمعيات المماثلة التي أُسست بعد ذلك مثل جمعية ميمونية Mainomiah التي أنشئت في القاهرة لشراء أراضٍ في فلسطين لإنشاء مدن الحدائق ، وجمعية « يوزيه ميزرايم » Yosée Mizraim التي أُسست في الإسكندرية برأسمال قدره خمسون ألف جنيه .

ولتسهيل عملية الشراء تأسست شركة مساهمة محدودة باسم شركة تنمية أراضى فلسطين Palestine hand Developmen وكانت واحدة من أكبر المؤسسات المالية في فلسطين ، وتم تعيين د . جيتلمان ممثلا عاما لها في مصر . وقد رحبت « لارفيو سيونيست » بهذه الخطوة لأن تعيين د . جيتلمان كان حدثا ذا أهمية كبرى بالنسبة لليهودية المصرية ، لأن يهود مصر الذين يرغبون في امتلاك عقارات في فلسطين كان باستطاعتهم إجراء اتصالات مباشرة بالممثل العام لهذه المؤسسة التي كانت تقوم بتبسيط إجراءات التعاقد ، وتقدم مساعدة كبيرة في الشراء ليهود مصر ، بوصفها مؤسسة مالية معترفا بها من جانب الحكومة الفلسطينية[49] .

وبالإضافة إلى مدن الحدائق ساهم يهود مصر في إقامة بعض المستوطنات الزراعية

في فلسطين تحت تأثير الدعاية الصهيونية ، وكان من بين تلك المستوطنات ، مستوطنة « يديديا » التي أنشأها يهود الإسكندرية لليهود الألمان عام 1935[50] ومستوطنة « عين هاهوريش » Ein Hahoresh التي أنشأها يهود الإسكندرية أيضا بالقرب من « كفار يديديا » على مساحة 890 دونمًا ؛ لتكون نواة لتوطين المهاجرين اليهود المصريين الذين يعملون بالزراعة .

وقد اهتمت صحيفة « إسرائيل » بمتابعة أخبار هاتين المستوطنتين وظلت تحث يهود مصر على القيام بواجبهم نحو مساعدة مهاجريهم هناك حتى تتمكن مستوطنة « عين هاهوريش » من تحقيق انطلاقتها نحو الأمام ، ومن استيعاب مهاجرين جدد ، كما نشرت بعض الصور للمهاجرين أثناء قيامهم بالعمل الزراعي اليهودي هناك ؛ لتوضح مدى تصميمهم على قهر الصعاب التي يتعرضون لها ، من أجل المهمة المقدسة التي تذورا لها أنفسهم ، لعلها تنجح في التأثير على قرائها[51] .

تشجيع الصناعة الصهيونية :

لم يكن البعد الاقتصادي في الاستراتيجية الصهيونية – كما وعته الصحافة اليهودية – يقتصر على مجرد الحفاظ على استمرار تدفق الأموال اليهودية المصرية إلى فلسطين ، وإنما كان يشمل أيضا تشجيع الصناعة الصهيونية الناشئة في فلسطين بتحويل مصر إلى سوق مستهكلة لمنتجاتها ، وجعلها مصدرا للحصول على المواد الخام اللازمة لتشغيل المصانع الصهيونية هناك ، وقد كان ذلك واضحا فيما نشرته الصحافة اليهودية .

ففي عام 1944 نشرت صحيفة « الشمس » تصريحا لإميل شموراك ، الخبير الاقتصادي بالوكالة اليهودية في فلسطين ، أدلى به في الحفل الذي أقامته له الجمعية الصهيونية في القاهرة حيث أعلن عن رغبة يهود فلسطين الصادقة في التعاون الاقتصادي وسائر البلاد الشرقية المجاورة ؛ حتى يستغني الشرق عن كثير مما يستورده من الأقطار البعيدة عبر البحر ، وناشد جمهور الحضور من اليهود السعي إلى تحقيق هذه الرغبة ، وكان استغناء الشرق عن كثير مما يستورده من الغرب يعني أن يقوم

بالاستيراد من فلسطين المنتجات الصناعية الصهيونية .

وقد شهدت الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن خطوات عملية لتحقيق هذا الهدف .

وعلى الرغم من أن تنشيط التبادل التجاري بين مصر وفلسطين اعتمد أساسا على الاتصال المباشر فإن الصحافة اليهودية باركت هذا الاتجاه وشجعته من خلال متابعتها للتقدم الذي يتم إحرازه في هذا الشأن .

وعلى الرغم من أحاديث الصحافة اليهودية عن أهمية التعاون الاقتصادي بين مصر وفلسطين وعن تجنب كل ما من شأنه قيام منافسة بين البلدين في مجال الإنتاج الصناعي ، نجد مجلة « لارفيو سيونيست » تكشف في مقال لها بتوقيع لوسيان ماجنيس Lucien Magnés عن عكس ذلك ، فقد دعا إلى عقد مؤتمر ليهود الشرق يشارك فيه مندوبون عن اليونان ، وتركيا ، ومصر ، وبلغاريا ، وبلاد العرب وسوريا ، وجزر الأرخبيل ، وبلاد الرافدين باعتبارهم من المهتمين بالمشكلات الاقتصادية في فلسطين بهدف إعادة التوازن إلى الميزان التجاري الصهيوني ، وذلك بفتح منافذ جديدة لتصدير المنتجات الصهيونية مع التقليل شيئا فشيئا من الاستيراد .

وكانت أبعاد الدور الذي حدده ما جنيس اليهود الشرق من أجل إصلاح الميزان التجاري الصهيوني في فلسطين ، هو أن يُعْطَى اليهود الذين يسيطرون على التجارة والصناعة في البلاد المذكورة المنتجات الصهيونية في أرض إسرائيل ، من خمور وفواكه وصناعات فنية وأعمال فنية .. وغيرها ، الأفضلية ، وأن يعطوا المستوطنين اليهود في فلسطين الأفضلية في السعر عند شرائهم المواد الخام من البلاد التي يقيمون فيها ، وضرب مثلا لذلك بقوله : إنه إذا باعت سالونيك وقوله وXanthie دخانها بأسعار مناسبة ليهود فلسطين ، فإنهم سيتمكنون من منافسة السجائر المصرية في التصدير ، علاوة على أن دخانهم سيحقق شهرة عالمية .

وإلى جانب قيام الصحافة اليهودية بتشجيع اليهود في مصر على التبرع للصناديق الصهيونية ، وعلى شراء الأراضي وإنشاء المستوطنات في فلسطين ، وحرصت من

وقت إلى آخر على تقديم مساهمات اليهود المصريين ، وقد لوحظ أنه فى أثناء
التي تقوم بها من أجل جمع التبرعات كانت هذه الصحف تقلل من شأن
اليهود مدعية بأنها لا تتناسب وعددهم ، أو وحجم الإمكانات التي لديهم
المسح الشامل لتلك الصحف يكشف عن جانب هام من تلك المساهمات ا
نجزم بأن يهود مصر ساهموا بدور هام في بناء الدولة اليهودية .

ففي نهاية سنوات الحرب العالمية الأولى قدمت مجلة « لارفيو إسرائيليت »
كشف حساب عن المساهمات التي قدمها يهود الإسكندرية فقط خلال فترة
فقالت : إن أي نداء موجه إلى كرم اليهود المصريين لم يذهب هباء ، فقد
الإسكندرية ما يزيد على 60 ألف جنيه خلال السنوات الأربع الماضية في
عددهم يبلغ 20 ألف نسمة من بينهم نسبة كبيرة من الفقراء ، وأنه انفق ث
المبلغ في دعم المؤسسات الإسرائيلية بمدينة الإسكندرية في حين ذهب الثلثان
إلى المعونات واللاجئين وفلسطين .

وأشارت المجلة إلى أن الأموال التي دفعها يهود الإسكندرية إلى الصليب
ولجان المعونة المختلفة الخاصة بأسر المجندين واليتامى لا تدخل ضمن هذا المبلغ
لو أنها أضيفت لتجاوزت مساهمة يهود الإسكندرية وحدهم مبلغ
فرنك[52] .

كذلك فإن مجلة « لارفيو سيونيست » نشرت مقالا بتوقيع « يوحانون ال
رد فيه على ما كان يتردد في الأوساط الصهيونية بمصر والخارج من أن يه
البلد لم يفعلوا شيئا لفلسطين في حين أعطى يهود أمريكا وإنجلترا مئات الآلا
الجنيهات خلال ثلاث سنوات ، فقال : « ليس من الصعب إثبات أن يهود هـ
أعطوا فلسطين منذ الهدنة نحو 40 ألف جنيه ؛ منها 12 ألف جنيه مصري
آلاف جنيه من الجؤلاه بالإسكندرية ، وعشرة آلاف جنيه من القاهرة وبور ،
بالإضافة إلى تبرعات فردية للمؤسسات الخاصة ، وللوفود القادمة من فلس
وللمهاجرين .. إلخ .

« وإذا أخذنا في الاعتبار أن الشعب اليهودي في أمريكا أقوى 50 مرة من الشعب اليهودي في مصر ، فإن مساهمات أمريكا لن تزيد على مساهمات مصر .. ومع ذلك أعطى يهود مصر المؤسسات اليهودية والأعمال القومية خلال السنوات الثلاث الأخيرة مايزيد على خمسين ألف جنيه[53] .

وبغض النظر عن أرقام المساعدات التي اختلف الكتاب حولها ، فمما لاشك فيه أن يهود مصر أسدوا خدمات جليلة للمسألة الصهيونية قبل صدور وعد بلفور ، بالمساعدة في الحفاظ على الوجود اليهودي في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى من خلال تقديمهم المساعدات والمعونات عبر سيناء ، بعد تعذر وصولها إليهم من خلال البحر المتوسط ، وقد حظيت جهودهم في هذا الشأن بتقدير المنظمة الصهيونية العالمية على لسان حاييم وايزمان ، الذي أعلن في أول خطاب له فى مصر بعد الحرب « أن الطائفة اليهودية المصرية قدمت الكثير للاجئي فلسطين ، ونحن نقدر لها ذلك »[54] .

من ناحية أخرى قدمت الطائفة اليهودية في مصر إسهامات كبيرة في إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية في فلسطين وعلى رأسها الجامعة العبرية ، ففي القاهرة كان جاك موصيري من أكبر المتحمسين لإنشاء تلك الجامعة ؛ ولذلك تبرع بمبلغ 1600 جنيه مصري ومنحة سنوية قدرها 60 جنيها لأحد طلبتها ، كما أن مجلس طائفة الإسكندرية بمجرد أن ألقي حاييم وايزمان خطابه أمامها عام 1918 بادر بفتح أول اكتتاب عام لصالح الجامعة العبرية .

ويتحدث د . محمد عبد القادر حاتم عن حجم الدور الذي لعبته مصر وطائفتها اليهودية في إنشاء الجامعة العبرية في فلسطين فيقول :

« قد لايعلم كثيرون في العالم العربي أو في الولايات المتحدة ، أنه لولا وجود الجامعة المصرية في القاهرة لما قامت الجامعة العبرية في القدس ، فقد أُسست لجنة الجامعة العبرية في القاهرة وكان رئيسها سلفاتور شيكوريل أحد كبار تجار اليهود ، وكان تمويلها في الأصل مصريا وليس هذا هو المهم ، بل الأهم من ذلك هو أن مصر احتضنت كبار أساتذة هذه الجامعة ، وكان أشهرهم إسرائيل ولفنسون الذي

تحمل مكتبة الجامعة العبرية اسمه حتى اليوم ، وقد كان تلميذا من تلاميذ جامعة القاهرة ، ونال درجة الدكتوراه على يد الدكتور طه حسين في موضوع اليهود في جزيرة العرب (*) »[55] .

مما سبق يتضح لنا أن الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية في مصر وأعمال الرعاية الصهيونية الأخرى ، كانت تتم في إطار الأيديولوجية التي صاغها هرتزل فيما يتعلق بالاستيلاء على أراضي فلسطين وتحقيق الاستقلال الاقتصادي لليهود عليها ؛ حتى يكون ذلك مبررا لطلب الاستقلال السياسي فيما بعد ، وكان تنفيذ هذه الخطة يقتضي من الصحافة الصهيونية تشجيع اليهود في مصر على التبرع للمؤسسات المالية الصهيونية التي أسندت إليها مهمة الاستيلاء على أرض فلسطين ، وتشجيع الاستيطان الزراعي والصناعة الصهيونية ، ونعتقد أنها اضطلعت بالدور المطلوب منها .



(*) كان موضوع الرسالة « تاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الإسلام » وقد نال بها إسرائيل ولفنسون درجة الدكتوراه بتقدير جيد جدا وذلك يوم 2 فبراير 1927 .

الفصل السادس

البعـــد السياســـي

إذا كانت الدعاية السياسية أصبحت إحدى أدوات السياسة الخارجية لأي دولة معاصرة ، وإذا كانت تستخدم الآن كأداة أدوات الوظيفة الدبلوماسية[1] ، فإن الحركة الصهيونية أجادت استخدام هذه الأداة منذ وقت مبكر ، بدأ مع بداية الاتصالات السياسية التي قام بها هرتزل لدى القوى السياسية الغربية من أجل الحصول على وطن قومي « يضمنه القانون العام » – وفقا لما نص عليه البرنامج الصهيوني – واستمرت حتى يومنا هذا .

لقد أدرك تيودور هرتزل منظر الحركة الصهيونية الأول أن فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين ، لابد لها أن تحظى بتأييد القوى الكبرى أو إحداها على الأقل ، ولكن هرتزل كان على وعي تام بأنه ما من قوة كبرى يمكن أن تمنح تأييدها وحمايتها الكيان الذي يرغب في إنشائه في فلسطين مالم تكن لها مصلحة حقيقية في وجود هذا الكيان ، ولذلك حرص هرتزل خلال اتصالاته السياسية بالسلطان العثماني ، وقيصر روسيا ، وملك إيطاليا ، وامبراطور ألمانيا ، على تقديم الدولة اليهودية المقبلة للقوى التي ستساهم في إنشائها كدولة عميلة كما حرص على إظهار الفوائد التي ستعود على الدول الكبرى من جراء وقوفها إلى جانب اليهود الذين يسيطرون على المال والاقتصاد والإعلام في أوربا وغيرها .

هكذا نجد أن كسب تأييد القوى الكبرى لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين كان أحد الأبعاد الأساسية في خطة العمل الصهيونية ، وكان نجاح الصهيونيين في هذا المسعى يعتمد إلى حد كبير على قدرتهم في إقناع هذه القوى بأهمية الدولة اليهودية بالنسبة لمصالحهم في المنطقة ثم إقناعها أيضا ، بأن إقامة مثل هذه الدولة لن يترتب عليه خلق أية مشكلات بالنسبة للأطراف العربية المختلفة داخل فلسطين وخارجها .

وإلى جانب سعي الحركة الصهيونية إلى كسب تأييد القوى الكبرى كان يتعين عليها في الوقت نفسه كسب تأييد القوى العربية داخل فلسطين وخارجها ، وإقناعها بالنوايا الحسنة لليهود وراء مجيئهم إلى فلسطين .

وإذا كان تحقيق هذه الأهداف اعتمد على الاتصالات السياسية المباشرة التي قام بها زعماء الحركة الصهيونية ، فإنه كان يجب أن يرافقها جهد دعائي سواء على مستوى الاتصال المباشر أو على مستوى الاتصال الجماهيري .

وإذا عدنا إلى صحافة اليهود الفرنسية فسنجد أنها أبدت وعيا كبيرا بالبعد السياسي في استراتيجية العمل الصهيوني ، ولهذا قامت بمساندة النشاط الذي بذلته المنظمة الصهيونية العالمية ؛ لكسب تأييد بريطانيا للمشروع الصهيوني ، كما دعت إلى ضرورة كسب تأييد قوى دولية أخرى من أهمها فرنسا ، والولايات المتحدة التي بدأت في الظهور كقوة عالمية كبرى بعد الحرب الأولى .

وداخل المحيط العربي الذي كانت تصدر فيه ، سعت صحف اليهود الفرنسية إلى كسب تأييد الأقليات العربية والأجنبية في مصر ، وإلى معالجة مشكلة الأماكن المقدسة ، وقضية عرب فلسطين اللتين كانتا السبب في تردد بعض القوى السياسية في منح الحركة الصهيونية تأييدها . وسوف نحاول فيما يلي أن نتعرف إلى الدور الذي قامت به هذه الصحف خلال تناولها هذه المشكلات السياسية ، ومدى التزامها بالتعبير عن الأيديولوجية الصهيونية .

أولا الصحافة اليهودية وبريطانيا :

كانت بريطانيا واحدة من الدول التي سعى إليها هرتزل كي تتبنى مشروعه وتمنحه تأييدها وحمايتها ، فقد كانت لبريطانيا مصالح جوهرية في المنطقة من أهمها طريق مواصلاتها عبر قناة السويس إلى مستعمراتها في آسيا ، وخصوصا الهند ، درة التاج البريطاني ، ولذلك سعى هرتزل خلال اتصالاته السياسية بالمسئولين البريطانيين إلى تقديم الدولة اليهودية المزمعة كدولة عميلة ، كما قدم الشعب اليهودي المنتشر في جميع

أنحاء العالم كشعب عميل ، وكانت أدوار العمالة كما حددها هرتزل وخلفاؤه من بعده تتلخص فيما يلي :

أ ـ تأمين طريق المواصلات البريطانية عبر قناة السويس من خلال إيجاد دولة عميلة على الجانب الآخر من القناة .

ب ـ أن الدولة اليهودية ستكون عماد السيطرة العسكرية على منطقة الشرق الأوسط عندما يثور بركان من قوميات الشعوب الناشئة[3] .

ج ـ أن عشرة ملايين يهودي منتشرين في العالم سينتمون إلى بريطانيا بقلوبهم إذا قامت بإنشاء تلك الدولة ، ولن يكون ولاؤهم سياسيا فقط ، ولكن اقتصاديا أيضا حيث سيعملون على ترويج منتجات بريطانيا في البلدان التي يقيمون فيها[4] .

د ـ أن الدولة اليهودية ستساهم في حل مشكلات التضخم والانفجار السكاني في أوربا وخصوصا في بريطانيا باستيعاب المهاجرين اليهود من شرق أوربا ، وفتح أسواق جديدة أمام المنتجات البريطانية في الشرق الأوسط[5] .

ونحن إذا ما حاولنا التعرف إلى موقف الصحافة اليهودية في مصر من بريطانيا فسنجده يتفق أحيانا والأيديولوجية الصهيونية المقدمة في الغرب ، ويختلف معها أحيانا أخرى ، وذلك حسب الجمهور الذي كانت تتوجه إليه هذه الصحافة ، وحسب المرحلة الزمنية التي كانت تمر بها .

ففي دراستنا السابقة عن « صحافة اليهود العربية في مصر » تبين أن الصحف اليهودية الناطقة بالعربية اتخذت موقفا معاديا من بريطانيا خلال الثلاثينيات والأربعينيات ، ومؤيدا للشعب المصري في نضاله ضد الاحتلال البريطاني من أجل الاستقلال ، وكان من أبرز الأسباب التي دعتها إلى اتخاذ هذا الموقف ، هو أنها كانت تتوجه إلى جمهور عربي بجانب مخاطبتها لجمهورها اليهودي ؛ ولذلك فإن تأييدها لبريطانيا كان سيفسر على أنه خيانة للشعب الذي يعيش اليهود بين ظهرانيه ، وسيحول دون نجاح هذه الصحف في تحقيق دعوتها إلى التعاون والتفاهم بين العرب واليهود ، الذي كانت الحركة الصهيونية في مسيس الحاجة إليه خصوصا خلال المراحل الأولى لإنشاء الدولة[6] .

وفضلا عن ذلك فقد كان هرتزل – على الرغم من كل ادعاءاته لبريطانيا عن عمالة اليهود والدولة اليهودية – يؤمن في قرارة نفسه بأنه إذا أجبر الإنجليز على الخروج من مصر فإن بريطانيا ستعجل بإنشاء الدولة اليهودية لتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند ؛ ولهذا فإن تشجيع المصريين على الثورة ضد إنجلترا كان من شأنه أن يسهم في التعجيل بتحقيق الهدف الصهيوني بالإضافة إلى كسب ثقة المصريين وتعاطفهم من ناحية ، والتأكيد لبريطانيا بأنها ستخسر صداقة الشعب اليهودي في المستعمرات بسبب مماطلتها في الوفاء لليهود بوعدها الخاص بإنشاء الوطن القومي في فلسطين ، والتلويح بأن الجاليات اليهودية باستطاعتها إثارة المتاعب لبريطانيا في المستعمرات .

أما إذا عدنا إلى صحف اليهود الناطقة باللغة الفرنسية ، فسنجد أن موقفها كان يختلف تماما عن الموقف الذي تبنته صحفهم العربية ، فنظرا إلى أن هذه الصحف كانت تخاطب جمهورا غير الجمهور العربي ، وكان أحد أهدافها كسب الرأي العام الأجنبي في مصر لصالح القضية الصهيونية ، ونظرا لأن الرأي العام الأجنبي كان يضم في معظمه العاملين في السفارة البريطانية بالقاهرة – حيث كان يتم رسم السياسة البريطانية في الشرق الأوسط – والموظفين الإنجليز في الإدارات المصرية الذين كان لديهم سلطة اتخاذ القرار ، والذين كان بإمكانهم مساعدة الخطط الصهيونية في مصر وفلسطين .

ونظرا لأن المندوب السامي البريطاني كان على اطلاع مستمر على الصحافة المصرية ، وكان يوافي حكومته بتقرير عن اتجاهات الصحافة المصرية ؛ لذلك سنجد صحافة اليهود الفرنسية تتخذ موقفا مختلفا عن صحافتهم العربية كما ذكرنا .

فمنذ أن بعث حاييم وايزمان برقيته إلى جاك موصيري في أكتوبر عام 1917 ، التي يحثه فيها على أن يظهروا للحكومة البريطانية وحدة كل أولئك الذين يتطلعون إلى فلسطين ، ومنذ أن أعلن أمام زعماء الطائفة اليهودية بالإسكندرية عام 1918 أن بريطانيا لديها اهتمام كبير بكسب الرأي العام اليهودي ؛ والصحافة اليهودية لم تكف عن إظهار ولاء اليهود لبريطانيا وتعلقهم بها ، من خلال التعبير عن امتنان الطائفة اليهودية في مصر ؛ لوقوف بريطانيا إلى جانب الشعب اليهودي ومنحها إياه وعد بلفور .

ففي أوائل عام 1918 نشرت مجلة « لارفيو سيونيست » نص برقيات التهنئة التي

أرسلها جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر ، ولجنة غوث فلسطين التي تشكلت في مصر أثناء الحرب العالمية الأولى إلى الجنرال اللنبي قائد عام القوات البريطانية في مصر ، وبورتون باشا الحاكم العسكري لمدينة القدس بمناسبة دخول القوات البريطانية المدينة المقدسة ، وإنهائها الحكم التركي هناك ، كما نشرت رد اللنبي وبورتون عليهما[7] .

كذلك نشرت مجلة « رفيو إسرائيليت ديجبيت » وقائع الاحتفال الذي أقامته الطائفة اليهودية في محفل إلياهو ضابى بمدينة الإسكندرية ابتهاجا بانتصار بريطانيا وتحريرها فلسطين من الترك ، كما نشرت نص برقيات التهنئة التي أرسلها نائب الطائفة اليهودية بالثغر ، ومحفل بني بريت إلى الجنرال اللنبي وشكره العميق لهما على صلواتهم وتهانيهم وتمنياتهم الطيبة[8] .

أما « لارفيو سيونيست » فقد تابعت سياستها الرامية إلى إظهار ولاء اليهود في مصر وتقديرهم لبريطانيا ، فنشرت نبأ اشتراك وفد من اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر في استقبال الجنرال اللبني لدي وصوله إلى محطة السكة الحديدية بالقاهرة عائدا من فلسطين ، كما أشارت إلى اشتراك فتية كشافة المكابي في هذا الاستقبال ، وقيام المندوب السامي البريطاني بتقديم أعضاء الوفد إلى الجنرال اللنبي[9] .

وعلى الرغم من أن بعض المصريين كانوا يأملون بانتصار تركيا ؛ كي يتخلصوا من الاحتلال البريطاني ، نجد « لارفيو سيونيست » تشيد ببريطانيا ، وتعرب عن اغتباط اليهود بانتصارهم على الأتراك ، واستيلاء القوات البريطانية على القدس ، بل وهاجمت الحكم التركي الذي كان يعمل على عرقلة الأماني الصهيونية في فلسطين ، فقالت عنه : « لقد نشر الأتراك الجذب في كل مالمسوه ، وحكمهم للمدينة المقدسة أكبر دليل على ذلك ، فقد أصبحت المدينة القديمة مركزا للفقر المادي والروحي ، وهذا يتناقض مع الترويج للمثل العزيزة على الإنجليز المنتشرين بين الشعوب الأجنبية وفي البلدان العديدة .

أما عن بريطانيا فكتبت تقول : « لقد أثبتت إنجلترا في علاقاتها السلمية بالشعوب الأخرى أنها تحترم كل العقائد ، وكل المثل العليا ، وهي كفاتحة أثبتت من قبل أن هذا الاحترام خط أساس في الشخصية الإنجليزية »[10] .

بهذه العبارات عبرت هاتان الصحيفتان عن الدور الذي يمكن أن يقوم به اليهود في تحقيق الاستقرار في المستعمرات البريطانية من خلال الدعاية البريطانية ، وتجنب أعمال الإثارة ضدها إذا حرصت على إرضاء اليهود ، وزيادة إحساسهم بالعرفان والتقدير نحوها .

وفي الواقع لم يكن موقف الصحافة اليهودية من بريطانيا إلاصدى للمحاولات التي بذلتها الطائفة اليهودية بمصر ؛ لكسب تأييد المسئولين البريطانيين في مصر الأماني الصهيونية في فلسطين ، ومحاولة لتأكيد المزاعم التي كان يرددها قادة الحركة الصهيونية في داوننج ستريت ، من أن الدولة اليهودية في فلسطين ستكون دولة عميلة ، ومن أن الشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم سيكون شعبا عميلا لبريطانيا ، وقد سنحت للصحافة اليهودية أكثر من مناسبة لتأكيد هذه المفاهيم نذكر منها على سبيل المثال تلك الزيارة التي قام بها السير ريجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني وقرينته لمعسكرات اللاجئين اليهود ، الذين هاجروا من فلسطين في أثناء الحرب العالمية الأولى إلى الإسكندرية .

لقد حرصت « رفيو إسرائيليت ديجبت » على إظهار الحفاوة الشديدة التي استقبل بها الحاخام الأكبر ورئيس الطائفة وبعض أعضاء الحركة الصهيونية بالثغر المندوب السامي وعقيلته ، كما نشرت وقائع الزيارة بالتفصيل ، وقد بدا منها حرص المسئولين عن الطائفة على إظهار ولاء الأجيال اليهودية القادمة لبريطانيا ، وخصوصا تلك التى ستقيم في فلسطين ، فقد أنشد طلبة وطالبات مدرسة الطائفة - وكانت أغلبيتهم من أبناء اللاجئين - النشيد الوطني البريطاني لدى دخول السير ويجنت إلى المدرسة ، كما ألقت إحدى الفتيات كلمة باللغة الإنجليزية نشرت المجلة نصها وجاء فيها : « لقد تعلمنا أن نحب بلادكم العظيمة التى تمثل تقاليدها العريقة في الحرية والكرم حصنا لكل مؤسسات الحرية والتقدم . ويسعدني أن أعبر لممثل ملككم النبيل ، وأمتكم العظيمة ، باسمي وباسم زملائي عن مشاعر الاحترام والعرفان ، وإنني وقلبي يخفق بالسعادة أدعو زملائي إلى أن يهتفوا ورائي :

« عاش سعادة السير ريجنالد وينجت ....

« عاشت الليدي وينجت ...

« عاشت بريطانيا »[11]

ويبدو أن الحركة الصهيونية وأبناء الطائفة أفلحوا في كسب المسئولين البريطانيين

في القاهرة وعلى رأسهم المندوب السامي ، فقد كتب السير ريجنالد وينجت – كما أشرنا من قبل – إلى جاك موصيري عشية صدور « لارفيو سيونيست » مهنئا بصدور وعد بلفور ومعبرا عن أطيب الأمنيات بالنجاح ، وقد رحبت « لارفيو سيونيست » بتلك الرسالة ونشرتها في عددها الأول وقدمت لها في صفحتها الأولى بقولها : « يسرنا أن ننشر في أول أعدادنا رسالة السير ريجنالد وينجت .. أنه اسم جديد سيضاف إلى قائمة رجال الدولة الإنجليزية العظام ، الذين شجعوا الأماني اليهودية التي تعد الصهيونية تعبيرا عنها .

« لقد لاقت الرسالة ترحيبا لأنها صادرة عن رجل على علم تام بشعوب الشرق وأحوالها ، كما أنها تحدد تصوره بالنسبة للمشكلات التي تتعلق بمستقبل فلسطين والسعودية وأرمينيا وبلاد الرافدين »[12] .

وعلى الرغم من أن ليون كاسترو رئيس تحرير « لارفيو سيونيست » بدأ في انتقاد حاييم وايزمان واللجنة التنفيذية في لندن لاعتمادهم على بريطانيا وذلك لعدم قيامها بتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الحرب ، وسمح لبعض الأقلام بمهاجمة السياسة البريطانية في فلسطين على صفحات المجلة ، فإن باقي أعضاء اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر لم يشاركوا كاسترو في موقفه من وايزمان ومن بريطانيا ، ولذلك انتهى الأمر بخروجه من المنظمة والمجلة معا[13] .

وإذا كانت قد ظهرت بعض الهجمات في الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية ضد بريطانيا كما حدث بالنسبة لمجلة « لارفيو سيونيست » ، أو بالنسبة لصحيفة « لورور » التي ألقت على بريطانيا مسئولية أحداث المبكى عام 1929 ، واستنكرت قيام السلطات البريطانية برفع الستار الذي أقامه اليهود على حائط المبكى[14] ، فإن الخط العام للسياسة الصهيونية للصحافة اليهودية كان يقوم على إظهار ولاء اليهود لبريطانيا ، وإبداء استعدادهم لخدمة مصالحها ، حتى تستمر في تبنيها لفكرة إنشاء الدولة اليهودية ، ولذلك فإنه مع قرب احتفال اليهودية العالمية بوعد بلفور عام 1928 ، رأت صحيفة « لورور » أنه من الضروري أن تضع تحت أعين قرائها

ملاحظات تاريخية سريعة حتى يمكنهم أن يدركوا من خلالها أن تعاطف بريطانيا العظمى وأماني الشعب اليهودي ليس وليد الأمس ، وإنما بدأ منذ عصر أوليفييه كروميل في فترة الكومنولث البريطاني حتى العصر الحديث ، وقالت الصحيفة : « في ثلاث مناسبات لاتنسى أعلنت بريطانيا العظمى بصوت وزرائها المسئوليين رسميا وعلنا مساندة الصهيونية : المرة الأولى بمناسبة مشروع العريش ، والمرة الثانية عندما قدمت أرضا في أفريقيا الشرقية الإنجليزية لإقامة مستوطنة مستقلة ، وأخيرا وعد بلفور بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين »[15] .

وفي الثلاثينيات من هذا القرن واتت الصحافة اليهودية الفرصة لإظهار قوة الطوائف اليهودية في جميع أنحاء العالم وقدرتها على خدمة المصالح الاقتصادية لأي دولة أو إلحاق الضرر بها ، وذلك حينما بدأت هذه الصحف في نشر دعوات المقاطعة ضد البضائع الألمانية بسبب اضطهاد النازي لليهود ، وحينما بدأت في نشر أنباء الشكاوى التي تقدمت بها ألمانيا إلى الخارجية المصرية ضد هجوم الصحافة اليهودية ودعوتها للمقاطعة .

وخلال الحرب العالمية الثانية سعت الصحافة اليهودية إلى إظهار وقوف الرأي العام اليهودي إلى جانب بريطانيا في أوقات المحن والشدائد حتى تتيقن من ولاء اليهود لها ، فقد نشر « الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى » نبأ اجتماع مجلس الطائفة بالإسكندرية لدراسة السبل الكفيلة باظهار تضامن اليهود المصريين وبريطانيا ، وعرض للاقتراح الذي تقدم به ايلي بوليتي لصالح إنشاء صندوق الحرب البريطاني ، وقد تبنى مجلس الطائفة الاقتراح في الحال ، وتم جمع 500 جنيه مصري كمساهمة مبدئية من طائفة الإسكندرية في المجهود الحربي البريطاني ، وقد ارتفع هذا الرقم فيما بعد إلى 10,000 جنيه مصري[16] .

ومن ناحية أخرى حاول الكتاب أن يظهر للرأي العام الأجنبي استعداد اليهود للتضحية بأرواحهم في سبيل قضية الحلفاء بصفة عامة ، وللدفاع عن بريطانيا بصفة خاصة ولذلك نجده يقول : إن المؤسسات اليهودية التي تمثل فلسطين ــ يساندها

الرأي العام اليهودي العالمي ـ رأت أنه على الرغم من الاتجاهات المنفرة التي يشتمل عليها الكتاب الأبيض الخاص بفلسطين فإنه ينبغي عليهم أن يساعدوا الحلفاء في نضالهم ضد النازية ..

« إن النداء الذي وجهه المندوب السامي البريطاني باسم دولة الانتداب من أجل التطوع في فلسطين قد تمت تلبيته .. ويقدر عدد الشبان اليهود الفلسطينيين الذين تطوعوا حتى الآن بنحو عشرة آلاف متطوع .. »[17] .

وأشار الكتاب أنه على الرغم من رفض بريطانيا اقتراح الوكالة اليهودية بإنشاء جيش يهودي تحت قيادة ضباط بريطانيين فإن اليهود استجابوا لنداء ضمائرهم وحملوا السلاح إلى جانب حليفتهم بريطانيا ، وقدر الكتاب عدد اليهود الذين اندرجوا تحت اللواء البريطاني في كل مكان من العالم بنحو 120 ألف رجل[18] .

من الواضح أن الوكالة اليهودية كانت تحاول استغلال فرصة الحرب لإنشاء جيش يهودي نظامي ، ولكن بالرغم من رفض بريطانيا ، تطوع اليهود في صفوف الجيش البريطاني للحصول على السلاح والخبرة القتالية ، وقامت الصحافة اليهودية بالتغطية على الهدف الأساسي من التطوع بادعاءات التضحية من أجل بريطانيا وغيرها .

ثانيا : الصحافة اليهودية والولايات المتحدة وفرنسا :

يرى بعض الباحثين أن النشاط الصهيوني بدأ يتحول عن بريطانيا في الأربعينيات من هذا القرن ليتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي برزت كقوة عظمى في ذلك الوقت سعيا إلى كسب تأييدها وحمايتها للكيان الصهيوني الذي كان يجري إنشاؤه في ذلك الوقت في فلسطين .

وفي الواقع إن عملية استقطاب الولايات المتحدة كانت قد بدأت قبل ذلك التاريخ بوقت طويل يعود إلى نهاية الحرب العالمية الأولى حيث كانت الصحافة اليهودية في مصر وكذلك الحركة الصهيونية بها من أوائل القوى الصهيونية التي نبهت إلى ضرورة الاستفادة من ظهور الولايات المتحدة كعامل ذي فاعلية متزايدة في انتصار الحلفاء .

وتدلنا الصحافة اليهودية على أن العناصر الصهيونية في مصر كانت تقوم ليس برصد ما يحدث على الساحة المحلية أو العربية فحسب ، وإنما على الساحة الدولية أيضا بهدف الاستفادة من كل المتغيرات التي تقع ، ففي عام 1917 تذكر مجلة « لارفيو إسرائيليت ديجبت » أن جاك موصيري اختار أن يكون موضوع المحاضرة التي ألقاها بفندق الكونتننتال بالقاهرة تحت رعاية جمعية المكابي ، عن المؤتمر اليهودي المقبل في الولايات المتحدة ، وركز على هذا المؤتمر الذي قال عنه « إن أهميته لاتخفى على أي منا »[19] .

وقد أولت « لارفيو إسرائيليت ديجبت » هذا المؤتمر اهتمامها حيث تابعت أعماله وأعربت عن ارتياحها لقراراته فكتبت تقول : إن قرارات المؤتمر على جانب كبير من الأهمية ، حيث إنها بددت المخاوف حول ما كان يثار عن معارضة يهود أمريكا للصهيونية .

ووصفت الصحيفة قرار المؤتمر بإرسال وفد إلى أوربا لمشاركة ممثلي المنظمات الصهيونية الأخرى من أجل حث مؤتمر السلام على الاعتراف بأماني اليهود ومطالبهم في فلسطين ، ولإعلان موافقته على وعد بلفور بأنه كان أهم هذه القرارات .

ولاشك في أن اهتمام الصحافة اليهودية بالولايات المتحدة يرجع إلى ظهور الأخيرة كقوة يحسب حسابها على الساحة الدولية بعد أن تأكد دورها في انتصار الحلفاء ، بالإضافة إلى وجود طائفة يهودية قوية وثرية بها ، لذلك كانت مجلة « لارفيو سيونيست » واضحة في دعوتها إلى استخدام الطائفة اليهودية الأمريكية كجماعة ضغط لتوجيه السياسة البريطانية بما يتفق والمصالح الصهيونية ، فقد وجدت « لارفيو سيونيست » أن ضغط الرأي العام في الولايات المتحدة والمستعمرات البريطانية ـ وقد تأثر بالأيرلنديين المقيمين في هذه البلاد ـ أجبر بريطانيا على تغيير سياستها تجاه أيرلندا ، كما أنه بالإضافة إلى هذا الدعم السياسي قام الأيرلنديون في أمريكا بتحصيل ملايين الدولارات لدعم حركة تحرير أيرلندا ماليا ، ولهذا دعت المجلة إلى الاستفادة من الدرس الأيرلندي[20] .

وكان الدرس الثاني المستفاد من دروس أيرلندا كما أدركته « لارفيو سيونيست » هو أن « بريطانيا متهمة بالضعف » ومعنى هذا أنه ينبغي البحث عن قوة أخرى يمكن الاستناد إليها ، وربما كان هذا أحد الأسباب التى جعلت رئيس تحرير « لارفيو سيونيست » يشن هجوما عنيفا على اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية عامي 1920و 1921 حينما شب نزاع بينها وبين الاتحاد الصهيوني الأمريكي وينشر تفاصيل موقف الاتحاد الأمريكي ، الذي يتهم المنظمة العالمية بالانحراف عن المفهوم الحقيقي للصهيونية الهرزلية[21] .

ولأن « لارفيو سيونيست » كانت تؤمن بأهمية الولايات المتحدة بالنسبة للمشروع الصهيوني ، نجدها تتابع رحلة ناحوم سوكولوف إلى أمريكا عام 1922 .

وحينما قال الرئيس الأمريكي هاردنج Harding في كلمته التي ألقاها أمام وايزمان أثناء المأدبة التي أقيمت له خلال زيارته لأمريكا : « إن كل من درس الخدمات التي قدمها الشعب اليهودي للإنسانية يستحيل عليه ألا يوقن بأن هذا الشعب سيعود يوما إلى وطنه التاريخي ... وأرجو أن تؤكدوا تعاطفي العميق مع القضية التي تعملون من أجلها دون ملل » عاملت « لارفيو سيونيست » هذا التصريح معاملة تصريح بلفور ، فقامت بنشره على الصحفة الأولى من عدد أول مارس عام 1922 مصحوبا بصورة للرئيس هاردنج ، واعتبرت هذا التصريح إيذانا بكسب الولايات المتحدة إلى جانب الصهيونية .

وكتبت المجلة تقول : « ليس هناك من شك في أنه تظهر الآن في الولايات المتحدة حركة مؤيدة للصهيونية بين الشخصيات الأمريكية ، وهذه الحركة تشبه تلك الحركة المؤيدة للصهيونية التي ظهرت في انجلترا وأدت إلى صدور تصريح بلفور »[22] .

وفي الوقت الذي أثبتت فيه الصحافة اليهودية اهتماما شديدا بالتوجه إلى الولايات المتحدة ، نجد « لارفيو سيونيست » تطالب بالتوجه أيضا إلى فرنسا حتى لاتنفرد بريطانيا وحدها بتقرير سياستها في فلسطين ، فقد كان رئيس تحرير هذه المجلة يريد ألا يجعل من إنشاء الوطن القومي تجربة إنجليزية محضة ، وإنما أراد له أن يكون تجربة

دولية ، ولذا هاجم من خلال هذه المجلة اللجنة التنفيذية لعدم دفاعها عن القضية الصهيونية لدى فرنسا ، ولإرسالها مندوبين غير مؤهلين إلى باريس للتحدث عن القضية اليهودية[23] .

ويرجع اهتمام الصحافة اليهودية بفرنسا أيضا إلى وجودها في سوريا إلى جوار فلسطين ، فقد كان ما يهم الصهيونيين في تلك المرحلة هو أن يكون بجانب فلسطين بلد مسالم هادئ مزدهر في الشرق الذي تطفح فيها الحركات الشعبية بسهولة على البلدان الأخرى ، ولذلك حرصت « لارفيو سيونيست » على أن تقدم الدولة اليهودية في فلسطين على أنها ستكون دولة عميلة لفرنسا أيضا ، فقد نقلت تصريحا لوايزمان قال فيه : إن الدولة اليهودية في فلسطين ستقوم بالحفاظ على الأمن والسلام في هذا القطر المجاور لسوريا حتى لاتنتقل عدوى الاضطرابات إلى ذلك البلد الذي يخضع للانتداب الفرنسي ، كما أوضح مراسل المجلة في باريس أنه إذا كانت لفرنسا حقوق في فلسطين تتعلق باللغة فإن الشعب اليهودي لن يتخلى عن الإنجليزية أو الفرنسية في المدارس العليا ، في حين ستكون العبرية لغة الحياة اليومية .

وكان من بين الأسباب التي استندت إليها « لارفيو سيونيست » في دعوتها من أجل كسب فرنسا هو رغبتها في أن تحول دون قيام السوريين بتقديم أي عون للفلسطنيين في نضالهم ضد الصهيونية حتى لاتضطر الحركة الصهيونية إلى تشتيت جهودها بالحرب على جبهات متعددة خصوصا أنه تردد أن السلطات السورية لم تكن غريبة عن اضطرابات يافا عام 1921 ، وأنه تم الإعداد لتلك الأحداث مسبقا في دمشق وبيروت[25] هذا بالإضافة إلى رغبتها في كسب تأييد الجالية الفرنسية في مصر للقضية الصهيونية .

الأقليات الأجنبية :

رأينا في الفصل الأول من هذا البحث أن الحركة الصهيونية أدركت مدى أهمية مصر بالنسبة لها خصوصا فيما يتعلق بكسب الرأي العام الأجنبي فيها ، ولذلك رأينا

أن مهمة كسب تأييد الجاليات الأجنبية قد أصبحت واحدة من أهم أهداف الدعاية الصهيونية في البلاد .

ولحسن حظ الحركة الصهيونية أن الطائفة اليهودية في مصر كانت مهيأة للقيام بهذا الدور ، فقد كان معظم أبناء الطائفة ذوي أصول أجنبية ، كما أن نسبة كبيرة منهم كانت حاصلة على جنسيات أجنبية ، الأمر الذي أتاح لهم التغلغل داخل هذه الجاليات الأجنبية ، بل والانتماء إليها .

وفضلا عن ذلك ارتبطت بعض العائلات اليهودية بعلاقات وثيقة ببعض الدول الأجنبية ، ونستطيع أن نذكر في هذا المجال عائلات قطاوي ومنشة التي ارتبطت بعلاقات حميمة بدولة النمسا ، وعلائلات موصيري وسوارس التي ارتبطت بعلاقات وثيقة بحكومة ايطاليا ، بل إن ادجار سوارس كان رئيسا للدائرة الإيطالية ، وقاضيا محلفا في قنصلية إيطاليا[26] ، كما كان جاك سوارس يعد بمثابة القائم بالأعمال للبرتغال في مدينة الإسكندرية منذ عام 1832[27] .

وقد استطاعت الطائفة اليهودية بمصر أن تكسب صداقة وتأييد هذه الدول وجالياتها بمصر من خلال علاقاتها الحميمة والوثيقة معها . ولكن كان الأرمن واليونانيون من بين الجاليات الأجنبية التي حظيت باهتمام خاص من الحركة الصهيونية وصحافتها في مصر ، فقد كان الأرمن بالذات يمثلون ورقة رابحة بالنسبة للصهيونيين خلال اتصالاتهم بالسلطان العثماني وبريطانيا ، فضلا عن أنهم كانوا يتغلغلون في الجهاز الإداري بمصر ، وكان منهم شخصيات بارزة مثل نوبار باشا ويوسف بوغوص باشا .. الخ .

ومن ناحية أخرى كان تأييد الحركة الصهيونية للأرمن كأقلية عنصرية في مطالبتهم بدولة مستقلة عن تركيا ، يعطي اليهود الحق كأقلية عنصرية أيضا في المطالبة بدولة مماثلة ، ولذلك حاولت الصحافة اليهودية كسب صداقة الأرمن من خلال إبداء تعاطفها مع مطالبهم ، ومن خلال الربط بين الأرمن واليهود كقوميتين متشابهتين ، وكشعبين يتعرضان للاضطهاد والإبادة ، حتى يمكنها بعد ذلك أن تستغل قضية الأرمن في المساومة ، أو في تبادل المنافع مع تركيا أو بريطانيا .

وبالإضافة إلى ما سبق كان من أهم الأسباب التي أدت بالصحافة اليهودية إلى تأييد أماني الأرمن أنه كانت توجد في فلسطين جالية أرمنية كبيرة ، وكان تأييد مطالبتها بدولة مستقلة يسهم في تحقيق خطة الصهيونية الرامية إلى تفريغ فلسطين من سكانها غير اليهود .

وإلى جانب الأرمن احتفظت الطائفة اليهودية أيضا بعلاقات وثيقة بالجالية اليونانية في مصر ، ويرجع الفضل في ذلك إلى إدجار سوارس رئيس الطائفة بالإسكندرية الذي كان على اتصال دائم بالحكومة الهلينية من خلال مسيوساكتوريس Sachtouris معتمدها الدبلوماسي لدى مصر ، كذلك حرصت الصحافة اليهودية دائما على نشر كل ما من شأنه التقريب بين اليهود واليونانيين وتوثيق الصلة بينهم .

ثالثا : الصحافة اليهودية والمسألة العربية :

حينما أقدمت الحكومة البريطانية على إصدار وعد بلفور عام 1917 واجهت هذه الخطوة اعتراضات كثيرة من أطراف متباينة داخل بريطانيا قبل صدور التصريح وبعده ، وكان من أهم هذه الأطراف اليهود الاندماجيون وبعض السياسيين البريطانيين .

وكانت حجج الفريق الأول تتلخص فى أن فلسطين ليس بإمكانها استيعاب يهود العالم ، ولذلك فإن اوضاع اليهود في البلدان الأخرى قد تتعرض للتهديد ، كذلك فإن العرب سيرفضون قبول السلطة اليهودية ، كما أن مدينة القدس تثير مشكلات كمدينة مقدسة للأديان الثلاثة .

أما الفريق البريطاني فكان يرى أن تصريح بلفور سيورط الحكومة في مشاكل لاحصر لها سواء من جانب اليهود أو العرب أو الرعايا المسلمين في المستعمرات البريطانية ، ولذلك علق حاييم وايزمان أهمية كبيرة على الدور الدبلوماسى والدعائي الذي يمكن أن تقوم به الطائفة اليهودية في مصر فيما يتعلق بالجانب العربي .

وفي الواقع كان الصهيونيون في مصر أكثر وعيا من وايزمان بخطورة المسألة العربية ومايمكن أن تثيره من مشكلات في فلسطين ، وما يمكن الطائفة اليهودية في مصر

أن تقوم به لتجنب كثير من هذه المشكلات ، فقد كان ليون كاسترو وألبرت موصيري من أوائل من نبهوا إلى أهمية دور الطوائف اليهودية الشرقية في القضاء على المعارضة العربية للمشروع الصهيوني ، ولهذا لم يكن غريبا أن تنبه « لارفيو سيونيست » في أعدادها الأولى إلى ضرورة الاهتمام بمصر وطائفتها اليهودية « حيث إن مشاكل كثيرة في فلسطين سيتعين حلها في مصر »[28] .

لقد كانت متطلبات تلك المرحلة تتطلب من الصهيونيين تحقيق نوع من الوفاق مع العرب ، ولهذا بدأت الصهيونية نشاطها السياسي والدعائي من أجل هذا الهدف ، وإذا كان هذا الجهد قد اعتمد اساسا على الاتصال الشخصي ، فإن الصحافة ووسائل الاتصال الأخرى قامت بدور الأداة المساندة .

بدأت الاتصالات الصهيونية بالدوائر العربية في القاهرة قبل صدور وعد بلفور بوقت طويل ، فقد شهدت العاصمة المصرية اتصالات بين بعض العناصر الصهيونية على رأسها نسيم ملوك مراسل « المقطم » في فلسطين ، وبعض السوريين من أعضاء حزب اللامركزية المعادي للاتحاديين الأتراك ، وربما لهذا السبب لم يلمس حاييم وايزمان ــ حينما جاء إلى مصر في أول زيارة له ــ أي عداء في القاهرة وخصوصا في الدوائر التي يسيطر عليها أصحاب « المقطم » العظيم[29] ــ على حد قوله .

على أن تفجر المقاومة الفلسطينية للمشروعات الصهيونية لم يلبث أن أقنع وايزمان بضرورة الاهتمام بالمسألة العربية ، وبضرورة الاعتراف بأهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به يهود مصر للقضاء على المعارضة العربية داخل فلسطين وخارجها ، ولهذا نجده يعلن في احتفال بالقاهرة عام 1925 في كلمة نشرتها صحيفة « لورور » : « وأن هناك دورا كبيرا يقع على عاتق يهود مصر المدعوين بحكم معرفتهم بالشرق وسكانه ولغته ، يتطلب منهم أن يقوموا بدور همزة الوصل بين اليهود والعرب من أجل تعاون مثمر »[30] .

على أية حال بدأ الصهيونيون في مصر نشاطهم في أعقاب صدور وعد بلفور ، فقد عملت مجلة « لارفيو سيونيست » على تهدئة المخاوف التي ظهرت في صفوف

السياسيين البريطانيين والرأي العام الأجنبي والعربي في مصر إزاء المسألة العربية فقالت تحت عنوان « مخاوف لاأساس لها » : « أنه لايوجد اعتراض واضح على تحقيق الأماني اليهودية ، ولكن يخشى أن تؤدي الصهيونية في أثناء عملها في فلسطين إلى الإضرار بمصالح العرب والسوريين .. ولذلك استرعت المجلة انتباه « أصدقائها السوريين والعرب إلى أنه لم يحدث خلال تاريخ الصهيونية بأكمله أن تعرض جيراننا في فلسطين للتهديد من جراء سياسة قمع أو طرد » ثم قالت : .. إننا لن نستطيع إطلاقا أن نتبع في فلسطين السياسة التي جرت علينا البؤس والإهانة وسنحرص على أن يتمتع جيراننا بالمعاملة التي نطلبها لأنفسنا .. »

وإمعانا في طمأنة العرب وباقي الأطراف القلقة حاولت المجلة نفي وجود أي تعارض بين الأماني اليهودية والأماني العربية قائلة : « إن المثل الأعلى اليهودي ، والمثل الأعلى العربي لا يتعارضان مطلقا » ، وضمت صوتها إلى صوت ناحوم سوكولوف الذي رحب بإقامة مملكة عربية تعيد للأمة السامية مجدها[31] . كدليل على حسن نوايا الصهيونيين نحو العرب .

أما مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبيت » فقد أبرزت مشاركة إسماعيل أبو العكي الذي مثل العرب في احتفال أوبرا لندن ـ الذي أقامته الحركة ـ الصهيونية ابتهاجا بصدور وعد بلفور ـ ودعوته إلى اتفاق الشعوب المضطهدة العرب والأرمن واليهود حتى لاينتهز المفسدون الخلافات لتمزيقهم وإخضاعهم[32] .

وبعد صدور قرارات سان ريمو التي رسمت حدود فلسطين ، تصدت « لارفيو سيونيست » لتنفيذ ادعاءات السوريين حينما شكوا من أن اليهود بامتلاكتهم بانياس سيكونون على مسافة 65 كم من دمشق ، فقالت : إن السوريين باحتفاظهم بمدينة صدر يكونون على مسافة 50 كم من حيفا التي ستكون ميناءنا القومي الكبير ، كذلك حينما زعم السوريون أن الصهيونيين يريدون استغلال الأغلبية المسلمة المسيحية في فلسطين لصالحهم ردت المجلة بأن الصهيونيين على النقيض من ذلك سيفتحون أمامهم أفاقا جديدة ، كما أن العرب سيكونون حلقة الاتصال الرئيسية والضرورية

بالنسبة للوفاق السوري الفلسطيني ، والفلسطيني المصري في الغد[33] .

ولإثبات حسن النوايا بدأت المجلة في نشر بعض الأخبار عن المساعدات التي يقدمها الصهيونيون للعرب ، فذكرت على سبيل المثال أن اللجنة الصهيونية اتخذت إجراءات لتقديم معونة طبية للقرى العربية ، كذلك فإن الكتاب السنوي سعى إلى إبراز ما أسماه بمظاهر التعاون العربي اليهودي في المجال الاقتصادي غداة إعلان الحرب العالمية الثانية ، وأن هذا التعاون كان نتيجة طبيعية للتفاهم المتبادل بين العرب واليهود[34] .

وإذا كانت الصحافة الصهيونية قد تصدت لتهدئة مخاوف العرب الأجانب من خلال تأكيدها وحدة الأماني والأهداف بين العرب واليهود ، ومن خلال تصديها لتنفيذ الاتهامات وإزالة الشكوك ، فإن اللجنة السياسية للمنظمة الصهيونية بمصر كانت قد بدأت منذ تأسيسها في عام 1917 القيام بجهد مماثل من خلال الاتصال المباشر ، وعلى الرغم من أن اللجنة حرصت على إحاطة نشاطها في هذا المجال بالسرية ، فإنها لم تلبث أن كشفت في أحد تقاريرها السنوية عن بعض جوانب هذا النشاط ، وقد قامت « لارفيو سيونيست » بنشر هذا التقرير .

وقد أشارت اللجنة في هذا التقرير إلى حادث اعتبرته برهانا على أن العلاقات بين العرب واليهود ودية ، خصوصا أن المسلمين هم الذين سبقوا إلى إظهار الجانب الودي لهذه العلاقات .. « فقد تشكلت أخيرا رابطة لتعزيز اتحاد الشعوب الشرقية سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود ، وإزاء ذلك قام وفد من هذه الرابطة يضم شخصيات مثل السيد عبد الحميد البكري وأحمد زكي باشا والشيخ عبد المحسن الكاظمي ، والشاعر ميرزا مهدي بك ، والكاتب التركي نور الدين بك بالتوجه إلى جوزيف شيكوريل رئيس المنظمة الصهيونية لتقديم التهاني للأمة اليهودية بمناسبة عيد الفصح ..

وأضاف التقرير : « إن توجيه هذا الوفد المسلم أمنياته إلى رئيس الحركة الصهيونية كي ينقلها إلى الأمة اليهودية هو عمل متميز ومن العبث التعليق عليه ، فكم من المسلمين والعرب يخاطبون اليهودية من خلال الصهيونية .

إن الشيء الذي ينبغي توضيحه وتوجيه انتباهكم إليه هو أن التحسن في العلاقات العربية اليهودية في بلادنا ليس محض مصادفة ، ويجب ألا يغيب عن بالنا أن اللجنة السياسية إذا كانت لاتتحدث عن نفسها فهي تعمل بصورة أفضل مما لو كانت قد تحولت عن عملها بسبب ضجيج الإعلان » .

وإذا كانت الصحافة اليهودية قد سعت خلال الفترة التي أعقبت صدور وعد بلفور – إلى تهدئة المخاوف العربية والأجنبية بشأن المشروع الصهيوني ، فإن جهدها الدعائي لم يلبث أن تطور في اتجاهين :

الأول : إلغاء الوجود العربي وتأكيد الوجود اليهودي في فلسطين .

الثاني : تشويه صورة العرب .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى سنجد الصحف اليهودية بدأت تتحدث عن الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، وتعود بوجودهم في البلاد إلى فترات موغلة في القدم ، فتذكر صحيفة « إسرائيل » أن فلسطين كانت أمانة في أيدي العرب وأنه حان الوقت لردها ، ثم تتساءل ... كيف نتافهم وهذا الشعب العربي الكريم الذي حرص على مدى الأجيال على أمانة الآباء فحفظها غير منقوصة لنقنعه برد الأمانة إلى أصحابها »[35] ، كما أن « لارفيو سيونيست » تقول : « إن أهدافنا وأمانينا تتلخص في أن نقيم من جديد في فلسطين وأن نعيد الخصوبة إلى أرض الأجداد المقدسة بعرق جبيننا » .

والصحافة اليهودية في أثناء محاولتها تأكيد الحق التاريخي لليهود في فلسطين تلجأ إلى التعتيم على الوجود الفلسطيني بها بقصد إلغائه ، فهي تتحدث عن المهاجرين اليهود على أنهم الفلسطينيون ، وتطلق على اليهودي صفة الفلسطيني ، بينما تطلق على الفلسطينيين لفظ العرب ؛ لتوحي لقرائها بأنهم جاءوا إليها من البلدان المجاورة ، وبأنهم

ليسوا سكانها الأصليين .

وحينما تتحدث عن نشاط الصندوق القومي اليهودي نجد الصحف اليهودية تستخدم كلمة Rachat – أي إعادة الشراء – وليس كلمة شراء لتوحي بأن هذه الأرض كانت ملكا لليهود ، ومع ذلك فإنهم يستردونها بالطرق السلمية عن طريق الشراء ، كما أنها حينما تتحدث عن نشاط الكيرن هايسود تستخدم كلمة Reconstruction أي إعادة البناء ، لتوحي بأن اليهود يقومون بإعادة بناء ما خربه العرب .

وفيما عدا ذلك فإن المطلع على صحف اليهود الفرنسية سيلاحظ تجاهل تلك الصحف عرب فلسطين بصفة مستمرة ، وإذا كانت « لارفيو سيونيست » و « رفيو إسرائيلت ديجبيت » قد تطرقتا إلى الحديث فيما سمي بالمسألة العربية بعد صدور وعد بلفور ، فإن الصحف الأخرى ــ التي صدرت بعد ذلك ــ حرصت على تجاهل الوجود الفلسطيني تماما ، اللهم إلا في حالة وقوع اضطرابات في فلسطين كانت تضطرها إلى الاعتراف بالوجود العربي فيها ، ولكنها كانت تنسب الاضطرابات إلى دسائس المحرضين ومؤامراتهم ، وليس إلى وجود صراع مصيري بين الفلسطينيين واليهود .

وقد ساعد صحف اليهود الفرنسية على الاستمرار في تجاهل الوجود العربي أن العرب لم يكونوا من قراء هذه الصحف ، ولذلك لم تكن بحاجة إلى السعي إلى تحقيق التفاهم والوفاق معهم ، كما كان من مصلحتها عدم تذكير قرائها الأجانب بالوجود العربي في فلسطين ، أو بأن هناك مشكلة عربية .

أما فيما يتعلق بتشويه صورة العرب فسنجد أن الدعاية الصهيونية في الغرب اتخذت من تشويه صورة العرب وسيلة إلى تقليل اهتمام القوى الغربية بالجانب العربي عند رسم سياستها ، وحساب مصالحها في المنطقة .

وهنا فعلت الصحافة اليهودية الشيء نفسه ؛ لأنها كانت تتوجه إلى الجاليات الأجنبية ضمن جمهورها ، ونستطيع أن نحدد أبعاد الصورة التى قدمتها صحف اليهود الفرنسية على النحو التالي :

● العربي إنسان متخلف ، فهو « يعيش في فلسطين في أزمة ضيقة ، وهو إنسان فظ حافي القدمين .. ضحكه له ضجيج ينهمر كسقوط المطر .. وهو إنسان فطري ساذج سريع التصديق .. ذكاؤه لايعرف من الأفكار والمفاهيم أكثر من تلك التي يعرفها ساذج روزني أو رويرت لويس ستيفنسون ، ولذلك كذبوا عليه وصوروا له الصهيونية على أنها أساس كل الشرور ..[36].

« الإنسان العربي في فلسطين ليس هو وحده المتخلف ، وإنما هو في بعض البلدان العربية المجاورة يتسم بالتخلف أيضا ، ولذلك أخذت إنجلترا على عاتقها إنهاض العراق وإحياءه ــ على حد قول صحيفة « إسرائيل » .

● والعربي إنسان « بدوي عدواني تكمن بداخله غريزة السلب في حين أن اليهودي مسالم .. إذ لم يدخل فلسطين بالقوة ، بينما العربي هو الذي يقتل ويسفك الدماء .

● والزعماء العرب ــ كما تصورهم الصحف الصهيونية ــ من الفريق الخيالي الذي لايقدر الواقع حق قدره ، فهم يكذبون على العربي ، ويستغلونه ويضربونه ويهينونه ، وأعضاء اللجنة العربية العليا يسعون إلى وضع الفلاح والعامل تحت سيطرة الإقطاعيين العرب والمسيحيين والمسلمين ، ممن استغلوا فلسطين حتى الأمس ، ويقومون بإثارة عقيمة وغير مجدية[37] .

● « والوفاق الإسلامي المسيحي » مصطنع ؛ إنه موسمي وضد الطبيعة فالمسلم يكره المسيحي ، والمسيحيون يكرهون بعضهم البعض ، وليس هناك اتحاد إسلامي أو مسيحي وإنما هي سياسة رديئة ، وسياسة تدبير المكائد .

هكذا نرى أن الصحافة اليهودية سعت إلى تشويه صورة العرب بهدف سحب رصيد العرب من التأييد والتعاطف الدولي ، وإضافته إلى رصيد الصهيونية ، وبهدف إقناع الغرب بأن العربي المتخلف لن يكون باستطاعته حماية المصالح الغربية في المنطقة .

مما سبق يتضح لنا أن صحافة اليهود الفرنسية أبدت وعيا كبيرا بالبعد السياسي

في استراتيجية العمل الصهيوني ولهذا قامت بمساندة النشاط الذي بذلته المنظمة الصهيونية العالمية فيما يتعلق بكسب تأييد بريطانيا ، كما دعت هذا الصحف في فترة مبكرة إلى كسب قوي دولية أخرى على رأسها الولايات المتحدة حتى لاتنفرد بريطانيا بتقرير سياستها في فلسطين ، كما دعت إلى الاستفادة من ظهور الولايات المتحدة كقوة كبرى .

وفضلا عن ذلك سعت إلى كسب تأييد الأقليات العربية والجاليات الأجنبية في مصر مما كان له أكبر الأثر في كسب الدول التى تنتمي أليها هذه الجاليات ، وفي تهدئة العرب إلى أن تم لهم ما أرادوا في فلسطين .

* * *

الفصل السابع

البعد البشري

حينما رفع تيودور هرتزل لواء العودة إلى صهيون لتخليص اليهود من الاضطهاد ، كان يرمي في حقيقة الأمر إلى تهجير اليهود الإشكنازيم الذين يعيشون في روسيا وأوربا الشرقية ؛ لأنهم كانوا يشكلون تهديدا خطيرا لمصالح اليهود الذين يعيشون في غرب أوربا بسبب هجرتهم إليها بعد الأحداث التى وقعت في روسيا عام 1882[1] .

من ناحية أخرى لم يكن حرص هرتزل على تهجير يهود شرق أوربا وغربها إلى فلسطين نابعا فقط من رغبته في إنقاذهم من الاضطهاد الذي يعانونه ، وإنما كان نابعا من حرصه على أن يجعل من اليهودي الإشكنازي الأبيض دعامة الدولة التى كان يسعى إلى إقامتها في فلسطين إيمانا منه بتفوق الرجل الأبيض ، والتفوق الحضاري الغربي[2] .

وقد اتضحت معالم هذه الاستراتيجية حينما جاء حاييم وايزمان على رأس البعثة الصهيونية إلى مصر عام 1918 ، فلم يطلب وايزمان من اليهود المصريين – وهم في معظمهم من السفارديم – الهجرة إلى فلسطين ، وإنما تطلع إلى تعاونهم المادي والروحي فقط[3] ، كذلك فإن مناحم يوزشكين عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية أوضح فيما بعد أنه نظرا لأن السفارديم لايندمجون في المجتمعات التي يعيشون فيها كما يحدث دائما بالنسبة للإشكنازيم ،فإن المشكلة الرئيسية التي واجهت الحركة الصهيونية فيما يتعلق باليهود السفارديم لم تكن مشكلة تهجيرهم ، وإنما كانت مشكلة رفع مستواهم ، ودفعهم نحو المشاركة في الاهتمامات العامة للأمة ، سواء في فلسطين أو في البلاد التي يعيشون فيها[4] .

الصحافة واليهود السفارديم :

وإذا كانت الحركة الصهيونية قد حددت دور السفارديم في المساعدة في تهجير اليهود الإشكنازيم وتسهيل استيطانهم لفلسطين ، فهنا قد يثور عديد من الأسئلة : هل كانت الطائفة اليهودية بمصر وصحافتها على وعي بأهمية البعد البشري في استراتيجية العمل الصهيوني ، وهل اضطلعت بالدور المطلوب منها ؟ وهل التزمت بالاستراتيجية الصهيونية الرامية إلى تهجير الإشكنازيم فقط أو أنها شجعت على هجرة السفارديم أيضا ؟.

إن مطالعة الصحافة اليهودية التي صدرت في مصر تكشف لنا أن هذه الصحافة والطائفة التي عبرت عنها كانتا تدر كان تمام الإدراك أهمية العنصر اليهودي في بناء الدولة التي يراد لها أن تكون يهودية ، فبدون الهجرة اليهودية إلى فلسطين كان الحلم الصهيوني سيصبح مجرد وهم أو خرافة ، ولذلك وجدنا الطائفة اليهودية في مصر تهب للقيام بدورها منذ فترة مبكرة للمساعدة في تهجير اليهود الإشكنازيم إلى فلسطين ، وتنمية القومية اليهودية في الدياسبورا ، فحينما نشبت الحرب العالمية الأولى ، وبدأ المستوطنون اليهود في الهجرة من فلسطين بسبب الإجراءات التي اتخذتها السلطات التركية هناك ، استقبلتهم الطائفة اليهودية هنا في مصر ، في بقعة قريبة من فلسطين ، حتى إذا ما انتهت الحرب بهزيمة تركيا ، قامت بإعادتهم إلى هناك مرة أخرى ، وقامت الصحافة اليهودية بمتابعة نشاط الطائفة في هذا المجال وتسليط الأضواء على العقبات التي واجهتها بهدف تذليلها .

فعلى سبيل المثال كرست مجلة « رفيو إسرائيليت ديجيبت » نفسها لمتابعة نشاط جمعية « برو بالستينا » وجمعية « زئير زيون » اللتين كانتا تتوليان استقبال المهاجرين الذين تدفقوا على مصر بعد انتهاء الحرب في طريقهم إلى فلسطين ، كما كرست « لارفيو سيونيست » نفسها لمتابعة نشاط « مكتب الهجرة » الذي كان يقوم بتقديم كل التسهيلات التي تكفل للمهاجرين اليهود المارين بمصر الدخول إلى فلسطين ، كما أشرنا آنفا ، وحينما رفضت شركات الملاحة نقل المهاجرين اليهود بالإسكندرية ممن حصلوا على تصريحات دخول فلسطين عام 1921 ، مدعية بأنها تلقت إخطارات عن طريق ممثليها في حيفا

ويافا بأن السكان هددوا بنقل المهاجرين وطاقم السفينة التي أقلتهم لدى وصولهم.

كتبت « لارفيو سيونيست » تحت عنوان « نتائج الضعف » تستعدي المندوب السامي البريطاني على هؤلاء السكان قائلة : إننا نقدم هذه المعلومات الموثوق بها إلى المندوب السامي الذي يستطيع أن يتحقق بنفسه أو أن يتصرف إزاء ضعف السلطة، وإزاء مثيري الفتنة[5].

كذلك حينما اتخذت سلطات الحجر الصحى المصرية إجراءات خاصة ضد الرواد اليهود المهاجرين في طريقهم إلى فلسطين، حرصت المنظمة الصهيونية بمدينة الإسكندرية على الاحتجاج على هذه الإجراءات، كما تدخل موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة في محاولة لإلغائها، ولكن السلطات قررت تطبيقها على كل من وصلوا من وسط أوربا في الدرجات الثالثة والرابعة والخامسة[6].

وفي عام 1926 كان مقررا أن ينزل 77 طالبا يهوديا من جامعة وارسو مع أساتذتهم إلى مصر وأن يأخذوا طريق القنطرة بعد زيارة الآثار في القاهرة وضواحيها في طريقهم إلى فلسطين.

ويبدو أن هؤلاء الطلبة وأساتذتهم كانوا يعتزمون الهجرة إلى فلسطين خصوصا بعد افتتاح الجامعة العبرية هناك، إذ أبرزت صحيفة « لورور » التسهيلات التي قدمتها إليهم المنظمة الصهيونية بمصر، وكيف أن السلطات رحبت بمطالب المنظمة في هذا الشأن، ولكن حينما رفضت السلطات المصرية التصريح لهؤلاء « السياح » – كما تصفهم الصحيفة – بالنزول في مصر بهدف الزيارة، تصدت « لورور » بالهجوم مدعية أن رحلة هؤلاء الطلاب ذات صبغة علمية، ثم أعربت عن أسفها على معاملتهم بقسوة من جانب الحكومة لأن عملية نقلهم إلى السفينة في ميناء الإسكندرية تمت في حضور عدد كبير من رجال البوليس كما لو كانوا من المجرمين[7]، كذلك فإن صحيفة « لاليبرتيه » بعد انتقال ملكيتها إلى حزب الاتحاد شاركتها في انتقاد هذا الأسلوب بقولها : « إن هؤلاء المجرمين .. هؤلاء غير المرغوب فيهم، رجال عمل وعلم » .. طلاب جامعيون، جاءوا إلى البلاد تحت إشراف أساتذتهم ».

وإذا كانت الطائفة اليهودية في مصر قد قامت من خلال الاتصال الشخصي بالدور الذي حددته الأيديولوجية الصهيونية لليهود السفارديم فيما يتعلق بالمساعدة في هجرة الإشكنازيم إلى فلسطين ، فإن المنظمة الصهيونية في مصر وصحافتها شجعتا على هجرة اليهود السفارديم إلى فلسطين أيضا مخالفين بذلك الأيديولوجية الصهيونية في الغرب ، والتى كانت ترى أن اليهود الإشكنازيم هم وحدهم الذين يجب أن تقوم بهم الدولة اليهودية ولهم .

ولقد كانت مجلة « لارفيو سيونيست » لسان حال المنظمة الصهيونية في مصر من بين الصحف التى شجعت على هجرة السفارديم إلى فلسطين وكانت حجتها في ذلك تعتمد على أن اليهود السفارديم يمكن أن يقوموا بدور مهم في خدمة القضية القومية ، بأن يكونوا أفضل أداة لتحقيق الوفاق والتفاهم بين المهاجرين الجدد وجيرانهم العرب ، فقد وجدت الصحيفة أن اليهود السفارديم ظلوا خلال قرون عديدة جيرانا لشعوب الشرق التى ستحيط بالوطن القومى الفتي ، في حين كان الإسرائيليون الآخرون بعيدين عنه ، ولهذا فإن معرفة اليهود السفارديم بالبلاد وبأهلها ستسمح لهم بالقيام بدور بارز في هذا المجال ، كما سيسمح لهم بترك بصماتهم على مصير فلسطين السياسي ومستقبلها الاقتصادي والروحي[8] .

من ناحية أخرى وجدت المجلة أنه من بين كل يهود الدياسبورا يمكن أن يكون يهود الشرق ذوي فائدة كبرى للبلاد ، فهم بإمكانهم أن يتكيفوا بسهولة مع المناخ ومع تقاليد الشرق ؛ وبذلك يساهمون في التطور الطبيعي ، وفي تحريرها التام[9] .

وفي معرض ردها على ادعاءات الصهيونيين الغربيين أن يهود الشرق تنقصهم الثقافة العميقة والمثالية والحماس ، قالت « لارفيو سيونيست » : إن اليهود السفارديم يمتلكون الكثير من العناصر الضرورية والجوهرية بالنسبة لفلسطين :

فمن الناحية السياسية وجدت أن اليهود الذين يتحدثون العربية مألوفون بالنسبة للشرق ، ويعرفون جيدا السمات التي تميز المواطنين المسلمين والمسيحيين ، كما يعرفون نوعياتهم ونقاط ضعفهم ، وبذلك يستطيعون أن يكونوا عاملا جوهريا في

تحسين العلاقات اليهودية العربية التي هي الشرط الوحيد للاستيطان اليهودي .

ووجدت المجلة أن اليهود السفارديم سيكونون قادرين على إقناع العرب بأن استيطان اليهود « الأرض اليهودية » يحمل في طياته التقدم والرفاهية بالنسبة لهم .

أما من الناحية الاقتصادية فقد وجدت المجلة أن طوائف البلقان وسالونيك على وجه الخصوص ، يمكن أن تقدم القدرة والمثل ، فميناء ليفانت Levant في اليونان أنشئ بفضل اليهود كما أن كفاءتهم التجارية وأمانتهم ، وروح المبادرة التي يتميزون بها ، ينبغي أن تكون دافعا للإصرار عليهم[10] .

ولم تقتصر المنظمة الصهيونية في مصر في مخالفتها اتجاه المنظمة الصهيونية العالمية في هذا الشأن على القول فقط ، وإنما قامت بالفعل بتسهيل هجرة اليهود السفارديم من بعض البلاد العربية إلى فلسطين ، ففي عام 1921 كلفت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مصر مكتب الهجرة بفحص حالة 300 لاجئ يهودي من بلاد الرافدين (العراق) وفارس يوجدون في السويس ومساعدتهم إذا كان ذلك ممكنا[11] .

وقد تابعت الصحافة الصهيونية الجهود المبذولة من أجل تسهيل هجرة اليهود السفارديم إلى فلسطين ، فتذكر صحيفة « إسرائيل » أنه أقيمت في يومي السبت والأحد 8 و9 سبتمبر عام 1928 حفلتان كبيرتان في ملهى « الكيت كات » بالقاهرة لصالح اليهود اليمنيين الذين يرغبون في الهجرة إلى فلسطين ، وأشارت الصحيفة في معرض تعليقها على الخبر أن الموقف في اليمن بالغ الصعوبة بالنسبة لليهود ، وأنه يوجد هناك عائلات يهودية عديدة تنتظر وصول الأشياء اللازمة لسفرها إلى فلسطين ، كما أشارت إلى أنه تشكلت في القاهرة لجنة تضم د . ولفنسون ، وس . بلوم ، دم . سانواوج . جوزيه لتقديم المساعدة[12] .

كذلك أشادت مجلة « لارفيو سيونيست » بهجرة اليهود المغاربة إلى فلسطين ،وأشارت إلى أنهم أصبحوا موضع اهتمام من الصحافة العالمية ، إذ تتحدث عنهم الوكالات التلغرافية والصحف الكبرى في المغرب وباريس ، وتونس والقاهرة ،

فبعد أن كانوا في البداية مجموعة من خمسة أو عشرة أشخاص ، أصبحوا يغادرون مسقط رأسهم بالمئات للإقامة في « الوطن الذي تم العثور عليه »[13] .

ولقد قامت المنظمة الصهيونية في مصر بدور كبير في تهجير نسبة لابأس بها من يهود البلاد العربية الذين هاجروا إلى فلسطين ، فبفضل ما كانت تملكه هذه المنظمة من إمكانات مالية واتصالات بالسلطات البريطانية كان يهود البلدان العربية المجاورة يتدفقون على مصر للحصول على تصاريح لدخول فلسطين والإقامة فيها .

وهكذا فإنه على نقيض ما كان يريده زعماء الصهيونية العالمية ، تسرب السفارديم إلى فلسطين ، حتى أنه بحلول عام 1948 أصبحوا يشكلون 22 ٪ من المستوطنين اليهود[14] .

ونحن إذا ما حاولنا البحث في أسباب هجرة اليهود السفارديم إلى فلسطين على رغم أنهم كانوا لايتعرضون للاضطهاد مثل اليهود الإشكنازيم في أوربا ، فسنجد أن الدعاية الصهيونية التي بثتها أجهزة الإعلام الصهيوني المختلفة خلال سعيها إلى جمع الأموال والتبرعات منهم كانت هي السبب الرئيسي في دفعهم إلى الهجرة ، يؤكد ذلك مانشرته « لارفيو سيونيست » نقلا عن صحيفة « بروجريه دي فيز » Progrés de Fez المغربية التي قالت في مقال افتتاحي لها عن أسباب الخروج اليهودي من المغرب : إنه يرجع إلى « مبادئ دينية ، وأسباب اقتصادية ودعاية صهيونية ، فالكيرن هايسود يقوم بخدمة دعائية منتظمة ، والصحف الصهيونية في العالم تأتي إلى اليهود حاملة « الكلمة الصالحة » ، والنداءات تنهال عليهم من كل المخلصين لتعمير الوطن القومي » ؛ ولهذا فقد وجهت « لارفيو سيونيست » الشكر إلى صحيفتي « بروجريه دي فيز » و « صوت إسرائيل » Voix d'Israél على ما يقومان به في هذا الشأن[15] .

من ناحية أخرى يبدو أن حرص قادة النشاط الصهيوني في البلاد العربية على الإسراع بإنشاء الوطن القومي وتفريغ فلسطين من سكانها العرب ، كان دافعا لهم على تهجير كل من هو يهودي دون تمييز .

ومع ازدياد حدة الدعاية الصهيونية في أوساط اليهود السفارديم تزايد اهتمامهم بفلسطين وبالوطن القومي الذي يجري إنشاؤه فيها ؛ ولذلك فإنه حينما اجتمع المؤتمر الصهيوني العالمي في كارلسباد عام 1923 التقى الأعضاء السفارديم في المؤتمر وعدد من أعيان الطوائف اليهودية الشرقية ممن جاءوا إلى كارلسباد لحضور المؤتمر ، وبحثوا معا في وسائل تكثيف الدعاية الصهيونية بين اليهود السفارديم والشرقيين ، وجذبهم إلى المشاركة في تعمير فلسطين على نطاق واسع ، وقد رأى هؤلاء تكوين اتحاد دولي لليهود السفارديم ، وقد تأسس الاتحاد بالفعل .

ونظرا لأنه كانت بمصر طائفة سفارادية قوية وكبيرة ، تطلع الاتحاد الدولي لليهود السفارديم إلى الحصول على تعاونها في تحقيق أهدافه ، ففي شهر مايو سنة 1926 ، وصل إلى البلاد وفد برياسة موشي دي بتشوتو رئيس الاتحاد ، وابراهام المالح عضو لجنته المركزية ورئيس تحرير صحيفة « دوار هايوم » بالقدس ، ومسيو لانيادو Laniado حيث قاموا بدعاية كبيرة للاتحاد وأهدافه من أجل أن تعيرهم مصر التي يعيش فيها سفارديم أثرياء وكرماء جدا مساعدتها المادية والمعنوية التي بدونها يتعرضون للضياع والاضمحلال – على حد قولهم ، كذلك حاول أفراد هذا الوفد إقناع اليهود المصريين بأن فلسطين تفتح آفاقا رائعة للعنصر السفارادي ، وأنه لذلك يجب أن يكون يهود مصر أول الممثلين فيها ، وأن تتحقق نهضة الحركة السفارادية بمساعدة مصر[16] .

ولقد أيدت الصحف الصهيونية التي كانت تصدر في مصر في ذلك الوقت تحركات هذا الوفد وتابعت نشاطاته باهتمام كبير ، فقد ذكرت صحيفة « إسرائيل » أن بعثة الاتحاد الدولي لليهود السفارديم التي جاءت إلى مصر بهدف القيام بدعاية صهيونية لصالح هذا الاتحاد ، حققت نجاحا باهرا في بلاد النيل ، فقد أجرى أعضاؤها خمس مقابلات ، وخمسة عشر من أعيان اليهود في مصر وعدوا بتقديم كل مساعدة ممكنة للاتحاد ، وقد تولى عشرة من هؤلاء الأعيان عبء الإنفاق على مكتب الاتحاد في القدس حيث منحوا مسيو دي بتشوتو مبلغ 350 جنيها مصريا .

وبالإضافة إلى ذلك تذكر الصحيفة أن أعضاء الوفد نجحوا أيضا في جمع مبلغ 1300 جنيه مصري جاء الجزء الأكبر منه من يهود مصر الذين بلغت تبرعات كل واحد من أثريائهم بين 20 و50 جنيها ، وقد أرسل جانب من حصيلة هذا المبلغ إلى خزانة المهاجرين .

وإزاء النجاح الذي حققته بعثة هذا الاتحاد في مصر تم الاتفاق على القيام بحملة أخرى في شهر نوفمبر من العام نفسه تحت رعاية يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة ، الذي وعد بأن تكون هذه الحملة أكثر من مثمرة[17] .

وبعد انتهاء فترة عمل البعثة في مصر غادرها المالح ولانيادو إلى القدس في حين ظل دي بتشوتو بالقاهرة بضعة أيام أخرى ؛ كي يناقش هو وبعض الرأسماليين اليهود في مصر تأسيس صندوق ائتمان Caisse de Crédit رأسماله 100 000 جنيه مصري لشراء أراض في عاصمة الدولة اليهودية .

ولدى عودة بتشوتو رئيس الاتحاد إلى القدس سيطر نشاط محموم في مقار الاتحاد من أجل القيام بجهد حقيقي منتج في الداخل وتكثيف الدعاية في الخارج ، ففي الداخل اتجه الاتحاد بعد أن نجح في جمع مبلغ الـ 1300 جنيه مصري نحو إنشاء صندوق الائتمان ، الذي طرحت فكرته لأول مرة في مصر ، وأما في الخارج فقد تقرر القيام بدعاية لصالح هذا الصندوق بإيفاد بعثات إلى مصر وسوريا والعراق وأوربا الغربية كما رأى الاتحاد ضرورة الاعتماد على وسائل الاتصال الجماهيري وذلك بتكثيف الدعاية عن طريق الصحافة ، وإصدار النشرات لإثارة اهتمام السفارديم في الخارج بالحركة القومية اليهودية ، وكل أعمال المنظمة الصهيونية في أرض إسرائيل[18] .

وقد استجابت الصحف الصهيونية في مصر لهذه التحركات فقامت صحيفتا « إسرائيل » و « لورور » بمتابعة نشاط الاتحاد الدولي للسفارديم والقيام بالدعاية اللازمة له ، فعلى سبيل المثال قامت صحيفة « لورور » في يناير عام 1928 بنشر ملحق مصور عن الاستيطان السفارادي في فلسطين[19] ، كما استغلت الصحيفة وجود طائفة سفارادية في فلسطين لإثارة مشاعر التضامن لدى يهود مصر معها ، وقد استطاعت هذه الحملة تحريك مشاعر يهود مصر ، فرأينا أحد أبناء الطائفة يتبرع بخمسة محاريث لإرسالها إلى الطائفة السفارادية في فلسطين ، ويبعث

بهذه المحاريث إلى صحيفة « لورور » ؛ لأنه علم عن طريقها بوجود هذه الطائفة في فلسطين ، وبحاجتها إلى هذه المحاريث .

وقد نجحت الدعايات التى قام بها الاتحاد من خلال الصحافة ومن خلال الوفود التى كانت تتردد على البلاد في إثارة اهتمام أعيان الطائفة اليهودية في مصر ، إذ يذكر إبراهيم المالح عضو اللجنة المركزية للاتحاد أنه كان يتردد على يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة وأنه ـ أي يوسف قطاوي ـ كان يعني دائما بحالة اليهود في فلسطين وبخاصة السفارديم ، وكان يستعلم عن تقدم الأعمال اليهودية والشركات والمصانع ، وأنه وعده في آخر زيارة له في ديسمبر عام 1938 بمساعدة المشروعات الثقافية التي يقوم بها اليهود في فلسطين .

على أية حال فقد أسفرت هذه الأنشطة والاتصالات عن تأسيس لجنة للاتحاد الدولي لليهود السفارديم في القاهرة عام 1928 ضمت أعيان اليهود في مصر ؛ بهدف القيام بدعاية بين السكان اليهود في مصر ، وحثهم على مساعدة المؤسسات السفارادية في فلسطين ، وقد بدأت هذه اللجنة ـ فور تأسيسها ـ بالاتصال بالمنظمة الصهيونية بمصر حيث قدمت لها مذكرة إيضاحية عن هدف اللجنة واحتياجاتها[20] .

ولقد أسفرت الدعاية الصهيونية في أوساط اليهود الشرقيين عن هجرة أعداد منهم إلى فلسطين حتى لقد وصل عددهم في عام 1928 نحو 54 ألفا ، من مجموع السكان اليهود البالغ عددهم 140 ألفا ، وهي نسبة كبيرة لم تكن المنظمة الصهيونية العالمية تتوقع وصولها إلى هذا الحجم .

ومع زيادة تأثير اليهود السفارديم على خطط الحركة الصهيونية سعت المنظمة الصهيونية العالمية إلى عقد اتفاق مع الاتحاد الدولي لليهود والسفارديم عام 1928 ينظم العلاقة بين الطرفين ، ويسمح للمنظمة الصهيونية العالمية في الوقت نفسه بالهيمنة على نشاطاته ، خصوصا فيما يتعلق بالهجرة وجمع التبرعات ، وقد كانت صحيفة « لورور » هي أول صحيفة يهودية تقوم بنشر بنود الاتفاق نقلا عن مراسلها الخاص[21] .

وإذا كانت الأيديولوجية الصهيونية قد قامت على أساس تسخير اليهود السفارديم من أجل خدمة أهدافها الرامية إلى تهجير اليهود الإشكنازيم ، فإنه لم يكن غريبا أن يتفجر ما سمي بالمشكلة السفارادية نتيجة التمييز الذي مارسته الحركة الصهيونية ضد اليهود الشرقيين الذين تسربوا إلى فلسطين ، متأثرين بالدعاية الصهيونية ، وقد بدأت معالم هذه المشكلة تطفو على السطح عام 1944 لدرجة أنها تسببت في إثارة مناقشة عامة شاركت فيها الصحافة العبرية ، والمؤسسات المحلية المختلفة في فلسطين ، وقد وجدت هذه المناقشات صدى لها على صفحات « الكتاب السنوي ليهود مصر والشرق الأدنى » الذي عرض جوانب المشكلة بموضوعية تامة ، وأيدسفاراد فلسطين في اتهامهم الإشكنازيم بممارسة التمييز ضدهم[22] .

أما فيما يتعلق باليهود المصريين ، فكما أشرنا من قبل ، لم تكن لدى المنظمة الصهيونية العالمية رغبة في نقلهم إلى فلسطين لأسباب عديدة أولها : أنها كانت تريد الدولة اليهودية للإشكنازيم فقط ، وثانيها أنها كانت ترى في وجود طائفة يهودية قوية في مصر – جارة فلسطين – فوائد اقتصادية وسياسية جمة للوطن القومي في أثناء مرحلة الإنشاء وبعدها ، ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من هجرة بعض اليهود المصريين ممن تأثروا بالدعاية الصهيونية ، وراودتهم الأحلام في مستقبل أفضل ، كما لم يمنع من قيام بعض الصحف اليهودية في مصر من التشجيع على هجرة أبناء الطائفة إلى هناك ، فعلى سبيل المثال تساءلت مجلة « الاتحاد الإسرائيلي » – صحيفة القرائين – عن الضمانات التي سيقدمها حاخامات الطائفة لضمان بقاء العائلات التي ستقوم بترحيلها إلى القدس وعدم عودتها إلى مصر[23] .

كذلك فإن صحيفة « إسرائيل » الفرنسية شجعت في عام 1936 هجرة الحالوصيم المصريين للعمل في الزراعة ، كما حثت يهود مصر على تقديم المساعدات المالية لمستوطنة عين « هاهوريسن » التى أسسها يهود الإسكندرية في فلسطين ؛ حتى تكون مركز جذب للهجرة الاستيطانية في مصر[24] .

ولاشك في أن الصحيفة بدعوتها إلى هجرة اليهود المصريين للعمل في الزراعة في

فلسطين ـ وخصوصا أن معظم اليهود المهاجرين من أوروبا لم يحترفوا العمل الزراعي من قبل ـ تكشف عن وعيها بأهمية وجود عنصر بشري يهودي يحترف العمل الزراعي حتى يتمكن الوطن القومي من تحقيق الاكتفاء الذاتي فلا يتعرض للأزمات كما حدث في أثناء الإضراب العام الذي نظمه الفلسطينيون عام 1936 ، والذي عانى يهود فلسطين بسببه أزمات في السلع الغذائية الزراعية كالخضر والفاكهة ، وكان من بين الأسباب التي دفعتها إلى توجيه هذه الدعوة أنه كان يوجد بين اليهود المصريين من يحترفون العمل الزراعي ، إذ يذكر كتاب « يهود مصر » أنه كانت توجد في مصر قرية من الفلاحين اليهود في مركز منيا القمح بالقرب من بنها في دلتا مصر[25] ، ولكن لم يذكر اسم هذه القرية .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية نشطت المنظمات الصهيونية بمصر إلى تهجير بعض اليهود المصريين حينما بدأت جحافل هتلر تدق أبواب العلمين ، فقد نشطت منظمة « هاعيفري هاتسعير » ـ أي العبراني الصغير ـ إلى إقناع الشبان اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وقامت بتدريبهم في مزرعة بالقرب من القاهرة انتظارا لترحيلهم إلى هناك ، ولذلك كتب رينيه قطاوي إلى مندوب الوكالة اليهودية في مصر يسترعي انتباهه إلى خطورة النشاط الذي تمارسه المنظمة ، كما وجه انتباهه إلى عمليات الزواج الصوري التي كانت تتم بهدف تمكين الفتيات من مغادرة البلاد دون تصريح من أولياء الأمور[26] .

وعلى الرغم من كل هذا النشاط فقد بلغ عدد اليهود المصريين الذين هاجروا إلى فلسطين قبل حرب 1948 نحو 1845 شخصا فقط[27] .

ويرجع السبب في عزوف يهود مصر عن الهجرة إلى فلسطين إلى الأمن والاستقرار الذي تمتعوا به في البلاد فضلا عن فرص العمل ، وفرص الكسب الكبيرة التى كانت متاحة أمامهم ، أضف إلى ذلك أن الرأسمالية اليهودية لم تكن مستعدة للتضحية بمصالحها وثرواتها التي كونتها خلال سنوات نشاطها الطويلة في مصر والهجرة إلى فلسطين حيث كان المستقبل يبدو لها محفوفا بمخاطر كثيرة .

وفضلا عن ذلك كانت للوكالة اليهودية في فلسطين أسبابها للاحتفاظ بطائفة يهودية قوية في مصر منها الحفاظ على استمرار العلاقات التجارية بين مصر والدولة اليهودية ، وأن تكون الطائفة اليهودية هنا حلقة اتصال بين مصر وإسرائيل والدول العربية الأخرى[28] .

الصحافة ويهود روسيا وأوكرانيا :

على الرغم من الخلاف الأيديولوجي الذي لمسناه بين الصحافة اليهودية في مصر والمنظمة الصهيونية العالمية ، فيما يتعلق بهجرة اليهود السفارديم إلى فلسطين ، فإن هذه الصحافة التزمت الخط الأيديولوجي الذي حدده قادة الحركة الصهيونية فيما يتعلق بدور السفارديم في دعم هجرة الإشكنازيم إلى فلسطين وتسهيلها ، وقد لمسنا ذلك في الجهود التى بذلها مكتب الهجرة وفي دعم البنوك الصهيونية ، وبالاضافة إلى دعم صمود اليهود في الدياسبورا .

وقد استغلت الصحافة اليهودية الأحداث التى وقعت لليهود في أوروبا الشرقية وبالذات في روسيا وأوكرانيا لتنمية الروح القومية لدى يهود مصر ، بهدف زيادة مساهمتهم من المعونات والتبرعات ، وزيادة إيمانهم بحتمية إنشاء الوطن القومي ودعمه بجميع الصور ، ولهذا لم تكف الصحف اليهودية عن الحديث عن الاضطهادات التي تقع لليهود في روسيا ، وعن توجيه النداءات إلى اليهود المصريين تحثهم فيها على تقديم المعونة إلى يهود روسيا وأوكرانيا الذين يموتون جوعًا[29] .

وقد أفلحت هذه الدعايات في جذب الطائفة اليهودية السفارادية في مصر إلى مساعدة إخوانهم الإشكنازيم في أوربا الشرقية ، فقد تألفت في القاهرة لجنة برياسة يوسف قطاوي باشا قامت بإرسال مبلغ ألف جنيه إلى المؤتمر الدولي اليهودي للإغاثة ، كما أرسلت اللجنة التي تشكلت في الإسكندرية برياسة إدجار سوارس مبلغ 1500 جنيه بالإضافة إلى مبالغ أخرى .

وتشير صحيفة « لورور » إلى أنه أقيمت في أوكرانيا أربعة مطاعم للأطفال على

نفقة يهود مصر ، كما تولت طائفة القاهرة الإنفاق على 300 طفل في زهارفيكا ، في حين تولت طائفة الإسكندرية الإنفاق على 500 طفل في نيكولايف ورينتر[30] .

وقد استغلت « لارفيو سيونيست » هذه الأحداث لتأكيد أهمية تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فقالت : إن أصداء استشهاد يهود أوربا الشرقية تتردد كثيرا ، ومن السهل القول بأنه يجب أن تكون فلسطين ملجأ لجميع الإسرائيليين المضطهدين هناك ، وأن تكون وطنا لكل اليهود الراغبين في أن ينزرعوا من جديد في ثرى أجدادهم ، ولكن هذا الوطن لن يقوم ولن ينشأ إلا بهجرة عدد كبير من اليهود مع استغلال مصادر فلسطين استغلالا مكثفا[31] .

وقد جرى استغلال هذه الأحداث في جمع التبرعات لهيئات الهجرة والتدريب وغيرها ، ففي عام 1927 ، وجهت صحيفة « إسرائيل » نداء إلى يهود مصر تحثهم فيه على تقديم تبرعاتهم إلى المهندس س . يعقوبي الذي سيصل إلى مصر مندوبا عن منظمة الدعاية للعمل الزراعي والصناعي بين اليهود ، وعن جمعية حماية صحة اليهود ، ولجنة الهجرة اليهودية ؛ بهدف جمع الأموال الضرورية لمساعدة هذه المنظمات الثلاث .

كذلك استغلت الحركة الصهيونية هذه الأحداث لكسب تعاطف المصريين جميعا بمن فيهم غير اليهود ، كما استغلتها كوسيلة للضغط على دول أوربا الشرقية ، ولذلك نجد صاحب ورئيس تحرير جريدة « إسرائيل » يقوم بجمع توقيعات هيئات يهودية وغير يهودية في مصر على عريضة أرسلت إلى عصبة الأمم المتحدة عام 1927 باسم سكان مدينة القاهرة ، وباسم سكان مصر بصفة عامة جاء فيها :

« نحن الموقعين أدناه ، المقيمين في مدينة القاهرة دون تمييز في العنصر أو الدين أو الجنسية ، نحتج ضد قانون التفرقة الذي يعانيه يهود المجر ورومانيا وبولندا ، ونعلن أن لكل فرد الحق المطلق في التعليم في البلد الذي يقيم فيه ، ونرجو عصبة الأمم التدخل لدى الدول المذكورة لإلغاء هذا القانون الجائر »[32] .

مما سبق يتضح لنا أن المنظمة الصهيونية بمصر وصحافتها كانت على وعي تام بأهمية العنصر البشري في الاستراتيجية الصهيونية ، سواء فيما يتعلق بتحويل فلسطين

إلى دولة يهودية ، أو فيما يتعلق باستمرار العلاقات بين الدولة اليهودية والدول العربية .

وعلى الرغم من الخلاف الأيديولوجي الذي سبقت الإشارة إليه فيما يتعلق بهجرة اليهود السفارديم ، فإن الصحافة الصهيونية أبدت وعيا بالدور الذي حددته الأيديولوجية الصهيونية لليهود السفارديم فيما يتعلق بالمساعدة في تهجير الإشكنازيم إلى فلسطين ، من خلال إيقاظ الوعي القومي اليهودي بين يهود الشرق حتى يضطلعوا بمهام الدور المرسوم لهم .



الفصل الثامن

البعــد العسكــري

رأينا في الفصول السابقة أن الصحافة اليهودية في مصر أبدت وعيا كبيرا بالأبعاد الاقتصادية والسياسية والبشرية لاستراتيجية العمل الصهيوني ، كما أبدت وعيا كبيرا بالدور الذي يمكن أن تعلبه مصر وطائفتها اليهودية في خدمة هذه الأبعاد ، ولكن الأمر المثير للدهشة حقا ، أنه جرى استخدام مصر أيضا في بناء أول تشكيل عسكري صهيوني .

فقد شهدت مدينة الإسكندرية تحركات في صفوف اللاجئين اليهود الذين غادروا فلسطين منذ دخول تركيا الحرب العالمية الأولى - بهدف تجميع الشباب اليهودي في منظمة عسكرية تكون بمثابة التشكيل العسكري الذي يتولى حماية الكيان الصهيوني في فلسطين عند عودتهم إليها ، وقد تزعم هذه التحركات يهوديان روسيان هما فلاديمير جابوتنسكي ، والكابتن جوزيف ترومبلدور[1] .

أسفرت هذه التحركات في بادئ الأمر عن تجنيد بعض الشباب اليهودي القاهرة والإسكندرية في أول فرقة عسكرية يهودية أطلق عليها اسم « كتائب أبناء صهيون » أو « فرقة راكبى البغال الفلسطينية » ، وبعد أن تلقى أفرادها تدريبهم في معسكرات برج العرب بالقرب من الإسكندرية ، غادرت للعمل في صفوف القوات البريطانية في شبة جزيرة غاليبولي بتركيا ، ولكن حملة غاليبولي باءت بالفشل الذريع ، وتم تسريح كتيبة راكبي البغال في مايو 1916 مع استبقاء 120 من أفرادها تم إرسالهم إلى لندن ؛ ليكونوا نواة لكتيبة يهودية يمكن إنشاؤها هناك .

ومع استمرار المساعي والضغوط الصهيونية التي بذلها جابوتنسكى في لندن صدرت الأوامر إلى قائد القوات البريطانية في مصر بتكوين الفيلق اليهودي ، وبدأت

حملة كبيرة في القاهرة أمكن في إطارها تجنيد 150 يهوديا ، كونوا ما يسمى بكتيبة القاهرة ، وفي لندن تم إعداد كتيبتين من كتائب الفيلق حملتا رقم 38 و39 تحت إشراف الكولونيل باترسون ، وقد وصلت الكتيبة الأولى رقم 38 إلى الإسكندرية في 28 فبراير عام 1918 ، وسمح لها بدخول المدينة في أول مارس حيث كانت الطائفة اليهودية بالثغر قد أعدت لها حفل استقبال باسم الحاخام الأكبر في المعبد اليهودي بشارع النبى دانيال[2] .

وقد عبرت مجلة « رفيو إسرائيليت ديجبيت » عن ابتهاجها وابتهاج يهود الإسكندرية بوصول هذه الكتيبة فكتبت تقول : « إن وصول وحدة من الفيلق اليهودي الذي أسس باترسون في لندن والذي سيقوم بعمليات عسكرية في فلسطين كان مفاجأة سارة بالنسبة لنا » .. ثم قدمت الصحيفة وصفا تفصيليا لمراسم الاحتفال والجهود التى بذلت من أجل إقامة هذه الحفلة المتعاطفة ـ على حد قولها .

وحينما انتقلت هذه الكتيبة إلى القاهرة لتأخذ طريقها إلى فلسطين عن طريق البر ، كتبت « لارفيو سيونيست » تصف مشاعر الطائفة اليهودية فقالت : « إن استقبال الفيلق اليهودي اكتسب طابع العيد القومي ، فقد شاركت كل المنظمات اليهودية وجميع أبناء الطائفة تقريبا في استقبال الفيلق الذي طاف شوارع القاهرة تتقدمه جوقة المكابى وأعضاء الجماعة الرياضية ، وفتيان الكشافة من محطة باب الحديد إلى شارع نوبار ، فميدان الأوبرا وشارع المناخ (عبد الخالق ثروت حاليا) ثم ميدان سوارس (مصطفى كامل حاليا) ، وشارع قصر النيل وشارع سليمان باشا (طلعت حرب حاليا) حتى قصر الدوبارة .

وتشير المجلة إلى أنه على طول الطريق تجمع جمهور غفير كان يهتف بحياة الجنود الشجعان ، في حين ألقت عليهن السيدات الورد من النوافذ ، كما ارتفعت الأعلام الصهيونية فوق المنازل والمتاجر اليهودية[3] .

ويبدو أن الطائفة حاولت أن تجعل من مرور الفيلق اليهودي في الأحياء التى يقطنها اليهود بالقاهرة مظاهرة وطنية لرفع معنويات الجنود اليهود ، ولإشعارهم بعظمة المهمة التى نذروا أنفسهم لها ، ولبث الحماس من ناحية أخرى في نفوس أبناء الطائفة الذين

كان يتعين عليهم أن يسهموا في تشكيل كتيبة من مصر في هذا الفيلق ؛ ولهذا فإن « لارفيو سيونيست » تذكر أنه على طول الطريق من محطة رمسيس إلى قصر الدوبارة انضم إلى الموكب أعضاء المنظمات الصهيونية ، وتلاميذ الملجأ وجمعية قدامى التلاميذ ، ومرشدات صهيون ، وعمال وعاملات محلات شيكوريل ومورومس وأورزدى بك (عمر أفندي) .

وقد أفردت « لارفيو سيونيست » مساحة كبيرة للحديث عن وقائع الاحتفال الذي أقيم في مقر المندوب السامي البريطاني للفيلق اليهودي ثم في معبد شعار هاشميم Chaar Hacharnaim الذي حضره الحاخام الأكبر ، كما نشرت نص الكلمة التي ألقاها جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر والتي رحب فيها باسم صهيونيي مصر والمكابى بجنود الفيلق اليهودي حيث قال : « إننا لم نحظ من قبل بشرف أعظم من شرف استقبالكم بيننا ، فمصر لديها كنز من التقاليد والأحداث اليهودية .. وبعد أن هجعت مصر لوقت طويل بدأت الآن تحتل مكانا جديرا بها .. فمن مصر رأينا الحركة العسكرية تنطلق لفتح فلسطين .. هنا رأينا كل الجهود الأولية التى بذلت والتى ستثمر فيما بعد عن حملة كبيرة .. رأينا هنا تحويل العلاقات التقليدية بين مصر وفلسطين إلى علاقات وثيقة .. رأينا اليهودية تستيقظ وتدرك هدفها وقوتها » .

وإذا كانت الصحافة اليهودية في مصر قد اقتصرت في هذه الفترة على مجرد تغطية الأحداث ، ونقل الاحتفالات والكلمات التى ألقيت فيها ، دون أن تتحدث صراحة عن أهداف الفيلق والمغزى من إنشائه ، فإن هذه المهمة تركت للحملات الدعائية التي اعتمدت على الاتصال المباشر ، والتي اسفرت عن إنشاء الكتيبة رقم 40 في مصر ، ولكن كان معظم رجالها من يهود فسلطين .

من ناحية أخرى اقتصرت الصحافة اليهودية على متابعة نشاط بعض الهيئات التي أنشأتها الطائفة اليهودية أثناء الحرب العالمية الأولى بدعوى الترفيه عن الجنود اليهود داخل الجيش البريطاني مثل « الدائرة الاجتماعية للجنود اليهود » التى أسست بمدينة الإسكندرية لإسداء بعض الخدمات للجنود اليهود المقيمين إقامة دائمة في المدينة ، بهدف تحسين أحوالهم العامة ، ولكن متابعة ما نشر عن نشاط هذه الدائرة وغيرها

من الهيئات المماثلة يوضح أنها كانت تهدف أساسا إلى حشد وتعبئة هؤلاء الجنود اليهود بهدف حفزهم على الاستمرار في سلك الجندية حتى يكونوا نواة للجيش اليهودي المزمع إنشاؤه في المستقبل ؛ ولهذا وجدنا هذه الدائرة تنظم اجتماعات ومناقشات عن اليهودية ، وتوجه نداء إلى أبناء الطائفة ؛ كي يزودوها بكتب في التاريخ اليهودي باللغة الإنجليزية ؛ كي يقرأها هؤلاء الجنود في أوقات فراغهم .

وفي إطار الحملة التي شنتها أجهزة الدعاية الصهيونية في مصر من أجل حث شباب الطائفة على التطوع في الفيلق اليهودي حاولت « رفيو اسرائيليت ديجيبت » إثارة مشاعر الحماس لدى قرائها ، وإعادة ثقتهم بأنفسهم فكتبت تقول : « هذه هي المرة الأولى – منذ قرون – التي يحتل فيها اليهود مكانا مهما في الحرب ، وهذه هي المرة الأولى أيضا التي يبرهن فيها اليهود – الذين كان ينظر إليهم دائما على أنهم ضعفاء وجبناء وغير أكفاء لحمل السلاح ، ومواجهة الخطر دفاعا عن الأرض التي يعيشون عليها — على أنهم أبطال وشجعان »[5] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان جابوتنسكي يأمل في أن يفي الجنرال اللنبي بوعده الخاص بتحويل الفيلق اليهودي إلى فرقة تخدم مع القوات البريطانية في فلسطين ، ولكن أحلام جابوتنسكي لم تلبس أن تبددت ، إذ بدأت السلطات البريطانية في تسريح الفيلق بعد شهرين من توقيع الهدنة مع تركيا ، إلى أن تقرر تسريحه نهائيا في أغسطس عام 1919 .

وعلى الرغم من أن الصحافة اليهودية توقفت عن الحديث عن الفيلق اليهودي ، وعن الجنود اليهود بعد انتهاء الحرب ، فإنها أفسحت صدرها بين الحين والآخر لتصريحات جابوتنسكي التي كان يطالب فيها بإنشاء قوة مسلحة يهودية ، ففي مقابلة نشرتها « لارفيو سيونيست » في أعقاب أحداث يافا عام 1921 ، حدد جابوتنسكي وسيلتين فعالتين من وجهة نظره لحماية الحياة والممتلكات اليهودية في فلسطين ، الأولى وترجع إلى اليهود أنفسهم ، وتتعلق بإنشاء حماية ذاتية Auto - Protection كبيرة ومسلحة ، ولها استقلالها ومقارها الخاصة ، والثانية وتتعلق بوجود حامية

بريطانية تضم وحدة يهودية .

ولتأكيد أهمية مطلبه ، ذكر جابوتنسكي أنه حينما كان هناك 5000 يهودي في الحامية الفلسطينية ، لم تقع أحداث معادية للعرب أو لليهود ، ولكن عندما تم تخفيض هذا الرقم إلى 400 جندي قتل ستة من اليهود وستة من العرب في القدس ، كما قتل 30 يهوديا و10 من الأعراب في يافا[6] .

وقد استغلت المجلة الصهيونية موضوع الفيلق اليهودي لخلق الإحساس بالذنب لدى اليهود لحثهم على دفع التبرعات ، فنقلت عن جابوتنسكي قوله : إن الشعب اليهودي وحده هو الملوم ؛ لأنه لو كان قد دفع إلى المكلف البريطاني المثقل نصيبه من النفقات لما وجد نفسه اليوم بلا دفاع .

وفي الوقت الذي كانت الصحف اليهودية تبدي انحيازها وتأييدها لفكرة إنشاء قوة عسكرية يهودية في فلسطين ، وقفت ضد إنشاء قوة الدفاع الفلسطينية ، فقد رأت « لارفيو سيونيست » أن هذه القوة كان مقررا لها أن تشتمل على عدد من الوحدات العربية ، وكان هذا يتنافى مع نظرتهم إلى الوجود العربي في فلسطين ، على أنه وجود مؤقت لاينبغي تعزيزه ، ولهذا نشرت المجلة الخطاب الذي أرسله جابوتنسكي إلى جريدة التايمز اللندنية ، ونشر في 14 مايو 1921 ، وطالب فيه السلطات البريطانية بتقديم الدليل على أنها استوعبت درس أحداث يافا ، وكان الدليل الذي طلبه جابوتنسكي هو التخلي نهائيا عن المشروع الذي اقترحه هربرت صمويل في مؤتمر الشرق الأوسط بالقاهرة عام 1921 بتجنيد قوة دفاع فلسطينية ، تشتمل على عدد من الوحدات العربية واليهودية ، وكانت حجة جابوتنسكي في رفض هذا الاقتراح أنه مازال بين فقراء فلسطين عدد كبير لم يصل إلى درجة النضج التى تؤهله لتحمل المسئوليات المدنية ، وخاصة مسئوليات الدفاع ، وأنه ليس هناك مبرر لاعتقاد أن هؤلاء الجنود سيكونون أهلا للثقة عن مواطنيهم في البوليس[7] .

من ناحية أخرى نشرت « لارفيو سيونيست » الكلمة التي أدلى بها جابوتنسكي في اجتماع لجنة العمل الكبرى الصهيونية في براج بتشيكوسلوفاكيا عام 1921 ، والتى أكد فيها أن مفتاح الموقف في فلسطين يكمن في الوضع العسكري ، وادعى

أن السلطات العسكرية في معظمها ليست مستعدة لاتخاذ موقف في صالح اليهود ، ولأن العرب يعرفون ذلك فهم يتشجعون على مقاومة الهجرة اليهودية ومهاجمة الحياة والممتلكات اليهودية ، ولذلك رأى جابوتنسكي أن المهمة الملقاة على عاتق المنظمة الصهيونية العالمية ، هي اتخاذ الاجراءات الضرورية لحماية الحياة والممتلكات اليهودية ، وكانت الوسيلة المؤدية إلى بلوغ ذلك الهدف ـــ من وجهة نظره هي ـــ عودة الكتائب اليهودية في الجيش البريطاني(8)

وحتى يبرهن جابوتنسكي لبريطانيا على أهمية وجود الكتائب اليهودية أشار إلى أنه عندما كان فى فلسطين 5000 جندي يهودي ساد البلاد نظام شامل ، في حين كانت مصر جارة فلسطين مشتعلة بالثورة (يقصد ثورة 1919) وذلك على الرغم من وجود القوات البريطانية فيها .

وعلى الرغم من أن أفكار جابوتنسكي لم تكن تلقى قبولا من قادة المنظمة الصهيونية على الأقل في ذلك الوقت بالذات ، باعتبارها سابقة لأوانها ، فإن نشر المجلة لهذه الأفكار يشير إلى تعاطف رئيس تحريرها ـ على الأقل ـ وأفكار جابوتنسكي الذي كان ينظر إليه في الأوساط الصهيونية على أنه امتداد لهرتزل ، وهو ما قد يعد خروجا على خط المنظمة ، ولكن كان هذا الموقف يتفق مع موقف رئيس التحرير ، الذي كان قد بدأ في تبني اتجاه معارض لسياسات حاييم وايزمان وغيره من قادة اللجنة التنفيذية ؛ لاعتمادهم الزائد على بريطانيا ، هذا فضلا عن أنه كان يتفق والتكتيكات الصهيونية التي كانت تلجأ إلى الاستفادة من مواقف بعض المتطرفين في الضغط للحصول على مكتسبات جديدة .

وإذا كان هذا هو موقف « لارفيو سيونيست » فإن صحيفة « إسرائيل » التي كان صاحبها عضوا في اللجنة المركزية بمصر ، قد أفسحت صدر صفحاتها هي الأخرى لأفكار جابوتنسكي ، حيث قام مراسلها الخاص في باريس بإجراء مقابلة مع جابوتنسكي ، أكد فيها مرة أخرى الحاجة إلى إعادة إنشاء الفيلق اليهودي ؛ لأن الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون ممكنا إلا إذا كان يحظى بحماية جيدة ،

وقال : « ذات يوم ربما تكون هناك دولة يهودية ، وحنيئذ سيكون لدينا جيش يهودي ، ولكنه رأى أنه ما دامت ستكون فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، فإن الجيش الذي يدافع عنها يجب أن يكون جيشا بريطانيا ، ولكن المادة البشرية لهذا الجيش ينبغي أن تكون من اليهود بدلا من أن تكون من الهندوس أو الإيرلنديين .

ولعل في موقف الصحيفتين ما يدل على أنه كان يوجد اتجاه في أوساط الصهيونيين بمصريؤيد إنشاء الفيلق اليهودي ، كما يدل على إدراك الصحافة اليهودية أهمية الجانب العسكري الذي كان يتلخص فيما يلي :

1 – إن أمن الحياة وأمن الممتلكات اليهودية هما الشرطان الأساسيان لنجاح أي عمل استيطاني .

2 – إن اليهود وحدهم هم القادرون على تحقيق هذا الأمن في فلسطين ، ومع ذلك فإن أي تكوين عسكري يهودي يجب أن يكون منضويا تحت لواء القوات البريطانية خلال المراحل الأولى لبناء الدولة حتى لايجابه بالرفض من العرب أو من البريطانيين أنفسهم .

3 – إنه في حالة إنشاء الدولة اليهودية فإن هذه القوات اليهودية يمكن أن تتحول إلى جيش يهودي يتولى حماية الدولة بفضل ما اكتسبه من خبرة وتدريب وسلاح خلال سنوات عمله تحت الإشراف البريطاني .

وكانت رؤية الصحافة اليهودية لبلوغ هذا الهدف تمر عبر طريقين : الأول التشكيك في مقدرة العرب على الاضطلاع بشئون الأمن والنظام ، وفي مقابل ذلك تأكيد قدرة اليهود على صون النظام والأمن ، والثاني يمر عبر توفير العنصر المادي والعنصر البشري اللازمين لتشكيل هذه القوات ؛ ولذلك فإنه إلى جانب الجهد الذي بذلته الصحافة اليهودية من أجل حث اليهود على تزويد عمليات الاستيطان اليهودي في فلسطين بالمال والرجال ، قامت بجهد آخر يرمي إلى تهيئة اليهود للاضطلاع بمسئوليات الأمن والدفاع عن المستوطنات اليهودية ، وعن الدولة اليهودية في المستقبل .

وفي إطار الخطة التي اتبعتها الصحافة اليهودية لإعداد اليهود الذين ظلوا قرونا بعيدين عن أعمال الحرب والقتال ، بسبب حياة الأقليات التي عاشوها ، تحدثت صحيفة « لورور » عما أسمته بالتاريخ العسكري اليهودي ، فقالت : إن اليهود كانوا على استعداد لخوض المعارك العسكرية منذ العصور القديمة ، وأن قوات مكابي لم تكن مجرد جماعات من المتعصبين ، وإنما كانت جيشا صغيرا منظما في فصائل وكتائب[9] .

وفي محاولة لإثبات عدم انقطاع اليهود عن الأعمال القتالية والحياة العسكرية على مر العصور أشارت الصحيفة إلى أنه كان هناك أبطال من اليهود في كل المعارك وكل البلدان خلال عصور التاريخ المختلفة : في الثورة الفرنسية ، وفي روسيا ، وفي وارسو ، وبراج ، واليونان ، وتركيا ، وجيوش بونابرت إلى أن انتهت بإبراز مشاركة اليهود في الحرب العالمية الأولى ، واستخلصت من ذلك أنه في كل البلدان وفي كل العصور أثبت اليهودي أنه ليس وطنيا مخلصا ومتحمسا للدفاع عن وطنه بالتبني فحسب ، ولكن أثبت أن قيمه وتقاليده العسكرية لم تهن ولم تضعف على الرغم من الاضطهادات ومرارة الشتات ، وممارسة المهن التي تتعارض وروح التضحية ، التي يتطلبها الميدان العسكري .

أما صحيفة « إسرائيل » فقد حاولت استغلال تشكيل الفيلق اليهودي عام 1918 في إثبات وفاء اليهود وإخلاصهم لإنجلترا وفي تأكيد قدرتهم على الاضطلاع بالأعمال العسكرية دون العرب ، فقالت : إنه في أشد الأوقات حرجا خلال الحرب العظمى (الأولى) ، وفي الوقت الذي لم يكن فيه النصر حليف بريطانيا ، دعينا من جميع أنحاء شتاتنا في إنجلترا ، وأمريكا ، والأرجنتين ، وفلسطين ، فلبينا النداء من جميع الأنحاء مستعدين لكل التضحيات .. أما العرب المدافعون الجدد عن البلاد فإنهم لم يقوموا بأي عمل لصالح إنجلترا .. »[10] ، وذلك على الرغم من أن العرب أعلنوا الحرب على تركيا لصالح بريطانيا .

وخلال الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى وحتى قيام الحرب العالمية الثانية

ركزت الصحافة اليهودية على البعدين الاقتصادي والبشري ، في حين انحسر اهتمامها بالجانب العسكري إلى حد كبير ، ولكن ما إن نشبت الحرب العالمية الثانية ، حتى وجد الصهيونيون فرصتهم للانتهاء من إنجاز هدفهم بإنشاء الدولة اليهودية ، فقد أعلن دافيد بن جوريون بعد خمسة أيام من نشوب الحرب أن الصهيونية ستدخل بنشوب هذه الحرب مرحلة جديدة هي المرحلة العسكرية ، وقال : إنه إذا كانت الحرب الأولى قد تمخضت عن وعد بلفور ، فإن الحرب الثانية لابد أن تأتي بالدولة اليهودية ، وإنه إذا كانت القوى السياسية والدبلوماسية الصهيونية هي التى قامت بالدور الرئيسي في أثناء الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها ، فإن القوى العسكرية الصهيونية أصبحت هي الأداة الوحيدة والضرورية لفرض الوجود الصهيوني بفلسطين في شكل الدولة[11] .

ونظرا لأن الرأي كان قد استقر على إنشاء الجيش اليهودي ليتولى حماية الدولة لدى إعلانها ، قامت المنظمة الصهيونية بحملات دعائية لحث الشبان اليهود في جميع أنحاء العالم على التطوع في جيوش الحلفاء حتى يمكن الاستفادة منهم بعد الحرب في تكوين الجيش اليهودي .

ففي مصر انتهز مجلس جمعية الشبان اليهود المصريين فرصة النداء الذي وجهه محافظ القاهرة للتطوع في فرقة الوقاية ، واجتمع في اليوم نفسه ، حيث قرر القيام بدعاية واسعة لحث أعضاء الجمعية والشبان اليهود بصفة عامة على الانضمام إلى الفرقة المذكورة ، وحتى يكون المجلس قدوة لبقية الأفراد ، تذكر صحيفة « الشمس » أن كلا من مارك كوهين نائب الرئيس ، وألبرت مصلياح السكرتير العام بقسم شبرا ، وليون ليفي ، وغيرهم تطوعوا في الفرقة المذكورة ، كما قامت بالحي الإسرائيلي حركة واسعة النطاق خاصة بالتطوع تحت شعار خدمة الوطن[12] .

وفي حين قام فرع مخابرات عصابة شتيرن في إطار العمل السري بتدريب الشبان اليهود على حمل السلاح في مصر ، ثم تهريبهم بعد ذلك إلى فلسطين ، اقتصر النشاط العلني للطائفة اليهودية على دعم المجهود الحربي البريطاني .

وكما قامت الطائفة في الحرب الأولى بإنشاء مراكز وهيئات بدعوى الترفيه عن الجنود اليهود في الجيش البريطاني ، قام بعض وجهاء الطائفة من السفارديم والإشكنازيم تحت رياسة الحاخام حاييم ناحوم أفندي بتشكيل لجنة الترفيه عن التجارة والجنود والطيارين[13] ، وقد تم تدبير مقرلها في قلب القاهرة (18 شارع عدلي) أمام المعبد اليهودي الكبير ، وكانت هذه اللجنة تقوم باستقبال العسكريين اليهود الذين يأتون إلى مقرها كل يوم ، حيث يجدون قاعة للاطلاع مزودة بالكتب والصحف ، وقاعات أخرى للتسلية ولتناول الطعام .

وكانت لجنة السيدات التابعة لهذه اللجنة تقوم ببعض أعمال الحياكة وتوزعها على الجنود اليهود تحت رعاية الصليب الأحمر البريطاني ، كما تولت تنظيم رحلات ترفيهية للجنود الجرحى الذين كانوا في مرحلة النقاهة .

وأقامت اللجنة أيضا مكتب استعلامات لتقديم المعلومات للجنود اليهود وتيسير اتصالهم بالأسر اليهودية في مصر وبعائلاتهم في الخارج ، كما تم تنظيم خدمة خاصة لتلقي الكتب والصحف وتوزيعها على العسكريين اليهود ، وتم توزيع ما يزيد على ألف كتاب وأشياء أخرى مثل الصابون ، ومعجون الأسنان ، وشفرات الحلاقة « والشيكولاته » وكانت هذه الأشياء ترسل بانتظام إلى الجنود اليهود العاملين في صفوف الجيش البريطاني في معسكراتهم .

مما سبق يتضح لنا أن الطائفة اليهودية في مصر قامت بدورها في هذه الحرب أيضا ـ مثلما فعلت في الحرب الأولى ـ فيما يتعلق بحشد الجنود اليهود وتعبئتهم وإحاطتهم برعايتها وعنايتها ، حتى يكون الإحساس بالتكريم والتقدير حافزا على الاستمرار في سلك الجندية ، وإذا كان هذا الجهد اعتمد أساسا على الاتصال المباشر مع استخدام بعض وسائل الاتصال الجماهيري المتمثلة في الكتب ، فقد قامت الصحافة اليهودية بتسليط الأضواء على هذا النشاط .

وهكذا فإنه عندما أعلنت الدولة اليهودية في مايو عام 1948 كانت لدى الكيان الصهيوني قواته المسلحة القادرة على حمايته وضمان استمراره وبقائه .

هوامش الباب الثالث

هوامش الفصل الخامس

1 – La Revue Sioniste, 20 ovril 1921 No 3 . P 99 .

2 – Cahiers Juifs, Juillet 1936 No 23 .

3 – La Revue Sioniste, 1 - 2 - 1922 No 21 P 667 .

4 – Ibid .

5 – Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4 . P 98 .

6 – Annuaire des Juifs d'Egypte - 1942 . P 62 .

7 – Revue Israélité d'Egypte, 15 - 22 Mars 1917 No 4, P 53 .

8 – La Revue Sioniste, 1 - 3 - 1918 No 9 .

9 – Ibid.

10 – Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4, P 128 .

11 – Ibid, 20 - 8 - 1921 . No 11 .

12 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1943 .P 126 .

13 – La Revue Sioniste 15 - 5 - 1922 No 4 . P 98 .

14 – L'Aurore, 13 - 12 - 1926 No 174 .

15 – La Revue Sioniste, 15 - 5 - 1922 No 4, P 98 .

16 – Ibid, 15 - 2 - 1922 No 22 . P 702 .

17 – Annuaire des Juifs d'Egypte -- 1943 . P 131 .

18 – Israél , 27 - 5 - 1927 No 21 . P 2 .

19 – صحيفة الشمس في 8 يونيو 1942 . العدد 397 .. تخليد ذكرى قطاوي باشا .

20 – 20 - Annuaire des Juifs d'Egypte - 1943 . P 134 .

21 – Ibidem .

22 – La Revue Sioniste, 20 - 9 - 1921 No 13 . P415 .

23 – Annuaire des Juifs d'Egypte - 1943, P 137 .

24 – Ibidem .

25 – La Revue Sioniste, 20 - 10 , 1921 No : 15 . P 478 .

26 – Ibid, 15 - 5 - 1922 . No 4, P 98 .

27 – Ibid, 1 - 12 - 1922 . No 17 , P 549 .

28 – عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص 242 .

29 – La Revue Sioniste, 20 - 7 - 1921 . No 4, P 249 .

30 – L' Aurore, 28 - 11 - 1924 .

31 – Ibid, 26 - 12 - 1924 . No 45 .

32 – Ibid, 23 - 1 - 1925 . No 49 .

33 – Ibid, 12 - 12 -1924 . No 43 .

34 – Ibid, 19 - 12 - 1924 . No 44 .

35 – Ibid, 27 - 11 - 1925 . No 92 .

36 – Ibid, 30 - 4 - 1926 . No 113 .

37 – أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية – سلسلة دراسات فلسطينية رقم 15 – بيروت 1967 ص 112 - 123 .

38 – La Revue Sioniste, 15 - 5 - 1922 . No 4 . P 105 .

39 – Ibid, 20 - 10 - 1921 . No 15 .

40 – Ibid, 15 - 5 - 1922 No 4 . P 102 .

41 – Ibid, 1 - 7 - 1923 No 7 . P 223 .

42 – Patai, Raphael op . cit . Vol 2 . P 658 .

43 – صحيفة الشمس في 27 أغسطس 1943 ، العدد 457 ، ص 3 و La Revue Sioniste,5 - 4 - 1921 . No 2 . P 64 .

44 – Ibid, 17 - 12 - 1920 . No 26 . P 10, 5 - 11 - 1921 No 16 . P 505 .

45 – Ibid, 20 - 7 - 1921 . No 4 . P 259 .

46 – Ibid, 15 - 11 - 1922 . No 16 , P 520 .

47 – Israél, 21 - 12 - 1924 . No 50 .

48 – La Revue Sioniste , 1 - 12 - 1922 . No 17 .

49 – Patai op . cit . Vol 2 . P 1242 .

50 – Israél, 8 - 1 - 1936 . No 2 . P 3 .

51 – Revue Israélite D'Egypte, décembre 1918 . No 22 - 23 . P 237 .

52 – La Revue Sioniste , 17 - 12 - 1920 . No 26 , P 4 .

53 – Ibid, 19 - 4 - 1918 . No 16 .

54 – محمد عبدالقادر حاتم : الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية – مكتبة لبنان – بيروت 1973 ص 352 .

هوامش الفصل السادس

1 – حامد عبدالله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص 29 .

2 – عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية – القسم الأول ص 148 .

3 – محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة – القسم الأول ص 306 ، 314
Herzl : op . cit . Vol 6 , P1449

4 – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : العسكرية الصهيونية – المجلد الأول ص 67 .

5 – هرتزل : مرجع سابق ص 249 .
محمد عبدالرءوف سليم – مرجع سابق ص 307 .

6 – سهام نصار : اليهود المصريون ، صحفهم ومجلاتهم – العربي للنشر والتوزيع – (د . ت) ص 113 .

7 – La Revue Sioniste, 19 - 4 - 1918 . No 16 , 4 - 1 - 1918 . No 1 .

8 – Revue Israélite d'Egypte, 15 - 10 - 1918 . No 17 . P 206 .

9 – La Revue Sioniste, 11 - 1 - 1918 . No 2 .

10 – Ibid, 4 - 1 - 1918 No 1 , 18 - 1 - 1918 . No 3 .

11 – Revue Israélite d'Egypte, 10 - 30 Juin 1917 . No 9 - 10 , 15 Juillet - 15 aout 1917 . No11 -12 .

12 – La Revue Sioniste, 4 - 1 - 1918 . No 1 .

13 – Ibid, 5 - 5,5 - 9 - 1921 . No 4 , 12 .

14 – L'Aurore, 6 - 10 - 1928 . No 237 .

15 – Ibid, 25 - 10 - 1928 . No 240 .

16 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1942 . P 130 .

17 – Ibid . P 104 .

18 – Ibid . P 103 .

19 – Revue Esraélite d'Egypte , 23 / 3 - 6 / 4 / 1917 . No 4 .

20 – La Revue Sioniste, 1 - 3 - 1922 . No 23 .

21 – Ibid, 5 - 5 - 1921 . No 4 .

22 – Ibid, 2 - 4 - 1922 . No 1 .

23 – Ibid, 19 - 11 - 1920 . No 23 .

24 – Ibid, 5 - 4 - 1921 . No . 2 .

25 – Ibid, 5 - 11 - 1921 . No 16 .

26 – شاهين مكاريوس : مرجع سابق ص 216 - 243 . La Liberté, 20 - 9 - 1924

27 – الأهرام الاقتصادي في 23 مارس 1981 العدد 636 ص 20 .

28 – La Revue Sioniste , 4 - 1 - 1918 . No 1 .

29 – Weizman ; op . cit P 25 .

30 – L'Aurore, 24 - 4 - 1925 . No 61 .

31 – La Revue Sioniste , 4 - 1 - 1918 . No 1 .

32 – Revue Jsraélite , d'Egypte , 20 - 11 - 1917 . No 20 - 21 .

33 – La Revue Sioniste , 20 - 3 - 1921 . No 1 .

34 – Annuaire des Juifs d'Egypte .. 1942 , P 101 .

35 – إسرائيل 1 ديسمبر 1933 . العدد 48 .

36 – La Revue Sioniste , 5 - 7 - 1921 . No 8 .

37 – Cahiens Juifs , Juin - Juillet 1936 . No 23 .

هوامش الفصل السابع

1 ـ جودة عبد الخالق : العرب والصهيونية ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد الرابع عشر ، والعدد الأول ، إبريل – يونيه 1984 ص 72 .

عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص 213 .

2 ـ عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ـ القسم الثاني ص 183 .

3 – La Revue Sioniste, 19 - 4 - 1918 .

4 – l'Aurore , 9 - 1 - 1925 . No 47 .

5 – La Revue Sioniste , 20 - 6 - 1921 . No 7 , P 218 .

6 – Ibid, 5 - 10 - 1921 . No 14 , P 445.

7 – L'Aurore, 19 - 3 - 1926 . No 12 .

8 – la Revue Sioniste, 20 - 7 - 1921 . No 9 , P 262 .

9 – Ibid, 1 - 1 - 1923 . No 19 , P 60 .

10 – Ibid .

11 – Ibid, 3 - 4 - 1921 . No 2 , P 64 .

12 – Israél, 24 - 8 - 1928 . No 33 .

13 – La Revue Sioniste , 1 - 4 - 1934 . No 21 .

14 ـ عبد الوهاب محمد المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ـ القسم الثاني ص 32 .

15 – La Revue Sionite, 1 - 4 - 1923 . No 21 .

16 – Israél , 7 - 5 - 1926 . No 19 .

17 – Ibid, 28 - 9 - 1926 . No 22 .

18 — Ibid , 11 - 6 - 1926 . No 24 .

19 — L' aurore, 26 - 1 - 1928 . No . 202 .

20 — Ibid, 16 - 2 - 1928 . No . 205 .

21 — Ibid , 20 - 7 - 1928 . No . 227 .

22 — Annuaire des Juifs d' Egypte - 1944 , P 102 .

23 — مجلة الاتحاد الإسرائيلي في 17 نوفمبر 1925 . العدد 16 .

24 — Israél , 8 - 1 - 1936 . No 2 .

25 — Juifs d'Egypte : op. cit P 196 .

26 — F.O 371 / 45404 .

27 — علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية : مرجع سابق ص 181 .

28 — أنس مصطفى كامل : الرأسمالية اليهودية ومحاولات العودة لمصر – الأهرام الاقتصادي – الحلقة الأولى في 24 مايو 1982 العدد . 697 ص 38 .

29 — La Revue Sioniste, 15 - 2 - 1922 . No 22 , P 679 .

30 — L'aurore , 2 - 5 - 1924 . No 11 .

31 — La Revue Sioniste, 20 - 4 - 1921 . No 3, P 87 .

32 — Israél , 18 - 2 - 1927 . No 7 .

هوامش الفصل الثامن

1 ـ محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ـ القسم الثاني ص 238 .

2 ـ المرجع السابق نفسه ص 272 - 274 .

3 — La Revue Sioniste , 15 - 3 - 1918 . No 11 , P 44 .

4 — Revue Israélite d'Egypte, 1 - 5 - 1917 . No 7 .

5 — Ibid , 20 - 11 - 1917 . No 20 , 21 .

6 — La Revue sioniste , 5 - 6 - 1921 . No 6 .

7 — Ibid , 20 - 6 - 1921 . No 7 .

8 — Ibid . 5 - 8 - 1921 . No 10 .

9 — L'Aurore, 19 - 7 - 1928 . No 226 .

10 ـ صحيفة إسرائيل في 12 مارس 1926 . العدد 11 .

11 ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام : العسكرية الصهيونية ـ المجلد الأول ص 111 - 122 .

12 ـ صحيفة الشمس في 6 أكتوبر 1939 . العدد 210 .

13 — Annuaire des Juifs d'Egypte - 1943 , P 182 .

ملحـــق الوثائـــق

ملحق رقم (٢)

استقالة يوسف قطاوى باشا من حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٢٤

Edgard Gallad.

La démission de Joseph Cattaui Pacha

Voici le textee de la lettre de démission envoyée par Joseph Aslan Cattaui Pacha au Président du Parti Libéral-constitutionnel.

• • •

Son Excellence Adly Pacha Yéghen
Président du parti
des Libéraux Constitutionnels
Le Caire.

Mon cher Président,

Comme vous le savez, les élections du 12 janvier m'ont fait le très grand honneur de m'appeler à siéger à la Chambre des Députés pour le service de mon pays et de mon Roi. Il est de mon devoir de m'appliquer à justifier, dans toute la mesure de mes modestes moyens, la confiance de mes électeurs et, à cet effet, j'espère pouvoir me consacrer plus particulièrement à l'étude des problèmes économiques. Pour faire oeuvre utile dans cet ordre d'idées, j'estime qu'une liberté d'action absolue, en dehors de tout esprit de parti, est une condition essentielle. C'est pourquoi je viens vous prier de vouloir bien agréer ma démission de membre du Parti des Libéraux Constitutionnels.

Soyez assuré que mon plus ferme soutien dans l'exécution de mon mandat sera la certitude que les principes de dévouement à la nation et de loyalisme envers le Trône, dont je ne me suis jamais départi, seront toujours en parfaite harmonie avec votre pensée de pur patriotisme et d'infléxible droiture.

Veuillez croire, mon cher Président, à mes sentiments les plus cordialement dévoués.

Joseph Cattaui.

La Liberte, 21 janvier 1924, p 3.

ملحق رقم (٣)

طلب مقدم للحصول على رخصة لاصدار صحيفة اسارئيل يناير ١٩٢٠ (*)



MINISTÈRE DE L'INTERIEUR

BUREAU DE LA PRESSE

DEMANDE D'AUTORISATION

Pour la publication d'un Journal ou écrit périodique.

Nom du propriétaire et nationalité: Communauté Israélite du Caire

Domicile: chez son Président, rue Aboul Sebaa N. Cattaui Pacha

Titre du journal ou de l'écrit périodique: Israël

Localité où doit avoir lieu la publication: au Caire

Nom et domicile du gérant responsable et nationalité: Albert David Mossere quartier Ismailia (Italien

Nom et domicile du rédacteur en chef ou à défaut du ou des rédacteurs et nationalité: Kantorowitz (rue Gameh el Banat) sujet local

Adresse du bureau du journal: Rue Aboul Sebaa (chez Cattaui)

Périodicité: Hebdomadaire

Nature[1] *et langue:* Hébraïque et arabe avec une page en français

Nom de l'imprimerie du Journal et de son propriétaire et nationalité: Maison Meisan (Société de Publicité) sujet local

Adresse de l'imprimerie: No 18 Rue Madabegh

Je soussigné sollicite, conformément aux prescriptions de la Loi sur la Presse de 1881, l'autorisation de publier le journal ou écrit périodique dont le titre et les spécifications sont indiqués ci-dessus, et m'engage à le publier dans un délai de 3 mois mois à dater du jour de l'autorisation.

Date: Je m'engage à ne point traiter dans le journal des matières politiques ou administratives sans en demander l'autorisation préalable au gouvernement et d'envoyer cinq exemplaires de chaque numéro au bureau de la Presse.

Caire le 1 janvier 1920

Le Président de la Communauté Israélite du Caire
[signature]

(1) Politique, religieux, administratif, etc.

(*) الهيئة العامة للاستعلامات - ادارة المطبوعات - ملف صحيفة اسرائيل رقم (١١ - ٤٧/٢)

ملحق رقم (٤)
رخصة صحيفة اسرائيل في ٢٧ يناير ١٩٢٠ (*)



MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR

BUREAU DE LA PRESSE

AUTORISATION

POUR PUBLIER UN JOURNAL OU ÉCRIT PÉRIODIQUE

Nº 130

Le Sieur **S.E. ~~Moussa~~ Moise Cattaoui Pacha, président de la Communauté Israélite du Caire,**

domicilié **au Caire, Rue Abou El-Sebaa**

ayant rempli les formalités requises, est autorisé à publier à u **Caire**

un journal religieux en hebraique, arabe et français

ayant pour titre **Israel** et devant

paraître (1) **une fois par semaine**

Cette autorisation est personnelle; elle deviendra nulle au cas où un changement quelconque sera opéré dans le personnel responsable du journal, sans avoir été autorisé en conformité de l'art. 11 de la Loi du 26 novembre 1881.

L'impression du dit journal ou écrit périodique est autorisée dans l'imprimerie **de la Société de Publicité** appartenant

à **Mr. Moise Misan**

sise à **Nº 15 Rue Madabegh, au Caire**

Si cette autorisation n'est pas utilisée dans le délai de **3 mois.** à partir de cette date, ou si, ayant paru, ce journal cesse de paraître pendant une année, elle sera considérée comme nulle et non avenue.

Copie de cette autorisation a été communiquée à la dite Imprimerie.

Caire, le 27 **janvier 1920**

Le Ministre de l'Intérieur,

Signé M. Tewfik Nessim

(1) Indiquer la périodicité du journal ou écrit périodique.

(*) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ادارة المطبوعات ـ ملف صحيفة اسرائيل رقم (١١ ـ ٢ / ٤٧).

ملحـــق رقـم (٨)

(النموذج رقم ٢٠ « مطبوعات »)

وزارة الداخلية
إدارة المطبوعات
٢٤

١١/١١/٩٢٢٢

ضمـــانة

الموقع أدناه بنك موصيري "شركة مصرية" مساهمة بنك التابع لل — —
والقاطن بمصر شارع الشيخ أبو السباع ٦ يتعهد شخصياً بوجه التضامن بمقتضى هذا لوزارة الداخلية بمبلغ ١٥٠ مائة وخمسين جنيه مصرياً — قيمة التأمين المقرر في المادة ١٥ من المرسوم بقانون رقم ٢٠ الصادر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ وذلك لأجل إصدار (١) جريدة إسرائيل ——— التي طلب صاحبها السيد ماتيلده موصيري ——— التصريح اليها بنشرها في القطر المصري والخارج

ويتعهد الموقع عليه بوجه خاص بأن يدفع لخزينة وزارة الداخلية قيمة الغرامات التي ربما يحكم بها بمقتضى قانون المطبوعات المشار اليه من جراء نشر تلك الجريدة ——— حتى تستغرق المبلغ المذكور وذلك بمجرد طلب يرد له من وزارة الداخلية وفي خلال ثمانية أيام من تاريخ الطلب .

وان لم يحصل اعلان من المتعهد بالتخلي عن تعهده هذا عقب اجراء الدفع كما تقدم يعتبر هذا تعهدا جديدا بكامل المبلغ وقدره ١٥٠ جنيه مائة وخمسون جنيها مصريا

وان لم يحصل الدفع في الميعاد المذكور آنفا وكذا في حالة حصول الاعلان بالتخلي عن هذا التعهد تتخذ الاجراءات القانونية ضد صاحب الجريدة "المذكورة" كما لو كان لم يدفع عنها التأمين وهذا لا يمنع من اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الضامن للحصول على المبلغ المضمون . وتعتبر الضمانة نافذة المفعول لغاية ١٠ ابريل ١٩٤٠

تحريراً بمصر في ١٠ ٢ ابريل ١٩٣٩

الضامن

ملحــــق رقم (١٩)

خطاب ماتيلدا موصيري الى ادارة المطبوعات عن اتحاد صحيفتــــي اسرائيل و تريبون جويف (*)

« ISRAEL »

اسرائيل

Hebdomadaire National Juif Indépendant

Directrice-Propriétaire : Mme M. MOSSERI



RÉDACTION ET ADMINISTRATION
[illegible] LE CAIRE

Le Caire, le 19 Mai ... 1939-

TÉLÉPHONE [illegible]

RECOM[illegible]

وزارة الداخلية ادارة المطبوعات ٢٧

١٦٠٩

Monsieur le Directeur
du Département de la Presse
Ministère de l'Intérieur
Le Caire

Monsieur le Directeur,

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que devant m'absenter d'Egypte pour des raisons de famille, le journal "ISRAEL" [illegible] pendant mon absence réuni avec "La [illegible] Juive" d'Alexandrie.

[illegible] tant que l'"ISRAEL" sera [illegible] sous cette forme, il [illegible] sous la responsabilité du rédacteur en chef de "La Tribune Juive", [illegible], et jouira de la même garantie bancaire déposée déjà pour "La Tribune Juive". Il va de soi que la garantie bancaire déposée par la Banque [illegible], S. A. E. en mon nom pour le Journal "ISRAEL" n'aura plus de valeur et sera, par le fait même annulée.

Je vous serais obligée de bien vouloir prendre note de [illegible] précède, et vous prie d'agréer, Monsieur le Directeur, avec mes remerciements anticipés, l'expression de ma considération [illegible].

[signature] M. Mosseri

(*) الهيئة العامة [illegible] صحيفة اسرائيل رقم
(١٩٤٢/٧ ـ ١١١)

ملحق رقـــــم (١٠)

وزارة الداخليـــة

مصلحة الصحافة والنشر
والثقافة العامة

رقم ——

الموضوع :
اتحاد جريدتي اسرائيل وتريبون جويف
ISRAEL & LA TRIBUNE JUIVE

[illegible] مذكرة

كانت مدام موصيري صاحبة جريدة اسرائيل قد اخطرت ادارة المطبوعات بخطاب ورد اليها في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ بان ادارة جريدة اسرائيل ستنقل اثناء غيابها عن القطر الى الاسكندرية لتصدر متحدة مع جريدة " لا تريبون جويف " . وقد [illegible] مدام موصيري [illegible] هذا الاتحاد بين الجريدتين ففهمنا منها ان الامر [illegible] بالتنازل عن اصدار [illegible] الى جريدة " لا تريبون جويف " وافهمناها بأن تقدم بذلك اخطارا [illegible] يمكن النظر فيه . ولكن مدام موصيري لم تقدم مثل هذا الاخطار [illegible] اخطرتنا [illegible] الضمان الخاص بجريدة اسرائيل وازاء ذلك [illegible] للقانون [illegible] ايداع ضمان جديد وان يخطرها [illegible] بالموافقة [illegible] نقل الجريدة من القاهرة الى الاسكندرية وان ادماجها في جريدة " لا تريبون جويف " محظور لانها لم تقدم عن ذلك اخطارا صريحا .

وبالاطلاع على العدد الصادر في ١٤ يونيه الجاري من جريدة " لا تريبون جويف " وجد ان الجريدتين قد نفذتا مشروعهما بالاندماج فصدرت " لا تريبون جويف " [illegible] هو " لا تريبون [illegible] واسرائيل " ونشرت في صفحتها الاولى بهـــذا الاندماج [illegible] مدام موصيري ستغادر القطـــر [illegible]

[illegible] جريدة اخرى [illegible]

ملحق رقم (١١)

قرار ادارة المطبوعات بشطب صحيفة اسرائيل (*)



٤٧/٢/١١

حضرة صاحب السعادة محافظ الأسكندرية ضبط ب

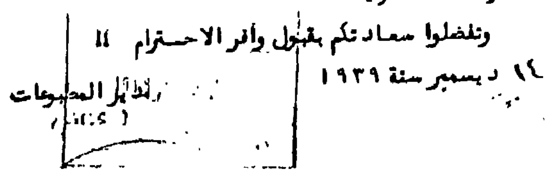
أتشرف بابلاغ سعادتكم أن الوزارة قررت شطب اسم جريدة (اسرائيل) الأسبوعية الفرنسية بالقاهرة لصاحبتها مدام ماتيلدا موصيري بسبب سحب ضمانتها وعدم تقديم ضمانة أخرى في الميعاد القانوني .

ونظرا لأن صاحبة هذه الجريدة سبق أن تنازلت عن الامتياز للمسيو Maurice Ben-Acher المقيم بالأسكندرية بشارع شريف رقم ١٧ وقد تعهد حنابه بتاريخ ١٢ يوليو سنة ١٩٣٩ بالقيام بجميع الاجراءات القانونية ولم يقم بها .

لذلك نرجو التفضل بالتنبيه بابلاغ حنابه بأن جريدة (اسرائيل) شطبت من كشف الصحف المصرح باصدارها وأصبحت ملغاة ولا يجوز النظر في امر اصدارها مطلقا الا بعد اتخاذ الاجراءات القانونية .

وتفضلوا سعادتكم بقبول وافر الاحترام ،،

١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٩



(*) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ادارة المطبوعات ـ ملف صحيفة اسرائيل رقم (١١ ـ ٢ / ٤٧)

ملحق رقم (١٢)

(*)

ماتيلدا موصيرى تهاجر الى فلسطين

(أورنيك رقم ١ «سايرة»)

مطلوب الرد

محافظة مصر

بوليس مدينة القاهرة

قلم المطبوعات

الموضوع

وزارة الداخلية
ادارة المطبوعات
رقم ٤٨

رقم القيد ع/ه/٦٢
عدد المرفقات ـ

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات

اشارة الى كتاب الوزارة رقم ٤٧/٢/١١ المؤرخ ١٤ ديسمبر الجارى بشأن شطب اسم جريدة " اسرائيل " من كشف الصحف المصرح باصدارها بدائرة المحافظة نظرا لأن صاحبتها مدام ماتيلدا موصيرى لم تقدم التأمين للجريدة بدلا من الضمان الذى سحبه بنك موصيرى ـ نتشرف بأن نفيد عزتكم أنه لدى شروع ضابط قسم عابدين بابلاغ ذلك الى مدام ماتيلدا موصيرى اتضح له أنها سافرت من مدة بضعة اشهر الى فلسطين ـ ونرسل لعزتكم مع هذا المحضر الادارى الذى عمل عن ذلك بمعرفة الضابط المذكور وكذا تقرير بوليس ملكى القسم فى هذا الصدد موضحا طيه أيضا من مدير مطبعة الجريدة رجاء النظر والتصرف .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

عن محافظ مصر

[illegible]

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩م

[illegible]

(*) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ادارة المطبوعات ـ ملف صحيفة اسرائيل رقم (١١ ـ ٢ / ٤٧)

ملحق رقم (١٧)

وزارة الداخلية

مصلحة الصحافة والنشر
والثقافة العامة

رقم ——

الموضوع :

مذكرة

عن مسألة جريدة " لا تريبون جويف " ومحررها
المسئول لمناسبة تقديمها للنيابة العمومية

بمراجعة ملف جريدة " لا تريبون جويف " وجد ان صاحبها ورئيس تحريرها المسئول طبقا للاخطار الرسمي هو المسيو مندل كالكشتين البولوني الجنسية .

ولما قدمت الجريدة المذكورة مع جرائد اخرى امام النيابة العمومية للتحقيق معها بناء على طلب وزارة الخارجية كتبت ادارة المطبوعات ضمن البيانات المقدمة منها عن الصحف المذكورة بان صاحب جريدة " لا تريبون جويف " ورئيس تحريرها المسئول هو المسيو كالكشتين المشار اليه .

وقد تبين من مراجعة ملف مسيو كالكشتين المحفوظ بادارة الجوازات انه يهودي فلسطيني يحمل جوازا بولونيا وانه دخل القطر المصرى منذ سنة ١٩٢٨ وانه من دعاة الصهيونية .

ولكن تبين بعد ذلك ان الذى يتولى ادارة الجريدة وتحريرها بصفة فعلية هو المسيو جاك رابين وان صاحبها ورئيس تحريرها الاصلي قد غادر القطر حسبما فهمنا من المسيو رابين المذكور . على ان مسيو رابين ليست له اية صفة رسمية لدى ادارة المطبوعات لا بالنسبة لملكية الجريدة ولا بالنسبة لتحريرها .

وقد تبين من دراسة ملف مسيو رابين بادارة الجوازات انه فلسطيني النشأة ولا جنسية له وانه قدّم طلبا للتجنس بالجنسية المصرية بواسطة القنصلية المصرية بالقدس في سنة ١٩٣٥ ثم منح بناء على طلبه من ادارة الجوازات جوازا مصريا منذ سنة ١٩٣٥ لا زال يحمله حتى الآن .

ويستفاد من المراسلات الرسمية التي قامت بشأنه انه لم يستوف جميع الاجراءات والشروط التي يتطلبها التجنس بالجنسية المصرية ومن ثم فانه لم يبت في طلبه حتى الآن خصوصا وانه عجز عن اثبات جنسيته الفلسطينية وطلب ان يعامل معاملة من لا جنسية لهم .

ويترتب على ذلك انه ما دام مسيو كالكشتين هو رئيس التحرير المسئول فهو الذى توجه اليه التهم المنسوبة للجريدة واذا كان مسيو رابين يعترف بكتابة المقالات موضوع الشكوى فالمسئولية تقع على الاثنين .

الهيئة العامة للاستعلامات — ادارة المطبوعات — ملف صحيفة لا تريبون جويف
رقم (١١ — ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (١٦)

قم ٢٥ «مطبوعات»

وزارة الداخلية

ادارة عموم الأمن العام

ادارة المطبوعات

رقم ١١ – ٢/٢٢٤٩

الموضوع

اخطار عن التصريح باصدار جريدة باسم La Tribune Juive

اسم الجريدة	اسم صاحبها	دوريتها	لغتها	موضوعها	محل صدورها
La Tribune Juive	M. Mendel Kalbotin	اسبوعية	فرنسية	سياسية	٣ شارع سعد زغلول الاسكندرية

حضرة صاحب البريد ... الشكاوى ... الجنايات ...

أتشرف بأن أبلغ كم أن الوزارة قد صرحت باصدار الجريدة الموضح بياناتها أعلاه بعد أن قام صاحبها بتقديم الاخطار والتأمين المنصوص عليهما في المرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ برجاء التفضل باضافة اسمها الى كشف الصحف العام المصرح باصدارها في القطر المصري واتخاذ ما ترونه من الاجراءات تجاه هذا التصريح .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،

مدير ادارة المطبوعات

تحريراً في ٢٨/٩ سنة ١٩٣٦

الهيئة العامة للاستعلامات – ادارة المطبوعات – ملف صحيفة لا تريبون جويف

رقم (١١ – ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (١٩)

سرية

٨٧٧ سرى مطبوعات

حضرة صاحب السعادة محافظ الأسكندرية ضبط ب

اشارة الى الكتاب رقم ب/٢٠/١٤٢ ح المؤرخ فى ٧ أبريل الجارى الوارد معه خطاب المسيو مندل كلكشتين صاحب جريدة " لاتريبون جويف " المقيم فى تل أبيب باختيار المسيو حاك رابين لاصدار الجريدة وتحريرها بالنيابة عنه ٠

نفيد أن الوزارة لاتوافق على هذا الاختيار ونرجو التفضل بالتنبيه باعلان كل من صاحب الجريدة والمسيو حاك رابين بمعارضة الوزارة كتابة فى اختيار الأول للثانى لرياسة تحرير جريدة " لاتريبون جويف " طبقا لأحكام المواد ١١ و١٢ و١٣ من قانون المطبوعات ٠

وتفضلوا سعادتكم بقبول وافر الاحترام ؟؟

مدير ادارة المطبوعات والرخص
امضاء (حنان)

٩ أبريل سنة ١١٣

الهيئة العامة للاستعلامات — ادارة المطبوعات — ملف صحيفة لاتريبون جويف
رقم (١١ — ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (٢٠)

مصوره

١٠٩٤ ك و صادرات

وزارة الداخلية
ادارة المطبوعات
٤٧

حضرة صاحب السعادة محافظ الاسكندرية

وصلنا خطاب من جريدة "La TribuneJuive" ومرفق به عدد تاريخه ١٤ يونيه غير فيه عنوانها كالاتى "La TribuneJuive et Israel" ويطلب الموافقة على هذا التغيير ·

وبما ان وزارة الداخلية سبق ان اخطرت مدام موصيرى صاحبة جريدة "Israel" رسميا بمعارضتها فى اندماج جريدتها بجريدة La Tribun Juive وبما انها لاتزال عند رأيها فى معارضة هذا الاندماج وعدم الموافقة على الشكل الجديد الذى تصدر به La Tribune Juive

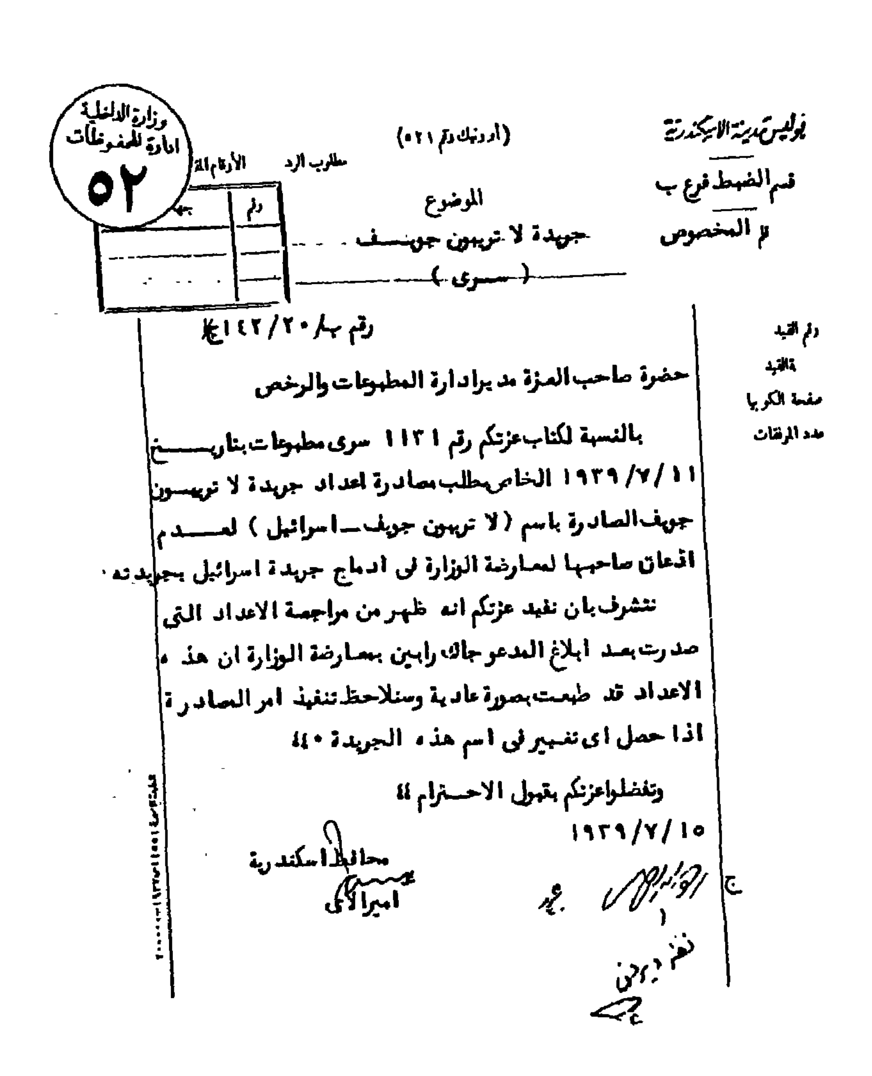
لذلك ارجو سعادتكم التكرم باخطار صاحب جريدة La TribuneJuive والقائمين باصدارها كتابة بمعارضة وزارة الداخلية فيما تقدم وفقا للمادتين ١٤ و١٧ من قانون المطبوعات! واخذ التعهد اللازم بالعلم والكف عن المضى فى اصدارها بالشكل الجديد ·

واذا لم تذعن الجريدة بعد اخطارها بما تقدم فنرجو التكرم باصدار الاوامر اللازمة بضبط اعداد الجريدة الصادرة بمخالفة لما تقدم وتبليغ النيابة للتحقيق وفقا للمواد ١٤و٢٦ و٣١ من قانون المطبوعات·

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام

١٩٣٩/٦/٢٢	مدير المطبوعات والرخص

ملحق رقم (٢١)



بوليس مدينة الاسكندرية

قسم الضبط فرع ب

م المخصوص

(اورنيك رقم ٥٢١)

الموضوع

جريدة لا تريبون جويف

(سرى)

رقم ب/٢٠/١٤٢/ع

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات والرخص

بالنسبة لكتاب عزتكم رقم ١١٢١ سرى مطبوعات بتاريخ ١١/٧/١٩٣٩ الخاص بطلب مصادرة لاعداد جريدة لا تريبون جويف الصادرة باسم (لا تريبون جويف ــ اسرائيل) لعدم اذعان صاحبها لمعارضة الوزارة فى ادماج جريدة اسرائيل بجريدته .

نتشرف بان نفيد عزتكم انه ظهر من مراجعة الاعداد التى صدرت بعد ابلاغ المدعو جاك رابين بمعارضة الوزارة ان هذه الاعداد قد طبعت بصورة عادية وسنلاحظ تنفيذ امر المصادرة اذا حصل اى تغيير فى اسم هذه الجريدة ..

وتفضلوا عزتكم بقبول الاحترام

١٥/٧/١٩٣٩

محافظ اسكندرية

امير الاى

الهيئة العامة للاستعلامات ــ ادارة المطبوعات ــ ملف صحيفة لا تريبون جويف

رقم (١١ ــ ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (٢٢)

صوره

١٤٦٦ سرى مطبوعات



حضرة صاحب السعادة محافظ الاسكندرية
(ضبط)

اتشرف بان ابلغ سعادتكم اننا لاحظنا ان جريدة La Tribune Juive الاسبوعية بالاسكندرية تصدر على احدى صفحاتها عنوان يبين ان جريدة (Israel) الاسبوعية الفرنسية بالقاهرة والموقوف صدورها بسبب سحب ضمانتها ، مندمجة فى الجريدة الاولى .

وبالنظر الى ان هذا الاجراء يخالف التنبيه السابق ابلاغه الى الجريدة بخطابنا رقم ١٠٩٣ سرى مطبوعات المرسل للمحافظة بتاريخ ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٩ .

لذلك نرجو التفضل بالتنبيه على القائمين باصدار جريدة La Tribune Juive بأن يرفعوا فورا اسم (Israel) من البيانات الخاصة بالجريدة ولفت نظرهم الى انه فى حالة المخالفة ستضبط اعداد الجريدة اداريا طبقا لما اشارت به الوزارة بكتابها رقم ١١٢١ سرى المؤرخ فى ١١ يوليو سنة ١٩٣٩

وتفضلوا سعادتكم بقبول وافر الاحترام!!

١٩٣٩/١٢/٣

مدير
ادارة المطبوعات

درسيه ٥٨٩٤

الهيئة العامة للاستعلامات — ادارة المطبوعات — ملف صحيفة لا تريبون جويف
رقم (١١ — ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (٢٣)

مصلحة الرقابة

مراقبة النشر

قلم السكرتارية

رقم القيد ....

المرفقات ....

الموضوع : ....

٤٨٣

قرار

الرقيب العام

نظرا لأن جريدة La Tribune Juive التى تصدر بمدينة الاسكندرية دأبت على نشر آراء وأفكار تتعارض والنظام الاجتماعى القائم فى المملكة المصرية هذا علاوة على ان صاحب امتياز اصدارها المسيو مندل للمنتين متغيب عن مصر منذ عدة سنوات ولا يعلم له محل اقامة فى المملكة المصرية .

وبناء على المادة الأولى من الأمر العسكرى رقم (١) الصادر بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ من السلطة القائمة على اجراء الأحكام العرفية

تقرر ما هو آت

مادة وحيدة — يوقف صدور جريدة "La Tribune Juive" ابتداء من اليوم الى حين صدور تعليمات أخرى .

١٦/٥/١٩٤٨

الرقيب العام
امضاء (عبد ...)

صورة للإدارة المختصة ... مدير مراقبة النشر
١٦/٥/١٩٤٨

الهيئة العامة للاستعلامات — ادارة المطبوعات — ملف صحيفة لا تريبيون جويف
رقم (١١ — ٢ / ١٠٤)

ملحق رقم (٢٤)

LA TRIBUNE JUIVE ET ISRAEL

HEBDOMADAIRE DU JUDAISME EGYPTIEN

Fondée en 1919
Fondateur: Dr. A. MOSSERI
Directeur: J. RABIN

LE CAIRE
21, Rue Antikhana
Téléphone 43596

ALEXANDRIE
7, Rue Tewfick
Téléphone 27118

ل ابى قير

الاسكندرية في ٢٤ مارس ١٩٤٩

حضرة صاحب العزة مدير مكتب الصحافة بمحافظة الاسكندرية

بعد الاحترام . حيث ان جريدة لاتريبيون جويف "LA TRIBUNE JUIVE"
لم تصدر منذ عشرة اسابيع ارجو من عزتكم رد خطاب الضمان الصادر
من بنك [illegible] بمبلغ ١٥٠ مائة وخمسين جنيها الى البنك المذكور
ومع تقديم شكرى لكم سلفا تفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام

[signature]

[illegible] ٢٦/٣

الهيئة العامة للاستعلامات — ادارة المطبوعات — ملف صحيفة لا تريبون جويف
رقم (١١ — ٢ / ١٠٤) .

ملحق رقم (٢٥)

قائمة بأسماء الصحف الأجنبية

التي أصدرها اليهود في مصر

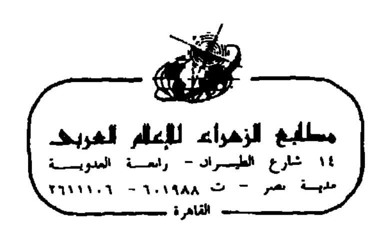
اسم الصحيفة	اسم صاحبها	سنة الصدور
1. Réveil D'Israel	Ben-Roubi	1892
2. La Chronique Egyptienne	Salvator Levi	1896
3. Messager Sioniste	Société Sioniste Barkokhba	1901
4. Mebassert Zion	" " "	1902
5. Israël		1910
6. Revue Israëlite D'Egypte	Pro-Cultura Israélitica	1912
7. La Renaissance Juive	Communauté Israélite du Caire	1916
8. La Revue Sioniste	Organisation Sioniste d'Egypte	1918
9. Israël	Communauté Israélite du Caire Albert Mosseri M. Mosseri	1920
10. La Liberté	Léon Castro	1921
11. L'Aurore	Lucien Scuito	1924
12. Illustration Juive	David Prato	1927
13. Courrier Juif		1928
14. Numéro Juif		1928
15. La Vie Juive		1928
16. L'Informateur	Elie Politi	1929
17. Cahiers Juifs	David Prato Puis Léon Palombo	1930
18. La Voix Juive	Albert Staraselki	1931
19. Hatekva	Elie Yettah-Felix Ouizman	1935
20. Kadima	Saad Malki	1935
21. Kadima	Abalde Venture	
22. La Réveil Juif	Elie Yettah	1936
23. La Tribune Juive	Mendel Kalkstien	1936
24. Annuaire des Juifs d'Egypte et du Proche Orient	Sociéte des Editions Historiques Juives d'Egypte	1942
25. Middle East Mail	David Goldstein	1944
26. La Chronique Fiscal	Nessim Misrahi	1946
27. Middle East Convoy	Henri Hayyim	1946
28. L'Hebdomadaire	Henri Shaol	
29. Mon Magazine	Elie Shamaa	
30. La Presse	Maurice Cohen	
31. Revue de l'Histoire Juive en Egypte	Société des Etudes Historiques Israélites d'Egypte	1947
32. Ha Menorah	Benai Brith	
33. Herout	He ha lutz "Alexandrie"	
34. Le Jeune Pionnier	He ha lutz "Alexandrie"	
35. Le Réveil	Haivri Hatzair	
36. Maccabi	Albert Busnac	

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٩٧٥٤ / ١٩٩١
الترقيم الدولي : x ـ ٠٦٧ ـ ٢٥٧ ـ ٩٧٧



الصحافة الإسرائيلية

والدعاية الصهيونية في مصر

يمثل الإعلام بالنسبة للدولة الصهيونية مصدراً هاماً من المصادر التي إعتمدت عليها إسرائيل لإضفاء الشرعية على وجودها في أرض فلسطين ، وقد استطاعت عن طريق وسائل الإعلام أن تشكل جانبا كبيرا من الرأي العام العالمي ، والغربي على الأخص ، الذي دعم دولتها وعزز قوتها .

والكتاب يعالج موضوع الصحافة الصهيونية التي أصدرها اليهود في مصر قبل عام 1948 ، وقد استطاعت الدكتورة سهام نصار مؤلفة الكتاب أن تلقي ضوءا كاشفا من خلال هذه الصحافة على الوجود الصهيوني في مصر الذي استغل جميع منافذ التعبير والحركة من أجل قيام الدولة الصهيونية وتعزيز فكرتها ، مستغلا عدم تنبة الرأي العام المصري ورجال الفكر في ذلك الوقت إلى أبعاد وخطورة الفكرة الصهيونية .

والله من وراء القصد

الناشر

الزهراء للإعلام العربي